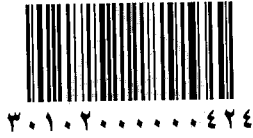


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القري  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا الشرعية  
فرع العقيدة



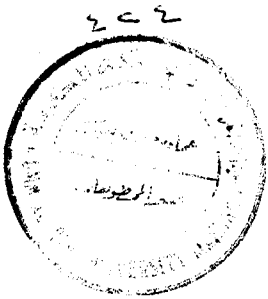
منهج الدعوة النبوية

في المرحلة التأسيسية

٢٤١٢

رسالة مقدمة لنيل شهادة التخصص الأولى

الماجستير



اعداد الطالب

علي بن علي جابر محمدي

إشراف  
فضيلة الشيخ محرقطب

لعام

١٤٠١ هـ

١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمد لله القائل : ( يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ،  
وداعيا الى الله باذنه وسراجا نورا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا  
كبيراً ) ( ١ )

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، الهادي بدعوته الى الصراط المستقيم  
ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، القائل : ( قد تركتكم على <sup>بيني</sup> البيضاء  
ليلها كنهارها لا يزيغ عنها / الا هالك )  
وفي رواية : ( ... لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سوا ) ( ٢ )  
( وسعد )

فان كلمة الدعوة هي احسن كلمة تقال في الأرض ، وتصعد في مقدمة الكلم  
الطيب الى السماء ، ( ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننسى  
من المسلمين ) ( ٤ )

لما كنت اواصل الدراسة الجامعية كانت تتجاذبني أفكار الجماعات الاسلامية  
القائمة في الميدان وكنت آنذاك خالي الذهن عن منهج وحركة كل منها ، علما  
بأن كل جماعة تتعصب لأفكارها ، ومناهجها بل تدافع عنها بشدة ، لأنها  
تعتقد ان مناهجها وأفكارها هي الصواب ، وأن أفكار غيرها هي الخاطئة ،  
الا ان بعضها أشد من بعض في التعصب والدفاع ، لذلك وقفت متحيرا في  
الحكم عليها من حيث الخطأ والصواب ، ولما خالطت تلك الجماعات ، وعرفت  
المناهج والاتجاهات ، وجدت بينها البون الشاسع .

فبعضها تلزم اتباعها ببذل اوقات معينة للقيام بهذا الواجب الى الله في سائر  
أنحاء العالم ، وتدعو الآخرين الى مثل ذلك ، وهم مع ما يبدو من حرارة ايمانهم <sup>بالدعوة</sup>  
الى الله ، وحماسهم وصدقهم / أن يكسبوا <sup>الاستعداد</sup> الجولة مع الجاهلية ، ان بقى  
اسلوبهم الحالي اسلوبا لهم في المستقبل ، او حتى مجرد الوقوف في وجهها  
علي المدى البعيد ، لأسباب منها :

أ - أنها لا تشكل تجمعا حركيا منظما ذا خطة مدروسة ، وقادرا على مواجهة  
مخططات اعداء الاسلام ، وقواهم المنظمة .

ب - كان يقتصر عملهم على جماعة المسجد ، ثم تأثيرهم حتى في هؤلاء ، تأثير  
وقتي ، ان ليس لديهم اتصال منظم ومستمر مع هؤلاء الأفراد ، أو رعاية

( ١ ) الاحزاب : ٤٥ - ٤٧

( ٢ ) ابن ماجه ج ١ ص ٤١ - ٤٢ - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط الحلبي

( ٣ ) بشرطين : هما الاخلاص ، والمطابقه لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم

( ٤ ) فصلت : ٣٣ -

وتعصبه كافيان لتعمد هذه البذور ، حتى تنمو وتترعرع وتثمر .  
ويمكن القول : بأنهم يملطون على قاعدة ( قل كلمتك وامش )

ج - انهم يعتمدون كثيرا على جانب الترغيب والترهيب ، ولذلك فان اسلوبهم سيظل قاصرا عن مواجهة تحديات الأفكار الالحادية ، والمادية عموما ، وهذا أسلوب لا يؤثر في غير المتدينين ، ولا بد من مرحلة سابقة لهذه المرحلة :

٢ - وهناك جماعة اسلامية أخرى ، تعتقد أن سبب ذل المسلمين هو اختلافهم في فهم الاسلام وتعصبهم ، وجمودهم على آراء المذاهب المختلفة ، ثم تناحرهم في كثير من الفترات ، وتقاتلهم احيانا بسبب الخلافات المذهبية فهذه الجماعة - وهذا حالها - تحصر كل همها في الصل على استتباط الأحكام الفقهية من القرآن الكريم وطاح من السنة مباشرة ، بحيث لا تكون حركة ذات منهج في التربية ، والتكوين ، والتخطيط ، وليس لديهم أهداف مرحلية محددة ، وتقتصر دعوتها على جمهور المتدينين ، بل على عدد محدود من هؤلاء ، ويبدل دعائها وقتا وجهدا كبيرا في الدعوة الى فرعيات ليس من مصلحة الدعوة الاسلامية الاشتغال بها والتركيز عليها في وقت يواجه فيه الاسلام حربا شرسة لاجتثاثه من الجذور .

وترى هذه الجماعة أن أول خطوات العمل الاسلامي تصفية الاحاديث الضعيفة عن الصحيحة وهذا عمل علمي مفيد ، الا أن السلف الصالح قد اغتانا عن كثير من هذا العناء ، وترك لنا ثروة هائلة في هذا الفن ومصطلحه ، ويجب أن تنصب الجهود الان على تربية واعداد الجيل ، وانقاده من الكفر الداهم ، ومن الأفكار المادية الجارفة ،

ومهما حاولنا اتباع الأدلة الصحيحة ، فان الخلاف سيبقي قائما ، لا اختلاف النظر في النصوص نفسها - كما تجد اختلاف النظر في فهم الأدلة القرآنية - واتفاق الامة على امر فرعي يكاد ان يكون مستحيلا ،

٣ - وهناك جماعة اخرى ايضا تهتم بباطن الفرد وتهذيب روحه ، وذلك مطلوب لا غبار عليه ، ولكن الخطورة في الاقتصار على هذا الجانب ، واهمال الجوانب الاخرى ،

وفي هذا انحراف كبير في الفهم والمنهج التربوي والاعدادى معا ، فالاسلام ليس شعائر تعبدية فقط ، وانما هو الي جانب كونه عقيدة ،

فهو شعائر تعبدية ونظام حياة ،  
والمنهج الاسلامي التربوي والاعدادى يأخذ في اعتباره الكينونة الانسانية  
ككل ، يهتم بالروح والعقل والجسد ،  
كما أن الحياة في الاسلام ليست دنيا فقط ، ولا آخرة فقط ، وانما  
هي دنيا وآخرة ( وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك  
من الدنيا ) ( ١ )

٤ - وهناك جماعة أخرى ، اذا قارنتها بسابقاتها يتبين لك أنها تتميز  
بالصفات التالية :

أ - انها دعوة في طبيعتها تكامل ، وفي اهدافها شمول ، فهي  
لا تقتصر من الاسلام علي جانب دون آخر ولا تضخم جانبا علي  
حساب آخر ،

هدفها يبدأ من تربية الفرد واعداده ، وينتهي باقامة الحكم  
لله وحده ، ثم الانطلاق في الارض لأعلاء دين الله .  
تفهم الاسلام بشموله ، فهو في نظرها ذلك النظام الشامل  
الذي يجب أن يهيمن علي جميع شئون الحياة .

ب - هي جماعة عندها وضوح في اهدافها ، ووسائلها ، وادراك  
لما يجري حولها ، ومعرفة لضرورة المعركة التي يخوضونها  
اعداء الله ضد الاسلام ،

ج - تؤثر الناحية العملية ، ان لها منهجا فكريا تربويا  
جهاديا ، تقدم الاسلام للناس في صورة نماذج بشرية ،  
ترجم الأقوال الى أفعال وسلوك .

د - ونظرا لشمولها في أمورها فهي تلتقي مع الجماعات الاسلامية ،  
في اهم ما تدعوا اليه كل منها .

من الصعوبات التي واجهتني :

من المعلوم انماى بداية في عمل ما تكون صعوبة علي الانسان في حياته ،  
تجد علامة تلك الصعوبة في ضعف النتائج ، ومحضر رسالة مثل هذه الرسائل ،  
واحد من تواجهه تلك الصعوبات ، تنطبق عليه سنة الله تعالي فيها .

ولما بدأت في الكتابة ترددت كثيرا لتساؤلات خطرت ببالي ؛  
كيف يسوغ لمثلي ان يكتب عن منهج من ارسله الله داعيا للعالمين ،

وكدت أن اترك الكتابة لبحث عن موضوع جديد ، لما شعرت به من العجز ،  
ويعلم الله اني كنت امسك القلم بيدي فأظل متحيراً ماذا اكتب وقد غصت المكتبات  
بكتب السير والمغازي ، والشمائل والمعجزات لفظاً حل العلق ، من المتقدمين  
والمتأخرين ، بين مطولات ، ومختصرات ، بشتى الأساليب ولكن الاهداف  
والحوافز . واهمية الموضوع شجعتني على المضي في البحث ، فطلبت من الله  
العون والتوفيق ، انه نعم المعين والموفق .

#### حوافز البحث

- ١- الاختلاف الشديد بين الدعاة المعاصرين في المناهج والأهداف .
- ٢- نشر الدعايه من كل جماعة - مع الاسف الشديد - ضد الأخرى .
- ٣- بلبلة افكار العامة حتى أمست لا تدري لمن تستجيب من تلك الجماعات ؟!

#### أهداف البحث

- ١- أريد أن أبين - ما استطعت - المنهج الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم - في الدعوة الى الله سبحانه - في العهد المكي ، لعله يكون منهجاً او مرجعاً لتلك الجماعات العاطفه في الميدان .
- ٢- أريد أن أبين أن طريق الدعوة الاسلاميه الصحيحه ، ليست مفروشهة بالورود ، انما تحتاج الى التوضيحات وبذل الجهود .
- ٣- ليس الغرض دراسة السيرة النبويه الخالده من جميع جوانبها ، أو إضافة جديد الى ماورد فيها ، بل أنا وأمثالي عالمة على المصادر الأصلية فيها ، وانما الغرض من ذلك دراسة جانب واحد من جوانب حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الطيئة بالخير والبركة ، والنور والهدى للعالمين ، الا وهو المنهج المكي في الدعوة الى الله .

#### أهمية البحث

تلك الحوافز والأهداف ، ترشح الموضوع أن يكون ذا أهمية تستحق العناية - بغض النظر عن كونه أوفى المقام حقه اولاً - لأن الرجوع الى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فيه سعادة الدنيا والاخره ، كيف لا ، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وهي يوحى .

وقد أمر الله - سبحانه - بالتحاكم عند النزاع ، الى الله ورسوله ، فسي

عدة مواضع من القرآن ، لا في الأحكام الفقهية فحسب ، بل في جميع المجالات  
وتفى الله الايمان عن المعروضين عن ذلك بقوله : ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك  
فيما شجر بينهم )

ولم يكتف بذلك . بل لابد من الازعان والقبول ( ثم لا يجدوا في انفسهم  
هرجاً ما قضيت ويسلموا تسليماً ) ( ١ )

كما أوجب الله الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم - ( لقد كان لكم  
في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ) ( ٢ )  
وكل يوم أخذ قوله ويورد عليه الا صاحب الروضة الشريفة صلى الله عليه وسلم .

منهجي في البحث

من المعلوم أن مصادر السيرة النبوية هي معظم المادة لموضوع البحث .  
وقد قدم لنا علماءها - رحمهم الله - مالولاه لما استطعنا أن نقول شيئاً ، ولكن  
الاخذ منها دون تمحيص لا يتفق ومنهج البحث العلمي ، وحاجتها الى الدراسة  
والتحقيق لا يخفى على الباحث .

وهذا دين واجب - في نظري - على كواهل العلماء ، وبالأخص المتخصصين  
ولذلك فقد سلكت كالاتي :

١- اذا وجدت النص في كتب السيرة ، لا تظمن نفسي حتى أجده نفسي  
الصحيحين او في أحدهما ، او في سائر الأمهات ، او في بعضها -  
وستجد معظم النصوص التي استخرجتها من كتب السيرة مدعومة من  
كتب الحديث .

٢- لا تظمن نفسي ايضاً حتى أجده الحكم على الحديث - في غير الصحيحين -  
من أئمة الأعلام .

٣- اذا لم أجده الحكم أبحث عن سنده - وهذا قليل جداً - حتى أقف  
على ما فيه من مقال لأهل هذا الشأن ، وبناءً على قواعدهم التي  
وضعوها أستطيع الحكم على النص .

٤- اذا لم أقف على شيء من ذلك وعجزت عنه ، نقلته وعزوته الى مصدره ولزمت  
السكوت .

٥- وأحياناً اقتطف الشواهد من النصوص للاكتفاء والاختصار .

٦- وقد حاولت - قدر الامكان - ان أجمع بين الجانب الطلي وبين الجانب  
التربوي الروحي وأن يشتمل البحث على قطع من المعبر النابضة بالحيوية  
والتأثير .

وقد ركزت على العقيدة وجهاد الدعوة لما لهما من الأهمية .

( ١ ) سورة النساء : ٦٥

( ٢ ) سورة الأحزاب : ٢١

وتركت تراجم الاعلام خوفا من تضخم الرسالة لكثرة ما فيها من اعلام  
ولكن معظمهم من الصحابة ، واكتفيت بشهرتهم وقد كانا مؤنسة  
البحث ائمتنا رحمهم الله كالحافظ في الاصابة وابن عبد البر في  
الاستيعاب وغيرهما .

( ٧ ) سلكت غالبا عند الاستدلال بالنصوص المنهج القائل : العبرة  
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

### تقسيم البحث :

- وقد قسمت الرسالة الى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة ابواب ، وخاتمة  
ذكت في التمهيد خمس نقاط :
- ( ١ ) الحالة الدينية في الجزيرة العربية ، وان التدبير امر فطري بنفسه  
النظر عن كونه حقا او باطلا .
  - ( ٢ ) الوثنية ، تحدثت عن نشأتها في الجزيرة العربية ، ولمحة عن  
اخلاق الجاهلية فيها .
  - ( ٣ ) اليهودية ذكت فيها هي ومن اين اخذت هذه التسمية ، وانتشارها  
في الجزيرة قبل البعثة ، كما تحدثت عن سياسة اليهود الخبيثة  
وتحريفهم الديانة المنزلة على انبيائهم .
  - ( ٤ ) النصرانية ، وتحدثت فيها عن نسبتها ومعناها وانتشارها في  
الجزيرة ثم تغلغلها ثم ذكت لمحة عن تحريف الديانة التي جاء  
بها عيسى عليه السلام .
  - ( ٥ ) الحكمة في اختيار العرب لحمل الدعوة . ذكت فيه خصائصهم  
ثم آراء العلماء في ذلك واسهمت في ذلك بملاحظات خفيفة .
- الباب الاول : الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الاول : كلمة سريعة عن حياة الرسول حتى البعثة ، تحدثت فيه  
عن النسب الشريف لصاحب الرسالة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم  
وعن مولده ورضاعه فحادثة شق الصدر وبينت انها مرتان مع ذكر الادلة  
على ذلك ثم سفره الى الشام مع عمه ، وقصة لقاؤه ببحيرا . ثم ناقشت  
الخلاف وعقبت عليه بصحة القصة في جملتها من التفاصيل ، ثم اشهرت  
الى حياة الكدح ورعيه الفخم ، ثم شهوده حرب الفجار مع اعمامه فشهوده



حلف الفضول فزواجه بام المؤمنين خديجة - رضى الله عنها - رغبة ففى نبلها وفتها وذكائها ، لالمتعة جسدية . ثم اشرت الى قدرته لحل المشكلات الطارئة كحل مشكلة الحجر الاسود ، بعد التوتر الشديد ثم تحنثه فى غار حراء ، وما كان هنالك من الخوارق .

ثم تحدثت عن اثبات الوحي ، وانه الفيصل الوحيد بين من يبلغ عن ربه ، وبين من يشرع بواسطة رآيه مع ذكر انواعه والادلة على ذلك وعجز ملوك البلاغة عن الاتيان بمثله ثم نتائج ظاهرة الوحي ، ثم ذكرت صورة مصغرة للعالم حال البعثة .

الفصل الثانى : منهج الدعوة من الناحية العقلية والروحية وفيه ثلاثة مباحث :

( أ ) الاستدلالات الكونية ، وقد تحدثت فيه عن منهج القرآن الكريم فى مغاطبة كيان الانسان - فى قضية الالهية - من كل جوانب الكون والحياة الى ان يصل به الى النتيجة الملموسة ، وهى الايمان بالخالق سبحانه وتعالى .

( ب ) الاستدلالات التاريخية ؛ تحدثت فيه عن بعض اهداف القصص القرآنى ، ونماذج من الاحداث التاريخية التى نزلت بمكذباتى رسول الله عليه الصلاة والسلام

( ج ) منهج الدعوة من الناحية الروحية ، واثارة الوجدان بالترغيب والترهيب ذكرت فيه ان الانسان يحب ما ينفعه ، ويبغض ما يضره لما فيه من غريزة حب الذات ، وان مغاطبة العقول لا تثمر الوجدان ، ولا تغذى النفوس كالترغيب فى الثواب والترهيب من العقاب .

الفصل الثالث : مراحل الدعوة ، وفيه مرحلتان الاولى السرية وهى خاتوتان  
( أ ) الاتصال الفردى بالاقرب فالاقرب ، ثم تكليف من اسلم تبليغ من لم يسلم ، كما تحدثت عن تحديد الهدف من الدعوة ، وعن اسلوب الحكمة فيها .

( ب ) التكوين السرى وقد ذكرت انه تم فى اول جامعة اسلامية دار الازهر ، وانه من ضروريات الدعوة ، وقد اوردت الادلة الصحيحة على ذلك كما بينت غربة الاسلام فى بدئه وانه سيعود قريباً كما بدأ .

وان العودة لا ترتبها بزمان ولا مكان، وان المصلحين سيكونون غرباء  
كما كان محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه غرباء، ثم تكلمت  
على الحكمة في السر بالدعوة، وعلى سبق الضعفاء الى الدخول  
في الاسلام .

المرحلة الثانية : الجهر بالدعوة ، وقد تحدثت فيها عن  
صعوده صلى الله عليه وسلم على الصفا هاتفا بيهود قريش واصحابه  
اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .  
وقد ناقشت الاحاديث الواردة في هذا مناقشة علمية اد ليست  
فيها بدلوى كما ذكرت الحكمة في البدء بالاقربين .

ثم ذكرت تقسيم مراحل الدعوة الجهرية ، وخلاف العلماء فيها  
مع ذكر الادلة ومناقشتها وترجيح الراجح منها ، ثم مناقشة بعض  
المستشرقين في الطعن في المرحلة الاخيرة العامة مع الرد على زعمهم  
الباطل بالادلة العلمية .

الباب الثاني : اركان الدعوة . وفيه فصلان :

الفصل الاول : التركيز على العقيدة ، وفيه المباحث الاتية وقد قدمت  
لها باهمية العقيدة وانها اساس الدين الاسلامي .

المبحث الاول : تحدثت فيه عن تقرير وحدانية الربوبية وانها  
امر فطري ثم وحدانية الالهية وانه الذي حصل فيه النزاع بين  
الانبياء والامم ، وذكرت نماذج من ذلك .  
وقد ركزت حسب الطاقة - على هذا المبحث لما له من الهمية  
ولما يترتب عليه من آثار .

المبحث الثاني : اثبات الرسالة ، تحدثت عن اهميتها والايمان  
بها ، والصفات الشخصية لصاحب الرسالة ثم بينت شهادة الخصوم  
والاتباع ، ومعجزة القرآن الكريم ، ثم ذكرت عدة شواهد على ذلك كما  
بينت انكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم - طعن في الرب - سبحانه  
وتعالى .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن الايمان بالملائكة واثره في

حياة الانسان .

المبحث الرابع : تحدثت فيه عن الايمان بالكتب واهميتها .

المبحث الخامس : تحدث فيه عن الايمان بالرسول والواجب نحوهم ، والحاجة اليهم .

المبحث السادس : تحدث فيه عن الايمان باليوم الاخر مع ذكر الادلة النقلية والعقلية على انه مقتضى العدل كما ذكرت شبهة المنكرين له ، ومناقشتها ، والرد عليها ثم ذكرت بعض ما في القرآن من جدل يتعلق بذلك وما للايمان به من اهمية ، فالحكمة في ذلك فاشرا الايمان به في سلوك المؤمن .

المبحث السابع : الايمان بالقدر ، وقد ذكرت تعريفه وكراهة الخوض فيه لخفائه واسراره ، ثم اثره في سلوك العبد المؤمن به ، ثم اشرت الى تشويبه والرد على هذا التشويه .

الفصل الثاني : تقرير الصلاة والزكاة ومكارم الاخلاق . وفيه المباحث الاتية :

المبحث الاول : تشريع الصلاة ، تحدث فيه عن مشروعية الصلاة وانها عريقة في الديانات وقبل الاسراء والمصراع ، مع ذكر الخلاف في ذلك مع شيء من التفاصيل ، ثم اثرها في توثيق الصلة بين العبد وربه .

المبحث الثاني : الزكاة ، وقد تحدث فيه عن قدمها مع ذكر الخلاف في فرضيتها في العهد المكي فالتفصيل في ذلك ثم اثرها في بناء المجتمع المسلم .

المبحث الثالث : الدعوة الاخلاقية ، بدأت بمقدمة ، ثم الدعوة الى مكارم الاخلاق ، وما يترتب عليها .

أ- الكبائر وتعريفها وتحريمها ، والوعيد الشديد لمرتكبيها .  
ب- محو التقاليد الجاهلية ، ومعناها ، واحتجاج المشركين بالتقليد ، وذمهم في ذلك .

الباب الثالث : جهاد الدعوة ، وفيه اربعة فصول وقد بدأت بمقدمة ذكرت فيها معناه وانواعه وماله من الاهمية .

الفصل الاول : تحمل الاذى ذكرت انه سنة الله عز وجل في الدعوة والدعاة قديما وحديثا ، وانه الدراسة التي يترتب عليها نجاح الدعاة ورسوبهم ، كل على حسب طاقته ثم تحدثت عن الحكمة في الابتلاء ليعلم الصادق من غيره ، ثم ذكرت انواعها ونماذج من تحمله - صلى الله عليه عليه وسلم - اذى المشركين وانه من مقدمات النصر ثم التوجيه الرباني

والتسليية للنبي صلى الله عليه وسلم بما حصل للرسول قبله فتوجيه لدعاة الاسلام ، ثم تحدثت عن نماذج من فتنة الجيل الاول ، فظلال على تلك النماذج .

الفصل الثاني : مواجهة الخصوم بدأته بمقدمة تحدثت فيها عن شرف الدعوة والداعية ، وضمنته ثلاثة مباحث :

المبحث الاول مفاوضة قريش الفاشلة والجنونية مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع عمه ابي طالب ثم اعلان الحق بصراحة ( والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله ، او اموت دونه ، ما تركته ) .

المبحث الثاني : الهجرة الى الحبشة ، تحدثت فيه بانها كانت في غاية من السرية ، كما تحدثت عن وفد قريش الى النجاشي فتصوير جعفر للجاهلية ، والاسلام ، وما اجابهم النجاشي فعصودتهم بالفشل ثم ذكرت العبرة من ذلك .

المبحث الثالث : المقاطعة العامة ، ذكرت فيه بنودها ، وتعاهد المشركين على الوفاء بها ، ثم ما كسبته الدعوة اثناء الحصار من تصدع صفوف المشركين مما ادى الى نقض الصحيفة ثم نتائج المقاطعة .  
الفصل الثالث : اعداد الدعاة ، وقد تحدثت فيه عن اهميته ، وكيفيته ومافيه من العناية وما يحتاج اليه ، وما هو النبع الذي ينبغى ان يستقى منه ، ثم منهج الاخذ من ذلك النبع الصافي ، فمنهج التلقى ضمنته تنبيهها للدعاة المعاصرين .

الفصل الرابع : الاتجاه الى دعوة العرب الوافدين الى الموسم وفيه اربعة مباحث بدأتها بتمهيد ربطته بما قبله ، ثم تحدثت عن توسيع رقعة الدعوة المستمرة ، وعن طلائع الانصار .

المبحث الاول : تحدثت فيه عن بيعة العقبة الاولى وذكورت نصها الذي عليه مدار الاسلام كما اشترت الى الخلاف في ذلك .

المبحث الثاني : ارسال البعوث الى طيبة تحدثت فيه عن توسيع الدعوة ، وعن نتائجها الثقافية والسياسية ، وكيف ينهج الداعية المسلم منهج الدعوة .

ثم تحدثت عن اسباب تقبل الانصار الاسلام ، والعبرة المستفادة

من ذلك .

المبحث الثالث: بيعة العقبة الكبرى، وقد تحدثت فيها عن المنهج الذي سلكه الرسول - عليه الصلاة والسلام - حين التقى برجالها والاخذ والعطاء المتبادلين فيها، وانها كانت في غاية من السوية، كما ذكرت نصها، ثم اكتشف قريش امرها، ثم تحدثت عن الحكمة في عدم الاذن بالقتال حينذاك.

المبحث الرابع: قيمة الصهد المكي، وقد تحدثت فيه عن اثر الاعداد النبوي في تلك الجماعة التي غيرت مجرى التاريخ. اما الخاتمة فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث.

وبهذا اكهن قد انهيت موضوع الرسالة ولى في الله عز وجل كبير امل ان يوفقني لاعطاء الموضوع حقه في المستقبل ان شاء الله. اما هذه الرسالة فهي كعنى الخطوط العريضة لفتح الباب او كمعالم يهتدي بها الباحث الى الوصول للغرض المنشود، ومعلوم ان الخطأ والنسيان من طبيعة الانسان فالكمال لله وحده، غير انسى بذلت جهد المقله راجيا من الله - عز وجل - ان ينفعني به اولا والمسلمين ثانيا، انه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومن دعى بدعوته الى يوم الدين.

هذا وان من حق العلم على ان اتقدم بآيات الشكر وكلمات الشناء والتقدير - بعد الشكر لله تعالى - الى فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد قطب استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( من لا يشكر الناس لا يشكر الله وفى لفظ: ( لا يشكر الله من لم يشكر الناس ) (١) . فقد تفضل بالاشراف على هذه الرسالة حتى ظهرت على ما هو عليه . ولقد فتح لى بيته ، وصدره الرحب، واعلمانى من اوقاته الغالية وزودنى بتوجيهاته ، وارشاداته القيمة، وافكاره المشرقة، ما انسا عاجز عن شكرها له ولولا النهى عن المدح فى الوجه لقلب الواقع كله - فالله سبحانه وتعالى، وحده هو القادر على ان يجزيه عنى كل غير ، وان يبارك فى عمره ، ويهبه الصحة والعافية، وان يجعله ذخرا للعلم

( ١ ) انظر سنن ابى داود بعون المعبود (٣: ١٦٥)، مسند احمد (٢: ٢٥٨)، (٣: ٢٢)، (٤: ٢٧٨)، سنن الترمذى بتحفة الاحوذى (٦: ٨٧-٨٨) وقال هذا حديث حسن صحيح .

وطالبه ، كما اسأل الله جل وعلا ان يمنحه المزيد من العون والتوفيق  
 لخدمة الاسلام والمسلمين حتى يلقي الله وهو عنده راض وان يجعله في  
 حصن منيع من شر اعداء الاسلام ، انه ولي ذلك والقادر عليه .  
 ولا يفتني ان اتقدم بجزيل الشكر والتقدير لفضيلة الشيخ محمد  
 الفزالي فقد كان وضع اللبنة الاولى لهذا البحث على يديه فجزاه الله  
 عنى خير الجزاء .

كما انى اشكر جامعة ام القرى على ما تفضلت به علي من منحة  
 ثمينة للدراسة فيها وما وفرته لي من وسائل وامكانيات حتى تمكنت من  
 اعداد هذا البحث العلمى المتواضع ، جزا الله القائمى عليها خير  
 الجزاء .

#### معنى منهج الدعوة .

قبل ان تكون هذه الكلمة علما على المنهج والتخطيط الحركى  
 هى مركب اضافى تتوقف معرفته على معرفة جزاياه اللذين هما كلمة  
 ( منهج ) وكلمة ( الدعوة ) اذن فلا بد من معرفة كل منهما ، فالمنهج  
 والمنهاج ، هو الطريق الواضح يقال نهج الطريق : ابانه وواضح  
 وسلكه والجمع نهجات ، ونهيج ، ونهوج ، ونهيج الطريق ، وضوح  
 واستبان وصار نهجا واضحا بينا وفلان يستنهج سبيل فلان ما يسلك  
 مسلكه ، والنهج الطريق المستقيم ، وانتهجت الطريق بينته ، وانتهجته  
 استبينته .<sup>(١)</sup>

من ذلك قوله تعالى : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " .<sup>(٢)</sup>

والدعوة من الدعاء الى الشئ بمعنى الحث على تصده ، ومنه قوله

تعالى " قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان

الله وما انا من المشركين " .<sup>(٣)</sup> وعرضها بعضهم بانها نقل الناس من محيط المحيط ، وبعضهم قال : هي  
 من الناس عن نصر المزدكر الشر

( ١ ) انظر لسان العرب لابن منظور ( ٢ : ٣٨٣ ) ، ط بيروت دار صادر  
 مختار الصحاح ( ص ٧٠٧ ) ، محمد بن ابي بكر الرازى ، ط / الحلبي  
 ١٣٦٩ هـ اساس البلاغة للزمخشري ( ص ٩٩٨ ) دار الشعب  
 بالقاهرة .

( ٢ ) المائة : ٤٨ . اى سبيلا وسنة .

( ٣ ) يوسفه : ١٠٨ . دعى نظري ان منهج الدعوة اصطلاحا هو الحركة الاسلامية بشعبها

النظري والتطبيقي من حيث هو تربية داعية لهدى اسلامي تكمله دولة املاية كما سلك  
 النبي صلى الله عليه وسلم .

تمهيد  
متممممممم

( ١ ) الحالة الدينية في الجزيرة العربية .

بمعون الله سنبحث في هذه النقطة عما يلي :

( أ ) هل كانت للعرب في جزيرتها ديانة سماوية ؟ وإذا وجدت

فما هي ؟ وعلى لسان من ؟

( ب ) او كانت همجية لاديانة لها <sup>(١)</sup> ؟

( ج ) او كانت لها ديانة سماوية فأنحرفت عنها ؟

اننا لانستطيع ان نتحدث عن عقيدة التوحيد عند العرب قبل الاسلام ، استنادا الى ما لدينا من كتابات جاهلية ولعدم ورود شيء عن ذلك فالنصوص التي وصلت اليها ، هي نصوص فيها اسماؤها اصنام وليس فيها ما يفهم منه شيء عن التوحيد عند العرب قبل الميلاد وبعده الا ما ورد من النصوص العربية الجنوبية المتأخرة ، من عبادة الاله ( ذسموى ) ( ذ و سموى ) .

وهي عبادة ظهرت متأخرة في اليمن بتأثير اليهودية والنصرانية اللتين دخلتا اليمن ، ووجدتا لهما اتباعا هناك بل حتى هذه العبادة لانستطيع ان نتحدث عنها حديثا يقينيا ، فنقول انها عبادة توحيد خالص ، تعتقد بوجود اله واحد على نحو ما يفهمه اهل القول بالتوحيد . على ان ما لدينا من المعلومات يمكننا - على قلته - من ان نصور هذه الحالة تصويرا اقرب الى الحقيقة بان دهما <sup>(٢)</sup> العرب كانوا يدعون بالدين الوثني مع قلة قليلة من الحنفاء <sup>(٤)</sup> .

- ( ١ ) الحق وسوء التدبير ، واصله دود يتفقا عن ذباب ويعوض ويقال للرعاع همج ا هـ . المصباح الضير ( ٢ : ٣١٤ ) ، احمد بن محمد الفيومي ط / الحلبي ، القاموس المحيط للفيروز ابادي ( ١ : ٢١٣ ) .
- ( ٢ ) اي صاحب السماء بمعنى اله السماء ، كذا في الفصل .
- ( ٣ ) العدد الكثير وجماعة الناس . القاموس ( ٤ : ١١٥ ) ، مؤسسة الحلبي .
- ( ٤ ) انظر التفاصيل في الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ( ٦ : ٣٤-٣٥ ) ط / بيروت . تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي لحسن ابراهيم حسن ( ١ : ٦٩ ) مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ١٩٧٤ م .

اصناف ديانة العرب .

من المعلوم ان التدبير غريزة في الانسان بصرف النظر عن كـون  
المعبود حقا او باطلا . وقد زخرت كتب الاديان والتواريخ بذلك  
وان العرب كانوا على دين واحد ، هو دين ابراهيم ، حنيفا <sup>(١)</sup> مسلما  
الذي بعث بامر الله من جديد ، فتجسد في الاسلام .

وان العرب كثيرهم قد ضلوا الطريق، وعموا عن الحق، وضلوا  
بعبادتهم الاصنام، حبيبها لهم الشيطان ومن اتبع هواه منهم وعلى  
رأسهم ناشر عبادة الاصنام في الجزيرة العربية ( عمرو بن لحي ) واصنافهم  
كالاتي :

( ١ ) الحنفاء :

وهم الموحدون المقرون بالخالق، المصدقون بالبعث والاعادة  
وياثابة الصليح ومعاقبة الطغي، كأمية بن ابي الصلت وقس بن ساعد  
الايادي ورتاب الشني، وبخيرا الواهب، وورقة بن نوفل، وزيد بن  
عمرو بن نفيل، وقد لقيه النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل الوحى  
باسفل بلدح ، فقد مات الى النبي سفرة ، فأبى ان يأكل منها قائلا  
( اى زيد ) ( انى لست آكلا ما تذبحون على انصابكم ، ولا آكل الا ما ذكر  
اسم الله عليه ) .

وانه كان يعيب على قریش ذبائحهم ، ويقول :

( الشاة خلقها الله ، وانزل لها من السماء الماء وانبت لها  
من الارض، ثم تذبحونها على غير اسم الله ) .<sup>(٢)</sup>

انكارا لذلك واعظا ماله .

قال الحافظ : ( وكان ممن طلب التوحيد ، وخلع الاوثان، وجانب

الشرك، لكنه مات قبل البعثة، وقد اورد حديث عامر بن ربيعة وفيه :

ان زيدا قال : انى خالفت قومي، واتبعتم ملة ابراهيم واسماعيل وما كانا

( ١ ) الحنيف المائل عن الشرك الى التوحيد ، ومنه ( ان ابراهيم كان امة

قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ) سورة النحل : ١٢٠ .

( ٢ ) البخارى سندی من حديث اوبيل عن ابن عباس ( ٢ : ٣١٦ - ٣١٧ ) .



يعبدان - وكانا يصليان الى هذه القبلة - وانا انتظر نبيا من بنى اسماعيل  
يبيح، ولا ارانى ادرگه ، وانا اومن به واصدقه ، واشهد انه نسبي  
وان طالت بك حياة فاقره منى السلام ، قال عامر : فلما اسلمت اعلمت  
النبي - صلى الله عليه وسلم - بعبره ، قال : فرد عليه السلام وترحمتم  
عليه ، قال ولقد رأيت في الجنة يسحب ذيو لا .

(١)

وفي رواية : (غفر الله له ورحمه ، فانه مات على دين ابراهيم) ،  
واما ماورد في ورقة بن نوفل فانه اشهر من نار على علم عند اسمعيل  
هذا الشأن ،<sup>(٢)</sup>

واما قس بن ساعدة ، فيكفي شهادة النبي صلى الله عليه وسلم  
بانه شهده بعكاظ على جمل احمر يقول للناس اجتمعوا فكل من فات فات ،  
وكل شيء آت آت .

وفي رواية : من عاش مات ، ومن مات فات ... ان في السماء لغسبرا  
وان في الارض لصبرا .

مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ، ارضوا بالمقام فاقاموا ؟ ام تركوا  
فناموا ؟ ان لله لدينا هو احب اليه من دينكم الذى انتم عليه .<sup>(٣)</sup>  
ومنهم ايضا عبد المطلب بن هاشم فقد ذكره المسعودى فى  
الحنفاء وانه كان مقرا بالتوحيد ، مثبتا للوحد ، تاركا للتقليد ثم ذكر  
حفر بئر زمزم ، وحادثة الفيل ، ووقوفه بباب الكعبة قائلا :

يارب لا ارجو لهم سواك يا رب فامنع منهمو حماكا

ان عدو الهيت من عاداكا فامنعهمو ان يغربوا قراكا

فارسل الله سبحانه عليهم الطير الالبابيل ... الخ .<sup>(٤)</sup>

(١) انظر فتح البارى للحافظ ابن حجر العسقلانى (٧ : ١٤٣) المابعة  
السلفية .

(٢) انظر البخارى (١ : ٧) ، البداية والنهاية لابن كثير (٢ : ٣٧) ،  
وما بعد ها ، ط/ بيروت طبعة اولى .

(٣) انظر البداية والنهاية (٢ : ٢٣٠) وما بعد ها وراجع ابن ابى الصلت  
المصدر نفسه (٢ : ٢٢٠) وما بعد ها ، كذلك بحيرا الراهب (ص ٢٢٩) ،  
وما بعد ها ، وفى رثاب الشنى مروج الذهب للمسعودى (٢ : ١٢٦) ،  
تحقيق محيى الدين ، ط/ السعادة ، الرابعة ١٣٨٤ هـ .

(٤) مروج الذهب (٢ : ١٢٧ - ١٢٨) وفيه خلاق يتطلب بحثا مستقلا .

بهذا يتبين صحة القول بان التدبير امر فطري في الانسان - حسب  
 فهمي - لقول الله تعالى : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي  
 فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " (١) ،  
 ولقوله عليه الصلاة والسلام : ( ما من مولود الا يولد على الفطرة  
 فابواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه ويشركانه ) (٢) ،  
 (٢) منكرو البعث والاعادة :

هؤلاء اقرؤا بالخالق، ويحدو العالم، وانكروا البعث والاعادة  
 وهم الذين اخبر القرآن عنهم بقوله " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من  
 يحيى العظام وهي رميم " (٣) ، فاستدل عليهم بالنشأة الاولى، سؤال اورد  
 ملحد ، اقتضى جوابا ، فكان في قوله تعالى " ونسي خلقه " ما فهمي  
 بالجواب واقام الحجة ، ولتأكيد ما وزيادة تقريرها قال " قل يحييها  
 الذي انشاها اول مرة " (٤) اذ كل عاقل يعلم ضروريا ان من قدر على الاختراع  
 قدر على الاعادة ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو امن عليه )  
 ( اي هين عليه ) " افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جد يد  
 هؤلاء هم الدهريون الذين حكى عنهم القرآن " وقالوا ما هي الاحياتنا  
 الدنيا نموت ونحيا " اشارة الى اللبائع المحسوسة في العالم السفلي  
 وقصرا للحياة والموت على تركيبها وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك  
 هو الدهر " وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون .  
 وقد صرح القرآن الكريم بقرهم في عدة مواضع منها قوله تعالى  
 " زعم الذين كفروا ان يبعضوا قل بلى وربي لتبعضن ثم لتيبكن بما عملتم  
 وذلك على الله يسير " (٥) وهذا الانكار يستلزم تكذيب الرسل .

- 
- (١) الروم : ٣٠ .  
 (٢) مسلم عن ابي هريرة (٨ : ٥٣) ، وفي رواية له ( وانى خلقت عبادي  
 حنفاء كلمهم وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..... )  
 (٨ : ١٥٩) ، البخاري (٣ : ١٧٣) .  
 (٣) (٤) يس : ٧٨ - ٧٩ .  
 (٥) الروم : ٢٧ .  
 (٦) ق : ١٥ .  
 (٧) الجاثية : ٢٤ .  
 (٨) التغابن : ٧ .

وقد امر الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - ان يقسم بربه العظيم ، على وقوع المعاد ردا على من انكره من اهل الكفر والعناد في ثلاثة مواضع من القرآن لا رابع لهن هذه هي الاولى والثانية قوله تعالى " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم" الاية (١) ، والثالثة قوله تعالى " ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين . (٢)

### ( ٣ ) منكو الرسل : عباد الاصنام :

وهؤلاء هم مقرن بالخالق والبحث ، ونوع من العادة ، وكذبوا الرسل ، وعبدوا الاصنام ، وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الاخرة وحجوا اليها ، ونحروا لها الهدايا ، وقربوا القرابين ، وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر واحلوا وحرموا ، وهم الدهماء (٣) من العرب ، وهم الذين قال الله سبحانه عنهم " مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (٤) كما حكى قولهم استهزاء وتكذيبا للرسول صلى الله عليه وسلم " وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق " الى قوله " ان تتبعون الا رجلا مسحورا (٥) فاستدل عليهم بان المرسلين كلهم كانوا كذلك بقوله تعالى " وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق (٦) .

ومنهم من مال الى اليهودية والنصرانية ، وسيأتى الكلام على ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

ومنهم المار على عنجهيته (٧) الراكب لهجمته (٨) .

ومنهم من دان بالمجوسية ، ومنهم من توقف ، فلم يعتقد شيئا

ومنهم من تزندق .

- 
- ( ١ ) سبأ : ٣ .  
 ( ٢ ) يونس : ٥٣ .  
 ( ٣ ) العدد الكثير من الناس . القاموس ( ١ : ٢١٣ ) ، الناشر مؤسسة الحلبي .  
 ( ٤ ) الزمر : ٣ .  
 ( ٥ ) الفرقان : ٧ - ٨ .  
 ( ٦ ) الفرقان : ٢٠ .  
 ( ٧ ) الجبل والحق والكبر كما في القاموس ( ٤ : ٢٨٨ ) .  
 ( ٨ ) الصواب لهمجيته .

ومنهم من آمن بتحكيم الالهة في الاصل في هذه الحياة ، وببطلان كل شيء مما جاء في الاسلام عن يوم الدين .<sup>(١)</sup>

وقد قسمهم الامام الشهرستاني رحمه الله تحت عنوان (معالم العرب) الى ثلاثة اقسام ، وهم القسم الثاني والثالث ممن ذكرنا آنفا باعتبار تقسيمنا ، واما القسم الثالث باعتبار تقسيمه ، وهو قوله : منكرو الخالق والبحث والاعادة .

فيقال : ان انكار البحث والاعادة تكرار ، وهم الدهريون ، وقد سبق الحديث عنهم .

واما انكار الخالق ، اي اسناده الى صنف من اصناف العنبر واستدل له بقوله تعالى " وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون <sup>(٢)</sup> فلا يبيِّنون " لا تحتم هذا المعنى بل ولا وجه استدلال على انكار الخالق والايهات القرآنية تدل على انهم مقررون بوجود الخالق كقوله تعالى " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله <sup>(٣)</sup> " .

وقد رجعت الى عدة تفاسير للاية الكريمة التي استدل بها الامام الشهرستاني - رحمه الله - وكلهم متفقون على ان كل ما فيها اخبار من الله تعالى عن قول الدهرية ، بانكارهم البحث بعد الموت ، وانكارهم للاخرة واليك ما قاله : قال امام المفسرين ابن جرير : ( يقول تعالى ذكركم وقال هؤلاء المشركون الذين تقدم خبره عنهم : ما حياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها ، لا حياة سواها ، تكذبا منهم بالبحث بمسلمات <sup>(٤)</sup> ) .

وقال ابن كثير : ( يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب ، في انكار المعاد ( وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ) اي ماتم الا هذه الدار ، يموت قوم ، ويحيى آخرون

( ١ ) انظر الملل والنحل للشهرستاني ( ٢ : ٢٣٥ - ٢٣٦ ) تحقيق محمد

سيد كيلاني ، ط / بيروت ، مروج الذهب ( ٢ : ١٢٦ - ١٢٧ ) ٥

المفصل ( ٦ : ٣٤ ) .

( ٢ ) الجاثية : ٢٤ .

( ٣ ) لقمان : ٢٥ واماها في سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٩ ويونس : ٣١ - ٣٢ .

( ٤ ) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري ( ٢٥ : ١٥١ )

ط / الحلبي ١٣٨٨ هـ .

وماثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد (١).  
وقال القرطبي: ( هذا انكار منهم للاخرة، وتكذيب للبعث  
وابطال للجزاء ) (٢).

وقال الشوكاني: ( ... وعلى كل تقدير فمرادهم بهذه المقالة  
انكار البعث وتكذيب الاخرة ) (٣).

يؤكد ذلك اقرار المشركين بالربوبية، وانما هم مشركون في الالهية  
او الالهية بعبادة غير الله معه، بقصد الزلفى، ولذلك استنكروا  
دعوة النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعاهم الى توحيد الالهية  
فقالوا ( اجعل الالهة الهيا واحدا ان هذا لشيء عجاب ) (٤) وكانوا  
يذعنون لله بالالهية والربوبية، وكانوا يبتهلون اليه عند الشدائد  
بدليل قوله تعالى ( هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في  
الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم  
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين  
لئن انجيتنا من هذه ل نكونن من الشاكرين، فلما انجاهم اذا هم  
يبفنون في الارض بغير الحق ) (٥).

وقوله تعالى " واذا مسك الضرفى البحر ضل من تدعون الا اياه  
فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا " (٦)

ويروى القرآن عقائد هم في آلهتهم بعبارتهم انفسهم فيما يأتى :  
" والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى  
الله زلفى " (٧) ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " (٨).

ما كانت اذ هانهم تجوز ان دعاء احد من البشر يحظى بالقبول  
عند الله مباشرة بدون واسطة وشفاعة وكانت لديهم شبهات مقصورة

- 
- ( ١ ) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ( ٧ : ٢٥٣ ) تحقيق البناء  
عاشور : فنيح ط / الشعب بالقاهرة بدون تاريخ .  
( ٢ ) تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن لمحمد بن احمد الانصارى  
القرطبي ( ٧ : ٥٩٩ ) . ط . الشعب بالقاهرة بدون تاريخ .  
( ٣ ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير  
لمحمد بن على الشوكاني ( ٥ : ٩ ) ط / الحلبي .

( ٤ ) ( ص ٥١ ) .

( ٥ ) يونس : ٢٢ - ٢٣ .

( ٦ ) الاسراء : ٦٧ .

( ٧ ) الزمر : ٣ .

( ٨ ) يونس : ١٨ .

على هاتين الشبهتين :

( ١ ) انكار البعث، بعث الاجساد .

( ٢ ) جحد البعث، بعث الرسل .

فعلى الاولي قالوا : " ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون  
او اباؤنا الاولون <sup>(١)</sup> . الى امثالها من الايات .

وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم : حياة ثم موت ثم نشر

حديث خرافة يا ام عمرو ...

وعلى الثانية فكان انكارهم لبعث الرسول صلى الله عليه وسلم في  
الصورة البشرية اشد بواصرهم على ذلك الباطل واخبر التنزيل عنهم بقوله  
تعالى " وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله  
بشرا رسولا <sup>(٢)</sup> " ابشر يهد وننا <sup>(٣)</sup> فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان يأتي  
ملك من السماء ( وقالوا لولا انزل عليه ملك <sup>(٤)</sup> .

ومن كان لا يعترف بهم كان يقول : الشفيع والوسيلة لنا الى الله  
تعالى هم الاصنام المنصوبة ، اما الامر والشريعة من الله اليها فهو  
المنكر <sup>(٥)</sup> بل كانوا يتصورون ان الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا  
كبيرا ، مع انهم يكرهون البنات بل يئدونها " الكم الذكر وله الانثى  
تلك اذا قسمة ضيزى <sup>(٦)</sup> " فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا  
الملائكة اناثا وهم شاهدون ، الا انهم من افكهم ليتولون ولد الله  
وانهم لكاذبون ، اصطفى البنات على البنين ، مالكم كيف تحكمون افلاذكرون ام لكم  
سلطان مبين ، فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين <sup>(٧)</sup> .

وقد كان الصرب يعظمون الحرم والكعبة ، ويحجون ويعتصمون على

( ١ ) الواقعة : ٤٧ - ٤٨ .

( ٢ ) الاسراء : ٩٤ .

( ٣ ) التغابن : ٦ وهي بكاملها ( ذلكبانه كانت تأتيهم رسالهم  
بالبينات فقالوا ابشر يهد وننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله  
غني حميد ) .

( ٤ ) الفرقان : ٦ تمامها وتصحيحها ( لولا انزل اليه ملك فيكون معه  
نذيرا ) .

( ٥ ) انظر الملل والنحل للشهرستاني ( ٢ : ٢٣٥ ) المتوفى ٥٤٨ هـ تحقيق  
محمد سيد كيلاني ، ط / دار المعرفة بيروت .

( ٦ ) النجم : ٢١ - ٢٢ .

( ٧ ) الصافات : ١٤٩ - ١٥٧ .

ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ويطوفون بالبيت ويقفون على عرفصة  
ومزدلفة ويهدون البدن ويلبسون مع ادخالهم ماليس منها :  
لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك .. الا شريك هو لك .. تملكه وما ملك  
يوحدونه بالتلبية ويدخلون معه الهتهم ، ويجعلون ملكها بيده  
(وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) (١) .

اي ما يوحد ونهى لصرفة حتى الا جعلوا معى شريكا من خلقى .  
فكان اول من غير دين اسماعيل وابراهيم عليهما السلام فنصب  
الاوثان ، وسبب السابية ، ووصل الوصيلة ، وبحر البحيرة وحمى الحامية  
عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة ..

مرض مرضا شديدا فقيل له : ان باللقاء من الشام حمة ان اتيتها  
برقت ، فاتاها فاستجم بها فبرئ ووجد اهلها يعبدون الاصنام فقال  
ما هذه ؟ فقالوا نستسقى بها الماء ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم  
ان يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .  
وهكذا اجتالهم الشياطين الى ان عبدوا ما استحبو ونسبوا  
ما كانوا عليه ، واستبدلوا دين ابراهيم غيره وصاروا الى ما كانت عليه  
الامم قبلهم ، وانتجشوا ما كان يعيب قوم نوح عليه السلام . (٢) (٣)

( ١ ) يوسف : ١٠٦ .

( ٢ ) استخرجوا .

( ٣ ) انظر الاصنام (ص ٦ - ٨) لابي المنذر هشام بن محمد بن السائب  
الكلبي وهو اول من كتب فى موضعه حسبما قرأت للمؤرخين لكثرة  
نقلهم عنه وقد حقه احمد زكى ووضع ماله وما عليه من الجرح  
والتعديل وهو نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٤٣ هـ الناشئة  
الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .وانظر السيرة النبوية ابن هشام (١ : ٧٦) وما بعدها تحقيق  
مصطفى السقا - ابراهيم اليبارى - عبد الحفيظ شلى - الطبعة  
الثانية ١٣٧٥ هـ مطبعة الحلبي .

( ٢ ) الوثنية .

سبق ان ذكرنا الحالة الدينية في الجزيرة العربية في الفقهية  
الماضية وانها كانت متنوعة ، فزحف ظلام الوثنية فملاً البقاع الى ان بلغ بهم  
الحق فعبدوا الحجارة والاوثان والانصاب واستقسموا بالازلام - ماعدا  
الحنفاء القلائل - حتى كان بعضهم يصنع لنفسه صنما من التمر والحلوى  
فاذا جاع اكله .

## فمتى نشأت الوثنية ؟

سبق ان ذكرنا ان اول من جاء بالاصنام وعبدها ودعا العرب الى  
عبادتها هو ( عمرو بن لحي ) وانه اول من سيب السواحب يؤيد ذلك  
حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ( رأيت عمرو بن عامر الغزالي  
يجر قصبة في النار ، كان اول من سيب السواحب ) (١) .

وعند ابن اسحاق انه كان اول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان .  
وزاد الازرقعي في اخبار مكة ( على رأسه فروة فقال له رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : من في النار ؟ قال : من بيني وبينك من الامم ) قلت  
وهذا موضع خلاف يحتاج الى بحث مستقل والله اعلم بصحة الزيادة .

وفي رواية اخرى لابن الكلبي ( ان عمرو بن لحي كان له رعي من الجن  
كان يكنى ابا ثمامة ، فقال له جعل بالسير والظعن من تهامة ، بالسعد  
والسلامة ... ايت ضف جدة ، تجد فيها اصناما معدة ، فاوردها تهامة  
ولا تهاب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجاب ، فاتي شط جدة ، فاستثارها  
ثم حملها حتى اوردتها تهامة وحضر الحج ، ودعا العرب الى عبادتها  
قاطبة ) (٧) .

وقال الدكتور جواد علي : ( والرأي الذائع بين الاخباريين ، عن كيفية  
نشوء عبادة الاصنام قريب من رأي بعض العلماء المحدثين في هذا  
الموضوع :

عندهم ان الناس لم يتعبدوا في القديم من بادئ بدئ للاصنام  
ولم يكونوا يذبحون اليها على انها اصنام تعبد ، انما صوروها ونحتوها  
لتكون صورة او رمزا تذكرهم او يذكرهم بالاله او الالهة ، او الاشخاص

( ١ ) البخاري ( ٣ : ١٣٦ ) ط / الحلبي .

( ٢ ) الاصنام ( ص ٥٤ ) .



الصالحين، فلما مضى عهد طويل عليها، نسي الناس أطبها، ولم يعرفوا أمرها فاتخذوها أصناما وعبدوها من دون الله <sup>(١)</sup> .

قلت: ولعله يشير بذلك إلى أصنام قوم نوح، وهى أسماء رجال صالحين منهم فلما هلكوا أوحى الشياطين إلى قومهم، أن انصبوا الصنى مجالسهم التى كانوا يجلسون، انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عبادت كما فى البخارى عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> .

اول من نصب الاصنام فى الكعبة وحولها .

كانت لقريش اصنام فى جوف الكعبة وحولها، وعدددها ستون وثلاثمائة صنم، وكان اعظمها هبل، وكان من عقيق احمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى، ادركته قريش وهو كذلك فجلوا له يدا من ذهب .

وكان اول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وكان يقال له هبل خزيمة <sup>(٤)</sup> .

وروى الازرقى ان البئر التى كانت فى جوف الكعبة، كانت فى يمين من دخلها... يقال ان ابراهيم واسماعيل حفراها، ليكون فيها ما يهدى للكعبة، فلم تزل كذلك حتى كان (عمرو بن لحي) <sup>(٥)</sup> فقدم بصنم يقال له هبل من - هيب - من ارض الجزيرة (كما سبق) .

وكان من اعظم اصنام قريش عندها فنصبه على البئر فى بطن الكعبة وامر الناس بعبادته، فكان الرجل اذا قدم بدأ به على اهله، بعد طوافه بالبيت، وحلق رأسه عنده <sup>(٦)</sup> .

وقال ابن اسحاق: (واتخذوا اى قريشا اسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما وكان اساف ونائلة رجلا وامراة من جرهم فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرتين) .

- 
- ( ١ ) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ( ٦ : ٧٨ ) .  
 ( ٢ ) انظر البخارى ( ج ٣ ) تفسير سورة نوح ( ص ٢٠٨ ط / الحلبي .  
 ( ٣ ) كما فى البخارى ( ٢ : ١٥١ ) .  
 ( ٤ ) انظر الاصنام ( ص ٥٤ ) .  
 ( ٥ ) عمرو بن لحي هو ابو لحي كما رواه البخارى مرفوعا عن ابي هريرة ( ٢ : ٢٦٨٥ ) .  
 ( ٦ ) انظر اخبار مكة للازرقى ( ١ : ٣٣ ) بدوون ذكر الطبع والتاريخ .

وذكر حديث عائشة رضي الله عنها لفظة : ( مازلنا نسمع ان اسافا وناثلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، احداثا في الكعبة (اي وقبع عليها في الكعبة) فمسخهما الله تعالى حجرين والله اعلم ) .  
 واتخذ اهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فاذا اراد احد منهم سفرا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع ، حين يتوجه الى سفره .  
 واذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك اول ما يبدا به ، قبل ان يدخل على اهله .

فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : ( اجعل الالهة الهيا واحدا ان هذا لشيء عجاب )<sup>(١)</sup> .  
 وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحصر عندها .

وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لانها كانت قد عرفت انها بيوت ابراهيم الخليل ومسجده ، واتخذوا العزى ، وكانت العرب تسمى بها ( عبد العزى ) وكانت اعظم الاصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهتدون لها ، ويتقربون ، وكذلك اللات ومناة )<sup>(٢)</sup> .

قال ابن الكلبي : ( وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها يوما فقال : لقد اهديت للعزى شاة عفراء وانا على دين قومي )<sup>(٣)</sup> .  
 قلت : وهذا مردود لان اهل الحديث طعنوا في ابن الكلبي وجرحوه ولانه يتناقض وعصمة الانبياء المجمع عليها .

ولما روى عن علي بن ابي طالب مرفوعا : ( ما عبدت صنما ولا شريكا خيرا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر )<sup>(٤)</sup> .

ولما روى عن زيد بن حارثة ايضا انه قال : ( فوالذي اكرمه وانزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى اكرمه الله بالذي اكرمه وانزل عليه )<sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) ( هـ ٥ ) .  
 ( ٢ ) السيرة النبوية ابن هشام ( ١ : ٨٢ - ٨٣ ) .  
 ( ٣ ) الاصنام ( هـ ١٨ - ١٩ ) .  
 ( ٤ ) انظر تهذيب الاسماء واللغات للنووي ( ١ : ٢٤ ) بدون سند وكان الالفيق عدم ذكر ذلك وانما ذكورتها للرد عليها .  
 ( ٥ ) البداية والنهاية ( ٢ : ٢٨٨ ) .

واشتهرت العرب بعبادة الاصنام ، فمنهم من اتخذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا امام الحرم ، وامام غيره مما استحسن ، ثم طافه كطوافه بالبيت وسموها الانصاب .

فاذا كانت تماثيل دعوها الاصنام ، والاوثان ، وسموا طوافهم الدوار .

فكان الرجل اذا سافر فنزل منزلا اخذ اربعة احجار ، فنظر الى احسنها فاتخذها ربا وجعل ثلاثة اثنافي<sup>(١)</sup> لقدره ، واذا ارتحل تركها . فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك .... ) .

واذا لم يجد حجرا جمع حثية من التراب ، وحلب عليها شاته ثم طاف بها<sup>(٢)</sup> .

وقد كثرت الاصنام ، والاوثان والازلام<sup>(٣)</sup> الى ان بلغ الامر بالعرب في جزيرتها ان استقلت كل قبيلة بصنم خاص ، تتعصب له وتدافع عنه وتحميه ، وتفتخر به ، كقول ابي سفيان يوم احد ( اعل هبل مرثمين وكقوله ايضا ( لنا العزى ولا عزى لكم ) .

فاجيب عن الاولي ب ( الله اعلى واجل ) وعن الثانية ( الله مولانا<sup>(٤)</sup> والكافرون لا مولى لهم ) .

وغير ما يوضح ذلك هو القرآن الكريم لاسيما السور المكية كسورة الانعام والنحل والنجم وغيرها .

فحينئذ ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الانعام ) ( قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرمو ما رزقهم الله افتراء على الله

( ١ ) الاثنافي هي الثلاثة الاحجار التي يوضع عليها القدر عند طبخ الطعام .  
( ٢ ) انظر الاصنام ( ص ٣٣ ) ، البخارى ( ٣ : ٧٩ ) عن ابي رجاء العطاردي موقوف .

( ٣ ) الصنم يقال : هو الوثن المتخذ من الحجارة والخشب يروي عن ابن عباس . ويقال الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن هو المتخذ من حجر او خشب . وقال ابن فارس : الصنم ما يتخذ من خشب او نحاس او فضة . والازلام جمع الزلم بفتح اللام وتضم الزاي وتفتح وهي الاقداح ، كانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الامر والنهي وتضعها في وعاء فاذا اراد احدهم امرا ادخل يده واخرج قدحا ، فان خرج مافيه الامر مضى لقصد وان

خرج مافيه النهي كف . مصباح ( ١ : ٢٧٣ - ٣٧٤ ) .  
( ٤ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥ .

(١) قد ضلوا وما كانوا مهتدين .

قال ابن العربي : ( وهذا الذي قاله كلام صحيح ، فانها تصرفت بعقولها العاجزة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير علم ، ولا عدل ، والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ الالهة اعظم جهلا واكثر جورا فان الاعتداء على الله اعظم من الاعتداء على المخلوقات ) .<sup>(٢)</sup>

والآيات هي قوله تعالى : ( وجعلوا لله ما ذرأ من الحيرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذا لكذب كثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون . وقالوا هذه انعام وحيرث حجر لا يطعمها الا من نشأ بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون .

وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم .

قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين .<sup>(٤)</sup>

ففي هذه الآيات الكريمات ، ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا ، وشركا ، اذ بينت انواعا من جهالاتهم ، وركابيات اقوالهم ، وذلك تنبيه على ضعف عقولهم ، وقلة محصولهم وتنخير للعقلاء عن الالتفات الى كلامهم .

فمنهم من كان يقتل ولده خشية ان يأكل معه ( ولا تقتلوا اولادكم

( ١ ) الانعام : ١٤٠ . وانظر اثر ابن عباس في البخارى ( ٢ : ٢٦٩ ) .

( ٢ ) تفسير القرطبي ( ٣ : ٢٥٢٦ ) دار الشعب شارع قصر العيني بالقاهرة .

( ٣ ) لفظة مشتركة واصله المنع ومنه العقل لمنعه عن القبائح وهو هنا

بمعنى الحرام وهو مصدر بمعنى اسم المفعول اى محجورا .

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية للشوكاني ( ١ : ١٦٧ )

ط/الحلبى ، وانظر المصباح المنير للفيومي ( ١ : ١٣٢ ) ط/الحلبى .

( ٤ ) الانعام : ١٣٦ - ١٤٠ .

( ٥ ) وبخته توبيخا : لمتة وعنفته وعتبت عليه كلها بمعنى . وقال

الفارابى عبرته . مصباح ( ٢ : ٣٢٠ ) .

خشية املاق نحن نرزقهم وايام ان قتلهم كان خطأ كبيرا (١) .  
ومنهم من كان يعد البنات خشية العار ( واذا المؤودة سئلت باى  
ذنب قتلت ) (٢) .

( واذا بشر احد هم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى  
من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الاساء  
ما يحكمون ) (٣) .

ومنهم من يقول : الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك علوا  
كبيرا ( ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ) وقد رد الله  
عليهم اقوالهم الشنيعة ، مستنكرا بشدة ( الكم الذكر وله الانثى تلك  
اذا قسمة ضيزى ) (٥) .

كما اشتهروا بالعرافة والكهانة والطيرة والتنجيم وغير ذلك كما  
هو معروف فى مظانه .

ان الانسان ليعجب وهو يستعرض هذه الضلالات وما تحملها  
اصحابها من اعباء وخسائر وتضحيات وانحراف عن شرع الله ونهجه .  
يعجب للانحراف يكلف الناس حتى فلذات اكيادهم ، فوق تعقيد  
الحياة واضلرابها والسير فيها بلا ضابط سوى الوهم والهوى والتقليد  
الاعمى .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم انتشلهم من حماة الشرك  
والخرافة الى قمة التوحيد ، ومن العبودية للعبيد الى العبودية  
لرب العبيد (٦) .

- 
- ( ١ ) الاسراء : ٣١ .  
( ٢ ) التكوين : ٨ - ٩ .  
( ٣ ) النحل : ٥٨ - ٥٩ .  
( ٤ ) النحل : ٥٧ .  
( ٥ ) النجم : ٢١ - ٢٢ . ومعنى ضيزى اى جور وظلم وغير ذلك .  
( ٦ ) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ( ٨ : ١٢٢٢ ) ط / دار الشروق  
الطبعة الشرعية الرابعة ١٣٩٧ هـ .

تصوير جعفر للجاهلية .

وقال جعفر بن ابي طالب مجيباً للنجاشي - اثناء هجرته للحبشة في جواره - حينما سأله عما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ( ايها الملك كما قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وتأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذل كئحتي بعث الله رسولا منا نعرفه ونؤمنه ووفاه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقبول الزور واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات وامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك به شيئا ، وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . . . . ) (١)

وقال الفزالي : ( ولو تقصينا تاريخ البشر - على ضوء الايمان بالله والاستعداد للقاءه - لوجدنا العالم اشبه بمخمور تربو فترات سكره على فترات صحوه ، او بمخموم غاب عنه - في ثورة الالم - رشده ، فهو يهذي ولا يدري ) (٢)

تعليق على اثر ابن عباس السابق ذكره بهذا المعنى بعد الاثر بآخرة ثم تصوير جعفر للجاهلية

قلت : وقد اشكل اثر ابن عباس حيث قال : ( اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الانعام ) قد خسر الذين قتلوا اولادهم - الى قوله - قد ضلوا وما كانوا مهتدين .

- ( ١ ) السيرة النبوية ابن هشام ( ١ : ٣٣٦ ) تحقيق مصطفى السقا وزميليه ط/ الحلبي الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ .  
 وذكر الصيام هنا هل المراد به مطلق صيام او صيام يوم عاشوراء كما هو ثابت في الصحيحين عن عائشة ان قريشا كانت تصومه فسي الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه كذا في البخاري ( ١ : ٣٤١ ) ، ومسلم ( ٣ : ١٤٦ ) الناشر مكتبة الجمهورية العربية شارع الصناديقية بالازهر الشريف . اما القول بانه صوم رمضان فغير محتمل لانه فرض في السنة الثانية هجرية كما في سبل السلام للصنعاني ( ٢ : ١٥٠ ) ولما في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صام يوم عاشوراء وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وجسسه الاستدلال من الحديث ان رمضان لم يفرض الا في المدينة وليس في مكة =  
 ( ٢ ) فقه السيرة للفزالي ص ١٦ طبعة سابعة

وهذه الآية رقمها ~~١١١~~ - اربعون ومائة ، وهي آية واحدة .  
وقد رجعت الى فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله ولم اجد  
له كلاما يتعلق بهذا الاثر ، اعني ارقام الايات الا تفسير كلمة  
( اولادهم ) بقوله ( اي بناتهم ) .<sup>(١)</sup>

ثم وعد بانه سيبين ذلك في التفسير ، فبحثت عما وعد به فسي  
تفسير سورة المائدة والانعام في مكان الايات المناسبة لما نحن بصدده  
وهي قوله تعالى ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام )<sup>(٢)</sup>  
حيث جاء هنا بحدِيث عائشة رضي الله عنها مرفوعا بلفظ ( رأيت جهنم  
يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجرقصبة وهو اول من سيب السوائب )<sup>(٣)</sup>  
وفي لفظ ( يجرقصبة في النار ) وفي لفظ آخر ( رأيت عمرو بن عامر الخزازي  
يجرقصبة في النار ) .<sup>(٤)</sup>

ولم اجد كلاما حول الموضوع ، اللهم الا ان يكون في موضع آخر .  
وقد رجعت الى كتب التفسير فوجدت ابن كثير روى اثر ابن عباس كما  
في البخاري وكذا للشوكاني في فتح القدير .<sup>(٥)</sup>  
وقال امام المفسرين ابن جرير الطبري :<sup>(٦)</sup> حدثنى الحرث قال ثنا  
عبد العزيز قال : ( اذا سركان تعلم جهل العرب فاقرأ ما بعد المائة  
من سورة الانعام ، قوله : ( قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بنجر  
علم ..... ) الآية .

- 
- = المصدران نفسيهما . واما الزكاة وفرضيتها في مكة ففيه خلاف وسيأتي  
الكلام على ذلك ان شاء الله .  
وقد روي هذه القصة اي تصوير جعفر للجاهلية الامام احمد في  
سنده رقم ١٧٤٠ كذا في فقه السيرة وقد صححها الالباني فيها  
( ص ١٢١ ) كما اورده ابن كثير في البداية والنهاية ( ٣ : ٦٩ - ٧٠ )  
عن ابن اسحق . وقد وجدته في السير والمغازي له ( ٣ : ٢١٣ - ٢١٤ )  
تحقيق سهيل زكار - دار الفكر ط / اولي ١٣٩٨ هـ .  
( ١ ) فتح الباري ( ٦ : ٥٥١ ) ط / السلفية .  
( ٢ ) الصدود بفتح التين القرب وداره صدود المسجد ، وداري صدود داره  
اي قبالة وقربه . اهـ قاموس ( ١ : ٣٠ ) ، مصباح ( ١ : ٣٥٩ ) .  
( ٣ ) المائدة : ١٠٣ .  
( ٤ ) انظر الفتح للحافظ ( ٨ : ٢٨٣ ) ، والحديث مخرج في الصحيح عن  
عائشة وابي هريرة رضي الله عنهما في عدة مواضع منها ( ٣ : ١٢٦ -  
١٢٧ ) بعدة الفاظ عنهما .  
( ٥ ) تفسير ابن كثير ( ٣ : ٣٤٠ ) تحقيق عاشور غنيم - البنا - ط / دار الشعب .  
( ٦ ) فتح القدير ( ٢ : ١٦٨ ) .  
( ٧ ) تفسير الطبري ج ١ ص ٥١

وعليه فيكون ما بعد المائة مباشرة من قوله تعالى ( بدع السموات والارض ) الآية ، وحينئذ يكون عدد الايات الشارحة لجهل العرب اربعين آية .

واما على رواية البخارى فمعلوم ان ما فوق الثلاثين ومائة يبدأ من آية احدى وثلاثين ومائة وهى قوله تعالى ( ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى ينالها غافلون ) .

وعليه فتكون الايات التى بينت جهل العرب هى من هذه الآية الى قوله تعالى ( قد خسر الذين قتلوا اولادهم ... ) الآية لكن هذا التخريج لا يتفق وظاهر اثر ابن عباس من حيث الارقام .

اما مقارنة رواية ابن جرير برواية البخارى فيمكن الجمع بينهما من حيث المعنى اذ ماتضمنته الارقام يصح ان يكون وصفا لجهل العرب . لكن رواية البخارى اصابت المحز لولا سقوط ماسياتى بيانه .  
واما من حيث الصحة ( فالقول ما قالت حذام ) (١) .

وبعد الدراسة لما سبق تبين لى - والله اعلم - سقوط حرف الجر - الى - من اثر ابن عباس المذكور فى البخارى او تأخره عن موضعه المناسب فيكون تصحيح الاثر المذكور كالآتى :

( اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الانعام الى قوله تعالى : ( قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ) وهذا يزول الاشكال ان شاء الله تعالى لتناسب الاثر مع الايات والله اعلم .

( ١ ) اى القول السديد المعتد به ، وهو مثل يضرب فى التصديق قاله لجيم ابن صعب وكانت حذام امرأته فقال فيها : اذا قالت حذام فصد قوها ، فان القول ما قالت حذام ويروى فانصتوها . اى انصتوا لها كقوله تعالى ( واذا قالواهم او وزنوهم ) اى قالوا لهم او وزنوا لهم . اهـ . مجمع الامثال ( ٢ : ١٠٦ ) .



لمحة عن بعض اخلاق الجاهلية .

انا رجعا الى التاريخ نجد المستوى الاخلاقي في جزيرة العرب  
منحطاً في الدرك الاسفل في حوانب شتى، مع ما كان فيه من فضائل  
كالشجاعة والكرم والوفاء .

كان النظام فاشيا في المجتمع الجاهلي ، تعبر عنه حكممة  
الشاعر زهير بن ابي سلمى :

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم (١)  
وكانت الحروب تستمر عشرات السنين لا تفه الاسباب كحرب  
داحس والغبراء والبسوس . (٢)

وكانت الخمر والميسر من التقاليد الفاشية في المجتمع كما يقول  
طرفة بن العبد :

فلولا ثلاث هن من زينة الفتى فممن سبق العاذلات بشره  
وجدك لم احفل متى قام عودي (٣)  
كميت متى ماتعل بالماء تزيد (٤)  
وقول عمرو بن كلثوم :

الا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمورا لا نذرينا

الى ان قال :

صددت الكأس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمين (٥)

(١) من معلقته المشهورة كما في جواهر الادب لاحمد الهاشمي

(٢ : ٥١) يعني ان من لم يدفع الظلم بمثله يظلم .

(٢) داحس والغبراء قبيلتي عيس ونبيان ابني بغيض تسابقا فلطم

السابق فثارت الحرب اربعين سنة . انظر التفاصيل في تاريخ

الاسلام السياسي (١ : ٥٥-٥٦) .

والبسوس بين قبيلتي بكر وتغلب بسبب ناقة تملكها عجوز من بكر

تدعي البسوس كما في المصدر نفسه (ص ٥٣) .

(٣) الجد ابو الاب وابو الام والعظمة والحظ والغنى ولعل مراد

الشاعر القسم بواحد من ذلك وقوله لم احفل من حفل القوم نفسي

المجلس اجتمعوا واحتفلوا من باب ضرب والجمع محافل كمجلس و،

ومجالس اهـ مصباح (١ : ١٠٠-١٠١ ، ١٤٥) ، وفي

رواية عيشه بدل زينة .

(٤) كميت خمر تضرب الى السواد وتعل يصيب الماء عليها . اهـ

جواهر (٢ : ٧٤) .

(٥) المرجع نفسه (ص ٦٠ - ٦١) اي اسقيننا الصبوح وهو شرب الخمر

في الخداة والاندربن قرية بالشام .

وكانت الدعارة - في صور شتى - من معالم هذا المجتمع .  
كما روت عائشة رضي الله عنها : ( ان النكاح في الجاهلية كان على  
اربعة انواع ؛

( ١ ) فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخاطب الرجل الى الرجل وليتسه  
او بنته ، فيصدقها ثم ينكحها .

( ٢ ) ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طهرتها  
ارسلني الى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يصيبها ابدا  
حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فاذا تبين  
حملها اصابها زوجها اذا احب ، وانما يفعل ذلك رغبة في  
نجابة الولد .

( ٣ ) ونكاح آخر : يجتمع الرهط مادون العشرة ، فيدخلون على المرأة  
كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليل الى بعد ان تضع  
حملها ارسلت اليهم فلم يستطيع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا  
عندها تقول لهم :

قد عرفتم الذي كان من امركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى  
من احببت باسمه فيلحق به ولدها ، لا يستطيع ان يمتنع به الرجل .

( ٤ ) ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن

جاءها ، وهن البنفايا كن ينصبن على ابوابهن رايات ، تكن علمها  
فمن ارادهن دخل عليهن ، فاذا حملت احداهن ووضعت حملها ،

جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم <sup>(٣)</sup> ~~الحوار~~ اولدها بالذي يرون ،

فالتاط به ، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك . فلما بعث الله محمدا

صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الانكاح

الناس اليوم .  
(٤)

( ١ ) الدعارة شراسة الخلق ويقال للرجل الخبيث المفسد دعر فهو داعر

بين الدعارة والعود ادخن ولم يتقد والفسق والخبيث . اهـ

قاموس ( ٢ : ٢٩ ) ، مصباح ( ١ : ٢٠٨ ) .

( ٢ ) اي حياضتها .

( ٣ ) هكذا رواية البخاري باثبات آل في ( الرابع ) اما لفظ ابي داود فيدون

ال هكذا ( ونكاح رابع ) .

( ٤ ) البخاري ( ٣ : ٢٤٣ ) سنن ابي داود مع عون المعبود بشرح ابن قسيم

الجوزية ( ٦ : ٢٦٣ - ٣٦٥ ) الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

في ظلال القرآن ( ٧ : ١٠٠٧ ) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

للندوي ( ٥٦ ) وما بعدها ط / السادسة ١٣٨٥ هـ الناشر دار

الكتاب العربي - بيروت .

وكان الرجال يطوفون بالكعبة عراة ، وكانت المرأة تضع ثيابها كلها  
الا درعا مفرجا ثم تطوف فيه . عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف  
بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوفا ؟ تجعله على فرجها وتقول :

اليوم بيد و بعضه اوكله      فما بدا منه فلا احله

(١)

فنزلت هذه الاية : ( خذوا زينتكم عند كل مسجد ) .

وقال صلى الله عليه وسلم ( لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف

(٢)

بالبيت عريان ) .

ومن اخلاقهم المذمومة الفخر بالاحساب والطعن في الانساب

اذ كانت لهم مواسم كعكاظ وذى المجنة والمجاز ، يجتمعون فيها  
للتفاخر والتنافر .

فلما جاء الاسلام غير ذلك الميزان الذي كانوا يزنون به الرجال

قال الله تعالى : **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا**

(٣)

وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : اربع في امي من امر الجاهلية لا يتركونها

(٤)

الفخر بالاحساب والطعن في الانساب .

وكانوا يفتخرون بالاموال وانفاقها كما فعلت قريش في بدر برياسة

ابي جهل حيث قال : ( والله لا نرجع حتى نرد بدرا فننحر الجـزور

وننعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ويسمع بنا العـرب

(٥)

وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا ابدا بعدها فامضوا ) .

( ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها

(٦)

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ) .

( ١ ) مسلم ( ٨ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ) والاية في سورة الاعراف : ٣١ .

( ٢ ) طرف من حديث رواه مسلم ( ٤ : ١٠٧ ) .

( ٣ ) الحجرات : ١٣ .

( ٤ ) مسلم ( ٣ : ٤٥ ) .

( ٥ ) السيرة النبوية ابن هشام ( ١ : ٦١٨ - ٦١٩ ) .

( ٦ ) الانفال : ٣٦ . قال ابن كثير عند تفسير هذه الاية بعد ان ذكر

اسباب نزولها ( وعلى كل تقدير فهي عامة وان كان سبب نزولها

خاصا فقد اخبر تعالى ان الكفار ينفقون اموالهم ليصدوا عن اتباع

طريق الحق ثم تذهب اموالهم ثم تكون عليهم حسرة اي ندامة

حيث لم تجد شيئا ... المرجع نفسه ( ٣ : ٥٩٤ ) .

( والذين ينفقون اموالهم رياء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم  
الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ) .<sup>(١)</sup>

( وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ) .<sup>(٢)</sup>

وقد رد عليهم القرآن الكريم فكرتهم هذه الخاطئة مبينا ان الامر  
ليس كذلك وانما المؤهلات التي تقربهم عند الله هي الايمان والاعمال  
الصالحة ( وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن  
وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الخرقان آمنون ) .<sup>(٣)</sup>  
هذا ومن المعلوم ان التنديد باخلاقيات الجاهلية قد بدأ منذ  
اللحظة الاولى مع التنديد بفساد تصوراتهم الاعتقادية واستمر معه  
حتى النهاية ،

وفي ذلك دلالة معينة لا ينبغي ان تغيب عن اذهاننا وهي اهمية  
العنصر الاخلاقي في هذا الدين وتعمقه الى الجذور العقيدية ذاتها  
وارتباط التصور الاعتقادي بالسلوك الاخلاقي في شتى مناحي الحياة .  
ان الاخلاق ليست شيئا ثانويا في هذا الدين وليست كذلك محصورة  
في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري انما هي ركيزة من ركائزه ، كما انها  
شاملة للسلوك البشري كله .

فالقرآن يندد باخلاقيات الجاهلية منذ السورة الاولى ، سورة  
العلق . وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله في ( الدعوة الاخلاقية ) .

### ( ٣ ) اليهودية .

يمكن ان تكون اليهودية مأخوذة من اليهود ، بمعنى التوبة على حد  
قول موسى عليه السلام ( انا هدنا اليك ) .<sup>(٤)</sup>

ويمكن ان تكون مأخوذة من التهود ، وهو الترجيع بالصوت فسى  
اللبن والتطريب .

( ١ ) النساء : ٣٨ .

( ٢ ) سبأ : ٣٥ .

( ٣ ) سبأ : ٣٧ .

( ٤ ) الاعراف : ١٥٦ .

وقد كان احبار اليهود اذا قرأوا على العامة اتوا بنغمات صوتية خاصة مع عنة شديدة ومد بالخياشيم على حد قوله تعالى فيهم (١) (يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكذب وما هو من الكتاب) . ويمكن ان يكون لفظ اليهود منسوبا الى يهوذا اخي يوسف الصديق عليه السلام .

ويمكن ان يكون من المهاودة وهي المواعدة على حد قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وتمناها بعشر) (٣) . واليهود هم الزاعمون بانهم اتباع موسى - عليه السلام - ولم نجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم اطلاق اليهود على سبيل المدح .

لعلنا لانستطيع ان نحدد بالضبط التاريخ الذي اطلقت فيه هذه الكلمة على هذه الطائفة من الناس ونحن نجزم بانها لم تعرف في عهد موسى عليه السلام ، وانما كانوا يعرفون في عهده ببني اسرائيل . ويطلق عليهم كذالك قوم موسى كما يطلق عليهم اهل الكتاب (٤) . اقول : اطلق عليهم هذا الاسم في سنة ٥٣٨ قبل الميلاد وقصة ذلك ان بختنصر ملك بابل اغار على يهوذا سنة ٥٨٦ قبل الميلاد فحطمها وهزمها وسبى الصالحين للعمل من اهلها ، ويقوا في السخرة مسخرين في بابل لمدة ٣٨ عاما حتى قام ( كورش ) ملك الفرس بغزو بابل والاستيلاء عليها وكانت تربطه باليهود صلة من ناحية جدته ( استير ) فامل اليهود ان يعيد هم الى وطنهم فطافوا في مظاهرات هاتفين ( هائدون ) فاطلق عليهم الفرس اسم اليهود وعلى ذلك يانتمهم اليهودية . وقد وردت لفظة (٥)

- 
- (١) العمران : ٧٨ .  
 (٢) هو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام اسرائيل - ويكون اطلاقه على جميع بني اسرائيل على سبيل التغليب .  
 (٣) الاعراف : ١٤٢ .  
 (٤) الاديان والفرق (ص ١٢) لعبد القادر شيبه الحمد - مطابع شركة المدينة بجدة .  
 (٥) املاه استاذنا في الاديان بكلية الدعوة واصول الدين - الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وهو الاستاذ محمد ابو فرحة رضى الله عنه وجزاه عنا خيرا وانظر الاسفار المقدسة لعلى عبد الواحد (ص ٨) مطبعة دار العالم العربي - القاهرة .

(اليهود) في مواضع من سورة البقرة ومن سورة المائدة ومن سورة التوبة (٣).  
وقد عبر القرآن الكريم عن اليهود ومعتنقى اليهودية ب (الذين  
هادوا) في سورتي الانعام والنحل وهما مكيتان فيكون نزول عبارة (الذين  
هادوا) قبل نزول لفظة اليهود كما هو معلوم .  
وقد عبر عن العبرانيين عامة ب (بنى اسرائيل) في القرآن الكريم ففى  
سور مكة ومدنية وهو اكثر بكثير من ورود لفظة اليهودية (٥).

### انتشار اليهودية فى الجزيرة العربية :

انتشرت اليهودية فى جزيرة العرب قبل البعثة بقرون، وتكونت فيها  
مستعمرات يهودية اشهرها يثرب، وهى التى سميت بعد بالمدينة .  
ولكن من هم هؤلاء اليهود ؟ هل هم من عنصر يهودى ام هم عرب  
يهودى وا ؟

واذا كان الاول فمن اين اتوا : من فلسطين او من غيرها ؟ اضطربت  
الاخبار فى ذلك .

ويظهر ان الصنفين كانا موجودين فى الجزيرة يهود نزحوا وهم  
الاغلب، وعرب يهودى وا وهم قلة .

وقيل : انه لما ظهرت الروم على بنى اسرائيل فى الشام خرج بنو  
النظير وبنو قريظة وبنو يهدل هاربين منهم الى من بالحجاز .  
وقد كان فى القرون الاولى للميلاد مستعمرات يهودية فى تيماء  
وقدك وخيبر ووادى القرى ويثرب، وهى اهمها وكان يهودها ثلاث قبائل  
بنى النظير، وبنى قينقاع، وبنى قريظة .

وقد يهود كثير من قبائل اليمن من اشهرهم ذونواس، وقد اشتهر  
بتحمسه لها واضطهاد النصارى فى نجران (٦) سبب ذلك ان قبائل

(١) البقرة : ١١٣ - ١٢٠ .

(٢) المائدة : ١٨ - ٥١ - ٦٤ - ٨٢ .

(٣) التوبة : ٣٠ .

(٤) الانعام : ١٤٦ ، النحل : ١١٨ .

(٥) انظر التفاصيل فى المفصل لجواد على (٦: ٥١٢) ط/بيروت ، دار  
العلم للملايين .

(٦) انظر فجر الاسلام لاحمد امين (ص ٢٣-٢٤) ط/الحادية عشره ١٩٧  
الناشر مكتبة النهضة المصرية .

(١) اسعد الحميري حينما غزا بلاد المشرق كانت طريقه من يثرب. وكان قد خلف فيها ابنا له فقتل غيلة فقد مها حين رجوعه وهو مجمع لا خرابها (٢) واستئصال اهلها مما زاده حنقا عليهم انه عدا رجل منهم على رجل من اصحابه ، وجده يجد عذقا له فضربه بهنجله فقتله ، وقال انمسا التمر لمن ابره .

فبينما تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من يهود بنى قريظة حين سمعا بما يريد ، فنهياه عن ذلك وهدداه بالعقوبة لانها مهاجر نبي يخرج من قريش في آخر الهمان فتناهى عن ذلك واغجبه ماسمع منهما فانصرف عنهما واتبعهما على دينهما .

ثم خرج متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبريين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فابوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن - وكانت - فيما يزعم اهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما حتى تعدوا للنار على مخرجها فخرجت اليهم فلما اقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس وامروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما معها من قرابين ورجال وخرج الحبران ولم

(١) هو احد تبابعة اليمن وكأنه - والله اعلم - كان كافرا فاسلم وتابع دين الكليم على يدي الحبريين الذين اصطحبهما من يثرب وحج البيت في زمن الجرهميمين وكساه الملا والوصائل من الحرير ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه واكرمه ثم عاد الى اليمن ولعله المشار اليه في قوله تعالى (اهم خيرا ام قوم تبع) اسلم قومه على يديه ثم عادوا الى عبادة الاصنام والنيران بعد موته . كذا في تفسير ابن كثير (٧: ٢٤٣) .

وقد اورد حد يثين مرفوعين بلفظ (لا تسبوا تبعا فانه قد كان سلم) والثاني (لا تسبوا اسعد الحميري فانه اول من كسى الكعبة) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٢: ١٦٦) .

(٢) المعنى على .

(٣) اي لا موهم وحضوهم . قاموس (٢: ٣٦) للفيروز ابادي الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع .

تضرهما ، فاصفقت عند ذلك حمير على دينه <sup>(٢)</sup> فمن هنالك كان اصل اليهودية <sup>(٣)</sup> باليمن .

نبذة من صفاتهم وسياستهم :

من سياستهم ان امنوا على انفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل المجاورة لهم على دفع اثاره لهم وعلى تقديم الهدايا اليهم لاسترضائهم والتفريق بين الرؤساء ، واثارة الشحناء بين القبائل حتى لا تصفوا الاحوال فيما بينهم وتلتئم لان في ذلك خطرا يتهدد اليهود <sup>(٤)</sup> .  
ويظهر ان هؤلاء اليهود مشوا على هذه السياسة للتفرقة بين الناس وهي عادتهم قد يما وحديثا <sup>(٥)</sup> .

وقد وصفهم ابن قيم الجوزية بما هوآت فقال :

( اليهود هم اهل الكذب والبهت والفدر والمكر والحيل ، قتلوا الانبياء واكلت السحت - وهو الربا والرشا - اخبث الامم طوية وارداهم سجية وابتعد هم من الرحمة واقربهم من النقمة ، عادتهم البغضاء وديدتهم العداوة والشحناء بيت السحر والكذب والحيل ، لا يرون لمن خالفهم فسي كهرهم وتكذبهم الانبياء حرمة ، ولا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا لمن وافقهم عند هم حق ولا شفقة ، ولا لمن شاركهم عند هم عدل ولا نصفه ، ولا لمن خالطهم طمانينة ولا امانة ، ولا لمن استعملهم عند هم نصيحة ، بل اخبثهم اعقلهم ، واحذقهم اغشهم ، وسليم الناحية - وحاشاه ان يوجد بينهم -

( ١ ) اي اجمعت .

( ٢ ) اي على دين تبارك اسعد الحميري السابق ذكره .

( ٣ ) انظر سيرة ابن هشام ( ١ : ٢١ ) وما بعد ها - المعارف لابن قتيبة ( ٦٣٤ - ٦٣٥ ) الروض الانف للسهيلى ( ١ : ١٩١ ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل - دار النصر للطباعة ط / اولى ١٣٨٧ هـ . السيرة النبوية لابن كثير ( ١ : ١٨ ) تحقيق مصطفى عبد الواحد ط / الحلبي . ١٣٨٤ هـ .

( ٤ ) انظر الفصل ( ٦ : ٥١٦ ) .

( ٥ ) راجع كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ للميداني فقد ذكر فيه مكائد هم ابتداء باخيهم يوسف عليه السلام وقتلهم الانبياء ومكائد هم ضد الاسلام والمسلمين في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فقتل الخليفة الثالث ثم قتل الخلافة الاسلامية ثم مكائد هم المعاصرة والسيطرة على شتى المؤسسات وغير ذلك .



- ليس بيهودى على الحقيقة ، اضيق صدورا ، واطلمهم بيوتا ، وانتهمهم  
افنية ، واحشهم سجية ، تحينهم لعنة ، ولقاؤهم طيرة ، شعارهم  
الغضب ، ودارهم المقت (١) .

### لمحة عن تحريف اليهود للدين المنزل على انبيائهم :

لقد تنكب بنوا اسرائيل الصراط المستقيم ، وخرجوا على تعاليم  
دينهم ، وعقائده عدة مرات حتى لقد عبدوا العجل ، وهارون بن  
ظهرانبيهم ، وموسى يتلقى الالواح من ربه .

وقد بعث الله فيهم عدة رسل - من بعد موسى وهارون - ليحاوّلوا  
انقاذهم مما انحدروا اليه من كفر وضلاله ، فما كان منهم الا الاعراض  
والتكذيب ، بل كانوا يلاقون منهم احيانا التعذيب والتقتيل ( ولقد آتينا  
موسى الكتاب ووقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه  
بروح القدس انكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم  
وفريقا تقتلون ) (٢) .

( واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا  
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مددقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله  
من قبل ان كنتم مؤمنين ) وغير ذلك من الايات (٣) .

### تحريف العقيدة :

فكرة الالوهية لديهم قد اجتازت المراحل الثلاث الاتية :

( أ ) ظنوا انه من الممكن رؤية الله سبحانه وتعالى فى الدنيا بـ

علقوا ايمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى ( واذا قلت  
ياموسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جبهة ) (٤) .

( ب ) طلبوا من موسى ان يجعل لهم الها يحسونه كما يحسه عبدة

الاصنام ( قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ) (٥) .

( ١ ) هداية الحيارى فى اجوبة اليهود والنصارى ( ص ٨ ) لابن قسيم

الجوزية - مؤسسة مكة للطباعة .

( ٢ ) البقرة : ٨٧ .

( ٣ ) البقرة : ٩١ .

( ٤ ) البقرة : ٥٥ .

( ٥ ) الاعراف : ١٣٨ . وانظر الاسفار المقدسة لعلى عبد الواحد ( ص ٩ - ٢٢ ) .

( ج ) ارتدوا عن عبادة الههم اكثر من مرة ، فعبدوا العجل تارة والاصنام تارة اخرى .

ونسبوا الى هارون عليه السلام انه يسر لهم سهل الشرك ودفنهم الى الوثنية كما في سفر الخروج اصحاح ٣٢ .

( د ) يروى سفر التكوين في قصة آدم وحواء ، واخراجها من الجنة ان الله نهاهما عن الاكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضلا ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لهما ان الاكل منها يفضي الى الموت ، مع ان الاكل منها يفضي الى رقى التفكير ، وانحسار اعطية الجهل ، وانبثاق نور المعرفة ،

ولكن الاله كان يريد ابقاءهما جاهلين ، حتى لا يشاركاه في صفته من اخص صفاته . . . الاصحاح الثالث .

وقد عرض القرآن الكريم في اكثر من سورة لعدة مواقف في هذه القصة بدون ان يبدي في اي موقف ما يتعارض مع كمال علم الله ، وقد رتبته وتزبيبه عن مشابهة مخلوقاته .

( هـ ) يذكر سفر التكوين في ان لله اولادا من الذكور ، قد فتنهم جمال بنات الادميين اللاتي كان عدد دهن قد كثر في الارض ، فاتخذوهن خليلات ، وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة في الجسم وهم الجبابرة الذين سكنوا الارض قبل الطوفان . الاصحاح السادس فقرات ١ - ٥ وغير ذلك كثير .<sup>(١)</sup>

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ( قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ) .

( و ) يعتقدون ان لهم الها خاصا بهم ، وهو اله اسرائيل ، وانهم هم اولاده ، واحباؤه وان لغيرهم من الامم الهة اخرى وان الههم في صراع مع هذه الالهة .

وقد رد القرآن الكريم على هذا الزعم الشنيع بقوله تعالى ( والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ) ويقوله : ( وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم

( ١ ) انظر التفاصيل في الاسفار المقدسة ( ص ٢٤ - ٢٥ ) الملل والنحل

للشهرستاني ( ١ : ١٢٨ ) وما بعدها .

( ٢ ) البقرة : ١٦٣ .

بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات  
والارض وما بينهما واليه المصير (١) وغير ذلك من الايات كثير .  
اما اسفار التلمود فتظهر اله بنى اسرائيل متصفا بكثير من صفات  
المخلوقين وصفات النقص ويبدو ذلك على الاخص فيما يذكره التلمود عن  
جسم الاله ، وضخامة اعضائه وما يرويه عن نشاطه ، واعماله فى الليل  
والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل .  
وما يقرره بصدد تخصيص ايام فى كل عام لعبادة اله آخر صغير .  
وبصدد حرص الاله على ان تقدم له اضحية من الادميين . (٢)

### نماذج من تحريف الشريعة :

من اهم مظاهر الانحراف فيها انها تقوم على التفرقة العنصرية  
وذلك انها تجعل اليهود شعب الله المختار، الذى اصطفاه الله  
وفضله على العالمين، وتتنظر الى من عداه من الشعوب بنظرتها السي  
شعوب وضبعة فى سلم الانسانية ، وتضع قوانينها ، ونظمها على هذا  
الاساس .

( أ ) فمن ذلك مثلا ان الاسرائيليين محرم عليهم ان يقتل بعضهم بعضا  
وان يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين انه مباح  
للالسرائيليين بل واجب عليهم غزو الشعوب الاخرى ، وخاصة  
شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما ان يضربوا  
رقاب جميع رجالها بحد السيف ، ويسترقوا نساءها واطفالها  
ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار .

( ب ) وان الولد اذا زنا بامه الارملة لا يقيم عليه الحد ، ولا يلام ، بل  
ينبغي له ان يستمر معها على هذا الوضع حتى بعد زواجه  
رعاية لما وجب لها عليه من حق .

وان الوالد الذى زنا بابنته بعد وفاة زوجها ، لا يقيم عليه  
الحد ولا يلام ، لان عمله هذا ما يبرره ، وهو انه يجنبه

( ١ ) المائدة : ١٨ .

( ٢ ) انظر التفاصيل فى الاسفار المقدسة ( ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ ) .

تبدير ماله مع العاهرات الاجنبيات، وغير ذلك كثير .<sup>(١)</sup>

وقد اتفق المسلمون على ان التوراة قد دخلها تحريف وتغيير وتبديل على اختلاف في التفاصيل والجمهور على دخول التحريف في الفاظها ومعانيها<sup>(٢)</sup> ( افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون )<sup>(٣)</sup> وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عندنا وما هو من عندنا وهم يعلمون )<sup>(٤)</sup>

#### ( ٤ ) النصرانية .

هي نسبة في الاصل الى نصرانه ، وهي قرية المسيح عليه السلام من ارض الجليل وتسمى هذه القرية ناصره ونصوريه والنصرانية والنصرانية واحدة النصارى ، وقيل هي قرية بطبرية ، ونصرانه قرية بالشام ينسب اليها النصارى .

اما في الاصطلاح فالنصرانية دين النصارى ، وهم المنتسبون للانجيل ولا يعرف على التحديد متى صارت علما على دين اهل الانجيل .

وقد وجدت هذه اللفظة بهذا المعنى في اوائل القرن الثاني الميلادي ، اذ كتب ( بلين ) وكان واليا في آسيا الى الامبراطور ( تراجان ) الموجود عام ١٠٦ م كتابا يشرح فيه طريقة تعذيب المسيحيين فقال :

( جربت مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الاتية :

وهي اني اسألهم اذا كانوا مسيحيين ، فاذا اقرروا اعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة ، مهددا بالقتل ، فاذا اصرروا انفذت عقوبة الاعدام فيهم ..

وهذا مما زاد النصرانية ترقيا في بلاد العرب اذ لا يجد الرهبان والاساقفة امانا لحياتهم ، ونشر افكارهم الا الجزيرة العربية ، حيث كان يصعب على القياصرة الوثنيين ان يلحقوا بهم اي اذى .<sup>(٥)</sup>

- 
- ( ١ ) انظر التفاصيل في الاسفار المقدسة ( ص ٣٦-٣٧ ) وما بعدهما .
  - ( ٢ ) الاديان والفرق ( ص ١٤ ) وفيه ذكر النصوص المحرفة في اسفارهم المقدسة - الصفحة نفسها وما بعدها .
  - ( ٣ ) البقرة : ٧٥ .
  - ( ٤ ) آل عمران : ٧٨ .
  - ( ٥ ) انظر محاضرات في النصرانية لمحمد ابو زهرة ( ص ٣٥-٣٦ ) الناشر دار الفكر العربي ، الاديان والفرق لعبد القادر رشيد الحمدة ( ص ٢٤ ) التاريخ الاسلامي العام لعلي ابراهيم ( ص ١٥٦ ) مطبعة السنة المحمدية ط/ثالثة .

## انتشار النصرانية في جزيرة العرب:

اشرنا فيما مضى الى كثرة الاديان والمعتقدات في الجزيرة من ضمنها النصرانية ، وكان من الطبيعي ان تتسلل الى الجزيرة من معابر شتى لانها ديانة متحركة بعكس اليهودية .

فاليهود رأوا انفسهم شعب الله المختار، وجعلوا الاله الواحد رب اسرائيل وحسب .

اما النصراني فقد انطلقوا الى افاق العالم يعرضون مبادئهم ويفسرون الناس بالدخول فيها . وقد اصابوا حظوظا من النجاح لم تتح - يقينا - لليهودية .

ولم يعبا المبشرون بالمصاعب التي كانوا يتعرضون لها ، فدخلوا مواضع نائية في جزيرة العرب .

ومنهم من رافق الاعراب ، وعاشوا عيشتهم فسكنوا معهم في الخيام حتى عرفوا باساقفة الخيام وباساقفة اهل الوبر وكان انتشارها واضحا بين عرب الشمال كتغلب وفسان وقضاة لانها كانت تحت حكم البيزنطيين وديانتهم الرسمية هي النصرانية وعملوا على نشرها بين شعوب امبراطوريتهم وغيرها . وقد ذكر ان مطران (بصرى) كان يشرف على نحو عشرين اسقفا انتشروا بين عرب حوران وفسان .

ظهر منهم من كان يقرأ ويكتب ، ويتحدث عن التوراة والانجيل ومن النصرانية كما كانوا يردون اسواق العرب يعظون ويبشرون .

ويرى بعض المؤرخين ان انتشار النصرانية صحبه انتشار الرقيق من الجنسين في هذه الاقطار .<sup>(١)</sup>

وانتشرت النصرانية في الجزيرة حتى كادت تشمل اليمن كلها ولهذا الانتشار سببه ، فان الحبشة النصرانية كان لها سلطانها المادي والادبي على جنوب الجزيرة .

ومن مؤرخي العرب من يرى انها انتشرت في الجنوب بنشاط وانفد من الشمال - كابن اسحق وابن كثير وابن قتيبة - على يد رجل من عباد النصراني باطراف الشام ، وكان مجاب الدعوة وقع اسيرا في يد بعض الاعراب فبيع

(١) انظر الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (٦: ٦١٢) .

بنجران فنشر النصرانية هناك فكانت اهم مواطنها في الجنوب .  
وتبعه تلميذه ابن الثامر المعروف بالفلام المتردد بين الراهب  
والساحر وتعلمه الاسم الاعظم ، وكان يشفي المرضى بدعائه بشرط الدخول  
في دينه النصرانية فرفع امره الى ملك نجران وحاول قتله ولم يستطع فقبال  
له الفلام ان تستطيع قتلي حتى تؤمن بالله فأمن برب الفلام فقتله فاجمع  
اهل نجران على دين الفلام وكان على ما جاء به عيسى عليه السلام .  
ولما بلغ ذنواس الحميري خبرهم سار اليهم بجنوده وكان على  
اليهودية فخبرهم بينها وبين القتل فاخثاروا القتل فخذ لهم الاخذ ود فحرقوا  
(١) وقتل قريبا من عشرين الفا وفيه انزل الله سبحانه (قتل اصحاب الاخذ ود) .  
فانلت رجل يقال له دوس ثعلبان - وكان يعتنق النصرانية - متوجها  
الى قيصر الروم فاستنصره على ذنواس اليهودي وجنوده ، فكتب له الى  
ملك الحبشة ، وكان على النصرانية فجهز له جيشا توجه الى اليمن فانهمزم  
ذو نواس فخاض البحر هاربا وكان آخر العهد به .  
فتغلغل النصرانية في اليمن بقيادة ابرهة الاشرم وذلك ليحقق  
غرضين : احدهما سياسي وهو اتخاذ بلاد اليمن طريقا للتجارة الى الشرق  
والاخر ديني وهو جعل السيادة للمسيحية هناك الامر الذي بلغ بابرهة  
ان بنى كنيسة في صنعاء سماها ( القليس ) لارتفاعها . فكتب الى  
النجاشي : اني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك ولست بمنتهه  
حتى اصرف اليها حج العرب فثار رجل من كنانة فخرج حتى اتاها فاحدث  
فيها فلحق باهله ، فغضب ابرهة وحلف ليهد من الكعبة ليصرف الحجاج  
عنها الى كنيسة صنعاء ، ففزاها فاخفق في غزوته وفيه انزل الله سبحانه  
(سورة الفيل) وكان هدفه من هذا محاولة السيطرة على جزيرة العرب  
دينيا وسياسيا .  
(٢)

ونحن نرى من التأمل في هذه الوقائع القديمة ان النصرانية في  
الجنوب حاولت الاتصال بالنصرانية في الشمال والاستيلاء على الجزيرة

- 
- (١) البرج : ٤ .  
(٢) من السيرة النبوية ابن هشام (١ : ٣١) وما بعد ها . وانظر تاريخ  
الاسلام لحسن ابراهيم (١ : ٢٩) وما بعد ها وانظر المعارف لابن  
قتيبة (٦٣٧ ط/٢) ثانيا الناشر دار المعارف بمصر .

العربية كلها ، ولكن رب العالمين احبط هذا التدبير بخوارق من السماء  
قتلت الجيش المهاجم لمكة ومزقت شمله ، واستبقت وسط الجزيرة العربية  
مهذا مرتقبا للرسالة الخاتمة .

كما بقيت مكة مثابة للناس تجئ القبائل من كل فج لتزور البيت العتيق  
وتتعلق ببقايا من ديانة ابراهيم .

وهكذا بقيت اليمن على نصرانيتها كما بقي عرب الشمال على نصرانيتهم  
وبين الفريقين مفازات شاسعة تمتلئ بالعرب الذين لا يعترفون بالنصرانية  
ولا يرتضونها دينا .

### تحريف النصراني لدينهم :

ان الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام هي التوحيد الكامل  
بكل انواعه قال الله تعالى : ( واذا قال الله يا عيسى ابن مريم ائتقلنت  
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول  
ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك  
انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم  
وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم  
وانت على كل شيء شهيد ) (١)

هذا هو جوهر دعوة المسيح عليه السلام .

وكما ورد في بعض الاثار انها تقوم على الزهادة ، والاخذ من اسباب  
الحياة باقل قسط تقوم عليه الحياة ، كما يحث على الايمان باليوم الاخر . (٢)

وقد اصابته هذه الديانة اعظم النكبات ، اثر عدوان الوثنيات  
عليها ، فانعكس التوحيد شركا وتعددت الالهة بخرافة التثليث والفداء .

فهناك نصوص كثيرة تدل على التثليث بالنسبة للاله ، فهم يرون

ان هناك اقانيم او آلهة ثلاثة كلها تستحق العبادة ، والكل قديم لا اول له

ولكل من هؤلاء الالهة عمل خاص به وهم متساوون في الصفات الالهية .

واليك بعض نصوص من كتبهم تبين عقيدة التثليث .

جاء في كتاب (سوسنة سليمان) ما يلي :

(١) المائدة : ١١٦ - ١١٧ .

(٢) النصرانية لابي زهرة (ص ١٤-١٥) .

( عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس ، وهى اصل الدستور الذى بينه مجمع نيقية : هى الايمان باله واحد أب واحد خالق السماء والارض ورب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الاب قبل الدهور ، من نور الله ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق مساو للاب فى الجوهر ، الذى كان به كل شيء ، ومن اجله خلقنا ، ومن اجله (١) خطايانا نزل من السماء وتجسد فى الروح القدس ، وفى مريم العذراء تأنس . وبعد قتله وصلبه قام من قبره وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب ، ليد بين الاحياء والاموات ولا فناء لملكه .  
والايمان بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الاب الذى هو مع الابن يسجد له ويمجد . (٢)

### نقد عقيدة التثليث:

اولا : ان هذه العقيدة لا تتفق مع العقل لما فيها من التناقض .  
لكن عقيدة التوحيد هى التى تعقل ، ويمكن البرهنة عليها بادلة عقلية كما ورد فى القرآن الكريم ( لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا فسبحن الله رب العرش عما يصفون ) (٣)  
( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل الاله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ) (٤)  
هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ) .  
فالاله الذى يستحق العبادة لا يعقل ان يكون معه من يشاركه فى امر السماء والارض ولذلك نرى المسيحيين ، لم يحاولوا الاستدلال على هذه العقيدة بادلة عقلية ، بل هم يشعرون بصعوبة تصورهما ، يقول ( بوطمر ) :

( قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجوا ان نفهمه اكثر جلاء )

- 
- ( ١ ) اى صار انسانا .  
( ٢ ) محاضرات فى النصرانية ( ص ١١٧ ) .  
( ٣ ) الانبياء : ٢٢ .  
( ٤ ) المؤمنون : ٩١ . وهذا ما يعبر عنه بدليل التمانع وسيأتى بيانه ان شاء الله .



في المستقبل حين يكشف لنا الحجاب، واما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كهاية<sup>(١)</sup>.

ثانيا : ان النصوص التي يستدلون بها من اسفارهم ، بانها تشير الى التثليث، مثل روح القدس - كلمة الله - وانهم لم يفهموها حتى جاء يسوع المخلص فبينها كما يزعمون، وانتعرف قيمة اسفارهم، وانها غير ثابتة<sup>(٢)</sup> .  
السند .

بل ان هذه الاسفار التي يؤمنون بها ، فيها ما يناقض هذه العقيدة فهناك نصوص صريحة تدل على بشرية المسيح وانه ليس الا رسولا ، وان الله واحد لا شريك له .

نماذج من هذه النصوص :

يقول المسيح : ( ان اباكم واحد الذي في السماء<sup>(٣)</sup> ) .  
ويقول المسيح : ( الرب الهنا اله واحد ، وليس آخر سواه<sup>(٤)</sup> ) .  
ويقول ايضا : ( انا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله<sup>(٥)</sup> ) .  
ثالثا : لم تظهر عقيدة الوهية المسيح الا بعد دخول شاول في المسيحية ، وظهور انجيل يوحنا ومع ذلك فقد وجدت هذه العقيدة معارضة شديدة من جمهور المسيحيين الذين وقفوا في وجه بولس بشدة ، كما يتضح ذلك في رسائله .

والوهية المسيح لم تتقرر بشكل رسمي الا بعد مجمع نيقية ٣٢٥ م .  
ثم بعد ذلك تتقرر التثليث تدريجيا في مجمع القسطنطينية ٣٨١ م<sup>(٦)</sup> .  
وصدق الله العظيم اذ يقول : ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم

- 
- (١) انظر محاضرات في النصارية (ص ١٢٢) .
  - (٢) محاضرات في النصارية (ص ٤٧-٦٦) والاديان والفرق (ص ٣٢-٣٩) .
  - (٣) انجيل متي : ٢٣ .
  - (٤) انجيل مرقس : ١٢ - ٣٠ - ٣١ .
  - (٥) انجيل يوحنا : ٨ - ٤٠ .
  - (٦) انظر النصارية (ص ١٤٦) وما بعد ها (ص ١٥٩) وما بعد ها .

ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . افلا يتوبون الى الله  
ويستغفرونه والله غفور رحيم ، فالمسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من  
قبله الرسل واهمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم  
انظر انى يؤفكون (١) .

( يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما  
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا  
بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله واحد سبحانه  
ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وهى بالله وكبلا (٢) .

### عقيدة الفداء :

قالوا : ان الله الاب من صفاته المحبة لذلك دبر طريقا لخلاص  
العالم من خطيئة آدم التى ابعدته وذريته عن الاله .  
وتحققت هذه الطريقة بارساله ابنه الوحيد الى الناس ليتجسد  
ويقتل ويصلب وبذلك يخلص البشر من آثار الخطيئة ثم قام من قبره بعد ثلاثة  
ايام ومكث اربعين يوما بين تلاميذه ، ثم ارتفع بعدها الى السماء وجلس  
الى يمين الرب انتظارا ليوم القيامة ليدين الناس على اعمالهم وان المسيح  
هو الذى وفق بين عدل الله ورحمته ومحبته كما يقرر لوقا فى انجيله وقد تم  
الفدا بالقتل والصلب (٣) .

### نقد عقيدة الفداء :

لا شك ان عقيدة الفداء لا تستحق المناقشة ، فاذا كان الله محبة  
كما يقولون فلم ترك بنى آدم هذه الفترة الطويلة من غير ان يقربهم اليه  
ويكفر عنهم خطيئتهم الموروثة ؟  
واذا كان الله عادلا فكيف يعاقب الذرية من آدم الى المسيح  
بالبعد عن رحمته ؟

( ١ ) المائدة : ٧٢ - ٧٥ .

( ٢ ) النساء : ١٧١ .

( ٣ ) انظر محاضرات فى النصرانية (ص ١٢٦ - ١٢٧) .

(١) وما ذنب الابناء في ذنب اقترفه ابوهم ( ولا تزد وازرة وزد اخرى ) .  
 واذا كان الله قد حرمهم - هذه المدة الطويلة - من رحمته فلم  
 ارسل اليهم رسلا قبل المسيح ليبينوا لهم طريق الهدى والضلال ؟  
 ثم ما الحكمة في اختيار هذه الطريقة التي تبث العداوة  
 والبغضاء ، ولم تأت بألفة او سلام ؟

او ليس الله بقادر على ان يغفر لادم ولذريته بكلمة منه .  
 اذ من صفاته الرحمة والصحة ، بل قد تاب الله على آدم بنص  
 القرآن ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ) .  
 (٢)  
 والقرآن الكريم يكذب زعمهم الصلب والقتل ( وقولهم انا قتلنا  
 المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم  
 وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن  
 وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيم ) .  
 (٣)  
 كما حرفوا العبادات والشريعة ، ففي القرون الاخيرة طغت  
 الكنيسة على العلماء وسائر الناس في فرض آرائها فجعلت كل رأى من  
 العلوم الكونية يخالف رأيا - كهرا ، وفرضت سلطاتها على الملوك كما  
 استبدت بفهم الكتب المقدسة بلغ بها الامر الى مهزلة صكوك الغفران  
 وانحراف اخلاق رجال الدين .  
 (٤)

### ( ٥ ) الحكمة في اختيار العرب لحمل الدعوة .

قبل الدخول في ذلك ينبغي ان نعلم خصائص العرب وطباعهم قبل  
 الاسلام ، وان نتصور البقعة الجغرافية التي كانوا يعيشون فيها وموقعها  
 مما حولها ، وان نتصور في مقابل ذلك ما كانت عليه الامم الاخرى اذ ذاك  
 كالفرس والروم ، واليونان ، والهند ، من العادات والطباع والخصائص  
 الحضارية .

ولنبداً اولاً بعرض موجز لما كانت عليه الامم التي تعيش حول

- 
- ( ١ ) الانعام : ١٦٤ ، الاسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، النجم : ٣٨ .  
 ( ٢ ) البقرة : ٣٧ .  
 ( ٣ ) النساء : ١٥٧ - ١٥٨ .  
 ( ٤ ) من محاضرات لشيخنا محمد قطب في جامعة الملك عبد العزيز بمكة  
 المكرمة وانظر التفاصيل في النصرانية ( ص ٢٠٠ - ٢٠٨ ) .

الجزيرة العربية قبل الاسلام ، كان يتصدر العالم اذ ذاك ، دولتان اثنتان تتقاسمان العالم المتمدن ، هما الفرس والروم ويأتى من وراءهما اليونان والهند .

اما الفرس فقد كانت حقلا لوساوس دينية فلسفية متصارعة مختلفة شيطانية من ذلك تفضيل زواج الرجل بامه ، او ابنته او اخته ، وباحثة سائر النساء والاموال واشتراك الناس فى ذلك .

واما الرومان ، فقد كانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية تعتمد فى ذلك على قوتها العسكرية ، اما اليونان فقد كانت غارقة فى هوسات مسخرات خرافاتها ، واساطيرها الكلامية .

واما الهند ، فقد اسهمت مع جاراتها فى التدهور الاخلاقى والاجتماعى وكان احط ادوارها ديانة وغلقا واجتماعا يبتدئ فى مستهل القرن السادس الميلادى .<sup>(١)</sup>

كما ينبغي ان نعلم ان القدر المشترك الذى وقع هذه الامم فى الانحلال والاضطراب والشقاء انما هو الحضارة التى تقوم على اساس من القيم المادية وحدها دون ان يكون لها مثل اعلى يقودها فى سبيلها المستقيم ، اذ هى ليست سوى وسيلة وسبب .

فان عدم اهلها التفكير الصحيح والمثل الاعلى الصحيح ، استحالت الى ذريعة للنزول بها الى درك الشقاء والاضطراب .  
اما ان اوتى اهلها مقياسا من العقل الرشيد - فان القيم الحضارية كلها تصبح وسيلة الى السعادة التامة .

اما الجزيرة العربية فقد كانت منعزلة عن مظاهر هذه الاضطرابات كلها . كانت طبائعهم اشبه ما تكون بالمادة الخام التى لم تنصهر بعد فى اى بوتقة محولة ، فكانت تتراءى فيها الفطرة الانسانية السليمة ، والنزعة القوية الى الاتجاهات الحميدة ، كالوفاء والنجدة ، والكرم والاباء والعفة . الا انها كانت تعوزهم المعرفة ، اذ كانوا يعيشون فى ظلمة من الجهالة البسيطة ، فكان يغلب عليهم - بسبب ذلك - ان يضلوا الطريق الصحيح ، فيئدوا البنات بدافع الشوف والعفة ، ويتلفوا الاموال الضرورية

(١) انظر التفاصيل فى الملل والنحل (١ : ٢٤٩) ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٣٨ - ٤٦) ، فقه السيرة بوطفى (ص ٢٤) .

بدافع الكرم ، ويشيرون المعارك فيما بينهم بدافع الاباء والنجدة ، ثم انها تقع - بالنسبة لموقعها الجغرافي - في نقطة الوسط بين هذه الامم التي كانت تنبع من حولها حضارة الفوب المادية ، وحضارة الشرق الروحية الخيالية .<sup>(١)</sup>

### هل هناك حكمة في اختيار العرب لحمل الدعوة ؟

ذهب الهولندي ومن معه الى ان الحكمة في هذا الاختيار هي من نوع الحكمة التي اقتضت ان يكون الرسول اميا لا يتلوا من كتاب ولا يغطه بيمينه حتى لا يرتاب الناس في نبوته عليه الصلاة والسلام . وحتى لا تتكاثر لديهم اسباب الشك في صدق دعوته ، اذ من تنمة هذه الحكمة الالهية ان تكون البيئة التي بعث فيها عليه الصلاة والسلام - ايضا بيئة امية بالنسبة للامم الاخرى .

فكما يخشى من دخول الريبة في صدور الناس ، اذا مارأوا النبي صلى الله عليه وسلم متعلما مطالعا على الكتب القديمة .... كذلك يخشى اذا ما ظهرت الدعوة الاسلامية بين امة لها شأن في الحضارة والفلسفة ، قرب مرتاب مبطل ، يزعم انها سلسلة التجارب الحضارية والافكار الفلسفية ، ابدعت اخيرا هذه الحضارة الفذة ، والتشريع المتكامل ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته )<sup>(٢)</sup> ويذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل في ضلال مبين )<sup>(٣)</sup> .

ويقول ايضا : وهناك حكم اخرى لا تخفى على الباحث نجمها فيما

يأتي :

( ١ ) من المعلوم ان الله عز وجل قد جعل البيت الحرام ماثبة للناس وامنا ، وجعله اول بيت وضع للناس للعبادة واقامة الشعائر الدينية وحقق في ذلك الوادي دعوة ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام ومن لوازم هذا كله ومتمماته ان تكون هذه البقعة المباركة نفسها مهذا للدعوة الاسلامية التي هي ملة ابينا ابراهيم

( ١ ) انظر فقه السيرة للبيهقي ( ص ٢٥-٢٨ ) .

( ٢ ) اشارة الى قوله تعالى ( وما كنت تلوها من قبله من كتاب ولا تخطه

بيمينك اذا لارتاب المبطلون ) العنكبوت : ٤٨ .

( ٣ ) الجمعة : ٢ .

- وان تكون بعثة خاتم الانبياء ومولده فيها كيف لا وهو من نسل ابراهيم عليه الطالة والسلام .
- ( ٢ ) البقعة الجغرافية للجزيرة العربية ترشحها للقيام بعبة مثل هذه الدعوة بسبب انها تقع - كما قلنا - في نقطة الوسط بين الامم المختلفة التي من حولها .
- وهذا مما يجعل اشاعات الدعوة الاسلامية تنتشر بين جميع الشعوب والدول المحيطة بها في سهولة ويسر ، واذا اعدت النظر الى سيرة الدعوة الاسلامية في صدر الاسلام وعصر الطفاه الراشدين وجدت مصداق ذلك جليا واضحا .
- ( ٣ ) اقتضت حكمة الله تعالى ان تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الاسلامية وان تكون هي الوسيلة المباشرة الاولي لترجمة كلام الله عز وجل وابلاغه ايانا .
- ولعلنا لو امعنا في خصائص اللغات وقارنا بينها لوجدنا ان اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعز وجودها في اللغات الاخرى فاجدر بها ان تكون لغة المسلمين الاولي في مختلف ربوعهم وبلادهم (١) .
- وذهب الندوي الى التصريح بالحكمة معللا ذلك بقوله :
- ( وقد اختار الله العرب ليتلقوا هذه الدعوة اولا ، ثم يبلغوها الى ابعد انحاء العالم ،
- ( ١ ) لان الواح قلوبهم كانت صافية لم تكتب عليها كتابات دقيقة عميقة يصعب محوها وازالتها ، شأن الروم والفرس ، واهل الهند الذين كانوا يتيهون ويزهون بعلومهم ، وآدابهم الراقية ومد نياتهم الزاهية وفلسفاتهم الواسعة . فكانت عندهم عقد نفسية وفكرية لم يكن ممن السهل حلها .
- اما العرب فلم تكن على الواح قلوبهم الا كتابات بسيطة ، خطتها يد الجاهل والبدواة ، ومن السهل الميسور محوها وغسلها ، ورسم نقوش جديدة مكانها ، وبالتعبير العلمي المتأخر كانوا اصحاب (الجهل البسيط) الذي تسهل مداواته . بينما كانت الامم المتقدمة

الراقية في هذا العصر مصابة ب(الجهل المركب) الذي يصعب مداواته وازالته .

( ٢ ) وكانوا على الفطرة ، واصحاب ارادة قوية ، اذا التوى عليهم فهم الحق حاربوه ، واذا انكشف الخطاء عن عيونهم احبوه واحتضنوه واستماتوا في سبيله .

يعبر عن هذه النفسية العربية خير تعبير ما قاله سهيل بن عمرو حين سمع ماجاء في كتاب الصلح في الحديبية ( هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله (والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك) <sup>(١)</sup> . وما قاله عكرمة بن ابي جهل حين حمى الوطيس فسى معركة اليرموك واشتد عليه الضغط : (قاتلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل موطن، وافر منكم اليوم ؟ ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه من بايعه ثم لم يزل يقاتل حتى اثبت جراحا وقتل شهيدا ) .

( ٣ ) وكانوا واقعيين جاد بين اصحاب صراحة ، وصرامة لا يخدعون انفسهم ولا غيرهم ، اعتادوا القول السديد والعزم الاكيد ، يدل على ذلك دلالة واضحة ماروى في قصة بيعة العقبة الثانية وذكر كلمة العباس بن عباد الخزرجي ( وسأتمسس ذكرها في بيعة العقبة الثانية بلفظها : ان شاء الله تعالى )

( ١ ) قلت ولكن ظاهر هذا يتعارض مع قول الله تعالى ( قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) سورة الانعام : ٣٢ .  
عن علي رضي الله عنه قال : ( قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله هذه الآية ) . رواه الحاكم ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .  
ومعلوم ان قريشا كانت تلقب محمدا بالصادق الامين وقالوا ماجربنا عليك كذبا ( وسأتمسس ذكر ذلك في مرحلة الجهر بالدعوة ) ولكن الله الجحود ، لان الدعوة الاسلامية تهتد مناصبهم ومصالحهم بالخطر .  
وقد التقى الاخنس بن شريق بابي جهل فقال : اخبرني عن محمد .  
أ صادق هو ام كاذب ؟ فانه ليس هاهنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل : ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد =

ثم ذكر قول سعد على لسان قومه - يوم بدر - لرسول الله صلى الله عليه وسلم ....

( فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك والله لئن استعرضت بنا هذا البحر غضناه معك ) .<sup>(٢)</sup>

كما ذكر الجملة المأثورة عن عقبة بن نافع القائد العربي المسلم حينما خاض البحر الأحمر مع جيشه قائلاً :

( يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك ) .<sup>(٣)</sup>  
 ( ٤ ) وكان العرب بمنزل عناد وأمر المدينة والترف التي يصعب علاجها والتي تحول دون التحمس للعقيدة والتفاني في سبيلها .

قطر، ولكن إذا ذهبت بنوقصي باللواء والحجاجة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، اهـ تفسير الطبري (٧: ١٨١-١٨٢) تفسير ابن كثير (٣: ٢٤٥-٢٤٧)، روح المعاني (٧: ١٣٦) ظلال القرآن (٧: ١٠٧٤) .

( ١ ) قال الندوي هو سعد بن معاذ وقال ابن قيم الجوزية : سعد وسكت كما في الزاد ، وفي السيرة النبوية ابن هشام ان هذه الكلمة للمقداد ابن عمرو جاءت ضمن كلامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومها وفي صحيح مسلم ان صاحب الكلمة هو سعد بن معاذ لفظها ( والذي نفسي بيده لو امرتنا ان نخيضها البحر لا غضناها ) ( الخيل ) ولو امرتنا ان نضرب اكبادها الى برك الفماد لفضلنا ) . وعند ابن هشام ايضا ان ما في صحيح مسلم مقالة سعد بن معاذ . وبرك الفماد هو الصواب كما في مسلم لا كما قال الندوي نقلاً عن الزاد البرك من غمدان . قال صاحب القاموس المحيط : وبرك الفماد بالفتح والكسر موضع باليمن اهوراء مكة بخمس ليال او اقصى معمور الارض وقيل بين مكة وزبيد وماء لبن عقيل بنجد وقال السهيلي مدينة الحبشة . اهـ

انظر السيرة ابن هشام (١: ٦١٥) ، زاد المعاد (٢: ٩٦) صحيح مسلم (٥: ١٧٠) ، القاموس (٣: ٢٩٤) .  
 ( ٢ ) في ابن هشام ( لغضناه معك ) وفي الزاهد حذف اللام . انظر المرجعين السابقين بالصفحات نفسها .  
 ( ٣ ) الكامل لابن الاثير (٤: ٤٦) كما في السيرة النبوية للندوي (ص ٢٣) .



- ( ٥ ) وكانوا اصحاب صدق وامانة وشجاعة ، ليس النفاق والمؤامرة ممن طبعتهم ، وكانوا مفاوير حرب واحلاس خيل ، واصحاب جلاله وتقشف في الحياة .
- وكانت الفروسية هي الخلق البارز الذي لا بد ان تتصف به اممة تضطلع بعمل جليله لان العصر كان عصر الحروب والمغامرات والفتوة والبطولات .
- ( ٦ ) وكانت قواهم الفكرية والعملية ومواهبهم الفطرية مذخورة فيهم ، لم تستهلك في فلسفات خيالية ، وجدال عقيم ، ومذاهب كلامية دقيقة وحروب اقليمية سياسية<sup>(١)</sup> .
- فكانت امة بكر اذ افقة بالحياة والنشاط ، والعزم والحماس .
- ( ٧ ) وكانوا امة نشأت على الهيام بالحرية والمساواة ، لم تخضع لحكومة اجنبية ولم تألف الرق والعبودية . وقد سرت هذه الحريسة والاعتداد بالنفس ، والانفة من التذلل الى جميع طبقات الشعب وعمت الذكور والاناث ذكر منها عدة اشياء<sup>(٢)</sup> .
- ثم ذكر قصة المغيرة بن شعبه رسول المسلمين الى رستم حين دخل عليه وهو في ابهته وسلطانه فجلس معه على عادة العرب على سريره فوثبوا عليه وانزلوه فقال :
- كانت تبلفنا عنكم الاحلام ولا اري قوما اسفه منكم انا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا الا ان يكون محاربا لصاحبنا فلاننت انكم تواسون قومكم كما نتواسي وكان احسن من ذلك صنعتم ان تخبروني ان بعضكم ارباب بعض وان الامر هذا لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ، ولم آتكم ، ولكن دعوتموني .
- ( ٨ ) وفي جزيرة العرب وفي مكة ، كانت الكعبة التي بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليعبد الله فيها واحده ، ولتكون مصدر الدعوة

( ١ ) التاريخ قد سجل الحروب الطاحنة بينهم ولكن معظمها لا تفهمه الاسباب تستمر عشرات السنين كد احس والغبراء بين عيسى وذبيان والبسوس بين بكر وتغلب ويوم بعثت بين الاوس والخزرج وما كان بين بكر وتغلب وغير ذلك .

( ٢ ) انظر السيرة النبوية للندوي ( ص ٢١ - ٢٨ ) .

للتوحيد الى آخر الابد ( ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة <sup>(١)</sup> مباركاً  
وهدى للعالمين ) <sup>(٢)</sup> .

ثم ذكر موقعها الجغرافي وانها تقع بين قوتين متنافستين المسيحية  
والمجوسية ، وقوة الشرق والغرب ، وانها ظلت رغم ذلك كله محتفظة  
بحريتها وشخصيتها ، ولم تخضع لاحدى الدولتين الا فى بعض اطرافها  
وفى قليل من قبائلها .

وكانت فى خير موقف لتكون مركزا لدعوة انسانية عالمية ، تتحدث من  
مستوى عال بعيدة عن كل نفوذ سياسى وتأثير اجنبى .

لذلك كله اختار الله الجزيرة العربية ، ومكة المكرمة لتكون مبعث  
الرسول ومهبط الوحي ، ونقطة انطلاق للاسلام فى العالم ( الله اعلم  
حيث يجعل رسالته ) <sup>(٣)</sup> .

اما ابو زهرة فقد ذهب الى ان الجزيرة العربية مهد الرسالات  
الاولى ذكر منهم نوحا وهود اوصلحا وابراهيم الذى كان له الفضل  
الكبير مع ابنه اسماعيل عليهما السلام فى انشاء الكعبة ويتساءل لماذا  
اختصت بذلك الجزيرة العربية .

ويجيب بامور ثلاثة :

اولها : ان البلاد العربية ليست متوحشة كما يتوهم الذين  
يحكمون بغير بينات ، او الذين يتجنون على الحقائق مفرضين غير منصفين .

انما هى بلاد فيها ذكاء ونفوس صافية كصفاء سمائها ، وقوة  
الاستجابة متكافئة مع قوة المقاومة .

الامر الثانى : ان الجزيرة العربية مع ذكاء اهلها ، واستقامة  
نفوسهم - وان انحرفت احيانا عقولهم - معتصم حصين ، فبيد اؤها وقراها  
فيها حصون لمنع الاعتداء الوحشى من الامم التى اشتدت اغارتها  
فى الماضى .

( ١ ) بكة علم للبلد الحرام وبكة ومكة لغتان فيه وكثير ما يقع التباد ل بين

الميم والباء كلازم ولازب كذا فى هامش السيرة النبوية ( ص ٢٩ ) .

( ٢ ) آل عمران : ٩٦ .

( ٣ ) السيرة النبوية للندوى ( ص ٣٣ ) .

حصن من الارض الطائفة لكل اجنبي من أن يقتطعها ، وحصن  
من النفوس التي اذا آمنت قاومت واعتزت بايمانها .  
وهي بين د ولتين قويتين لم تتجاوزا في سلطانهما اراقبها .

الامر الثالث : قوة الشكيمة ، وقوة الخلق العربي ، ~~جود~~  
وسماحة وحسن تأن اذا وجد القيادة الحكيمة ، كما قال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه مثل العرب كمثل جمل أنف فليعلم قائده أين يقوده ، وذلك  
يلتقى العرب في عناصر ثلاثة تجعلهم في موطن الدعاة الى الحق في المكان  
الاول ، ولا ينقل دين العزة والاقدام ، والعمل الصالح الا ~~الاحرار~~  
الذين يأبون الدنيا ، ويرضون بالبذل ، ويتحملون الشدايد ، وليس  
ذلك الا في العرب .

ولذلك ما ان انطلقوا بالاسلام الا خرجوا من ديارهم يدعون الى  
الحق ويهدون اليه من غير فرار ولا يأس ، ولا يتركون البأس الى الرخصا  
لانهم تحمّلوا آلام الصحراء .

العنصر الاول : قوة في النفس تقاوم ولا تستسلم .  
العنصر الثاني : صفاء نفسى وقوة مدارك - احتفظوا بها حتى نفس  
جاهليتهم وصدق النفس ، والصدق في القول والعمل الذي يوجهون  
اليه .

العنصر الثالث : الانفة ، والا يطيعوا في ذلة بل في هداية  
ورشد مختارين .

ولقد جاءت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فبدت هـــــــ  
السجايا وشقت طريق النور في وسط الظلمات . (الله أعلم حيث يجعل  
رسالته) .

نعم : الله وحده هو الذي يختار مكان الرسالة ، والذي يسن  
يحملونها ، والذين ينزل عليهم الوحي بتبليغها الى خلقه .  
فاختار الله أرض العرب لانها ارض الرسالة العامة .  
وفيها العبر وفيها الاثار التي تدعو الى الاعتبار وغير ذلك . (١)

وأما الشهيد سيد قطب - رحمة الله عليه - فقد ذهب إلى أن السرفى ذلك امر يعلمه الله ويريد هـ و (الله أعلم حيث يجعل رسالته ) ولكن قال بعد ذلك :

( وحين ننظر اليوم من وراء الحوادث واستقراءها ، ومن وراء الظروف ومقتضياتها ، وبعد ما سارت هذه الدعوة فى الخط الذى سارت فيه وانتجت فيه نتائجها . ، ، حين ننظر اليوم هذه النظرة ندرك طرفا من حكمة الله - سبحانه - فى اختيار هذه البقعة من الارض ( أم القرى ) من حطها ) فى ذلك الوقت من الزمان لتكون مقر الرسالة الاخيرة التى جاءت للبشرية جميعا والتى تتضح عالميتها منذ أيامها الاولى . (١)

ثم وصف المعمورة حينذاك سياسيا ، وتقاسمها بين الدولتين الرومانية والفارسية مع ما كان للهند والصين من استقلال سياسى ، ولكن الاثر الحقيقى للامبراطوريتين الاطيين فى الحياة البشرية وتطوراتها .

وان الديانتين اليهودية والنصرانية وقعتا تحت نفوذ هاتين الدولتين الامبراطوريتين . فاليهود وقعت فريسة للرومان تارة ، وللفرس تارة ، وانتهت الى ان تكون ديانة مغلقة على بنى اسرائيل .

والمسيحية ولدت فى ظل الدولة الرومانية التى اضطهدتها واضطهادا فظيما ثم دخلتها الاساطير والفلسفة الوثنية وطبعت بطابع غريب فلم تعد هى المسيحية الاولى . وظلت الدولة هى المهيمنة على العقيدة المنحرفة مع ما انتهت اليه المذاهب المتعددة من تطاحن شامل فيما بينها مزق الكنيسة وكان يمزق الدولة كلها . ووقع الاضطهاد البشع للمخالفين للمذهب الرسمى للدولة .

وفى هذا الوقت جاء الاسلام لينقذ البشرية كلها من الانحلال والفساد والاضطهاد وليقودها الى الله على هدى ونور .

(١) فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٣١٤٢ .

١ - ولم يكن هنالك بد من أن يسيطر الاسلام لتحقيق هذه النقلة الضخمة في حياة البشر ، فلم يكن هنالك بد من أن يبدأ رحلته من أرض حرة لاسلطان فيها لامبراطورية من تلك الامبراطوريات ، وأن ينشأ قبل ذلك نشأة حرة لاتسيطر عليه فيها قوة خارجة عن طبيعته ، بسبل يكون هو المسيطر على نفسه وعلى من حوله .

- ٢ - وكانت الجزيرة العربية ، وأم القرى وما حولها بالذات هي أصلح مكان على وجه الارض لنشأة الاسلام يومئذ ، وأصلح نقطة يبدأ منها رحلته العالمية التي جاء من أجلها منذ اللحظة الاولى .
- ٣ - ولم تكن هناك حكومة منظمة تقف للعقيدة الجديدة بسلطانها المنظم وتخضع لها الجماهير خضوعاً دقيقاً كقيصر وكسرى .
- ٤ - ولم تكن هنالك ديانة ثابتة ذات معالم واضحة ، فقد كانت الوثنية الجاهلية ممزقة ومعتقداتها وعباداتها شتى ( وقد سبقنا الاشارة الى ذلك في - الحالة الدينية للجزيرة العربية - ) .
- ٥ - ومع انه كان للكعبة وقريش سلطان ديني عام في الجزيرة ، فانه لم يكن ذلك السلطان المحكم الذي يقف وقفة حق يقية في وجهه الدين الجديد .
- ولولا المصالح الاقتصادية ، والاضاع الخاصة لرؤساء قريش ما وقفوا هذه الوقفة في وجه الاسلام (١) ، فقد كانوا يدركون ما في عقائدهم من خلل واضطراب .
- ٦ - وكانت خلخلة النظام السياسي للجزيرة الى جانب خلخلة النظام الديني افضل ظرف يقوم فيه دين جديد متحرراً من كل سلطان عليه في نشأته ، خارج عن طبيعته .
- في وسط هذه الخلخلة كان للاوضاع الاجتماعية في الجزيرة قيمتها في حماية نشأة الدعوة .

(١) سياق الحديث عن هذا في موضعه ان شاء الله تعالى .

- ٧ - كان النظام القبلي هو السائد وللعشيرة وزنها ، فلما قام محمد صلى الله عليه وسلم بدءاً وتهيئة وجد من سيوف بني هاشم حماية له ، ووجد من التوازن القبلي فرصة له لان العشائر كانت تشفق من اثاره حرب علي بنى هاشم بسبب حمايتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم على غير دينه بل انها كانت تشفق من الاعتداء على كل من له عصبية من القبائل الذين اسلموا فمضى اول الدعوة وتدع تأديبه - أو تعذيبه - لاهله والموالي ولساداتهم . ومن ثم كان ابو بكر - رضى الله عنه - يشتري الموالى ويعتقهم فيمتنع تعذيبهم وقتلتهم عن دينهم بذلك ، ولا يخفى ما فى هذا الوضع من ميزة بالقياس الى نشأة الدين الجديد .
- ٨ - ثم كانت هنالك صفات الشعب العربى نفسه من الشجاعة والأريحية والنخوة ، وهى استعدادات ضرورية لحمل العقيدة والنهوض بتكاليفها . وكانت الجزيرة فى ذلك الزمان تزخر بحضارة عميقة لبذور نهضة جيش بكفالات واستعدادات وشخصيات تتهيأ لهذه النهضة المذخورة لها فى علم الغيب .
- ٩ - وكانت قد حفلت بتجارب من رحلاتها الى اطراف الامبراطوريات واشهرها رحلة الشتاء الى الجنوب ورحلة الصيف الى الشمال المذكورتان فى القرآن العظيم . وتضافرت اسباب كثيرة من التفتح والتأهب لاستقبال المهمة الضخمة التى اختيرت لها الجزيرة فلما جاءها الاسلام استفل هذا الرصيد كله ووجه هذه الطاقة المختزنة التى كانت تتهيأ كوزها للتفتح ففتحها الله بفتح الاسلام وجعلها رصيده وذخرا . ولعل هذا بعض ما يفسر لنا وجود هذا الحشد من الرجال العظام من الصحابة فى الجيل الاول . تلك العصبية التى تلقت الاسلام وعطته وكبرت به من غير شك وصلاح .

٩ - وقد كانت بلغت اللغة العربية نضجها واصبحت صالحة لحمل هذه الدعوة والسير بها في اقطار الارض ولو كانت لغة ميتة أو ناقصة التكوين الطبيعي ( ان الناطقون بها ) ما صحت لحمل هذه الدعوة أولا ، ولنقلها الى خارج الجزيرة ثانيا . وليس هذا مكان التفصيل في وصف استعداد الجزيرة لحمل الرسالة وصيانة نشأتها فذلك أمر يطول ، ومكانه رسالة مستقلة ، وحسبنا الاشارة الى حكمة الله المكونة التي يظهر التدبر والتفكير ببعض أطرافها ، كلما اتسعت تجارب البشر ، وادراكهم لسنن الحياة . (١)

...

---

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣١٤٢ - ٣١٤٤ .

(( الباب الاول ))

الرسول والدعوة

وفيه فصول :

الفصل الاول : كلمة سريعة عن حياة الرسول  
صلى الله عليه وسلم حتى البعثة



- النسب الشريف :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن  
 قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن  
 النضر بن كنانة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .  
 هذا هو الصحيح المجمع عليه ، وما فوقه فمختلف فيه .

عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام بلا  
 خلاف . وأمه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . .  
 ولد من أبوين كريمين حسبا ونسبا ، ومن أسرة جمعت ما تفوق  
 في العرب من فضائل ، وترفعت عن الرذائل ( الله أعلم حيث يجعل  
 رسالته ) (١) .

ولما سأل هرقل أباسفيان عن صفاته - صلى الله عليه وسلم - منها  
 ( كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو قينا ذ ونسب ، قال : كذلك الرسل تبعث  
 في أنساب قومها ) . (٢) يعني في اكرمها احسابا واكثرها قبيلة .

فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والاخرة ، سماه الله في القرآن  
 رسولا نبيا أميا . (٣) شا هدا ومهشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا  
 منيرا ورؤفا رحيمًا ومذكرا وجعله رحمة ونعمة وهاديا .

قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه : ( لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد  
 وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي  
 قدمي ، وأنا العاقب ) . وقال أيضا : الا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم  
 قريش ولعنهم ، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد . (٤)

وعن أبي هريرة مرفوعا : ( بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا  
 حتى كنت من القرن الذي كنت فيه ) (٥)

- 
- (١) الانعام : ١٣٤ ، وانظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢١ - زاد  
 المعاد ج ١ ص ٢٩ .  
 (٢) من حديث طويل رواه البخاري ج ١ ص ٨  
 (٣) الامي هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة .  
 (٤) البخاري مسندى ج ٢ ص ٢٧٠  
 (٥) رواه البخاري ج ٢ ص ٢٧٢ .

وعن وائله بن الاسقع مرفوعا : (١)

( ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة

واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم ) (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها ، مرفوعا ؛ ( خرجت من نكاح غير سفاوح ) .

وفى رواية ابن عباس بزيادة : ( خرجت من لدن آدم . . (٣) )

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : ( أنا سيد ولد آدم يوم

القيامة ) (٤) ( ولا فخر ) وقد افاد ابن كثير فى هذا الموضوع فى سيرته . (٥)

هذا وقد كان لذلك النسب الشريف أثره فى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وفيمن ييلشهم فقد شب مرفوع الرأس - رغم يتمه - لا يعرف الذل ولا الخضوع

جريئا فى اعلان رأيه تملأ الثقة نفسه .

وكانت العرف تعرف نسبه واصالته فلا تجد غضاضة من الانضواء تحت

رايته لولا الكبر الذى اعى بعضهم فنفسوا عليه مكانته غيرة وحسدا كابى جهيل

وأبى لهب وغيرها . (٦)

(١) هو احد الصحابة اسلم قبل تبوك وشهد ها كان من اهل الصفة ، نزل

الشام ، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرها توفى فى خلافة عبد الملك سنة

ثلاث وثمانين وقيل خمس وثمانين عن خمس وستين سنة ومائة وقيل غير ذلك

وهو اخر من مات من الصحابة بدمشق . كذا فى الاصابة لابن حجر

ج ١٠ ص ٢٩٠ ، مطبعة السندوسى الطبعة الاولى مع الاستيعاب

لابن عبد البر كلاهما تحققه يقطه الزينى .

(٢) مسلم ج ٧ ص ٥٨ - الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٧٧ تصحيح

عبد الرحمن محمد عثمان مطبعة الاعتماد .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٦١ .

(٤) مسلم ج ٧ ص ٥٩ ، زيادة ( ولا فخر ) فى سنن الترمذى بتحفة الاحوذى

ج ١٠ ص ٨٢ حديث حسن .

(٥) انظر التفاصيل فى السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٧ .

(٦) انظر التفسير السياسى للسيرة بتصرف ص ١١ - ١٢ لمحمد رواس ،

الناشر دار السلام . بيروت .

مولده الشريف :

ولد يوم الاثنين في مكة المكرمة ولادة طبيعية لا تتقى عشرة ليلة خلست  
من ربيع الاول عام الفيل على المشهور .  
وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال ( ولدت فيسه ،  
وفيه أنزل على ) . (١)  
وقد أورد ابن كثير عدة احاديث في كونه - صلى الله عليه وسلم - ولدت  
مختونا سرورا . (٢)  
ومن وجه آخر انه ختنه جبريل - عليه السلام حين شق صدره عند أمه  
حليمة السعدية .

وقال : ( في بعضها غرابة وفي البعض الاخر نظر ) .

وقال ابن قيم الجوزية ( لا يصح . ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ) .

وقد صنف في هذه المسألة كمال الدين بن طلحة ، مصنفا واجلب فيسه  
من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم  
ويعني فيه أنه ختن صلى الله عليه وسلم على عادة العرب .  
وقيل ختنه جده عبد المطلب وألهمه الله - سبحانه - أن يسميه محمدا  
تحقيقا لقدر الله سبحانه ان لم يكن هذا الاسم شائعا قبل عند العرب . (٣)

(١) رواه مسلم ج ٣ ص ١٦٨ .

(٢) اي مقطوع السرة .

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر الهداية والنهاية ج ٢ ص ٢٢٩ ،

السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ١٥٨ ، الطبقات الكبرى لابن سعد

ج ١ ص ١٠٠ - السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٩٨ - ١٩٩ ، زان

المعاني ( ج ١ ص ٣٣ ) وستجد كلاما كثيرا في صفته ومولده عليه

الصلاة والسلام وما وقع من الآيات .

وقد استبشر الحالم بهذا المولود (١) الكريم الذي بث في أرجائه روح الآداب ،  
وتم مكارم الاخلاق .

(١) بهذه المناسبة نعرض على ما يفعله بعض الناس من الاحتفال السنوي بدعوى ذكرى المولد الشريف وزعم المحبة وهم في الواقع مخالفون في كثير من سنة صاحب المولد الشريف صلى الله عليه وسلم ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ) ٣١ من سورة آل عمران فذلك غير مشروع بل بدعة ، لانه لم يثبت في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء - حسب علمي - لا قول ولا فعل ولا تقرير ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن سائر الصحابة ولا عن التابعين ، ولا عن الائمة الاربعة ، وائمة الحديث . وهذا فانه يدخل تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام - ( من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ) ، أي مردود .

وفي رواية ( من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ج ٢ ص ١١٢ .  
وخير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم - ثم الذي يليه ثم الذي يليه كما جاء هذا في حديث اتفق عليه البخاري ج ٢ ص ٢٨٨ - وسلم ج ٧ ص ١٧٤ - ورواه الامام احمد ج ٢ ص ٢٢٨ - وابوداود وابن ماجه . ولو كان خيرا لسبقنا اليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد شبههم شيخ الاسلام ابن تيمية " بمن يحل المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه ومن يزخرف المسجد ولا يصلح فيه او يصلح فيه قليلا ومن يتخذ المسابح والسجادات المزخرفة وغيرها التي لم تشرع ويصحبها من الريا والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها ، كذا في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٦ . وقد علق على بدعة المولد محمد حامد الفقي في المصدر نفسه بكلام قيم .

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : ( واحداث مثل هذه الموالد ينهم منه ان الله سبحانه - لم يكمل الدين لهذه الامة ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم - لم يبلغ ما ينبغى للامة ان تعمل به ، حتى جاء هؤلاء المتأخرون فاحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به ، زاعمين ان ذلك يقرهم الى الله ، وهذا بلا شك خطر عظيم ، واعتراض على الله سبحانه - وعلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وانه سبحانه قد اكمل لعباده الدين ، وأتم عليهم النعمة ) .  
ذكر هذا في رسالة في حكم الاحتفال بالمولد النبوي .

وقد التفتت ساحة الشيخ محمد رابراهيم آل الشيخ رسالة سماها : حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد عليه ، تقع في ثلاثين صفحة ، وهي ضمن مجموعة رسائل نشرها ادارة البحوث العلمية والادبية بالملك فيصل العويدي ، وكذلك سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد كتب رسالة موضحة في هذا الموضوع ، ضمن كتابه هداية الناسك ، الا انهم الخامس ، وهي رسائل قيمة ومفصلة في الموضوع الطالبي الحق ، والهادي هو الله سبحانه .

هذا ولقد ولي عبد الله وترك ابنه يتيما او جنيئا في بطن امه ، بهمد  
 أنه كان يعد من اللحظة الاولى لامر عظيم ، يصبح به امام المصطفين الاخياره  
 وما الأب والجد هما الأقربون والابعدون ، ما الارض والسماة الا وسافل مسخرة  
 لاتمام قدر الله وابلاغ نعمة الله من اصطفاه الله . (١)

### - حادثة شق الصدر :

أرضعته حليلة السعدية كعادة العرب ان ذاك ، وكان خيرا وبركسة  
 عليها ولى الجميع ، فبينما هو يتزعر في البادية ، ويستثشق من جوها الطليق  
 خلال سلوات الطفولة التي لم يسجل التاريخ في مظهرها حدثا يذكر ، اذا هو  
 بجبريل عليه السلام يفاجئه وهو يلعب مع الفلمان ، فأخذه فصرعه فشق عيسن  
 قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علة فقال هذا حظ الشيطان منك ،  
 ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ثم اعاده في مكانه . وجاء  
 الفلمان يسعون الى أمه ( يعني ضمره ) فقالوا ان محمدا قد قتل ، فاستقبلوه  
 وهو منتقع اللون ، قال أنس وقد كنت ارى اثر ذلك المخيط في صدره . (٢)

وقد رويت حادثة شق الصدر في حديث الاسراء والمعراج عن أنس  
 قال : كان أبونذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( فرج  
 سقف بيتي وانا بمكة ، فنزل جبريل - عليه السلام - ففرج صدرى ثم غسله  
 في ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدرى ثم  
 أطبقه ثم اخذ بيدي فصرج به الى السماء . . . (٤) .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام مع الحاشية ج ١ ص ١٥٨ - فقه السيرة  
 للقرظالي ص ٦٣ .

(٢) اي ضم بعضه الى بعض .

(٣) مسلم ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ وانظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ١٦٤ قال  
 الالباني وللحديث شواهد كثيرة منها عن عتبة بن عبد السطى عند الدارص  
 ٨١١ والحاكم ٣ - ٦١٤ وصحيحه ووافقه الذهبي . ومنها عن ابي اسن  
 كعب عند عبد الله بن احف في زوائده المسند ومنها عن ابي نرعند  
 ابي جرير في تاريخه ٢ - ٥١ - ٥٢ كذا في حاشية فقه السيرة للقرظالي  
 مع تخريج الاحاديث للالباني ص ٦٤ .

وقد راجعت مسلما فوجدته كذلك من حديث انس مرفوعا .

(٤) البخارى ج ١ ص ٧٣ - ج ٢ ص ٢٣١ .

وفى رواية مالك بن صعصعه مرفوعا : ( بينا انا عند البيت بين الناييم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين ، فاتيت فانطلق بي فاتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدرى الى كذا وكذا (يعنى الى أسفل بطنه ) فاستخرج قلبى ففسل بما زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشى ايماننا وحكمة . . ) (١)

قد يقال : ان ظاهرا الروايتين التعارض وليس كذلك بل كان هذا التقديس والتطهير مرتين كما ترى فان قيل ما الحكمة فى ذلك فيقال : أما فى حال الطفولة فمن أجل أن ينقى قلبه من مغمز الشيطان ومن كل خلق ذمهم حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون فسوس قلبه الا التوحيد .

وأما فى الثانية فعند ما اراد الله ان يرفعه الى الحضرة المقدسة التمسى لا يصعد اليها الا مقدس لتفرض عليه الصلاة وليصلو بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور وفى اناء الذهب والفضة اشارة الى ان الله اذهب عنه الرجس وطهره تطهيرا . وان قلبه اتقى شىء واصفاه . (٢)

ثم رجع محمد صلى الله عليه وسلم الى أمه آمنة بنت وهب وجدته عبد المطلب فى حفظ الله ورعايته ينهته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامة .

وفى السادسة من عمره توفيت أمه فضمه جدته عبد المطلب ورق عليه رقعة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدنيه ويقول : ان له لشأنا .

وفى الثامنة من عمره توفى جدته عبد المطلب وعهد بكفالتة الى عمه ابي طالب فقام بحق ابن أخيه خير قيام . واحتضنه بفضل احترام على ابنائه ، وظل يحذب عليه فوق اربعين عاما يصادق ويخاصم من اجله حتى بلغ رسالة رسوله فى اخرج الشرف واقساها وعمه لا يتابعه على دينه هكذا كانت حكمة الله وارادته . (٣)

(١) مسلم ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤

(٢) انظر العروض الانف ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ - فتح البارى ج ١ ص ٤٦٠ ، المطبوعة السلفية .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ١١٨ - السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٦٨ وما بعدها . البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٨١ .

- عناية الله به -

نشأ محمد - صلى الله عليه وسلم - في أسرة لها شأنها بين العرب قاطبة ، فشب في حفظ الله ورعايته مصوناً عن أهواء الجاهلية ولما يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مرفوعة واحسنهم خلقاً واكرمهم حسبا واحسنهم جوانباً واعظمهم حلماً واصدقهم حديثاً ، واعظمهم أمانة ، وابعدهم عن الفحش والاخلق الرذيلة ، حتى ما اسمه في قومهم الا ( الامين ) لما جمع الله فيه من الامور الصالحة .

قال - صلى الله عليه وسلم - محدثاً عما كان الله يحفظه في صغره وامر جاهليته : ( لقد رأيتني في غلمان قرين تنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لا قبل معهم كذلك وادبر ان لكني لاكم : - اي من الملائكة ما اراها لكمة وجيعة - وفي لفظ ( لكني لكمة شديدة ) ثم قال : شد عليك ازارك ، فشد رته على ، ثم جعلت احمّل الحجارة على رقبتي ، وازاري على من بين اصحابي ) . وقد وقع مثل هذا عند اصلاح ابن طالب لزمزم ، واخبرني في الصحيح شبيهة بها عند بناء الكعبة مع عمه العباس من حديث جابر (١) .

وعن علي مرفوعاً : ( ما هممت بشيء ما كان اهل الجاهلية يحطون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله عز وجل برسالته ، فاني قد قلت ليلة لغلام من قرين كان يرضعني معي باعلى مكة : لو ابصرت لى غنص حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب . فقال : افعل ، فخرجت اريد ذلك ، حتى اذا جئت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ما هذا ؟ قالوا فلان بن فلان تزوج فلانة بنت فلان ، فجلست انظر اليهم فضرب الله على اني فمنت فما ايقظني الا مس الشمس قال : فجئت صاحبي فقال ما فعلت ؟ قلت ما صنعت شيئاً ثم اخبرته الخبر ، قال : ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك فقال افعل فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة فجلست انظر فضرب الله على اني فوالله ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فاخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله عز وجل برسالته ) قال ابن كثير

(١) البخاري ج ٢ ص ٣١٧ ، والمغازي والسير ٧٨ - البداية ج ٢ ،

ص ٢٧٨ - السيرة الحلبية ج ١ ص ١٩٩ .

هذا غريب جداً . (١)

انها لعناية تامة ، حتى ان الله سلمه مكافئ قرينه من الجن كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الطائفة ، قالوا : وايضاك يا رسول الله قال : وايها ، الا أن الله اعانى عليه فاسلم فلا يا منسى الا بخير " . (٢)

...

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى ج ٢ ص ١٩٦ ، وانار البداية ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ . وانظر فقه السيرة للفضالى ص ٧٢ وقد حكم الالبانى على هذا الحديث بالضعف . وذكر كلا ما يتعلق بدرجته فى الحاشية فراجع ان شئت .

(٢) مسلم ج ٨ ص ١٣٩ - واسلم برفع الميم وفتحها روايتان مشهورتان فملى الرفع اسلم انا من شوه وفتنه وعلى الفتح اسلم القرين من الاسلام وصار مؤمنا لا يا منسى الا بخير . واختار النووى الفتح بدليل ( فلا يا منسى الا بخير ) انظر النووى ج ١٧ ص ١٥٧ .

وهضة النبي صلى الله عليه وسلم - من الشيطان فى جسمه وغطاؤه ولسانه باجماع الامة وقد سبقت الاشارة الى ذلك فى حادثة شق الصدر كما ذكرناه فى الوثنية ( عن عياض ) وهنا نقله النووى عنه أيضا .



- سفره الى الشام :

في الثانية عشرة من عمره صلى الله عليه وسلم اراد عمه ابوطالب السفر بتجارة الى الشام ، فتعلق به صلى الله عليه وسلم ، فرق له فأخذه معه . وفي هذه الرحلة - وهي الاولى - روت لنا كتب التاريخ والسير بعض خوارق وقعت له حين التقى بالراهب ( بحيرا ) (١) ورأى الخمامة وهو تظلل صلى الله عليه وسلم وتدلّت عليه أغصان الشجرة التي استظل تحتها وسجود الحجر والشجر ووجد معالم النبوة في وجهه حين كتفيه .

وسأل أبا طالب ما هذا الغلام منك قال ابني ، قال : ما ينبغي ان يكون ابوه حيا ، قال فانه ابن أخي مات ابوه وأمه به حبلى ، قال صدقت ارجع به الى بلدك واحذر عليه يهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبفننه سرا ، فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم . (٢)

- نقاش حول هذه القصة :

هنا حتى الوطيس بين المتقدمين والمتأخرين من حيث الصحة وعددها . وقد رويت القصة المذكورة في كتب السيرة مطولة كما رواها الترمذى في سننه مطولة ايضا ، وفي بعض الفاظها غرابة . فقد قال نفسه ( حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه ) . قال الفزالي : ( والمحققون على أن هذه الرواية موضوعة . . ) وقد حصل بينه وبين ( ناصر الدين الالباني مناقشة في حاشية فقه السيرة .

(١) بحيرا بضم الباء وفتح الحاء مد ودا على المشهور لكن ضبطه الجوزوري بفتح الباء وكسر الحاء المهبطه ويا ساكنة وفتح الراء والف مقصورة واسمه جرجيس بكسر الجيمين ويقال سرجس وكان هبرا من احبار تيمنا وقيل كان نصرانيا من عبد القيس وقيل انه سمعها تقا قبل الاسلام يهتف : الا ان خيرا هطل الارض ثلاثة بحيرا ورتاب الشنى والثالث المنقظر . كذا في حاشية السيرة لابن هشام ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) السيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ وما بعدهما والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ وسنن الترمذى مع تحفة الاحوذى ج ١ ص ٩٠ - ٩٢ والسير والمغازى لابن اسحق ج ٢ ص ٧٣ - وفقه السيرة للفزالي ص ٦٨ . والمصائص الكبرى للسيوطى ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

فقد حكم الالبانى على هذه القصة بالصحة حيث قال : ( بل هي صحيحة  
فقد اخرجها الترمذى ( ٢١٦ / ٤ ) من حديث ابى موسى الاشقرى .

وقال : ( هذا حديث حسن ) قلت اى الالبانى ؛ ( واسنادة صحيح )  
كما قال الجزرى . قال ( اى الجزرى ) ( وذكر ابى بكر ولال فيه غير محفوظ )  
قلت اى الالبانى ؛ وقد رواه البزار فقال : ( وارسل معه عمه رجلا ) .

وقد تعقبه الفزالى بطرف من كلام المحققين ، منهم الجزرى نفسه  
الذى قرر صحة اسناد الحديث المذكور . . ثم قال : ( وذكر ابى بكر ولال  
فيه غير محفوظ وعده ائمتنا وهما . . وهو كذلك .

فان سن النبى صلى الله عليه وسلم ان ذاك اثنتا عشرة سنة وابوكبير  
اصغر منه بسنتين ، ولال لعله لم يكن ولد فى ذلك الوقت .

وهذا مما يدل على بطلان هذا الحديث كما قال الذهبى فى الميزان .  
ثم ايد ذلك بما قاله صاحب - تحفة الاحوذى من تضعيفه نقلا عن  
الذهبى وما قاله ابن كثير ؛ ( فيه من الغرائب انه من مراسلات الصحابة فان  
ابا موسى انما قدم فى عام خيبر سنة سبع من الهجرة وعلى كل تقدير فهو  
مرسل ) . ثم قال الفزالى ؛ فالحديث معمل (١) طبقا لما قرره العلماء فى  
علم المصطلح .

#### - تمقيب -

من المعلوم ان المتأخر ينقل عن المتقدم وقد وجدت كلام الشيخين  
مستقى من مصدر واحد ؛ هو تحفة الاحوذى ، وانفرد الفزالى بزيادة النقل  
عن ابن كثير كما ذكرت .

ومن الملاحظ ان الالبانى لم يذكر الغرابة التى صرح بها الترمذى نفسه  
بل سكت عنها ولم يذكر ما قاله الجزرى ؛ ( وعده ائمتنا وهما ، وهو كذلك . . )  
اى ذكر ابى بكر ولال فى الحديث غير محفوظ .

ولم يذكر ايضا ما قاله الحافظ ابن حجر فى المصدر نفسه نقلا عن الاصابة  
من ان رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة فيحتمل انها مدرجة فيه منقطعة  
من حديث اخر وهما من احد رواته ولم اجد ذلك فيها . (٢)

( ١ ) الحديث المعمل هو الذى ظاهره السلامة ولكن اطلع فيه بعد التفتيش على  
قادر .

( ٢ ) انظر نغمه السيرة للفزالى مع الحاشية للالبانى ص ٦٨ - ٦٩ وتحفة  
الاحوذى ج ١٠ ص ٩٢ - ٩٣ .

هذا وعند البحث الشديد عن سند هذا الحديث - وان لم يكن مسن  
 اختصاصي - فقد وجدت في سنده عبد الرحمن بن غزوان . قال فيه الذهبي :  
 ( كان يحفظ وله مناكير . . . ومنها حديثه عن ابي موسى الاشعري في سفر  
 النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو راى مع ابي طالب الى الشام ، وقصة  
 بحيرا .

وما يدل على انه باطل قوله ( ورده ابوطالب بعث معه ابوبكر بلالا  
 ولال لم يكن خلق بعد ، وابوبكر كان صبيا ) . (١)

وقال في الزاد : ( . . . فبعثه معه مع بعض غلمانه الى المدينة ووقع  
 في كتاب الترمذي وغيره انه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا  
 ان ذاك لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر ) . (٢)

وقال ابن كثير : ( هو من الثقات الذين اخرج لهم البخاري وثقه  
 جماعة من الائمة والحفاظ ولم ار احدا جرعه ومع هذا في حديثه غرابة . وقال  
 قال عباس الدوري : ليس في الدنيا احد يحدث به غير قراد ابي نوح ( قلت )  
 اي ابن كثير . فيه من الغرائب انه من مراسلات الصحابة . . الخ . ولا يلتفت  
 الى قول ابن اسحق في جعله له من المهاجرة الى الحبشة من مكة . . ولعله  
 تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار الصحابة او كان  
 مشهورا اخذه من طريق الاستفاضة . . (٣) .

ومن الملاحظ ايضا ان مقاله ابن كثير : ( ولا يلتفت الى قول ابن اسحق  
 في جعله لابي موسى راوى هذا الحديث من المهاجرة الى الحبشة من مكة )  
 يجرنا الى البحث في هذه النقطة من جديد .

فقد ذكر ابن عبد البر الخلاف في ذلك عن الواقدي ( أن ابا موسى قدم  
 مكة فحالف سعيد بن العاص في جماعة من الاشعريين ثم اسلم وهاجر السوارض  
 الحبشة وقال ( ذكره ابن اسحق فيمن هاجر من حلفاء بني عبد شمس الى الحبشة  
 وقال :

وقالت طائفة من اهل السير انه بعد ذلك انصرف الى بلاد قومه ولم يهاجر

(١) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٥٨١ تحت رقم ٤٩٣٤ - وانظر للتوسعة : تهذيب

التهذيب ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) انظر زاد المعاد ج ١ ص ٣١ .

(٣) انظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٥ .

الى الحبشة ، ثم قدم مع اخوته فصادف قدومه قدوم السفينتين أرض الحبشة والصحيح ان ابا موسى رجع بعد قدومه مكة ومخالفة من خالف من بنى عبد شمس الى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم مع الاشمريين في سفينة فالتقىهم الريح الى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها فقد استت السفينتان معا على النبي صلى الله عليه وسلم في حين فتح خيبر . لذلك ذكره ابن اسحق فيمن هاجر الى الحبشة . (١)

وقال ابن حجر : ( انه سكن الرطة وحالف سعيد بن العاص ثم اسلم وهاجر الى الحبشة ، وقيل بل رجع الى بلاد قومه ولم يهاجر اليها وهذا قول الاكثر . فان موسى بن عقبة وابن اسحق لم يذكره من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد فتح خيبر ) . (٢)

هذا وقد راجعت سيرة ابن اسحق الاصلية ولم أجد ابا موسى الاشمري من مهاجرة الحبشة مع حذفاء بنى عبد شمس كما قال ابن عبد البر وابن كثير . بل وجدته في السيرة النبوية المشهورة لابن هشام (٣) ولعل هذا من تصرفاته ، فانه هذبها وزاد ونقص كما ذكر محققوها (٤) وعليه يحمل قول ابن عبد البر بدليل ما رواه البخاري ومسلم عن ابي موسى رضى الله عنه قال : ( بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم - ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فالتقنا سفينتين الى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن ابي طالب فاقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي - صلى الله عليه وسلم - حين افتتح خيبر فقال ( لكم انتم يا أهل السفينة هجرتان ) . (٥)

قال الحافظ : ( وقد استشكل ذكر ابي موسى في المهاجرين الى الحبشة فيما رواه احمد باسناد حسن عن ابن مسعود مع هذا الحديث . ثم قال : ويمكن الجمع بان يكون ابو موسى هاجرا واولا الى مكة فاسلم فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع من بعث الى الحبشة فتوجه الى بلاد قومه

- 
- (١) الاستيعاب مع الاصابة ج ٧ ص ٣ - ٥ .  
 (٢) المصدر نفسه الاصابة ج ٦ ص ١٩٤ .  
 (٣) ج ١ ص ٣٢٤ .  
 (٤) راجع مقدمة سيرة ابن هشام ج ١ ص ١١ وما بعد ها .  
 (٥) البخاري ج ٢ ص ٣٢٥ واللفظ له ومسلم ج ٧ ص ١٧١ - ١٧٣ مطولا وسكت عنه النووي .

(٦) اي قوله : والصحيح ان ابا موسى رجع بعد قدومه مكة الى

وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرق ، فلما تحقق استقرار النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالمدينة هاجر هو ومن اسلم من قومه الى المدينة فالتفتهم السفينة لاجل هيجان الريح الى الحبشة فهذا محتمل وفيه جمع بين الاحاديث فليعتمد والله اعلم . وعلى هذا فنقول ابو موسى ( بلقنا من خروج النبي صلى الله عليه وسلم ) الى المدينة وليبر المراد بلقنا معناه . . . . . ويحتمل ان اقامة ابو موسى بارض الحبشة طالت لاجل تاخر جمفر عن الحضور الى المدينة حتى يأتيه الاذن من النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوم . (١)

ولقائل ان يقول : كيف يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة - بمسئد ان اسلم - الى الحبشة مع من بعث ثم يخالف ذلك فيتوجه الى بلاد قومسه بلا سبب يذكر . وذلك لا يليق في صف الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين أما الاحتمال الثاني فهو صريح رواية سلم عن ابو موسى وفيها ( فقال جمفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هاهنا وامرنا بالاقامة فاقبوا معنا فاقمنا معه حتى قدمنا جميعا . . . الحديث ) (٢)

وهذا يحتاج الى بحث مستقل لان الخلاف فيه اعق ما ذكرت بين اصحاب السير والمغازي وبين المحدثين فهو وان كان اصحاب الحديث لهم باعهم الطويل في التمهيد فانهم يروون امثال هذه القصة عن اصحاب السير والمغازي كما هو واضح في مؤلفاتهم منها فتح الباري وغيره .

والذي توصلت اليه ان اصل القصة يكاد ان يكون من المطبق عليها بين الرواة لشهرتها وانما محل النزاع في التفاصيل كارسال ابو بكر بلالا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكهجرة ابو موسى الى الحبشة والحديث رجاله ثقاة ، الا عبد الرحمن بن فزوان ففيه جرح وتعديل كما سبق بيانه وغرابة في تلك اللفظة التي قال عنها الحافظ ( فيحتمل انها مدرجة فيه منقطعة من حديث اخر وهما من أحد رواته ) كذا في تحفة الاحوذى (٣) نقلا عن المواهب اللدنية نقلا عن الاصابة لكني لم اجد ذلك فيها .

(١) انظر فتح الباري ج ٧ ص ١٨٩ .

(٢) سلم ج ٧ ص ١٧٢ .

(٣) ج ١٠ ص ٩٣ - وانظر اسد الغابة ج ٣ ص ٣٦٧ .

لكن اذا رجعنا الى قواعد علوم الحديث نجدها تقضى بانه اذا تعارض الجرح والتعديل في الراوى فالجرح مقدم على التعديل ولو زاد عدد المعدل . وهذا هو الاصح عند الفقهاء والاصوليين ونقله الخطيب عن جمهور العلماء (١) لان مع الجرح زيادة علم لم يطلع عليها المعدل ومن يعلم حجة على من لا يعلم . وقد عقب كثير من المستشرقين على قصة بحيرا بانها خرافية ولا اصل لها بينما البعض الاخر ، اتخذها فرصة بان محمدا تعلم القرآن كله على يد بحيرا في هذا اللقاء القصير . (٢)

أقول على فرض صحة القول الأخير : انه غير معقول البتة ، ان يتلقى غلام - سنه تسع سنين او اثنتا عشرة سنة - القرآن من شيخ لا يعرف لغته - في خلال الجلوس على مائدة الطعام - ما تلقاه في ثلاث وعشرين سنة ، مع ما فيه من الدقة والعمق والنقد والاعجاز وغير ذلك ( لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ) . (٣)

### - حياة الكدح :

عاد محمد - صلى الله عليه وسلم - من تلك الرحلة ليستأنف حياة الكدح مع عمه ابي طالب ان ليس من شأن الرجال القعود عن الاعمال أسوة باسلافهم المسلمين فكانوا يحترفون لياكلوا من كد ايديهم ومن عرق جبينهم ، فكما روى الخنم - صلى الله عليه وسلم - في بنى سعد رعاها على قراريط لاهل مكة . عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ( ما بعث الله نبيا الا رعى الخنم فقال اصحابه : وانت يا رسول الله . فقال نعم : كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة ) . (٤)

فهل هذا تعويد لهم على السياسة العامة ، والرفق بالضعفاء والسهر

على حمايتهم ؟

- 
- (١) تدریب الراوى لجلال الدين السيوطى ج ١ ص ٣٠٩ مطبعة السعدانة بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م .  
 (٢) انظر ظهور الاسلام ص ٥٦ .  
 (٣) النحل : آية ١٠٣ .  
 (٤) البخارى ج ٢ ص ٣٢ . وانظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ١٦٧ بدون ذكر القراريط .

وهل تتقدم المعارف المتصلة بالكون وما وراءه ، والناس وما يفيضون فيسه  
 - في نفوس المرسلين - فجأة دون اعداد سابق او تهيئة حكيمة - كلا - فالانبياء  
 وان لم يتعلموا بالطرق والمناهج التي يتعلم بها امثالنا - لهم من سلامة  
 فكرهم واستقامة نظرهم ما يجعلهم في طليعة الحلما ، انها التعاليم الربانية  
 ( وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ) (١) .

### ما يستفاد من رعيه - صلى الله عليه وسلم - الغنم :

اعلم بأن الله سبحانه - قادر أن يهب لرسوله عليه الصلاة والسلام  
 من أسباب الرفاهية وهو في صدر حياته ما يغنيه عن الكدح وراء العيش .  
 ولكن أبت حكمة الله الا ان تعلمنا ان خير ما اكتسبه الانسان من  
 المال بك يمينه ، وشره ما اصابه وهو مستلق على ظهره .

وأهم من ذلك ان اي صاحب دعوة لن يكون لدعوته اي قيمة اذا كان  
 رزقه عالية عليها ، لذلك ينبغي أن يكون صاحب الدعوة الاسلامية اولى الناس  
 بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي او مورد شريف حتى لا يكسبون  
 لاحد من الناس عليه منة ، ان يعيقه ذلك أن يصدع بالحق لا يخاف نفس  
 الله لومة لائم .

وهذا المعنى وان لم يكن قد خطر ببال الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
 لانه لم يكن يعلم بما سيحصل من أعباء الدعوة (٢) غير ان هذا النهج الذي  
 هياه الله له هو الافضل ولا شك .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا في عدة مواضع منها قوله تعالى على لسان  
 نوح عليه السلام ( ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله ) (٣) وعلى  
 لسان هود عليه السلام ( يا قوم لا أسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني  
 أفلا تعقلون ) (٤) وفي اربعة مواضع من سورة الشعراء (٥) مثل هذه الايات

- 
- (١) النجم : ٢-٣-٤ وانظر فقه السيرة للقرظي ص ٧٠  
 (٢) يشير الى هذا المعنى قوله تعالى : ( وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب  
 الا رحمة من ربك ) القصص : ٨٦ .  
 (٣) هود : ٢٩  
 (٤) هود : ٥١  
 (٥) الشعراء : ١٠٩ - ١٤٥ - ١٦٤ - ١٨٠ .

وعلى لسان نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في عدة مواضع منها قوله تعالى :  
 ( قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ) (١) وقوله تعالى : ( قل لا أسألكم  
 عليه أجرا الا المودة في القربى ) . (٢)

قال ابن كثير : ( اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم  
 على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيهِ ) . وقال الشوكاني : ( قل يا محمد  
 لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جملا ولا نفعا ) . وقال ابن جرير : ( قل  
 يا محمد لا أسألكم ايها القوم على دعائكم الي ما ادعوكم اليه من الحق الذي  
 جئتكم به والنصيحة التي أنصحكم بها ثوابا وجزاء وعوضا من اموالكم تعطونيهِ ) (٣)  
 فعلى رعاة الاسلام ان يعتبروا بذلك ويقتدوا برسول الله - صلى الله عليه  
 عليه وسلم - لينجحوا . والله الموفق .

...

(١) ص ٨٦ .

(٢) الشورى : ٢٣

(٣) انظر تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٢٣ ط . الحادي الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ /

١٩٦٨ م . تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٧٣ - ١٨٧ ، فتح القدير ج ٤ ،

ص ٤٤٦ - ٥٢٤ وغير ذلك من كتب التفسير .



## شهوده صلى الله عليه وسلم حرب الفجار: (١)

شهد النبي صلى الله عليه وسلم الاعمال العامة التي اولها قومه  
اهتمامهم فحاض حرب الفجار مع اعلمه وكانت بين قريش ومن معهم من كنانة  
وبين قيس عيلان من هوازن وقد كانت بالنسبة لقريش دفاعا عن قداسة الاشهر  
الحرم ومكانة ارض الحرم، وهذا من بقايا دين ابراهيم عليه السلام . وكان  
احترامها مصدر نفع كبير لهم لا انتظام مصالحهم وهدوء عداوتهم .

كان الرجل يلقي قاتل أبيه خلالها فيحجزه عن ادراك ثأره شعوره  
بحرمتها وهذا مما أقره الاسلام ( ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا  
في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا  
تالوا فيهن أنفسكم . . . ) (٢) وقد شدد الله الوعيد على مرتكب المعصية  
بل على من هم بها ولم يعطها اي فو حرم الله وأمنه ( ومن يرد فيه بالحصاد  
بظلم نذقه من عذاب أليم ) . (٣)

قال ابن كثير : ( وهذا من خصوصية الحرم انه يعاقب البادي فيه بالشر  
اذا كان جازما عليه وان لم يوقعه ) (٤) وقال الشوكاني بعد ذكر الخلاف في  
هذا الظلم : ( والحاصل ان هذه الاية دللت على ان من كان فو البيت الحرام  
مأخوذا بمجرد الارادة للظلم فهي مخصصة لحديث النفس ومنه حديث ( اذا التقى  
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فو النار - وفيه انه كان حريصا على قتله  
صاحبه ) . (٥)

فما لبث الجاهليون على تلك القداسة حتى ابتلوا بمن استباحها بظلم  
انفسهم فيها .

(١) الفجار بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح  
الموحدة وتشديد الراء المهملة وضاد معجمة وهو الفجار الرابع سمي الفجار  
لما استحل فيه من المحارم ا هـ . حاشية السيرة ابن هشام ج (ص) ١٨٤ .

(٢) التوبة : ٣٦ .

(٣) الحج : ٢٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٠٧ .

(٥) فتح القدير ج ٣ ص ٤٤٧ - والحديث متفق عليه عن ابي بكر رضي الله  
عنه البخاري ج ١ ص ١٥ - ج ٤ ص ١٨٧ . وسلم ج ٨ ص ١٧٠ وقد السلف  
الشوكاني فو هذا رسالة مستقلة كما قال فو المرجع نفسه .

وكان النهي - صلى الله عليه وسلم - أثناءها مع اعمامه ينبل عليهم . وفور رواية لابن سعد : انه صلى الله عليه وسلم قال . . . . وذكر الفجار ( قد حضرته مع عمومتى ورميت فيه باسهم وما أحب انى لم اكن فعلت ) .  
 واخرج ايضا عن حكيم بن حزام قال : ( رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالفجار وقد حضره ) وعند ابن هشام ( كنت أنبل (١) على اعمامى ) وكان عمره صلى الله عليه وسلم ان ذاك عشرين سنة لانه بعد الفيل بعشرين سنة .  
 (٢)

...

- 
- (١) ان ارد عليهم نبل عدوهم اذ ارموهم بها . هامش السيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٦ - تاريخ ابن سعد .  
 (٢) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٨ - السيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٧ . فقه السيرة غزالي ص ٧٤ \* نور اليقين ص ٧ - ٧ - ٩ - ١١

شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول :

لما انصرفت قريش من حرب الفجار في شوال عقدت في ذي القعدة حلف الفضول الذي جاء فيه ( الا يجدوا في مكة مظلوما الا نصره ) . وقيل انه كان في شعبان والفضول في ذي القعدة .

- سببه :

وسببه ان رجلا من زبيد اتى بتجارة فاشتراها العاصي بن وائل السهمي فمطله فعلى الصفا مستغيثا فتداعت قبائل قريش وتواثقوا فيما بينهم على نصر المظلوم حتى ترد عليه مظلمته ايا كان ومهما كان ذلك من خسائر وارواح وسمته قريش حلف الفضول . (١) وكان اكرم حلف واشرفه .

وقد حضره النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال حين بعثه الله تعالى ( لقد شهدت مع عموتي في دار عبد الله بن جدعان (٢) حلفا ما احب ان لى به حمير القسم ولو دعيت به في الاسلام لا جيت ) وفي رواية ابن سعد بزيادة : ( تحالفوا ان يكونوا مع المظلوم ما بل بحر صوفه ) (٣) .

وفي هذا دلالة على ان الحياة مهما اسودت صحائفها وكسحت شرورها فانها لن تخلو من نفوس تهزها معاني النبل وتستجيشها الى النجدة والبر . ومن ثانيا الكلمات النبوية يظهر الفرح لان ذلك من مكارم الاخلاق والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعث ليتم مكارم الاخلاق كما يقول عليه السلام ( انما بعثت لاصالح الاخلاق ) (٤) .

(١) سمي بذلك لانهم تحالفوا على رد الفضول لاهلها وقيل لانه حضره جماعة كل منهم اسمه الفضل بن فلان وقيل غير ذلك كذا في هامش السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) يكنى ابا زهير وهو ابن عم عايشة ام المؤمنين وكان في بدء امره صعلوكا فاتكأ بجني الجنائيات فنفاه ابوه وقومه ثم اثرى بعثوره على شعبان من ذهب وكان من امومه ما كان سئل عنه النبي هل ينفعه كرمه قال : لا لانه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين اه . هامش السيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) المرجع نفسه مع الصفحة .

وانظر البداية ج ٢ ص ٢٩٣ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٩ .

(٤) مسند احمد ج ٢ ص ٣٨١ سن أبي هريرة .

### زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها :

كانت خديجة - رضي الله عنها - امرأة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في تجارتها . فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - صدق الحديث وعظم الامانة و... . ارسلت اليه ليخرج في مالها الى الشام وتعطيه أفضل ماتعطى غيره . وقيل محمد - صلى الله عليه وسلم - فخرج مع غلامها ميسرة الى الشام فباعا وابتاعا ورجعا بريح عظيم .

ثم حدثها ميسرة بما راي من خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت عاقلة ذكية شريفة مشهورة بذلك بين قومها قريش ، مع ما اراد الله من كرامتها - فأعجبت بذلك فارسلت تخطبه لنفسها وكان سنه خمسا وعشرين سنة وسنها نحو الاربعين فخطبها بواسطة عمه ابي طالب وعمه حمزة من عمها عمرو بن اسد وقيل من ابيها والصحيح ان اباها توفي قبل الفجار .

وقد خطب ابوطالب في هذه المناسبة الشريفة خطبته المشهورة ( الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل . . ثم ان ابن اخي محمدا لا يوزن به فتى من قريش شرفا ونبلا وفضلا ، وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وهارية مستردة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وقد بذل لها من الصداق كذا ) . . فكان جواب وليها عمها : هو الفحل الذي لا يقدر أنفه (١) وعلى ذلك تم الامر وكانت تزوجت من قبل بابي هالة وتوفى عنها وله منها ولد اسمه هالة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقها رضي الله عنها ( آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت الولد منها وحرمته من غيرها ) .

وكان يحبها حبا شديدا ويكثر من ذكرها بعد موتها عند عائشة رضي الله عنها فافضبت يوما فقالت خديجة كانها غارت من كثرة ذكرها فقال صلى الله عليه وسلم ( اني قد رزقت حبيبا ) وفي رواية ( ماغرت على امرأة ماغرت على خديجة ) وقد بشرها النبي صلى الله عليه وسلم - ببیت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب فمن ابي هريرة رضي الله عنه قال : ( اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله هذه خديجة قد اتتك معها انا في ادم او طعام او شراب

(١) قدعه كمنعه كاقده وفرسه كبه . قاموس ج ٣ ص ٦٥ .

فانها هي انتك فاقرا عليها السلام من ربهـا - عز وجل - وشهرها بببيت نسي  
الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب ) . . والمراد بالقصب هنا اللؤلؤ  
المجوف .

وكانت اول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت فوالعام  
الذي توفي فيه ابوطالب وسمى عام الحزن فتتابعت على الرسول صلى الله عليه  
وسلم المصائب وكانت وزيرة صدق للاسلام وكان صلى الله عليه وسلم يسكن  
اليها . (١)

- ما يست فاد من زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله عنها :

ان اول ما يدركه الانسان في هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول صلى الله  
عليه وسلم باسباب المتعة الجسدية ومكملاتها . . ولو كان كذلك - كما هو طبيعىة  
الشباب - لطمع من هي اقل منه سنا وانما رغب فيها وفي نبلها بين قومها  
ان كانت تطب بالحفيظة الطاهرة .

وفي هذا ما يلجم افواه اولئك الذين ياكل الحقد افقدتهم على الاسلام  
من مشرئين ومستشرقين وعبيد هم الذين يسرون من ورائهم يتعقون بمسألة  
لا يسمعون الا دعاء ونداء . . فقد ظنوا أنهم يجدون في موضوع زواج النبي صلى  
الله عليه وسلم مطعنا يصاب منه الاسلام وتخيلوا ان في مقدورهم ان يجعلوه عند  
الناس في صورة الرجل الشهوانى الفارق في لذة الجسد . . ومعلوم ان هؤلاء  
هم خصوم الاسلام المحترفون .

أما الاغرار الذين يسرون من ورائهم فاكثرهم يخاصمون الاسلام سماعا  
وتقليدا لا لبحث ولا لفهم يريدون ان يلصقوا به صورة الرجل الشهوانى .  
ولو كان كذلك لما عاش الى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة مثل بيئة  
العرب في جاهليتها بل عاش عفيف النفس . . دون ان ينساق في شىء من

التيارات الفاسدة التي تموج من حوله .

( ١ ) مسلم ج ٧ ص ١٣٢-١٣٤ - الروض الانفء، السيرة النبوية ابن هشام ج ١  
ص ١٨٧ - ١٩٠ ، السير والمغازى ٢٤٣ - ٢٤٤ - نورالبيقين ص ١٢-١٣ .

( ٢ ) نعت الراى بفنمه نعيقا : صاح بفنمه وزجرها اى فهم كالبهايم تسمع  
صوت راعيها ولا تفهمه . انظر المصباح المنير ج ٢ ص ٢٨٣ - تفسير  
الجلالين ص ٢٣ عند تفسير قوله تعالى ( ومثل الذين كفروا كمثل الذى  
ينمق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عن فهم لا يعقلون ) ١٧١ من  
سورة البقرة .

### قدرته عليه الصلاة والسلام على حل المشكلات الطارئة :

انه لا توجد أمة في العالم اكثر مشكلات من العرب ، ان العوامل التي تثير العشا كل كثيرة جدا ، فكلمة قد تثير حربا ، وجرح كرامة قد يؤدي الى ويلات ، وهصبية عارمة ، وجرأة نادرة وقسوة وصلابة وعدم انضباط .

وكل واحدة من هذه تحتاج الى قيادة تتمتع بكفاءة غير عادية .  
وقد استطاع محمد صلى الله عليه وسلم ان يقود هذا الشعب القوي المراس ويحل مشكلاته في يسر . باشر ذلك قبل البعثة ومعهها ، فمنها قبل البعثة حله لمشكلة وضع الحجر الاسود ، لما جدت قريش بنا الكعبة ششارك صلى الله عليه وسلم في ذلك مشاركة فعالة مع عمه العباس ينقلان الحجارة فقال عباس : للنبي صلى الله عليه وسلم - ( اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة فخر الى الارض وطمحت (١) عيناه الى السماء ثم افاق فقال : ازارى ازارى ، فشد عليه ازاره فما رؤى بعد عريانا (٢) .

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود تنافست قريش فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه ، فتوقف العمل واحتدم (٣) النزاع وانحازت كل قبيلة الى زعيمها وتعاهدوا على الموت واستمر ذلك اياما وكادت الحرب ان تنفجر حول الكعبة لولا ان الله سبحانه انطق ابا امية بن المغيرة وكان مناسرا شراف قريش فأشار عليهم بتحكيم اول من يدخل من باب المسجد ، فامثلوا ، وشاء الله ان يكون اول داخل عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هاتفين هذا الامين رضينا ، هذا محمد . .

فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال : هلم الى ثوبا فاتي به فأخذ الحجر بيده فوضعه في الثوب ثم قال : لتأخذ كل قبيلة اوكل رئيس بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا فرفعوه حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده الشريفسة في مكانه ثم بنا عليه فارضاهم حكمه . وكان ذلك في الخامسة والثلاثين من عمره (٤)

(١) اي ارتفعتا طمخ ببصره نحو الشئ \* بفتحيتين طموحا استشرف له . مصباح

ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) البخارى ج ٢ ص ٣١٧ .

(٣) احتدم الشئ \* اي اشتد ومنه احتدمت النار اي اشتد حرها واحتدم النهار

اي اشتد حره . مصباح نفسه .

(٤) انظر مسند الامام احمد ج ٣ ص ٤٢٥ - السير والمفاوى ج ١ ص ١٠٧ - ابن

هشام ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ . فقه السيرة للقرظي ص ٨٣ - ٨٤ - الرسول

ج ١ ص ٢١٨ لسعيد حوى .

ما يستنتج من ذلك :

- ١ - مدى حكمته صلى الله عليه وسلم - في تدبير الامور وسياسة القضايا وقطع الخصومات لاسيما بين اقوام قلما قامت بينهم خصومة ثم نامت قبائل أن تراق فيها الدماء .
- ٢ - مدى سمو منزلته صلى الله عليه وسلم بين رجال قريش على اختلاف طبقاتهم فقد كان يلقب بالصادق الامين وانما عاندوا - حقدا - بعد ان جاءته الرسالة من عند الله فقابلوه بالتكذيب والايذاء .
- ٣ - اثاره الاعجاب في نفوس المحيطين به لفرط ذكائه صلى الله عليه وسلم وقد رته على حل هذه المعضلة التي عجز عن حلها اشرافهم وشيوخهم . وكيف انقادوا لاصفرهم سنا حتى قال قائل ، كما روى المسمودي ( واعجبا لقوم اهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى اصفرهم سنا واقلمهم مالا فجعلوه رئيسا عليهم وحاكما . . اما واللات والعزى ليفوقتهم سبقا . . وليكونن له بعد هذا اليوم شأن عظيم ) .

فمن هو هذا القائل ؟

قيل انه ابليس ظهر في صورة رجل من قريش كان قد مات ، وقيل انه بعض رجال قريش وحكمائهم ممن له فطنة ( ١ )

عاشم وقد تعطل ابليس عدة مرات في صورة شخص معروف منها عند ما اجتمعت قريش في دار الندوة لتبادل الاراء في التخلص من النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته باى وسيلة فحضر ابليس الندوة في صورة شيخ نجدى واستصوب راي ابن جهل القاضى بقتل النبي صلى الله عليه وسلم . ومنها يوم بدر في صورة سراقه ابن مالك .

وقد اشار القران الكريم الى ذلك بقوله تعالى ( وان زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى ما لاترون انى اخاف الله والله شديد العقاب ) ( ٢ ) .

والى دار الندوة اشارة بعض المفسرين عند قوله تعالى ( وان يمكر بكم الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) ( ٣ ) منهم ابن كثير وغيره . ( ٤ )

( ١ ) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٩ ( ٢ ) الانفال : ٢٠  
 ( ٢ ) الانفال : ٤٨  
 ( ٣ ) انظر تفسير الطبرى ج ٩ ص ٢٢٧ - تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٥٨٤ - ٥٨٥ - فتح القدير ج ٢ ص ٣٠٤ .

التحنت (١) في غار حراء :

لما أغذت سن محمد صلى الله عليه وسلم - تصعد نحو الاربعة ، تاقت  
نفسه الى العزلة وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه  
فامست نظرتهم اليهم سخرية سواء كانت من الناحية الفكرية او النفسية لما يرى  
عليه قومه من الضلال المبين .

وفي بعض الفترات من تلك الخلوات كان يرى ويسمع كثيرا من الخوارق  
كتسليم الحجر والشجر عليه ، من ذلك حديث جابر (١) بن سمره رضى الله عنه  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ( انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم  
على قبل أن أبعث انى لاعرفه الآن ) .

كان يتصبد في غار حراء الليالى ذوات العدد يتزود لذلك فاذا نفسه  
يرجع الى خديجة رضى الله عنها ثم يتزود من جديد لخلوة اخرى ليصقل قلبه  
وينقى روجه ويقترب من الحق حتى امسى لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح . (٢)  
قال الندوى : ( وكان يجد في نفسه قلقا غامضا لا يعرف مصدره ولا مصيره  
ولا يخطر بباله لحظة ما الله مكرمه به من الوحي والرسالة ولا يحلم بذلك في يوم من  
الايام ) (٤) وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن  
ظهيراً للمجرمين ) . (٥)

(١) التعبد الليالى ذوات العدد كذا في البخارى ج ١ ص ٦ - مصباح ج ١ ،  
ص ١٤٤ . وحرء جبل معروف باعلى مكة على يسار الذهاب الى منى لسه  
قلعة مشرفة على مكة .

(٢) هو من بنى صعصعه العامرى له ولابيه صحبة امه خالدة بنت ابي وقاص  
اخرج له اصحاب الصحيح جلس مع النبي اكثر من مائة جلسة وصى معه  
اكثر من الف صلاة او مرة نزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفى في ولاية  
بشر بن مروان عليها سنة اربع وسبعين وقيل توفى في ايام المختار سنة ست  
وستين كذا في الاصابة والاستيعاب معا ج ٢ ص ٤٣ - ١١٩ .

(٣) انظر البخارى ج ١ ص ٦ - ٧ من حديث عائشة الطويل - مسلم ج ٧ ص  
٥٨ - ٥٩ الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٩٨ - السيرة النبوية ابيسن

هشام ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ . فقه السيرة - للفضالى - ص ٨٨ - ٨٩ .

(٤) السيرة النبوية ، ندوى ص ٨٠ دار الشروق - جدة .

(٥) القصص : ٨٦ .



فان قيل على اي دين كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء  
قبيل البعثة ؟ فالجواب - والله أعلم - انه كان على دين ابيه ابراهيم ، وقد  
سبقت الاشارة الى أن الحنفاء في الجزيرة العربية كانوا يتعبدون على دين  
ابراهيم عليه السلام وذلك فيما يتعلق بالامور الدينية ، وقيل كان على دين نوح  
وقيل كان على دين موسى ، وقيل على دين عيسى - عليهم السلام - والاوّل هو  
الاشبه (١) . والله أعلم

### - خلاصة حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة :

- ان اربعين سنة من حياة محمد صلى الله عليه وسلم لهي القاعدة التي  
أقيم عليها صرح النبوة الشامخ .
- ١ - فعن أصالة أبيه أخذ أصالة الشخصية في دمه واعصابه ، فكسب على المستوى  
الاجتماعي احتراماً وتقديراً في بيئة كانت تستهجن مجهول الانساب وتحتقر  
الخطاء .
  - ٢ - ومن مرارة اليتيم ووحشة العزلة ، وانقطاع معين العطف والحنان ، الا الرعاية  
الربانية التي احاطته منذ ولادته - قيس الصلابة والاستقلال والقدرة  
على التحمل والارادة النافذة التابعة لارادة الله تعالى والتحدى الذي  
لا تتكسر له قناة ،
  - ٣ - والفقر والحرمان تربي ونما بعيداً عن ترف الفنى وميوعة الدلال وفتح  
عينيه ووعيه تجاه العالم الذي يتجاوز حدود الصحراء من رحلته الاولى  
الى الشام .
  - ٤ - وفي الثانية توسعت وتعمقت معطيات الالوى وزاد عليها ، اذ راكبا اكثر  
لما يحدث في اطراف عالمه العربي من علاقات بين الغالب والمفلوج  
والسيد والمسود . . . . .
  - ٥ - ويصمد أمام اغراء الذهب والفضة في تجارته مع خديجة لا تلحق امانته  
ذرة من غباره .

(١) انظر سيرة ابن كثير ج ١ ص ٣٩١ . وسياقي انه كان على دين ابراهيم عليه السلام  
عند ما عثر ابو طالب على النبي صلى الله عليه وسلم - يصل هو وعائنه في شعاب مكة ص ١٣١ من هذا المجلد .

- ٦ - في حرب الفجار مارس شئون القتال وكأنه يريد له ان يجرب كل شئ<sup>١</sup> وان يينو عبر نشاطاته المتنوعة جميعا شخصية قادرة على التصدي لكـل مشكلة والاسهام الايجابي الفعـال في كل ما من شأنه ان يقيم عدلا او يعين حقا .
- ٧ - شارك في حلف الفضول تجربة السياسة والحكمة .
- ٨ - وفي بناء الكعبة اعرب عن ذكائه الوقاد المثير للاعجاب في حل المشكلات المعوية والمعقدة .
- ٩ - يتزوج فيمارس كبرى التجارب الاجتماعية في حياة الانسان بنجاح .
- ١٠ - اما الجانب الاخلاقي فيتمثل واضحا في انسلاخه الحاسم عن كل ممارسة الجاهليين المعنافية للاخلاق حين كانت تعج الحياة العربية في المدينة والصحراء .
- ١١ - اما الجانب الروحي - الفكري - وهو اشدها ثقلا وخطرا في حياة الانسان فالروايات التي تحدثنا عن عزلته صلى الله عليه وسلم بعيدا عن ضجة مكة حينما بعد حين وعن انقطاعه الى الصحراء وحيدا متاملا مقلبا وجهه في الكون ، فذلك يكفي لالتقاط الاشارة الاخيرة الحاسمة المتممة للصورة التي يجب ان نعرفها عن حياته صلى الله عليه وسلم قبل بعثته . (١)
- أما حياته بعدها فذلك ما سنتحدث عن بعض جوانبها فيما يلي ان شاء الله تعالى وسنبدا بظاهرة الوحي نسأل الله التوفيق .

...

---

(١) مستفاد مما سبق من دراسة في السيرة لحماة الدين خليل ص ٤٧ ، فقه السيرة للفضالي .

## - اثبات الوحي (١) :

ان الوحي هو الفيصل الوحيد بين من يبلغ عن ربه دون زيادة وانقصان  
وبين من يشترع بواسطة رايه لذلك اهتم محترفوا التشكيك بالاسلام بموضوع  
( الوحي ) وذلوا جهدا شاقا ليلبسوا ويخلطوا بينه وبين الالهام وحديث النفس  
بل وحتى الصرع . لعلمهم بان حقيقة الوحي هي منبع يقين المسلمين وايمانهم  
بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من عند الله .

فلئن اتيح لهم تشكيكهم امكتهم التمهيد للفكرة ان ما جاء به من الهادي  
والاحكام ليس الا من تفكيره الذاتي (٢) ، وكذبوا وصدق الله عز وجل القائل  
( وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى ) (٣) .

وقال : صلى الله عليه وسلم - ( ما من الانبياء نبي الا قد اعطى من  
الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي  
فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ) . (٤)

ان النبيين عليهم الصلاة والسلام كانت معجزاتهم شاهدة على صدق  
الوحي الذي انزل اليهم ولفوه . اما الرسول صلى الله عليه وسلم فمعجزته كانت  
في نفس الوحي ، فالوحي نفسه فيه دليل على انه من عند الله - عز وجل -  
ان هو ذاته المعجزة ولذلك عند ما كان المشركون يطلبون اية كانوا يلفتون  
الى أن الاية بين ايديهم ( وقالوا لولا أنزل علينا آيات من ربنا لآيات عند  
الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فسى  
ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) (٥) .

- 
- ( ١ ) الوحي لغة الاعلام في خفاء ، والوحي الكتابة ، والمكتوب ، والبحث ،  
والالهام ، والامر ، والايماء ، والاشارة والتصويت شيئا بعد شيء . . .  
وشرعا الاعلام بالشرع . وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منسبه  
الى الموحى وهو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " فتح الباري  
ج ١ ص ٩ - وهذا هو المراد هنا . وانظر الوحي للمحمدى ص ٤٣ - ٤٥ .  
( ٢ ) انظر فقه السيرة للبطوني ص ٨٠ وما بعدها .  
( ٣ ) النجم : آية ٣ - ٤ - ٥ .  
( ٤ ) متفق عليه : البخارى ج ٤ ص ٢٥٦ - مسلم ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ . واللفظ  
لمسلم - مسند احمد ج ٢ ص ٣٤١ - ٤٥١ عن ابن هريرة .  
( ٥ ) المنكوت آية ٥٠ - ٥١ .

عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها انها قالت : ( اول ما بدت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حيب اليه الخلاء وكان يخلوا بغمار حراء فيتحنث فيه - وهو التمسيد الليالي ذوات العدد - قبل ان ينزع (١) السي أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الطمك فقال له اقرأ . قال ما انا بقارىء (٢) قال : فأخذنسى ففطنى (٣) حتى بلغ من الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ . قلت ما انا بقارىء فأخذنى ففطنى الثانية حتى بلغ من الجهد (٤) ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارىء فأخذنى ففطنى الثالثة ثم ارسلنى فقال : ( اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم ) .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضی الله عنها فقال : زملونى زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة : كلا (٥) والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (٦) وتكسب المعدوم (٧) ، وتحقرى الضيف ، وتعيى على نوائب الحق (٨) . فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالمبرانية ماشاء الله ان يكتب . وكان شيخا كبيرا قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن اخيك . فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال

- 
- ( ١ ) ينزع - يرجع وزناه معنى اهـ . فتح ج ١ ص ٢٣  
( ٢ ) اى تستفسرا وضعفوه باد خال الباء على الخبر وقيل معناه لا احسن القراءة  
نووى ج ٢ ص ١٩٩ .  
( ٣ ) عصرتى وضمنى وحنقتى بمعنى .  
( ٤ ) الغاية والمشقة .  
( ٥ ) نفى واهتمام  
( ٦ ) من الكلال وهو الاعياء  
( ٧ ) اى تعطيه المال تبرعا .  
( ٨ ) النوائب الحوادث .

له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى . ياليتنى فيها جذعا ،  
ليتنى أكون حيا ان يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
اومخرجى هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى  
يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي ، وفترة الوحي ( ٢ )

وفى هذا دليل على ان اول ما نزل من القرآن مطلع سورة العلق والقول  
بأنه ( يا ايها المدثر ) ضعيف بل ليس بشئ ، قاله النووى ( ٣ )  
قلت : ويمكن الجمع بين القولين بانه صلى الله عليه وسلم نبوء باقرا  
وارسل بالمدثر كما قال محمد بن عبد الوهاب وهذا الذى اميل اليه ، لان مطلع  
سورة العلق ليس فيه تكليف بالدعوة وانما الامر بالقراءة بخلاف ( يا أيها  
المدثر ) ففيها الامر بالتبليغ ( قم فأندر . . . . . ) والله اعلم . ثم فترة الوحي  
بعد ذلك .

### - فترة الوحي :

ثم فترة الوحي عنه صلى الله عليه وسلم - مدة اختلف العلماء فى  
تحديد ها ( ٤ ) فشق ذلك عليه واهزنه حتى كان ان يلقي نفسه من رؤس الجبال  
كما قال البخارى ( وفترة الوحي حتى هزن صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا حزنا  
غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهدق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقي  
منه نفسه تبدي له جبريل فقال يا محمد : انك رسول الله حقا . فيسكن لذلك  
جأشه وتقر نفسه فيرجع . فاذا طال عليه فترة الوحي فدا لمثل ذلك ، فاذا اوفى  
بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك ) . ( ٥ )

قال الحافظ . . ثم ان القائل فيما بلغنا هو الزهرى ومعنى الكلام ان قسي  
جملة ما وصل اليها من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة . . . . .  
وهو من بلاغات الزهرى وليس موصولا ) وقد اطال الكلام حول هذا فى الفتح ( ٦ )

( ١ ) الناموس صاحب سر الرجل ، وقيل جبريل وهو المراد هنا هكذا فى المرجع

نفسه لثوري ، ٢٠٣ . فتح البارقي برا ص ٢٦

( ٢ ) البخارى ج ١ ص ٦ - ٧ مسلم ج ١ ص ٩٧ واللفظ للبخارى .

( ٣ ) انظر شرح مسلم ج ٢ ص ١٩٩ .

( ٤ ) قيل ثلاث سنين وقيل ستة اشهر وقيل غير ذلك انظر التفاصيل فى الفتح

ج ١ ص ٢٧ .

( ٥ ) البخارى ج ٤ ص ٢٠٨

( ٦ ) فتح البارى ج ١٢ ص ٣٥٩ وقال ايضا : ( واخرجه احمد ومسلم والاسماعيلى

وابن عجميد ونها .

وقال ابوشهبه : ( وهذه الرواية ليست على شرط الصحيح لانها مسن  
البلاغات وهي من قبيل المنقطع وهو من انواع الضعيف والبخارى لا يخرج  
الا الاحاديث المتصلة برواية المدول .

ولعله ذكرها لينبهنا الى مخالفتها لما صح عنده في حديثه الوحي الذي  
لم تذكر فيه هذا الزيادة ، وليس ادل على ضعفها وتهافتها من ان جبرييل  
كان يقول للنبي كلما اوفى بذروة جهل ( يا محمد انت رسول الله حقا ) وانسه  
كرر ذلك مرارا ( ٠٠٠ ) (١)

### - أنواع الوحي :

كان الوحي الذي ياتيه صلى الله عليه وسلم انواعا :

- ١ - الرؤيا كما سبق في حديث عائشة رضي الله عنها ومنه قوله تعالى ( انى  
ارى فى المنام انى انبىحك ) (٢) .
- ٢ - ما كان يلقيه الملك فى روعه (٣) من غير ان يراه . ومنه قوله صلى الله  
عليه وسلم ( ان روح القدس نفث فى روعى انه لن تموت نفس حتى تستكمل  
رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ) . (٤)
- ٣ - كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه وكان احيانا يراه الصحابه كدحية  
الكلبى . (٥)
- ٤ - كان ياتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشد عليه حتى ان جبينه ليتفصد  
عرقا فى اليوم الشديد البرد (٦) وحتى ان راحلته لتبرك به الى الارض . (٧)

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٩ .

(٢) الصافات : ١٠٢ .

(٣) روعه بالضم قلبه وخاطره . مصباح ج ١ ص ٢٦٤ .

(٤) اخرجه الحاكم والطبرانى وابونعيم والبزار والهيثمى فى مجمع الزوائد وحزم

ابن القيم فى الزاد بنسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم كذا فى تخريج

احاديث فقه السيرة ص ٩٦ - وقال الالبانى حديث صحيح .

(٥) البخارى ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٦) البخارى ج ١ ص ٦ .

(٧) احمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وهو من حديث

عائشة وله شاهدان وانظر تخريج فقه السيرة ص ٩٥ .

وجاءه مرة وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكانت ان ترض (١)

٥ - كان ياتيه الطك في الصورة التي خلق عليها فيوحى اليه ماشاء الله وهذا وقع مرتين . (٢)

٦ - ما اوحاه الله اليه فوق السموات عند سدرة المنتهى ليلة المعراج من فرض الصلوات وغيرها . (٣)

قد يقال لم كانت بمعنى اوائل الوحي بهذه المثابة من الشدة ولمسافدا لم يبدأ نزول القرآن الهاما ؟ لانه ابعد عن دواعي الفزع والاعيا . فالجواب ان نزول القران اتخذ هذه الطريقة اول الامر ونزل الطك بسبه في هذا المظهر قطعا لكل شبهة في أنه كلام الله وان محمدا حمله تحميلا بعد ان اصطفى له واختص .

فليس هو افتعال عابد منقطع تخيل فخال ، ولا صناعة فيلسوف ماهر يجيهد سوق الادلة وتنميق المقال انما هو كلام الاهد الحق الكبير المتمسك ، ( ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ) (٤) ( ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ) ولقد رد عليهم الرد الواضح الذي لا يحتاج الى جدل ( لسان الذي يلحدون اليه اعجى وهذا لسان عربي مبين ) (٥) . فعلمهم باعجمية هذا البشر ، وعربية هذا القرآن كان ينبغى ان ينصهم عن مثل تلك المقالة .

١ - ومعلوم ان قريشا افصح العرب على الاطلاق وابلغهم واقد رهم على الكلام نظما ونثرا ، وقد عجزوا عن الاتيان بمثله او بسورة منه بل عجز الجن والانس عن ذلك .

٢ - ان الكافرين مؤمنون بان هذا القران لا يمكن ان يكون على هذه الحالة الا اذا كان محمد - صلى الله عليه وسلم - قد تعلم اعظم ما يكون المسلم وتصورهم هذا هو الذي يجعلهم يستبعدون معنى الوحي .

(١) البخاري ج ١ ص ٧٧ - مسند احمد ج ١ ص ٣٧٥ سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٣٩١ - النسائي مع زهر الربيع للسيوطي ج ٦ ص ٩ ط الحلبي .  
(٢) البخاري ج ٣ ص ١٩٣ - ١٩٤ - مسلم ج ١ ص ١٠٩ مسند احمد ج ٦ ص ٢٤١  
(٣) انظر البخاري ج ٤ ص ٣٠٠ - ٣٠١ - سلم ج ١ ص ٩٩ - ١٠١ - مختصر السيرة محمد بن عبد الوهاب ص ٥٣ . السيرة النبوية ابوشهبة ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٧ - الوحي المحمدي ص ٤٣ - ٤٥ محمد رشيد رضا - المكتب الاسلامي ط . الثامنة .

(٤) النجم : ٤ - ٥ .

(٥) النحل : ١٠٣ .

- ٣ - وكونه لم يثبت التاريخ انه تلقى علما من احد ، فليس امامهم الا نسبة القرآن الى الوحي ، فان مكثم يكن بها اهل كتاب الا ورقة بن نوفل وجبر الحداد ، ولم يتعلم على احد منهما .
- ٤ - كيف يتعلم ذلك العربي الفصيح من غلام سوق الكن ، يتعلم القرآن المعجزة الخالدة ، فذلك يستلزم ان يكون المعلم فائقا على المتعلم فكيف يكون الاعرج متفوقا على العربي ، لان القران نزل بلغة العرب وليس هناك اى نص تاريخى يشير الى ذلك .
- ٥ - وهم معترفون أن القرآن عربى وان محمد اعربى وانما ينكرون عموم رسالته صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - ان النبوة قائمة على الصدق ولو راى الاتباع وهم يخالطونه - ليل نهار - ذرة شبيهة لانكروا وبنوا والصحابة كانوا اعرف الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم صبيا وشابا وكهلا ، ولو كانوا يعرفون غير هذا لرأوا فى ذلك مدخلا يشكون فيه . فاذا ماتاكدت شهادة التاريخ والواقع وانتفى امكانية التعلم البشرى لم يبق الا انه الوحي مصدرها سماويا لاعظم اثر فى تاريخ البشرية .
- وقد شهد بعض المستشرقين المنصفين الذين درسوا القران الكريم بقصد الطعن فيه لحساب دولهم المستعمرة ، لكن المنصفين لم يلبثوا ان فارقوا بينهم ودخلوا فى دين الله بعد ان عرفوا انه الدين الحق وهذا بعض ما قالوه فى القرآن :
- قال المستشرق ( سيل ) ان اسلوب القرآن جميل ، وفياض ، ومن العجب انه يأسر باسלוه ان هان المسيحيين فيجذبهم الى تلاوته سوا فى ذلك الذين آمنوا به ام الذين لم يؤمنوا به وعارضوه .
- وقال ( هرشفلد ) : ( ليس للقرآن شيل فى قوة اقناعه وبلاغته وتركيبه واليه يرجع الفضل فى ازدهار العلوم بكافة نواحيها فى العالم الاسلامى ) .
- وقال الدكتور ( موريس ) الفرنسى : ( ان القرآن افضل كتاب اخرجته العناية الالهية لبني البشر وانه كتاب لا ريب فيه ) .



وقال المستشرق ( ليون ) : ( حسب القرآن جلالة ومجدا ان الاربعه عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع ان تخفف ولو بعض شئ \* من اسلمه الذي لا يزال فضا كأن عهدہ بالوجود اس (١) .

### - ظاهرة الوحي :

هذا الحادث يعد ضخما الى غير حد ، ضخم بحقيقته ، بدلالته باثاره في حياة البشرية جميعا ، وهذه اللحظة التي تم فيها هذا الحادث تعد بغير مبالغة - اعظم لحظة مرت بهذه الارض في تاريخها الطويل فما حقيقة هذا الحادث ؟

١- حقيقته أن الله جل جلاله في اسمائه وصفاته قد تكرم في عليائه على هذه الخليقة المسماة بالانسان وكرمها باختيار واحد منها ليكون ملقق نوره الالهي وستودع حكمته ومهبط كلماته وتنفيذ قدره الذي يريدہ - سبحانه - بهـئذہ الخليفة .

هذه حقيقة كبيرة الى غير حد تتكشف جوانب من عظمتها حين يتصور الانسان عظمة الالهية المطلقة الازلية الباقية ويتصور في ظلها حقيقة العبودية الحادثة الفانية ثم يستشعر وقع هذه العناية الربانية بهذا المخلوق الانساني ويتذوق حلاوة هذا الشعور ويتلقاه بالخشوع والشكر والفرح والابتهاال وهو يتصور كلمات الله تتجاوب بها جنبات الوجود كله منزلة لهذا الانسان في ذلك الركن المنزوي في ارکان الوجود الضئيلة .

وما دلالة هذا الحادث ؟

٢- دلالة في جانب الله - سبحانه - انه ذو الفضل الواسع والرحمة السابغة الكريم الودود المنان يفيض من عطائه على خلقه بغير حساب .

٣- ودلالته في جانب الانسان ان الله - سبحانه - قد اكرمه كرامة لا يكاد يتصورها ولا يملك ان يشكرها وان هذه وحدها لا ينهض لها شكره ولو قضى عمره راكعا ساجدا ( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (٢) ) .

(١) انظر التفاصيل في روح المعاني ج ١٤ ص ٢٣٤ للالوسي ط . بيروت .  
- الرسول - ج ٢ ص ١٢ - ١٣ - الفتوحات الالهية ج ٢ ص ٥٩٩ - توحيد الخالق ج ١ ص ٧٠/٦٩ من القسم الاول الوحي المحمدي ص ٣٤ وما بعدها  
فقه السيرة ، الفزالي ص ٩٦ .  
(٢) ابراهيم : ٣٤ .

وأما آثاره في حياة البشرية كلها ، فقد بدأت منذ اللحظة الأولى في تحويل مجرى التاريخ منذ ان بدأت في تحويل خط الضمير الانساني منذ ان تحددت الجهة التي يتطلع اليها الانسان ويتلقي عنها تصورات وقيمه وموازينه .

انها ليست الارض . . وليس الهواء . . ، انما هو الوحي الالهي .  
 انها فترة عجيبة لا يتصور حقيقتها الا الذين عاشوها وشهدوا بدورها ونهايتها وذاقوا حلاوة اتصالها ورأوا من أين بدأ والى أين انتهوا .  
 انها مسافة هائلة لا تعد لها مسافة في الكون الظاهر مسافة بين التلقين من الارض والتلقين من السماء ، بين الاستمداد من الهوى والاستمداد من الوحي بين الجاهلية والاسلام . . بين البشرية والربانية وهي ابعد مما بين السماء والارض في عالم الاجرام . (١)

#### - صورة مصفرة للعالم حال البعث :

بعث محمد صلى الله عليه وسلم - والعالم بناء اصيب بزلزال شديد ، همزه هذا عنيفا فاذا كل شيء في غير محله فن اساسه ومناخه منه ما تكسر ومنه ما التوى ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكانا اخر ومنه ما تكس وتكوم .  
 نظر الى العالم بعين الانبياء فرأى انسانا قد هانت عليه انسانيته يسجد للحجر والشجر وكل ما لا يطك لنفسه نفعا ولا ضرا .  
 رأى انسانا معكوسا قد فسد تعقله فلم تعد تستسيغ الهدى بهيميات وتمقل الجليات وقد فسد نظام فكره فاذا النظرى عنده بديهي والمكس يستريب في موضع الجزم ، ويؤ من في موضع الشك ، وفسد ذوقه فصار يستحلى الشر ويستطيب الخبيث ويستمرى الوخيم وظل حسه فاصبح لا يهتف المسد والظالم ولا يحب الصديق الناصح .

رأى مجتمعا هو الصورة المصفرة للعالم ، كل شيء فيه في غير شكله اوفى غير محله ، قد اصبح فيه الذئب راعيا ، والخصم الجائر قاضيا ، والمجرم سميدا حظيا والمالح محروما شقيا ، لا أنكر في هذا المجتمع من المفسرف ، ولا اعرف من المنكر ،

رأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية وتسوقها الى هوة الهلاك .  
 رأى طوكا اتخذوا بلاد الله دولا وعباد الله خولا ، وأحبارا ورهباننا  
 اصبحوا اربابا من دون الله يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل  
 الله .

رأى الامم قطعانا من الفخم ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج حبله  
 على غاربه ، والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه واولاده واخوانه . (١)

وهذه الادواء في المجتمع الانساني بل كل ناحية منها يستحق اهتمام  
 اي رجل من المصلحين ، ويشغل باله ، واصلاح ذلك يتطلب حياة كاملة  
 ويستغرق عمرا طويلا بطوله ، لأن نفسية الانسان كثيرة المنافذ اذا زاغت  
 لا يؤثر فيها الاصلاح حتى تقطع مادة الشر من جذورها وتفرض مكانها حسب  
 الخير والفضيلة ومخافة الله - عز وجل - عن طريق الاقناع بالبراهين العقلية  
 والكونية والتاريخية والوجدانية ، لان النفس اذا ارغمت على تغيير ناحية  
 من اتجاهاتها بدون هذا المنهج تسلت الي غيرها او عن طريق تغيير الاسماء  
 والصفات ، وذلك ما نهجه محمد صلى الله عليه وسلم ، بتوجيه من الله عز وجل  
 وجل .

وذلك هو موضوع دراستنا لمنهج الدعوة في عهدنا المكي .

...

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوى ص ٧٨ - ٧٩ .

( الفصل الثاني )

منهج الدعوة من الناحية العقلية والروحية

وفيه ثلاث مباحث :

- أ - الاستدلالات الكونية .
- ب - الاستدلالات التاريخية .
- ج - منهج الدعوة من الناحية الروحية .

.....

## المبحث الاول

### الاستدلالات الكونية

اعلم ان منهج القرآن الكريم يخاطب - في قضية الالهوية - مجموع الانسان كله لا عقله وحده ولا وجدانه وحده ، ويخاطبه في جميع حالاته حي الوجدان ، ومبتدئ الحس ، منفتح البصيرة ومغلقها ، مستثارا وهادئا ، متطلعا وخائفا ، ضاحكا وماكيا ، مستقيما على امر الله وجانحا عن السبيل .

كما أنه - وهو يخاطبه - يحيط به من كل جانب ، ويدخل من كل اقطار نفسه من صفحة الكون المعروضة امامه من الاحداث الجارية حوله ، من نفسه وما يجسرى فيها من مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة ، مما تدركه الحواس ومما لا تدركه . كما يواجهه بحقيقة نفسه عاجزا ضعيفا مقرا بعجزه في ساعة الكرب ملتجئا الى الله ساعة الشدة ، مستكبرا طاغيا حين تنتهي وتر ، ويظن انه استغنى عن الله .

وبهذه المواجهة الدائمة الشاملة المحيطة يظل بالقلب البشرى حتى يتفتح لحقيقة الالهوية ثم يؤمن بها ، ثم يستقر الايمان في القلب ثم يستقيم على الايمان .

هنالك اوتار (١) في القلب البشرى ، أعدها الله - سبحانه - لتتلقى ايقاعات (٢) معينة ، فتتهتز فاذا اهتزت انطلقت الفطرة تبحث عن الله ، وقد تهتدي في بحثها ، وقد تضل ولكنها في كل حال تتطلق اذا اهتزت الاوتار ، والا يقاتع التي تهزها لا تتقطع في ليل او نهار فالكون اعظم ايقاع يوقع على اوتار القلب البشرى .

الكون بضخامته الهائلة التي لا تصل الى مداها العيون بل لا تصل الى مداها الافكار ، ضخامة لا يمكن ان ينبجوا من وقعها الحس ولو اراد ان ينقلبت ، ولو كابر امام الناس ، ويهتز وتر في القلب على هذه الضخامة الهائلة فتتطلق

(١) اي عروق كما في القاموس ، والوتر شرعة القوس ومعلقها جمعه اوتار وترها

علق عليها وترها . قاموس ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢) وقع الشيء على الارض وقوعا واقعته ايقاعا وحا فر موقع وقعته الحجارة .

اساس البلاغة للزمخشري ص ١٠٣٦

الفطرة تبحث من وراء هذه المعجزة من الخالق ؟ . .  
 ثم تهتدي ، فتعرف الخالق ، او تضل فتسميه الطبيعة او تسميه  
 كائناً من كان . . ومع الضخامة الهائلة دقة معجزة كذلك .  
 هذا الكون الضخم لا يتحرك خيط عشواء ، انه يسير في حركة دقيقة تبلغ  
 حد الاعجاز . هذه الملايين بل ملايين الملايين من النجوم في الكون لا يلتقي  
 اثنتان منها في هذا الكون العريض ولا يقع بينهما صدام الا ان يشاء الله .  
 تلك أوتار فطرية ، اودعها الله في القلب البشري لتهتز . بما تتلقى  
 من ايقاعات (١) ، فتتعلق تبحث عن الله - انها - كما نستطيع ان نقول - موحيات  
 العقيدة في القلب البشري ، والقرآن وهو يعرف الناس بالله ، يوقع على  
 ذات الاوتار المودعة في الفطرة ليهزها فتستيقظ ويحركها فتفعل ، وفي  
 لحظة انفعالها يقول لها انه الله . . ثم يقول لها : ( ذلكم الله ربكم  
 لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ) . (٢)

فلو وقف الانسان لحظة واحدة يرقب ما خلق الله في السموات والارض ،  
 ويستعرض هذا الحشد الذي لا يحصى من الاجناس والانواع والهيئات والاحوال  
 والامراض والاشكال . . لو وقف لحظة واحدة لملاً وطابه (٣) بما يغنيه حياته  
 كلها . ويشغله بالتدبر والتفكير والتأثر ما عاش . (٤)

( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لا ولي  
 الا للباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق  
 السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعذاب النار . ربنا  
 انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار . ربنا اننا سمعنا  
 مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا  
 سيئاتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم  
 القيامة انك لاتخلف الميعاد . فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر  
 أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم ووفوا في سبيل

(١) سبق بعض معاني الايقاع ومنه سكين وقبح وموقع : حديد ووقعه القيسن  
 بالميقمة واستوقع السيف ان له ان يشهد . كذا في اسرار البلاغة ص ١٠٣٦

(٢) الانعام : ١٠٢

(٣) الوطاب جمع وطب : سقاء اللبن من جلد الجذع فما فوقه . قاموس ج ١ ص

(٤) انظر دراسات قرآنية ص ٣٣ - ٣٤ وانظر الظلال ج ١ ص ١٧٦٦-١٧٦٧

وقاطلوا وقتلوا لا كفرون عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب م. (١)

ان هذا الدرس لمن أعمق الدروس ، انه يحمل خطأ أصيلا من خطوط الاسلام ، ويمرزه ابرازا ، ان الاسلام لا يكتفى من المؤمنين بالتفكير والتدبير والتذكر ، ولا يكتفى منهم بالشاعر الايمانية المستكة داخل القلب ، انما ينبغى ان يتحول هذا كله الى سلوك عملي واقصي ، انه يبدأ بهذا التقرير ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ) وهذا متصل بالاية السابقة ( ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير ) (٢) ، التي تختم الحديث عن اهل الكتاب وما ينتظرهم من عذاب أليم . وتكون في ذات الوقت وصلة في السياق تصل الى اولى الالباب ، وموقفهم ممن هذا الطك الهائل الذي هو ملك الله . وهكذا يكون عن ملك الله الواسع وقدرته التي لاتحد نذيرا للكفار بانهم لن يستطيعوا الخروج من ملكه ومن محيط قدرته ولا النجاة من عذابه .

وشيرا للمؤمنين بأنهم في رحمة الله التي وسعت السموات والارض ، وفي رحمة التي تدخلهم الجنة بانهم . وخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتلك الايات الكونية كلها ذات وقع عميق على الحس البشري لا يمكن ان ينجو منه .

ولكن فريقا من البشر يرين على قلوبهم ما يكسبون فتنطس بصائرهم فلا يعمدون يلتفتون لتوقيعات (٣) الكون على قلوبهم ولا يتيقظون لدلالاتها الهائلة دلالتها على وحدانية الله وقدرته .

(١) ال عمران : ١٩٠ - ١٩٥ .

(٢) ال عمران : ١٨٩ .

(٣) التوقيع ما يوقع في الكتاب يقال السرور توقيع جازين . ومن قريب لا تباعد مكانك تريد ان توقعه على شئ واقبال الصقيل على السيف بهيئته يحدنه . ووقعت الحجارة الحافر قطعت سنايكه تقطيعا واذا اصاب الارض مطر متفرقا او خطأ فذلك توقيع في نبتها ، والسيف اتى له الشاهد . اهـ . قاموس ج ٣ ص ٩٦ - ٩٧ .

أما أولوا الألباب فانهم لا يوصدون قلوبهم دون توقيعات الكون ، فهم عباد ربانيون لا يفترون عن ذكر الله في جميع احوالهم واعمالهم ، قلوبهم متصلة بالله ترجوا رحمته وتخاف عذابه .

ومن خلال تفكيرهم يهتدون الى الحقيقة الكبرى ان الله خلق السموات والارض بالحق ، يهتدون الى ذلك بنور الايمان والا فالعقل وحده عرضة لان يضل وكما ضلت عقول وهى تتفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار فقالت انه عيث لا حكمة فيه ، ولا غاية وراءه . . . انظر الوجوديين مثلا . . . لانهم يتفكرون وهم محرومون من نور الايمان الذى يبين الطريق للعقل فيبهتدى الى الحكمة والغاية .

( وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ) (١)

ان اولى الألباب يهتدون الى ان الله لم يخلق هذا باطلا فيسبحون الله ، وان يعلمون ان الكون خلق بالحق فهم يدركون انه لا يمكن ان تكون الحياة الدنيا نهاية المطاف والا فهو العبث الذى يتنزه عنه الخالق - سبحانه - .

اذن فلا بد ان تكون هناك رجى الى الله ، وأن يكون حساب على ماتم في الحياة الدنيا من أعمال ، أنحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون (٦) وان عرفوا ان هناك رجى وثوابا وعقابا ، فهم يسارعون الى الاستغاثة من العذاب ( فقنا عذاب النار ) ثم يسترسلون في التوسل الى الله ان يجيرهم من هذه النار . وكأنما يقدمون بين يدي مولا هم المؤهلات التى تؤهلهم لدخول الجنة والبعد عن النار ، ( ربنا اننا سمعنا ناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنوا . . . ) الايات . . . الى ان ينتهى ذلك الدعاء الحسار ، الذى لا شك في صدوره عن قلوب مؤمنة صادقة الايمان تفكرت وتذكرت وتدبرت فهداها التدبر الى ما اهتدت اليه من الحق فتوجهت الى الله بمشاعر ايمانية صادقة وتوسل حار الى الله سبحانه ( فاستجاب لهم ربهم ) نعم . . . ولكن متى استجاب سبحانه . . . ؟

( ١ ) سورة ص : اية ٢٧ .

( ٢ ) سورة المؤمنون : آية ١١٥ .



هل استجاب للتفكر ، وهو تفكر ، وللتدبر وهو تدبر ، وللتذكر وهو  
تذكر ، وللدعاء الحار وهو دعاء ٢٢  
انه استجاب لهم سبحانه ، بأنه لا يضيع عمل عامل منهم ، ومعنى ذلك  
ان ذلك التفكير والتذكر والتدبر وتلك المشاعر الايمانية - رغم صدقها الذي  
لا شك فيه سينبغى ان تتحول كلها الى عمل ، وعندئذ يستجيب الله  
- سبحانه - لذلك الدعاء .

يضرب مثلا من العمل المطلوب ( فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم  
وأوذوا في سبيلى وقتلوا وقتلوا لأكفرون عنهم سيئاتهم ولا دخلنهم جنات تجري  
من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ) ان الاسلام  
لا يعرف التفكير من اجل التفكير ولا التدبر من اجل التدبر ، ولا المشاعر فسق  
صورتها الوجدانية الخالصة ، ولو كانت هي مشاعر الايمان .

انما ينبغى أن يتحول ذلك كله الى عمل وجهاد في سبيل الله . (١)  
ومن رجع الى القرآن الكريم يجد ذكر العقل في عدد كبير ، تارة بالتصريح  
وذلك ما يقارب خمسين موضعا وتارة يذكر ( اولى الالباب ) كذلك ( اولى  
النهى ) لكنها مرة واحدة في سورة طه .  
واكثر ما ورد ذكر العقل في القرآن الكريم في الكلام على آيات الله الكونية  
الدالة على علم الله وقدرته وحكمته و ارادته وتصرفه وعظيم تدبيره .

وكون المخاطبين بها ، والذين يفهمونها ويهتدون بها هم العقلاء ،  
من ذلك قوله تعالى : ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار  
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس . . الى قوله تعالى (لقوم يعقلون ) (٢)  
وفي تفصيل الوصايا الجامعة في سورة الانعام ( ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ) (٣)  
وكرر قوله تعالى : ( افلا تعقلون ) في عدة مواضع من القرآن كما مره لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم ان يحتج على قومه بكون القرآن من عند الله بقوله  
تعالى : ( فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ) (٤)  
وجعل اهمال استعمال العقل سبب عذاب الاخرة بقوله تعالى في اهل  
النار : ( وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) (٥) .

( ١ ) مقتطفات من دراسات قرآنية ص ٣٩٨ - ٤٠٣ وانظر الظلال ص ٥٤٣ - ٥٤٩ .  
( ٢ ) البقرة : ١٦٤  
( ٣ ) الانعام : ١٥١ .  
( ٤ ) يونس : ١٦ .  
( ٥ ) الطك : ١٠ .

وقد هطمهم الى درجة الحيوانات التي لا يهمنها في حياتها الا الأكل والشراب والضراب ، بل أخط منها : بقوله تعالى : ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بهـ <sup>(١)</sup> ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون )

وقال تعالى : ( افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ) (٦) .

والغافلون عن التفكير في هدف وجودهم ، وفي مصيرهم ، لا تزكوا نفوسهم ولا تصعد الى الكمال ( اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى ) (٣) لانهم لو تفكروا لرجعوا عن الغفلة واستطاعوا الاجابة عن الاسئلة المطوء بها الكون . لذلك يرفع القرآن من شان العقلاء المفكرين بقوله : ( ان في خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض . . . ) (٤) ومقوله ( انما يتذكر اولوا الالباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . . . الى قوله تعالى ( اولئك لهم عقبى الدار ، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ) (٥) . والآيات في ذلك كثيرة . (٦)

قلت : المراد بالشناء على مستخدم العقل في الآيات الكونية وفي فهم النصوص الشرعية ، وليس المراد تحكيم العقل مطلقا ، ونبذ النصوص بجانبها ، لان العقل له حدود لا ينبغي ان يتجاوزها وهو وحده لا يكفي

- 
- ( ١ ) سورة الاعراف : ١٧٨  
 ( ٢ ) سورة الحج : ٤٦  
 ( ٣ ) سورة الروم : ٨  
 ( ٤ ) سورة قال عمران : ١٩٠ - ١٩١ .  
 ( ٥ ) الرعد : ١٩ - ٢٤ .  
 ( ٦ ) من الوحي المحمدي يتصرف ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .

فالتفكير في المخلوقات وارد شرعا كما سبق بخلاف التفكير في الخالق فانه منهي عنه شرعا لحديث ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ريك . فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ) (١) .

ان الصورة التي يعرضها القرآن لاسيما السور المكية عن الكون شاملة لافاقه كلها جامعة لاجزائه تضع امام الانسان افاق الوجود في اطواره (\*) الاكبر . تعرض احيانا بايجاز شامل وتعبير جامع كقوله تعالى ( اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ) (٢) ( وما في السموات وما في الارض ) (٣) و ( نفس الافاق وفي انفسهم ) (٤) . كما لخص هذا المعالم في كلمة واحدة هي المضاف اليه في مثل قوله تعالى ( رب العالمين ) عالم الغيب والشهادة كما تعرض احيانا مفصلة الاجزاء عن السماء بشمسها وقمرها وسائر نجومها والارض ببحرها وحرها وجبالها وسهولها وانهارها ، وحيوانها ، ونباتاتها ، وانسانها ، كما في اول سورة النحل . ويعرض احيانا اخرى مشاهد معينة ، ويشار الى جانب العظمة في خلقها وابداعها وفي حركتها وجريانها ونظام سيرها ويوجه النظر اليها بشيء من الامعان والتفصيل كقوله تعالى : ( الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما . ان في ذلك لذكورا لا ترى الا لياب ) . (٥) وفي ذلك دلالة على وحدانية الله وقدرته .

- 
- (١) مسلم ج ١ ص ٨٤ .  
 (\*\*) الاطار : مثل كتاب ، لكل شيء ما احاط به واطار الشفة اللحم المحيط بها ا هـ . مصباح ج ١ ص ٢٠ .  
 (٢) سورة الاعراف اية ١٨٥ .  
 (٣) سورة سبأ .  
 (٤) سورة فصلت اية ٥٢ .  
 (٥) سورة الزمر اية : ٢١ .

### - القرآن يخاطب الفطرة البشرية :

اذا تدبرت القرآن الكريم تجده قد أخذ قسطا وافرا من السور المكية حينما يعرض آيات القدرة القادرة التي لا يعجزها شيء في السموات ولا في الارض ، في الخلق ، ثم في الموت والحياة ، واحداث الاحداث ، وتدبير الامر وهم و . . . . . وتلك هي منافذ الفطرة التي تلجئها الى البحث عن الخالق والتوجه اليه .

فالكون بضخامته الهائلة ومدقته المعجزة التي لا يختل فيها شيء قيد شعرة وظاهرة الموت والحياة ورغبة الانسان في معرفة الغيب وعجزه عن ذلك ورغبته في السيطرة على كل شيء وعجزه عن ذلك . . كل ذلك يوقظ الفطرة الى وجود الخالق .

وقد سلك القرآن العظيم في دعوة الانسان الى الايمان بالله خالق الكون مسالك متعددة (١) ، فتارة يخاطب عقله ، ويقنعه بالمنطق ، ويقدم له الدليل في اسلوب هو جذاب كقوله تعالى : ( نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفأنتم ماتمون ، أفأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفأنتم ماتحرون . أفأنتم تزرعونها أم نحن الزارعون . لو نشأ لجعلناهم حطاما فظلمت تفكهمون . انا لمفرسون بل نحن محرومون . أفأنتم الماء الذي تشربون . أفأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشأ لجعلناه آجا فلولا تشكرون . أفأنتم النار التي تورون . أفأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ونساءا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم ) (٢) .

وهذا الاسلوب المنطقي يتصف ايضا بالحيوية لما فيه من الاسئلة الموجهة الى المخاطب والاجابة عليها الى أن يصل الى النتيجة المطلوبة التي بدأ بها لا يراى الدليل عليها مع تعدد الامثلة المأخوذة من حياة الانسان التي هي سر الاسرار ، وما يحيط به من نشأة الحياة النباتية . . . . . وهي كالحياة الحيوانية معجزة المعجزات . . والماء هو أصل الحياة . والنار هي المعجزة التي صنعت الحضارة الانسانية .

(١) انظر : الظلال ج ٢٧ ص ٣٤٦٦ وما بعدها . والمقيدة في القرآن :

ص ١٢ - ١٣ : منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) سورة الواقعة ٥٧ - ٧٤ .

في هذه المشاهدات التي رآها كل انسان ينشئ القرآن المعقيدة  
لانه يخاطب كل انسان في بيئته . وهذه المشاهدات البسيطة هي بذاتها  
من اضخم الحقائق الكونية ومن اعظم الاسرار الربانية وهي تصل بالانسان الى  
حقيقة وجود الله وعظمته وربوبيته وقد رته الكاملة وانه خالق كل شئ (١) . ومن  
ذلك قوله تعالى ( الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين  
واذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحييني . والذي اطعم ان يغفر  
لي خطيئتي يوم الدين ) (٢) وقوله تعالى : ( ام جعلوا لله شركاء خلقوا  
كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار ) (٣) .  
وامثال ذلك كثيرة ولكن الاسلوب المنطقي الذي نراه جافا عند المتكلمين  
والفلاسفة يمتزج في القرآن الكريم بالاسلوب العاطفي الذي دون ان يدخل  
الضميم (٤) على قوة أدلته ، وصحة براهينه ، فهو يخاطب الانسان ويشيره  
عن طريق منافعه ومصلحه ، وحاجاته ، ومذاته ، وعن طريق قضايها  
ومشكلاته ، ليحرك تطلعه ، وقلقه الى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته  
الحاضرة ومصيره البعيد . ويجعله بذلك متهيئا للتفكير واستعدادا لقبول  
نتائج المنطق المنسجم مع مصلحته . ويبدو وهذا واضحا من الآيات التالية  
قال الله تعالى : ( وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل  
النهار نشورا ، وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من  
السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسا  
كثيرا ) (٥) .

وقوله تعالى : ( وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها  
حبا فمنه ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها  
من العيون لياكلوا من ثمره وما عطته ايديهم أفلا يشكرون ) (٦) .

- 
- ( ١ ) انظر الظلال ج ٢٧ ص ٣٤٦٧ - ٣٤٧٠ ، وانظر المعقيدة في  
القران لمحمد المبارك ص ٣١ - ٣٢ .  
( ٢ ) الشعراء ٧٨ - ٨٢ .  
( ٣ ) الرعد : ١٦ .  
( ٤ ) مثل ضاره ضمير وزنا ومعنى اي دون ان يدخل الضر . مصباح  
ج ٢ ص ١٢ - ١٤ .  
( ٥ ) الفرقان ٤٧ - ٤٩ .  
( ٦ ) يس : ٣٢ - ٣٥ .

وقوله تعالى : ( والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وابوارها واشمارها اثاثا ومتاعا الى حين . والله جعل لكم ما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ) . (١)

لقد أخذ القرآن الكريم الانسان من مواطن اهتمامه في هذا الكون ونعم الله عليه ونقله منها الى الخالق المنعم فاكسبه بذلك الاقتناع بمنطق العقل والشعور ليخامر ايمانه النفس فكرا وهاطقة . (٢)

وأمثال هذه الايات هي ما عبر عنه شيخ الاسلام ( ابن تيمية ) بدليل العناية . وفيها ايضا دليل الاختراع . وقد مثل للعناية بقوله تعالى ( الم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا ) الى قوله ( وجنات الفايا ) (٣) . وقوله تعالى : ( تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا ومقرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ) (٤) . وقوله تعالى : ( فلينظر الانسان الى طعامه ) (٥) ، الايات . . . ومثل للاختراع بقوله تعالى ( فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق ) (٦) . وقوله تعالى : ( افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ) (٧) الايات . . . الى غير ذلك من الآيات .

ومثل للجمع بين الدالتين بقوله تعالى : ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء . . . . . الاية ) (٨) . فالاولى على دلالة الاختراع والثانية على العناية . واكثر الايات الواردة فى هذا المعنى يوجد فيها النوحان . (٩)

- 
- (١) النحل : ٨٠ - ومعنى (تسلمون) توحدون يا أهل مكة . ا هـ جلالين .  
(٢) العقيدة فى القرآن لمحمد المبارك ص ٣٦ طبعة دار الفكر .  
(٣) النبا : ٦ - ١٦ .  
(٤) الفرقان : ٦١ - ٦٢ .  
(٥) عبس : ٢٤ .  
(٦) الطارق : ٥ - ٦ .  
(٧) الفاشية : ١٧ - ٢٠ .  
(٨) البقرة : ٢١ - ٢٢ .  
(٩) انظر للتفصيل تلبس الجهمية ج ١ ص ١٧٤ لابن تيمية مطبعة الحكومة السعودية .

- نماذج من النظر العقلي :

( ١ ) من تأمل في نظام الكون المستقر واحداه المنسقة وسيوره المنتظم وجد ان ما في الكون يشهد انه تحت نفوذ ارادة واحدة وتحت تصرف حاكم واحد .

فلو تعددت الالهة لتعددت الارادات والنواميس . قال تعالى : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ( ١ ) . اي السموات والارض بما فيهما من المخلوقات . والمعنى : لو كان في السموات والارض آلهة غير الله لفسد أهلها . وفي هذا حجة دامغة على بطلان تعدد الالهة ، لان المشاهدة ان السموات والارض لم تفسدا ( ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ) ( ٢ ) . وذلك يوجب أن يكون الاله واحدا . وهو الله خالق السموات والارض ( فسبحان الله رب العرش عما يصفون ) ( ٣ )

( ٢ ) ان هذا الارتباط المحكم الدائم بين اجزاء الكون يشهد بأنسه تحت سيطرة مالك واحد . ولو كان مع الله آلهة اخرى لفصل كل اله ما خلق ولشا هدنا عطيات الانفصال والتجزئة ظاهرة في الكون .

وكم تكون الحياة سيئة لو أن للشمس لها منع عنا ضوءها ، وان للشجر لها منع عنا ثمارها . . وان للسحب لها منع عنا قطرها ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ) ( ٤ ) . وهذا ما يعبر عنه المتكلمون بدليسل التمانع . ( ٥ )

( ١ ) الانبياء : ٢٢ والنواميس جمع ناموس وله معان منها جبريل وصاحب السر ونامسه ساره والمراد هنا الاسرار والمنن الكونية . انظر القاموس ج ٢ ص ٢٥٦ - المصباح ج ٢ ص ٢٩٧ - اسرار البلاغة ص ٩٩١ .  
( ٢ ) الطوك : ٣ - اي تباين وعدم تناسب

( ٣ ) الانبياء : ٢٢

( ٤ ) المؤمنون : ٩١

( ٥ ) التمانع هو انه لو فرض صانعان فصاعدا فاراد احدهما تحريك جسم واراد الاخر سكونه فانه يمتنع اجتماع مراديهما للتضاد فان لم يحصل مراد كل منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزا وان حصل مراد احدهما دون الاخر كان الغالب هو الواجب والمغلوب ممكنا لانه لا يليق بصفة الواجب ان يكون مقهورا ولهذا قال ( ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ) اهـ . تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٥ ص

ما اتخذ الله ولدا كما زعم هؤلاء المشركون ولا كان معه اله فيمسا

خلق .

( ٣ ) ولو كان مع الله آلهة أخرى لحاول بعضهم ان يستهلى على غيره . . . وعندئذ يشهد الكون حروبا مروعة مدمرة ويكون الملوك ميدانا لصراع جبار بين الالهة المتنازعة . . . ولحاول الضماف من هذه الالهة المتنازعة ان يتعاونوا على من له القدرة والنفوذ في هذا الملوك او التقرب اليه ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) ( ١ ) .

والضعيف لا يستحق ان يكون الها . . . وانا تقرر عدم امكان الشركية وانه لا يقوم بالامر الا واحد تعين ان يكون هذا الواحد هو الله سبحانه . . . وكما دل هذا على نفى الشركية يدل على نفى الولد لانه ينازع اياه فى ملكه . ( ١٦ ) وفى ذلك يقول - صلى الله عليه وسلم - ( ما احدا اصبر على ) . . . اذى سمعه من الله . . . يدعون له الولد ثم يعافهم ويرزقهم ) ( ٢ ) .

### - خلق الانسان :

ما أكثر الايات التى تصور نمو الانسان من نطفة الى شيخ يسرد الى ارنال العمر خلقا من بعد خلق وما بينهما من مراحل . . . كما تصور نمو النبات فى مراحل اخرى عديدة .

فالقرآن الكريم يخاطب الانسان ذى العقل السليم ليفكر فى تكوينه الجسمى ( وفى انفسكم افلا تبصرون ) ( ٤ ) .

( ١ ) الاسراء : ٤٢ - ٤٣ .

( ٢ ) توحيد الخالق ج ٢ من القسم الثانى ص ٦١ . وانظر تفسير القرطبي

ج ٥ ص ٣٨٨١ - ٣٨٨٢ - فتح القدير - ج ٣ ص ٢٣٠ - ٤٩٦ .

( ٣ ) البخارى : ج ٤ ص ٢٧٤ عن ابي موسى الاشعري .

( ٤ ) الذاريات : ٢١ .

( ٥ ) هكذا فى البخارى كما فى الصلوة نفسها ، قال الحافظ فى الفتح : وقد سبق شرحه فى كتابه الادب

وفيه قال : سباني شرحه فى كتاب التوحيد ، ولم يتكلم فيه بشئ ، ولكن وجهه بلقطة فى كتاب الادب ( ليس احد اوليس شئ اصبر على اذى سمعه من الله انهم ليدعون له دلدا ، وان له ليعافهم ويرزقهم ) البخارى ج ٤ ص ٢٥ وانظر فتح البخارى ج ١٠ ص ٥١٢ ج ١٣ ص ٢٢٠



من الذى خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ، ثم من مضغته ،  
ثم يخرجها طفلاً ذا بصر ، وسمع وعقل وحواس اخرى ؟

من الذى خلق من الماء المهبين او من حيوان لا يرى الا بالمجهر  
هذا الانسان الذى يملأ الدنيا ضجيجاً ويتعالى بنفسه وعلمه . . وكيف  
يحمل ملامح ولون أبويه ؟

من الذى جعل منه الذكر والانثى . . يقول الله تعالى ( أحسب  
الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يعنى . ثم كان علقية  
فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ) (١) وقال تعالى :  
( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين  
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا الملقحة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا  
العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ) (٢) .

فمن أنشأ العظام الصلبة وكونها فى ظلمات الارحام من طعام يجرى  
سائلا فى دم الام ؟ من الحكيم الذى كون مفاصل العظام وجعلها مسالمة  
وامدها بالسائل اللزج لمنع الاحتكاك والتآكل فى العظام عند حركتها ؟

من الخبير العليم الذى كسا العظام لحما يحرك الجسد فى غاية  
من الدقة والابداع . . أهو من أصم لا يملك لنفسه أن ينتقل من مكانه ؟  
أم انها الطبيعة التى لا تطك تدبيرا ولا تفكيرا ؟ . . ام ان ذلك الخلق  
الهديع والتركيب المحكم والتقدير الدقيق يشهد أنه من خلق خالق حكيم عليم  
خبير قادر مصور بديع . . هو الله سبحانه وتعالى . (٣)

فالانسان نوع من أنواع اخرى فى هذا الكون لكنه يشترك معها فى  
بعض الامور التى تميز عنها . . فهو مخلوق من تراب فى الاصل ( ومن آياته  
أن خلقكم من تراب ) (٤) ( والله أنبتكم من الارض نباتا ) (٥) ( منها خلقناكم  
وفيهما نعبدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ) (٦) ( والله خلق كل دابة من ماء

( ١ ) القيامة : ٣٦ - ٣٩ .

( ٢ ) المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

( ٣ ) توحيد الخالق ج ٢ ص ٢٦ - ٢٧ من القسم الثانى بتصرف .

( ٤ ) الروم : ٢٠ .

( ٥ ) نوح : ١٧ .

( ٦ ) انبار : طه : ٥٥ .

( ٧ ) النور : ٤٥ .

فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع . يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير (١) ( ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ) (٢) .

### - مميزاتة :

والانسان نوع متميز كما بيده وفي قوله تعالى ( . . . لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ) (٣) وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمي كما تشير الايات التي تسويته اكثر من مرة ( ثم سواه ) (٤) ( فاذا سويته ) (٥) ( فسواك فعدلك ) (٦) . . . ولا حاجة الى اكثر من الاشارة في اثرا انتصاب قامة الانسان وانطلاق يديه في نشوء الحضارة ونموها .

كذلك من جهة العقل والملم الناميين بسبب الحواس كما يشير الى ذلك قوله تعالى : ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ) (٧) . وقال ( علم الانسان ما لم يعلم ) (٨) . وقال : ( خلق الانسان علمه البيان ) (٩) علم قابيل للنمو والزيادة ( وقل رب زدني علما ) (١٠) ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ) (١١) .

- 
- |        |                     |
|--------|---------------------|
| ( ١ )  | سورة النور : ٤٥ .   |
| ( ٢ )  | سورة السجدة : ٨ .   |
| ( ٣ )  | سورة التين : ٣ .    |
| ( ٤ )  | سورة السجدة : ٩ .   |
| ( ٥ )  | سورة ص : ٧٢ .       |
| ( ٦ )  | سورة الانفطار : ٧ . |
| ( ٧ )  | سورة النحل : ٧٨ .   |
| ( ٨ )  | سورة الملق : ٥ .    |
| ( ٩ )  | سورة الرحمن : ٤ .   |
| ( ١٠ ) | سورة طه : ١١٤ .     |
| ( ١١ ) | سورة فصلت : ٥٣ .    |

أفضل مميزات الانسان :

وأفضل مميزاتة هو الجانب الروحي المشار اليه بقوله تعالى : ( فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ) في موضعين من القرآن الكريم . (١) وقوله : ( ثم سواه ونفخ فيه من روحي ) (٢) ، وهذا هو الجانب الذي رفع مكانة الانسان وجعله في مقام التكريم ، فاستحق أن أمر الله الملائكة بالسجود له فسجدوا ، ذكر ذلك في عدة مواضع من القرآن منها الموضعان السابقان . ولقد كرمتنا بنى آدم . . . الآية (٣) ( لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ) (٤) .

ويستفاد من هذا أن الكيان الانساني مركب من جزئين ترابي (٥) ، وروحي سماوي ولكل منهما طبيعته من السمو والهبوط اذن فهما في صراع دائم . وهذان الجزآن لا ينفصلان عن بعضهما ، فهل يستطيع أحدهما ان يتصرف دون الآخر؟ قد يقال اذا غلب الجانب الروحي صار التصرف روحانيا ، واذا غلبت . طبيعة التراب صار التصرف حيوانيا . وهلى هذا فهل يصلح لعماراة الارض؟ قد يكون الجواب ( لا ) لان الحيوانية لا تصلح للخلافة في الارض ، والرهبنة يأبأها الاسلام بل ولا تصلح ايضا لعماراة الارض وذلك يتنافى مع الحكمة التي خلق من اجلها . اذن فلا بد من التوازن بين الجزئين وذلك هو الكمال المنشود للانسان . ( رينا آتتسنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ) (٦) ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ) (٧) . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء ( اللهم اصلح لى دينى الذعى هو عصمة امرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى واصلح لى آخرتى التى فيها معادى . . ) (٨) .

( ١ ) سورة الحجر : ٢٩ ، سورة ص : ٧٢ .

( ٢ ) سورة السجدة : ٩

( ٣ ) سورة الاسراء : ٧٠

( ٤ ) سورة التين : ٥

( ٥ ) فان قيل انه من نطفة فهل هو الا من تراب .

( ٦ ) البقرة : ٢٠١ . وكان اكثر دعائه صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء كما

في مسلم عن انس ج ٨ ص ٦٩ .

( ٧ ) سورة القصص : ٧٧

( ٨ ) رواه مسلم عن أبى هريرة ج ٨ ص ٨١ ، النسائى ج ٣ ص ٦٢ ، الامام

احمد في مسنده ج ٤ ص ٢٩٩ .

## المبحث الثاني

### الاستدلالات التاريخية

ان تاريخ الانبياء والامم قد احتل جانبها غير قليل من السور المكية ، فقد كان القصص القرآني ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة والمسلمون قلة مستضعفة والمشركون هم اصحاب الحول والطول والجاه والسلطان . ولكن كان ينزل ليضع الموازين الحقيقية والقيم ، ويقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود ، هي قوة الله - سبحانه - ، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قوة الايمان . . فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه ولو كان مجردا من كل مظاهر القوة . ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو سا ندمته جميع القوى . ومن كانت له قيمة الايمان فله الخير كله . ومن فقد هذه القيمة فليس ينالها شيئا أصلا . (١)

وكان ينزل القصص القرآني لاهداف منها :

- ١ - اثبات صدق الوحي المنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ) (٢)
- ( تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ) (٣) .
- ( كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ) (٤)

٢ - التسرية او التسلية عن الرسول او للرسول صلى الله عليه وسلم - فيما يلقاه من قومه من تكذيب وانى واتهام بالسحر والجنون ، فقد كذب الرسل من قبله ووجه اليهم نفس القول ثم صبروا حتى جاءهم نصر الله واهلك المكذبون ( ولقد كنيت رسلا من قبلك فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل للكلمات الله . ولقد جاءك

( ١ ) انظر في ظلال القرآن ج ٢٠ ص ٢٦٧٣ - ٢٦٧٤ .

( ٢ ) سورة يوسف : ٣ .

( ٣ ) سورة هود : ٤٩ .

( ٤ ) سورة طه : ٩٩ .

من نباء المرسلين ) (١)

( وكلا نقر عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فسي هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . ) (٢)

ومع التسوية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - التسوية عن المؤمنين كذلك ، وهم يلقون العنت والتشريد والعذاب ، بسبب إيمانهم فيمضون عليهم قصص الأمم السابقة ليعلموا ان هناك مؤمنين قبلهم أن يقوا ألوان العذاب والتشريد ثم صبروا على عقيدتهم ثم يخبرهم أن العاقبة للمتقين أما بنصر في الحياة الدنيا - حسب قدر الله - وأما بالجزاء الاوفى في الآخرة .

٣ - إبراز حقيقة عقيدية هامة ، تبرز من خلال السرد التاريخي ، هي أن الرسل جميعا - عليهم السلام - جاءوا بكلمة واحدة على تتابع الاجيال ، هي ( لا اله الا الله ) ، وقضية واحدة هي ( اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) .

هذا الهدف من أهم وأهم اهداف القصص القرآني في الحقيقة . ويبدو بارزا شديد البروز من خلال السرد القرآني وتتخذ له وسائل شتى ، فأحيانا يوحد أسلوب القصص - مع التنوع الواضح في القرآن - بحيث تجيء العبارة موحدة على لسان كل رسول في الشريط المتتابع للرسول ، كل يقول الكلمة ويضئ ويأتي من بعده بنفس الكلمة بلا تغيير مثل ما جاء في سورة الاعراف وغيرها ، عن نوح مع قومه وهود مع قومه وصالح مع قومه وشعيب مع قومه كلهم يقولون : ( يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) (٣) . وتارة يقال عن قوم معينين انهم كذبوا

(١) سورة الانعام : ٣٤

(٢) سورة هود : ١٢٠ - واسم الاشارة عائد على السورة او الايات او البراهين او الدنيا . والحق قيل المبتدأ والمعاد ، وقيل النبوة ، راجع للتفاصيل تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ . وقد رجح أسلوب الاشارة الى السورة . فتح القدير ج ٢ ص ٥٣٥ .

(٣) سورة الاعراف : من ٥٩ - ٨٥ .

الرسول مع انهم لم يرسل اليهم الا رسول واحد ، ليوحى التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيبهم كلهم لانهم كلهم يقولون ذات الشيء بلا تغيير . مثل ما جاء في سورة الشعراء ( كذبت قوم نوح المرسلين ) ( كذبت عاد المرسلين ) ( كذبت ثمود المرسلين ) ( كذبت قوم لوط المرسلين ) ( كذب اصحاب الايكة المرسلين ) ( ١ ) .

وتارة يقال عن اقوام تتعدد بين انهم عصوا رسول ربهم . فيوضح ذلك ان كل امة كذبت رسولها ويوحى في ذات الوقت انه كانما هو رسول واحد الذي بعث الى هذه الاقوام جميعا لانهم - على اختلاف اقوامهم وازمانهم واماكنهم ولغاتهم - قد قالوا ذات الكلمة وعرضوا ذات القضية ، كما جاء في سورة الحاقة ( كذبت ثمود واد بالقرعة ) الى قوله : ( فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ) ( ٢ ) .

وهذه القضية - كما ذكرنا - ذات أهمية خاصة في القرآن في تقرير وحدة الالهية والرسالة .

كما أنه يعطى شعورا بالانتماء الى امة كبيرة موحدة على تتابع الاجيال ( ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ) ( ٤ ) .

٤ - ابراز الموقف الموحد الذي تفقه الجاهليات جميعا من رسلها الذين ارسلوا اليها فكما أنها رسالة واحدة مكررة - وان اختلف الاشخاص واللغات والزمان والمكان - فهي كذلك جاهلية واحدة مكررة ، وان اختلف الاشخاص ، واللغات ، والزمان ، والمكان ، ( كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون . اتواصوا به بل هم قوم طاغون ) ( ٥ ) .

- 
- ( ١ ) سورة الشعراء : من ٥٠٥ - ١٨٠ .  
 ( ٢ ) هذا جنس اي كل كذب رسول الله اليهم كذا قال ابن كثير ج ٨ ص ٢٣٦ وقيل ان رسول ههنا بمعنى رسالة كما في فتح القدير ج ٥ ص ٢٨١ .  
 ( ٣ ) الحاقة : من ٤ - ١٠ .  
 ( ٤ ) سورة الانبياء : ٩٢ .  
 ( ٥ ) سورة الذاريات : ٥٢ - ٥٣ .

ان موقف الجاهلية واحد من كل رسول ، التكذيب ، والاعراض ، ثم التشهير بالرسول حين يتضح انه مصر على دعوته ، لم يثنه عنها اعراض ولا تكذيب . ثم التهديد بالاذى له ، وللمؤمنين آمنوا معه ثم تنفيذ التهديد احيانا او احيلا لونه بقدر الله ، كما سيأتى ذلك فى جهاد الدعوة ان شاء الله . قصة مكررة لم تتخلف الا مرة واحدة فى التاريخ كله سجلها القرآن للمبرة . ( فلولا كانت قريسة آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ) (١) .

والاية مع ذلك لم تتف موقف الاعراض الاول الذى كان من قوم يونس ، انما تسجل فقط انهم فى النهاية - آمنوا - فلما آمنوا كشف الله عنهم ما هددوا به من عذاب الخزي فى الحياة الدنيا . (٢)

فما السر فى هذا الموقف الواحد المكرر ، الذى تقفه الجاهلية مسن رسلها ؟

الجواب باختصار : هو مدلول ( لا اله الا الله ) . وهو أن العبادة والولاء والطاعة لله وحده ، والملا<sup>(٣)</sup> يريد ذلك له وحده (٤) .

وفى ما مضى تحدثنا عن الآيات القرآنية الدالة على الآيات الكونية ، وهى بدورها موصلة - ( لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ) (٥) - الى الخالق الحكيم القادر المتصرف فى الكون وحده وهو الله سبحانه وتعالى ، وذلك فى معنى ( الاستدلالات الكونية ) .

- 
- ( ١ ) سورة يونس : ٩٨ .  
 ( ٢ ) انظر التفصيل فى تفسير الاية الكريمة . ابن كثير ج ٤ ص ٢٣١ - ٢٣٢ فتح القدير ج ٢ ص ٤٧٤ وغيرها .  
 ( ٣ ) الملا السادة والاشراف .  
 ( ٤ ) مقتطف من دراسات قرآنية ص ٩٩ - ١٠٧ .  
 ( ٥ ) سورة ق : ٣٧ .

وفي هذا البحث سنأشئ بما تيسر من الآيات المتعلقة باحداث التاريخ  
ان شاء الله تعالى .

ومعلوم أن مصادر التاريخ قد غصت بها المكتبات والاخذ منها يحتاج  
الى عناية وتمحيص وذلك يتطلب جهدا وزمنا غير قصيرين . . لذلك رجعت  
الى الاخذ عن اصح المصادر التاريخية على مر الزمان ، والذي لا ياتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ( ١ ) ألا وهو القرآن  
الكريم ، لانه قد حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم والشموس  
وحكامهم . كما شرح اخبار قوم هدا و فمكنا الله لهم فى الارض ، واقوام ضلوا  
فساءت أحوالهم وخرت ديارهم ووقع عليهم العذاب والنكال يضرب بهم العشل  
ويدعو الناس الى العظة والاعتبار . كل هذا قصة الله فى قول بين واسلسوب  
رائع حكيم . ( نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن  
وان كنت من قبله لمن الغافلين ) . ( ٢ )

#### تهذبة من الآيات الاجمالية :

قال الله تعالى : ( وكم من قرية اهلكتنا ها فجاءها باسنا بيانا وهم  
قائلون . فما كان دعواهم ان جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ) ( ٣ ) .  
قاله سبحانه وتعالى حكم عدل لا يأخذ بدين ذنب ( وكم اهلكتنا من قرية بطرت  
معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ) ( ٤ )  
( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت  
بأنعم الله فأناقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) ( ٥ ) ومن أجل  
نعم الله على أهل تلك القرية أن بعث الله اليهم رسولا من انفسهم فكذبوه  
فحطوا سبع سنين والخوف بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى : ( وكاين من قرية اهلكتناها فهى خاوية على عروشها

( ١ ) سورة فصلت : ٤٢

( ٢ ) سورة يوسف : ٣

( ٣ ) سورة الاعراف : ٤ - ٥

( ٤ ) سورة القصص : ٥٨

( ٥ ) سورة النحل : ١١٢



وئر معطلة وقصر مشيد ( ١ ) .

( وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم ) ( ٢ ) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم - <sup>(٣)</sup> "وهيئ" لمشركي مكة ان هم المراد من القرية اى اهلها . وقد اهلك الله عاد وثمود وغيرهم وهم اشد من اهل مكة قوة وأسا .

وقال تعالى : ( وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا . اعد الله لهم عذابا شديدا ، فاتقوا الله يا اولى الالباب ، الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا . رسولا يتلوا عليكم آيت الله مبينت ليخرج الذين امنوا وعملوا الصلحت من الظلمت الى النور ومن يؤمن بالله ويمسك صالحا يدخله جنت تجري من تحتها الانهر خلدن فيها أبدا قد احسن الله له رزقا ) . ( ٣ ) وعيد شديد لمن عصى الله ورسله مؤكدا بصيغة الماضى لتحقق وقوعه فاعتبروا يا اولى العقول واغتنموا الفرصة الغالية بتصدىيق القرآن والرسول تدخلوا الجنة ترزقون فيها بغير حساب لانكم قد دفعتم الثمن فى الايام الخالية . وقال : ( وكأين من قرية اطيت لها وهى ظالمة ثم اخذتها والى المصير ) ( ٤ ) فالله سبحانه يمهل ولا يهمل . وقال تعالى مؤكدا صحة ذلك القصص : ( ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زاد وهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليوم شديد . ان فى ذلك لاياسة لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما يؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا بانته فضعف شقى وسعيد ) ( ٥ ) الايات وأمثال ذلك كثير .

(٥) ونهدى

- 
- ( ١ ) سورة الحج : ٤٥  
 ( ٢ ) سورة محمد : ١٣  
 ( ٣ ) سورة الطلاق : ٨ - ١١ .  
 ( ٤ ) سورة الحج : ٤٨ .  
 ( ٥ ) سورة هود : ١٠٠ - ١٠٥ . وقوله تعالى ( وما زاد وهم غير تتبيب ) اى تخسير وهلاك .

- نماذج من الاحداث التاريخية :

بمؤن الله تعالى سأحاول قدر الامكان مراعاة التتابع التاريخى ، ثم  
التقاط الشاهد من القصة لاجل العبرة ان ليس هذا موضوع بحثنا ونبدأ بقوم  
نوح عليه السلام :

- قوم نوح :

لما دعا نوح عليه السلام - قومه الى عبادة الله وحده - ان هم اول من  
عبد الاصنام - لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ، وكلما تجددت الدعوى  
زادتهم نفورا ( وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى اذانهم  
واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ) (١)

فلما يئس او أيس (٢) منهم أوحى الله اليه : ( أنه لن يؤمن ممن  
قومك الا من قد آمن فلا تيتئس بما كانوا يفعلون ) (٣) ثم دعا عليهم قائلاً  
( رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ) (٤) فاستجاب الله دعاءه واوحى  
اليه ( ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم  
مفروقون ) (٥) وذلك لما استعجل قومه نعمة الله وعذابه لهم ، فأنذرهم  
ذلك ، فطلبوا انزاله : ( قالوا يا نوح قد جادلتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت  
من الصادقين . قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ) (٦) .

(١) سورة نوح : ٧ .  
(٢) اليأس القنوط ضد الرجاء ، وقطع الامل ، يئس ييأس كيمنج ويضرب وتاتس  
بمعنى علم ومنه قوله تعالى ( افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء  
الله ليهدى الناس جميعا ) ٣١ من سورة الرعد . ومن الاول ايضا ( انه  
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ) ٨٧ من يوسف . على لفظة  
من يكسر اول المستقبل ، ويغضهم يقول : ايس مقلوب من يئس ، بمعنى  
واحد . وانظر القاموس ج ٢ ص ٩٩ - ٢٦٠ ، الصباح ج ١ ص ٣٨ .

(٣) سورة هود : ٣٦ .

(٤) سورة نوح : ٢٦ ومعنى ديارا ، أحدا .

(٥) سورة هود : ٣٧ .

(٦) سورة هود : ٣٢ - ٣٣ .

فاكثر جيرانا

( ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا  
 نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه  
 عذاب مقيم ) (١) أى دائم مستمر ، وعيد شديد وتهديد أكيد . ( حتى  
 اذا جاء أمرنا وفار التنور (٢) قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك  
 الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ) (٣) وفتحت  
 أبواب السماء بالماء ، وتفجرت عيون الارض ، فهرع نوح الى السفينة وحمل  
 ما أمره الله من الانسان والحيوان والنبات ، وسارت بسم الله مجريها  
 ومرساها ، والامواج تفتح بين طياتها للكافرين قبورا ، والزبد يخيط  
 لهم أكفانا حتى صرعهم الموج ، وطوتهم المياه .

وكانت شقوة الله قد غلبت على ( كنعان ) بن نوح فاعتزل اياه فناداه  
 بحنان الابوة ( يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ) فقال : ( ساوى السوا  
 جبل يعصمى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحبال  
 بينهما الموج فكان من المفترقين ) (٤) .

ولما بلغ الشوط غايته ، وطويت صحيفة القوم الكافرين ، كفت السماء  
 وابتلعت الارض الماء ورسست السفينة على جبل الجودي ، وقيل بعدا للقوم  
 الظالمين ، وقيل لنوح : اهبط بسلام الى الارض ، أنت ومن آمن معك  
 من قومك تحفكم البركة وتكثر لكم عناية الله ثم يجىء التعذيب السماوى . ( تلك  
 من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا  
 فاصبر ان العاقبة للمتقين ) (٥) . وقد ذكر الله حادثة الطوفان فى عدة سور  
 من القرآن ايجازا وتفصيلا من ذلك . سورة الاعراف وهود والشعراء والقمر  
 وسورة طه سميت باسم نوح عليه السلام . (٦)

( ١ ) هود : ٣٨ - ٣٩ .

( ٢ ) اي صارت الارض عيونا تغور حتى فار الماء من التناير التي هى مكان النار .  
 ذكره ابن كثير فى تفسيره عن جمهور السلف وعلما الخلف ج ٤ ص ٢٥٤ .

( ٣ ) سورة هود : ٤٠ .

( ٤ ) سورة هود : ٤٢ - ٤٣ .

( ٥ ) سورة هود : ٤٩ .

( ٦ ) انظر قصص القران ص ١٥ وما بعدها . لجاد المولى ابو الفضل البجاوى ،  
 شحاته . الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر الطبعة العاشرة ١٣٨٩ هـ

تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٢ - ٢٥٦ .

## ٢ - عاد قوم هود :

أنعم الله عليهم بالنعم الوافرة ، فجرو العميون وزرعوا الارض وشادوا القصور ، ( أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتخذون مصانع لعلكم تخلدون ) (١) ، وفوق ذلك منحهم بسطة في أجسامهم ( وزادكم في الخلق بسطة ) (٢) أمدهم الله بالانعام والبنين والجنات الحافلة بأنواع الزروع والأشجار ( أمذكّم بأنعام وبنين وبنات وهيون ) (٣) . أرسل الله اليهم أخاهم هوداً بأن يعبدوا الله وحده ، فكذبوه فاهلكم الله بالريح العقيم . ( وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ) (٤) .

( فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشدنا قوة أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ) (٥)

بيان تلك الايام قوله تعالى : ( واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما . فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ) (٦) .

وهكذا كانت عاقبة المكذبين المتكبرين فاعتبروا يا أولي الأبصار . (٧)

وقد ذكر الله ذلك في عدة سور من القرآن منها الاعراف وهود والشعراء والأحقاف .

- 
- ( ١ ) الشعراء ١٢٨ - ١٢٩  
 ( ٢ ) الاعراف : ٦٩ .  
 ( ٣ ) الشعراء : ٣٢ - ٣٤ .  
 ( ٤ ) الذاريات : ٤١ - ٤٢ .  
 ( ٥ ) فصلت : ١٥ - ١٦ .  
 ( ٦ ) الحاقة : ٥ - ٩ .  
 ( ٧ ) انظر قصص القرآن ص ٢٣ وما بعدها .

٣ - ثمود قوم صالح عليه السلام :

بعد أن أهلك الله عاداً بذنوبها ورثت ثمود أرضهم وديارهم فعمروها أكثر مما عمروها ونحتوا في الجبال بيوتا وكانوا في رغد من العيش ، فذكروهم نبيهم صالح عليه السلام بهذه النعم بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده . قال الله تعالى : ( والى ثمود آخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ) إلى قوله تعالى ( واذكروا أن جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتعتون في الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ) (١) فذكروا نبيهم قائلين ( إنما أنت من المسحورين . ما أنت إلا بشر مثلنا فأت باية إن كنت صادقا . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ) (٢) . فأهلكهم الله بزلزال عنيف بعد أن عقروا الناقة وذكروا نبيهم كما قال تعالى : ( فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اثنتا بما تعدنا إن كنت من المرسلين . فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ) (٣) أي باركين على الركب (٤) ميتين . وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم - وهو في طريقه بتبوك ( لا تبه خلوا على هؤلاء القوم إلا إن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم إن يصيبكم مثل ما أصابهم ) (٥) وفق رواية لمسلم ( إن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارضي ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويملفوا الإبل العجين وامرهم أن يتشققوا من البئر التي كانت تردّها الناقة ) (٦) وهكذا سنة الله في المفسدين المكذبين فهلا اعتبرتم يا أهل مكة وإسادة قريش .

( ١ ) سورة الاعراف آية ٧٣ - ٧٤

( ٢ ) سورة الشعراء : ١٥٣ - ١٥٤ .

( ٣ ) سورة الاعراف ٧٧ - ٧٨

( ٤ ) انظر الجلالين . ص ١٣١

( ٥ ) متفق عليه - البخاري ج ٣ ص ٢٤٧ ، مسلم ج ٨ ص ٢٢١ ، عن ابن عمر .

( ٦ ) المرجع نفسه والصفحة نفسها وانظر البداية والنهاية ج ١ ص ١٣٨ .

## ٤ - قوم لوط عليه السلام :

هم أهل سدوم كذبوا نبيهم وكانوا ذوى اخلاق فاسدة بل شاذة عن طبيعة البشر . كانوا من افجر الناس يقطعون السبيل ، ويأتسون فى ناد يهيم المنكر ، ياتون الرجال شهوة دون النساء بلغ بهم الاجرام الشنيع ان ارادوا ضيوف نبيهم لوط عليه السلام - من الملائكة - فمعرض عليهم ان يزوجهم بناته فابوا قائلين : ( مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما تريد ) (١) . فأوحى الله الى نبيه لوط عليه السلام ( ان اسر باهلك بقطع من الليل - اى طائفة - ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه يصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ، فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل مفضود (٢) مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببيعد ) (٣) .

ولقد مر كفار أهل مكة على انقاض تلك القرية المدمرة وهم فى سفرهم الى الشام ولم يعتبروا بما حصل باهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم الرسول ومخالفتهم اوامر الله (٤) . قال الله تعالى : " ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء فلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا " (٥) فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٦) .

## ٥ - قوم شعيب عليه السلام :

وهم أهل مدين كذبوا شعيبا ، وطففوا المكيال والميزان وكانوا يقطعون السبيل ويصدون الناس عن سبيل الله (اى عن الايمان به ) وكانوا يفسدون فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الرسل فدعاهم شعيب عليه السلام الى عبادة الله وحده ونهاهم عن تلك المعاصى وحذرهم

(١) سورة هود : ٧٩ .

(٢) السجيل طين طبخ بالنار ومنضود متتابع ومسومة معلمة عليها اسم مسن يرمى بها . ا هـ - جلالين .

(٣) سورة هود : ٧٩ - ٨٢ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج ٦ ص ١٢١

(٥) سورة الفرقان : ٤٠ .

(٦) سورة الاعراف : ٨٤ .

عاقبة من أفسد في الأرض من الأمم السابقة فكذبوه ، فكانت نتيجة تكذيبهم شمياً ان اخذتهم الزلزلة الشديدة ( فاصبحوا في دارهم جاثمين ) ( كان لم يخنوا فيها ) (١) سنة الله في المكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وانا تأمل القارىء لسورة الشعراء يجد التعقيب على كل قصة بالعقاب الصارم لمكذبي الرسل ثم العبرة بقوله تعالى : ( ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم ) . انه العزيز الذي لا يخالب ، القادر على الانتقام من الجابرة والعصاة والمتكبرين ، وانه رحيم بالمؤمنين الطائعين المصدقين لرسله ، تجد هذا التعقيب المتكرر نحو من ثمانى مرات في سورة واحدة .

#### ٦ - فرعون مع موسى وهرون عليهما السلام :

فرعون طغى ونفى ونجس وتجاوز حدود البشرية وادعى الربوبية فأرسل الله اليه موسى وهارون قائلاً لهما : ( اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ) الى قوله تعالى : فقولا انما رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحى الينا ان المذاب على من كذب وتولى ) (٢) .

وقد جاءت هذه القصة مفصلة في سورة الاعراف وطه والشعراء وفسق بعض السور جاءت موجزة كما في قوله تعالى : ( هل اتاك حديث موسى ان ناداه ربه بالواد المقدس طوى . . الى قوله تعالى ( فقال انا ربكم الاعلى فأخذته الله نكال الآخرة والاولى ) (٣) . ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ) (٤) .

(١) كان لم يقيموا فيها . ١٠ هـ جلالين . واقرأ القصة بتفصيل في سورة الاعراف من اية ٨٥ - ٩٣ وهود من اية ٨٤ - ٩٥ . والشعراء من آية ١٧٦ - ١٨٩ . ومعنى ( جاثمين ) ان ياركين على الركيب ميتين . ١٠ هـ جلالين .

(٢) الايات من سورة طه ٤٣ - ٤٨ .

(٣) هذه الكلمة هي الآخرة والاولى هي قوله : ( ما علمت لكم من اله غيرى )

من سورة القصص ٣٨ - ١ هـ جلالين .

(٤) النازعات : ١٥ - ٢٦ .

وفى سورة الشعراء\* استخدم ما اسلوب العقلى لما قال له ( انا رسول  
 رب العالمين ) قال بعد حوار طويل ( وما رب العالمين . قال رب السما  
 والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ) وكلما استهزأ فرعون بموسى عليه  
 السلام يؤكد له الحجة الواضحة ( قال لمن حوله الا تستمعون . قال  
 ربكم ورب ابائكم الاولين . قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون . قال  
 رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ) (١) . فكان مصيره وقومه  
 ان اغرقهم الله فى البحر كما بينه الله فى سورة يونس (٢) وغيرها .

وأورث الله موسى وقومه ارضهم ود يارهم كما قال تعالى : ( فانتقمنا  
 منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا غافلين . واورثنا  
 القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت  
 كلمة ربك الحسنى على بنو اسرائيل بما صبروا ود مرنا ما كان يصنع فرعون  
 وقومه وما كانوا يعرشون ) (٣) فاعتبروا ايها الطفافة الجبابرة بمن قبلكم  
 وانظروا كيف كان عاقبتهم .

واعتبروا يادعاة الاسلام بقوله تعالى : ( فقولوا له قولا لينا لعله يتذكر  
 او يخشى ) (٤) فهل تجدون فى التاريخ اعنى واطفى ممن ادعى الربوبية  
 التى هى حق خالص لله سبحانه وتعالى خالق الكون . . ومع هذا وجه الرسولين  
 الداعيين ان يستخدما اسلوب اللين فى مخاطبة فرعون اللعين ، والله سبحانه  
 قادر ان يأخذه فى اللحظة الاولى . ولكن حكمته اقتضت الا يعذب احدا  
 الا بعد قيام الحجة ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) (٥) ( رسلا مبشرين  
 ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان اللـه  
 عزيزا حكيم ) (٦) .

( ١ ) سورة الشعراء\* الايات ١٦ - ٢٨ .

( ٢ ) سورة يونس : ٩٠ وما بعدها .

( ٣ ) سورة الاعراف : ١٣٦ - ١٣٧ .

( ٤ ) سورة طه : ٤٤ .

( ٥ ) سورة الاسراء : ١٥ .

( ٦ ) سورة النساء : ١٥٦ .



- وذاك قارون قد طغى وبنى على موسى بالكبر وكثرة المال وادعى ان ذلك ليس من نعم الله سبحانه . . . وقال انما اوتيته على علم عندى . . . ، فكان مصيره ما قصه الله فى سورة القصص ( ان قارون كان من قوم موسى فبنى عليهم . . . الى قوله تعالى فخشفنا به وداره الارض فما كان له مسنفة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ) الى قوله : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ( ١ ) .

وقد ذكر الله معظم تلك الاحداث السابقة باوجز العبارات بمسند عرش سريع لها فقال ؛ ( فكلا اخذنا بذنبيه فمضهم من ارسلنا عليه حاصبا ( كقوم لوط ) ( ومنهم من اخذته الصيحة ) كعمود ( ومنهم من خشفنا بنسه الارض ) كقارون ( ومنهم من اغرقنا ) كقوم نوح وفرعون وقومه ( وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) ( ٢ ) .

ولما قويت شوكة بنى اسرائيل افسدوا فى الارض وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء واستحلوا المحارم وتكبروا عن طاعة الله ، فسلط الله عليهم اقواما اولى قوة وطمش فى الحروب فاغاروا عليهم وقتلوا عددا كبيرا منهم واتخذوا من جلودهم نعالا ومن اشعارهم حبالا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما قضت به السنة الالهية . ( ٣ )

...

( ١ ) القصص : الايات ٧٦ - ٨٢ .

( ٢ ) العنكبوت : ٤٠ ،

وانظر الجالين ص ٣٣٥ .

( ٣ ) انظر هداية المرشدين ص ٢٠٢ لعل محفوظ . الناشر المكتبة المحمودية

التجارية بميدان الازهر الشريف الطبعة السابعة .

### - قصة أصحاب الفيل :

هو محمود وأصحابه أبرهة الأشرم ، طك اليمن من قبل النجاشي ، بنى  
كنيسة بمنما ، ليصرف إليها حج العرب عن مكة ، فحدث رجل من كنانة  
فيها ولطخ قبلتها بالمدرة احتقارا لها ، فحلف أبرهة ليهدم الكنيسة  
حجرا حجرا ، فجاء مكة بجيشه على افيال يقدمها ( محمود ) فحيين  
توجهوا لهدم الكعبة ارسل الله عليهم ما قصه في قوله تعالى : ( ألم تركيف  
فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم  
طيرا أبابيل (١) ترميهم بحجارة من سجيل (٢) ، فجعلهم كعصف ماكول ) . (٣)

قال ابن كثير : ( هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيما  
صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو  
آثارها من الوجود ، فأبادهم الله وارغم انافهم وغيب سعيهم واضل  
عملهم وردهم بشر خيبة ) (٤) ثم اورد اثرا في كيفية اهلاكهم بالحجارة التي  
القتها الطير الابابيل . (٥)

وهذا من باب الارهاص والتوطئة لصيحت رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - فانه ولد في ذلك العام على المشهور وكان لسان حال القدر يقول  
( لم نصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم . ولكن صيانة للبيت  
العتيق الذي سنشره ونعلمه ونوقره ببعثة النبي الامين - محمد - صلوات  
الله وسلامه عليه - خاتم الانبياء ) (٦) .

( ١ ) الابابيل : الجماعات الكثيرة المتتابعة .

( ٢ ) الصلب الشديد من الحجر والطين المطبوخ .

( ٣ ) ورق الزرع اكلته الدواب وداسته وافته اي اهلكهم الله تعالى كل واحد

بحجره المكتوب عليه اسمه وهو اكبر من العدسة واصفر من الحمصة

يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل الى الارض . جلالين ، السيرة

ابن هشام ج ١ ص ٥٥ .

( ٤ ) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٥٥ .

( ٥ ) الاثر رواه ابن ابي حاتم كما في المصدر نفسه ص ٥٠٨ ، الا ترى كيف

حفظ الله للكعبة حرمتها ولم تحل الا يوم فتحها لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فعادت حرمتها الى يوم القيامة . وفي هذا يقول صلى الله

عليه وسلم يوم الفتح ( ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله

والمؤمنين وانها لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ) الحديث

متفق عليه . البخاري ج ١ ص ٣٢ - مسلم ج ٤ ص ١١٠ .

( ٦ ) قاله ابن كثير في تفسيره ج ٨ ص ٥٠٣ .

- الدخان :

تحدثنا فيما مضى من أحداث التاريخ التى قصها الله - سبحانه وتعالى -  
على النبو - صلى الله عليه وسلم - التى نزلت بالمكذبين والمعاندين - ممن  
الام السابقة - للانبياء عليهم السلام . فهل الفرض من ذلك سرد هـا  
والتسلية بها ؟ كلا . .

ان الفرض منها العبرة للاجيال المتأخرة جيلا بعد جيل ، الى أن يبرث  
الله الارض ومن عليها ، ليكونوا على حذر من الوقوع فى المهالك التى وقع فيها  
آباءهم والاولون ( لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب . ما كان حديثا  
يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم  
يؤمنون ) (١) . كما ذكر الله سبحانه فى القرآن الكريم انواعا من نعمه التى  
تحتاج اليها الاجسام وترتاح لها النفوس - لعل الناس يعترفون بها ويتجهون  
الى المنعم بها وهو الله - سبحانه - خالق السموات والارض - وذلك باسلوب  
جذاب للبصائر السليمة من الامراض ( فانها لاتصن الابصار ولكن تصنع  
القلوب التى فى الصدور ) (٢) . علمت قريش بهذا وانذروا مقت الله وفضيبه  
ان يحلبهم كما حل بمن قبلهم ، فلم يعيبوا بذلك بل اعرضوا وكذبوا وعاندوا  
وجابها الدعوة الاسلامية ( فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد  
وثمود ان جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله  
قالوا لو شاء ربنا لازل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون ) (٣)

قال ابن مسعود - فى معرض الرد على القائلين بان الدخان يكون يوم  
القيامة - ( ان قريشا لما أبطأوا عن الاسلام ، فدعا عليهم النبو - صلى الله  
عليه وسلم - . .

وفى لفظ : أن النبو صلى الله عليه وسلم ( دعا قريشا الى الاسلام  
فأبطأوا عليه . . . )

وفى لفظ آخر : لما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشا  
استمعوا عليه ، فقال : ( اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ) .

( ١ ) سورة يوسف : ١١١

( ٢ ) سورة الحج : ٤٦

( ٣ ) سورة فصلت : ١٣ - ١٤

وفى لفظ ( بسنين كسنى يوسف . فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها  
وأكلوا الميتة والعظام . ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان  
فأتاه ابوسفيان فقال : أى يا محمد ان قومك قد هلكوا فادع الله  
ان يكشف عنهم فدعا ) .

وفى لفظ ( ثم قرأ ) ( فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يفتشى  
الناس هذا عذاب اليم . ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . الى قوله  
تمالى : ( انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون . يوم نبطش البطشة  
الكبرى انا منتقمون ) (١) .

وفى لفظ : فدعوا ( ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . انى لهم  
الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . انا  
كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون ) (٢) .

فكشف عنهم العذاب . ثم عادوا فى كفرهم . فاخذهم الله يوم بدر  
افيكشف العذاب يوم القيامة ؟ ولمسلم . ( اتى النبی رجل فقال يا رسول  
الله استغفرالله لضر . . فانهم قد هلكوا . . فدعا الله لهم فانزل الله  
- عز وجل - ( انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون ) فمطروا فلما اصابتهم  
الرفاهية عادوا الى ما كانوا عليه فانزل الله - عز وجل - ( فارتقب يوم تأتى  
السماء بدخان مبين ) .

وقال : ( خمس قد مضين : اللزائم والروم ، والبطشة ، والقمر ،  
والدخان ) (٤) .

(١) الدخان : ١٠ - ١٦ .

(٢) الدخان : ١٢ - ١٤ .

(٣) اى ادع لهم بالهداية التى يترتب عليها الاستغفار .

(٤) البخارى ج ٣ ص ١٧٣ - ١٨٧ . مسلم ج ٨ ص ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ ،  
والمراد باللزائم قوله تعالى ( فسوف يكون لزاما ) اى يكون عذابهم  
لازما ، وهو البطشة الكبرى يوم بدر . ا ه نووى شرح مسلم ج ١٨ ص :  
١٤٢ - ١٤٣ .

وقد اورد هذا الاثر رءوف شلبى فى رسالته ولم يسند ه الى الصحيحين  
بل اسنده الى تفسير ابن كثير وذكر فيه : ان قرىشا دعوا الله جل شاناه  
وتعرفوا عليه وابتهلوا اليه ) ولم اجد هذه الزيادة فيه بل وجدت فى البخارى  
( فدعوا ربنا اكشف عنا العذاب ) الاية . ولم يذكر الخلاف . وانظر  
الدعوة الاسلامية له ص ١٥٩ - من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية  
بالقاهرة سنة ١٣٩٤ هـ .

وقد اختلف المفسرون في الدخان المذكور في هذه الآية هل قد مضى  
ونزل بقريش من الآيات المنتظرة ؟

فذهب ابن جرير والشوكاني وغيرهما الى ترجيح اثر ابن مسعود  
على غيره من ان الدخان قد نزل بقريش ، وذهب ابن كثير الى ان الدخان  
من الآيات المنتظرة . وهو قول ابن عباس ومن وافقه من الصحابة لحد يث  
حذيفة بن اسيد الغفاري مرفوعا : وفيه ( لن تقوم (١) حتى ترون قبلها  
عشر آيات : فذكر الدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى  
ابن مريم وياجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف  
بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ) (٢)  
وغير ذلك من الاحاديث التي اوردها ابن كثير في تفسيره ووافقه سيد قطب  
وحمل تفسير ابن مسعود بالدخان النازل بقريش بقوله : ( انما هو خيال  
رأوه في اعينهم من شدة الجوع والجهد ) . اما القرطبي فقد سرد الاقوال  
وأدلتها وسكت عن الترجيح . (٣)

قلت : وهل هناك مانع من كون الدخان قد نزل بالفعل على قريش  
كما هو ظاهر القرآن ( انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عابدون ) بمسود  
أن دعوا ( ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ) ودعا لهم النبي صلى الله  
عليه وسلم فكشف عنهم فلما اصابتهم الرفاهية عنادوا الى ما كانوا عليه فانزل  
الله ( فارتقب ) كما في مسلم .

وهل يتنافى هذا القول مع الادلة على أن الدخان من أمارات الساعة  
ولما يأت . الظاهر انه لا تعارض لا مكان الجمع بالتمدد ان لم يكن عندي  
مرجح لكن الجمع مقدم على الترجيح مهما امكن . والله أعلم بالمراد .

( ١ ) اي الساعة .

( ٢ ) مسلم ج ٨ ص ١٧٩ .

( ٣ ) انظر التفاصيل في جامع البيان ج ٢٥ - ١١٤ - تفسير القرطبي ج ٧ ،  
ص ٥٩٥٠ - ٥٩٥١ . تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ - فتح  
القدير ج ٤ ص ٥٧٣ . في ظلال القرآن ، ج ٢٥ ص ٣٢١٠ - ٣٢١٢ .

المبحث الثالثمنهج الدعوة من الناحية الروحية (١)  
وآثاره التوحيدان بالترغيب والترهيب

ان الانسان بطبيعته يحب ما ينفعه ، ويبغض ما يضره ، لما فيه من غريزة حب الذات ، وقد سبق أن ذكرت ان المنهج القرآني يخاطب الانسان ويشيره عن طريق مصالحه وطذاته وعن طريق قضاياها المباشرة لحياته الحاضرة ومصيره البعيد وذلك بالاسلوب العاطفي كما ذكرت بعض الايات المناسبة في الاستدلالات الكونية ، والتاريخية ، المخاطبة للعقل والعقلاء ، ولا يخفى العبرة بأحوال من مضى من الطائعين والمعاصين .

ومعلوم ان مخاطبة العقول لا تثير وجدانا ، ولا تغذى النفس التنفيذية الروحية كالترغيب في ثواب الاعمال الصالحة ، للطائعين لله ولرسوله ، والترهيب في عقاب العصاة والكافرين بالله ، ومرسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

وكما أن الجسد محتاج الى الغذاء المادي ، فالنفس محتاجة الى الغذاء الروحي ، ولا بد من التوازن بينهما ولذلك مزج القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب . قلما تجد آية ترغيب الا واعتبتها آية ترهيب والعكس بالعكس ، لانه اذا غلب الترغيب حصل الخوف فالقنوط ، واذا غلب الترغيب حصل التواكل والدرجة التي بينهما هي المثلى . والله أعلم .  
ربنا اننا نرجو رحمتك ونخشى عذابك .

( ١ ) نسبة الى الروح . وقد ورد في القرآن على معان كثيرة ، من ذلك جبريل وعيسى ، والوحى وطك عظيم . ومن امر الله ، ونور القلب ، والتأييد والنصر ، واستعداد الانسان لمعالي الصفات ، والنفس الناطقة ، وغير ذلك . انظر آدم للبهى الخولى ص ٢٢ - ٢٣ - ط الاستغلال - الروح لابن قيم الجوزية ص ٢١٧ - ٢١٩ ، تفسير القرطبي ج ٨ ، ص ٦٩٧٧ - فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ١٩٣ ، قاموس القرآن للدماغاني ، تحقيق وتكميل عبدالعزيز سيد الاهل ، ص ٢١٢ ، ط . بيروت ، مصباح ج ١ ص ٢٦٣ .

قال ابن قيم الجوزية : ( اعلم ان الله جعل للقلوب نوعين من  
الغذاء ، نوعا من الطعام والشراب الحسى ، وللقلب منه خلاصته وصفوه  
ولكل عضو فيه بحسب استعداده وقبوله ، والثاني غذاء روحانى معنوى خارج  
عن الطعام والشراب ، السرور والابتهاج واللذة والعلوم والمعارف . وهذا  
الغذاء كان سماويا علويا ، وقوامه بهذين الغذاءين . (١)

واعلم أن هذا المبحث وان تفرعت شعبه ، فهو يرجع الى طريقين  
هما الترغيب والترهيب . كما يشير الى ذلك قوله تعالى : ( ان هذا  
القرآن يهتدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات  
ان لهم أجرا كبيرا . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا  
اليم ) (٦) .

ففي هذه الآية ترغيب وترهيب . . ترغيب للطائعين لله ورسوله الحافظين  
لحدود الله تعالى بمصطفيهم الخير وتبشيرهم بحسن المثوبة، وترهيب  
بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله وعصوا الله ورسوله بالعذاب  
الشديد وسوء العاقبة .

ثم ان الوعد بالخير يعم الدنيا والآخرة وسعادتها والوعيد كذلك يشمل  
نقمها وشقاءها فقد وعد جل شأنه المؤمنين الصادقين الاستخلاف فى  
الارض والامن من المخاوف والعزة والسيادة والحياة الطيبة ، واعد العاصين  
بالخزي والذل وضنك المعيشة فى الحياة الدنيا . كما وعد بالنعيم  
المقيم واعد بنار الجحيم فى الآخرة . والوعد ساق الطائعين الى الجسد  
فى الطاعة والوعيد اوقف العاصين عند حد الادب . (٣) ( وعد الله الذين  
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم  
وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من يحدوهم امنا ، يعبدوننى  
لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاوكلك هم الفاسقون ) (٤) . للذين  
احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدوا الآخرة خيرا ولنعم دار المتقين . جنات  
عدن يدخلونها تجري من تحتهم الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي  
الله المتقين ) (٥) .

( ١ ) مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٠٨

( ٢ ) سورة الاسراء : ٩ - ١٠

( ٣ ) انظر هداية المرشدين ص ١٨٢

( ٤ ) سورة النور : ٥٥

( ٥ ) سورة النحل : ٣٠ - ٣١

( من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) (١) . ( فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ) (٢) .

( ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها ومن يصص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا ) (٤) .

( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ) (٥) .

( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ) (٦)

( ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا . يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسولا ) (٧) .

والرغبة فيما عند الله من النعيم المقيم هي التي دفعت بلالا وآل ياسر وخباب بن الارت وغيرهم على تحمل التعذيب الشديد ، بامر الرضاؑ والنار حتى انه اذا اشتد العذاب على بعضهم قال : أحد أحد . . . وكان اذا مر النبي عليه الصلاة والسلام بآل ياسر وهم يعانون من شد قالتعذيب يقول : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة . (٨)

(١) سورة النحل : ٩٧ .

(٢) سورة طه : ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) سورة التغابن : ٩ - ١٠ .

(٤) سورة الجن : ٢٣ .

(٥) سورة النساء : اية ٦٩ .

(٦) سورة الاحزاب : ٧٠ - ٧١ .

(٧) سورة الاحزاب : ٦٤ - ٦٦ .

(٨) سياقى بيانه فى فصل جهاد الدعوة من هذا المبحث ان شاء الله .



والرغبة في الجنة هي التي دفعت برجال العقبة الكبرى الى البيعة  
 لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة في النشاط والكسل  
 وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى القول في الله تعالى بلا  
 خوف وعلى النصر والبيعة ليبلغ رسالته . . وان أدى الى قتل خيارهم (١)  
 والرغبة في رضوان الله - عز وجل - هي التي حدثت بأهل بدر الى الاستماتة  
 في سبيل الله حتى ان بعضهم استبطأ اكل تمرات في يده ليتقوى بها  
 على القتال ، فرماها قائلاً : انها لحياة طويلة ان عشت الى ان آكلها  
 فانقض بسيفه على المشركين حتى استشهد ، (٢)

وبعضهم قطع يده من كتفه . . فقاتل طوال النهار وهي معلقة  
 في جلده ، فلما آذته في آخره وضعها تحت رجله وتمطى حتى قطعها  
 ليواصل القتال . (٣)

والرغبة في الجنة هي التي دفعت الاكثية الساحقة من شباب أحد  
 على الالاح في الخروج لقتال المشركين حتى قال بعضهم اني لا جسد  
 ربح الجنة خلف أحد . (٤)

والبعض الاخر قال : اني أحب ان اطأ بمرجتي هذه في الجنة (٥) .  
 كما دفعتهم ايضا الى الخروج - وهم مشغنون بالجروح - وراء المشركين الى  
 حمراء الاسد حاملين الجرحى على ظهورهم . (٦)

والرغبة في الجنة هببت اليهم الا يثار على انفسهم في اخرج الظروف  
 حتى انها لتعرض شربة ماء على أحد هم في المعركة وهو في اخر رمقه فيرد لها  
 قائلاً : اخي احق بها مني . . وهكذا حتى تعود الى الاول وقد استشهد  
 والثاني والثالث وهكذا الى ان ماتوا جميعا ولم يشربها احد منهم . رض الله  
 عنهم أجمعين . (٧)

- 
- ( ١ ) سياق بيانه في بيعة العقبة الكبرى ان شاء الله .  
 ( ٢ ) هو عمرو بن العاص اخو بني سلمة ولفظه في السيرة ابن هشام . . بخ بخ .  
 وهي كلمة تقال في موضع الاعجاب ( فمابيني وبين ان ادخل الجنة  
 الا ان يقتلني هؤلاء . . اه . المرجع نفسه ج ١ ص ٦٢٧ .  
 ( ٣ ) هو معاذ بن عمرو بن الجموح اخو بني سلمة كذا في المصدر نفسه ص ٦٣٤  
 ( ٤ ) انظر التفاصيل في المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٣ .  
 ( ٥ ) هو عمرو بن الجموح وكان اعرج قتل يوم احد كما في المصدر نفسه ص ٩ .  
 ( ٦ ) انظر التفاصيل في المصدر نفسه ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ وحمراء الاسد موضع ييد  
 يبعد عن المدينة بثمانية اميال على طريق مكة .  
 ( ٧ ) اشارة الى قصة عكرمة ابن ابي جهل واصحابه يوم اليرموك وانظر التفاصيل  
 في البداية والنهاية ج ٧ ص ١٢ . تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٩٧ .

الفصل الثالثمراحل الدعوة- الخطوة الاولى :

لما نزلت سورة المدثر تيقن النبي عليه الصلاة والسلام - أن الله - سبحانه - كلفه بأعباء الرسالة التي لا يحتملها الا أهل القوة والعزم من الرسل ، يمضون الله وتوفيقه ، مما يزيد هذا العبء ثقلاً وشدة أنه بدأ تحمله في مكة ، وهي مركز ديار العرب ، وبها سدنة الكعبة والقوام على الاوثان والاصنام المقدسة عند العرب . فالوصول الى المقصود من الاصلاح فيها يتطلب جهوداً غير قليلة ، بل يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها ، اذن فالامر يحتاج الى عزيمة لا تنزلها المصائب .

وكان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة الى هذا الدين في بدء أمرها سرية لئلا يفاجئ أهل مكة . .

- الاتصال الفردي :أ - اسلام خديجة بنت خويلد :

من حكمة الله - سبحانه - أن شرح صدر خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها لما جاء به عليه الصلاة والسلام . وكان ذلك الاتصال الاول ، بأقرب الناس الى صاحب الدعوة - صلى الله عليه وسلم - فكانت اول من آمن به وصدقت بما جاء من الله ووازرته على امره ، فخفف الله به عن نبيه صلى الله عليه وسلم شيئاً كثيراً مما يجده من أمر الدعوة ، ان كان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد وتكذيب . فيحزنه ذلك الا فرح الله عنه بها اذا رجع اليها تثبتته وتهون عليه أمر الناس .

وقد بشرها عليه الصلاة والسلام ببيت في الجنة من قصب (١) لاصخب فيه

ولا نصب . (٢)

(١) القصب هنا اللؤلؤء المجوف كالقصر المصيف وقيل من ذهب منظوم بالجوهر والنصب التعب والصخب الصوت المختلط المتووي ج ٥ ص ٢٠٠

(٢) من حديث رواه البخاري ج ٢ ص ٣١٥ - مسلم ج ٧ ص ١٣٣ ، عن عائشة وغيرها - السير والمغازي لابن اسحق ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

وكانت أول من علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - الوضوء عقب ما علمه جبريل عليه السلام مباشرة ان همز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من زمزم فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ثم صلى ركعتين واربع سجادات . وفي الحلبيه فقال له يا محمد : ( ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس ، فادعهم الى قوله لا اله الا الله ثم ضرب برجله في الارض فنبعت عين ماء وفي بعض الروايات حين افترضت عليه الصلاة ، وهذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين صبيحة الاسراء والمعراج .

### - اسلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

ثم ان علي بن ابي طالب جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان فقال يا محمد ما هذا ؟ قال : دين الله الذي اصطفاه لنفسه ، وبعث به رسوله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته وان تكفروا باللات والعزى . فقال علي هذا امر لم اسمع به قبل اليوم . فلست بقاض شيئاً حتى احدث به ابا طالب ففكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشى عليه سره قبل ان يستعلن امره ، فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكنتم . فمكث علي تلك الليلة ثم اوقع الله في قلبه الاسلام ، فأصبح غاديا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد ؟ فقال له تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وتكفروا باللات والعزى . وتبرأ من الانداد . ففعل علي واسلم ، ومكث ياتي به علي خوف من ابي طالب وكنتم على اسلامه وكان ما انعم الله به عليه انه كان فسيحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره ان ذاك عشر سنين .

وقال أنس : ( بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وصلى علي يوم الثلاثاء ) ( ١ ) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الصلاة انطلق هو وعلي ابن ابي طالب الي بعض الشعاب بمكة يصليان ويعودان ، فعثر عليهما ابو طالب فقال :

( ١ ) رواه الترمذي وقال غريب ج ١٠ ص ٢٣٤ .

يا ابن اخو هذا الدين قال : دين الله وملائكته ورسوله ، ودين ابيننا  
ابراهيم بمعنى الله به الى العباد ، وانت أحق من دعوته الى الهدي ،  
واحق من اجابتي قال : لا أستطيع ان افارق ديني ودين ابائى ، ولكن  
والله لا تخلص قريش اليك بشىء تكرهه ما حييت . ، وقال لعل ما هذا  
الدين الذى انت عليه . قال : يا ابت ! آمنت بالله ورسوله وصليت معه  
فقال : انه لا يدعرك الا الى الخير فالزمه . (١)

ثم توالى الاتصالات الفردية من فرد الى فرد مأخوذة فيهما بعين  
الاعتبار الاقرب فالاقرب ثم الاصلح فالاصح ، فكان أن اسلم الصديق الحميم  
الذى امتاز بأن كان اسلامه بغير كبوة .

— اسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

لما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم - الاسلام على أبى بكر قال  
له : يا أبا بكر : انى رسول الله ونبيه بمعنى لا يبلغ رسالته وادعوك الى  
الله بالحق ، فوالله انه للحق ، أدعوك الى الله وحده لا شريك له ولا يعبد  
غيره ، والموالاتة على طاعته اهل طاعته وقرأ عليه القرآن . فلم يفر ولم ينكر  
فأسلم وكفر بالاصدام وخلق الانداد وأقر بحق الاسلام . ورجع وهو  
مؤمن مصدق ، وظهر اسلامه . وفى ذلك قال : صلى الله عليه وسلم :  
( ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر الا ابا بكر  
ماترد فيه ) وقال أيضا : صلى الله عليه وسلم - ( ان الله بعثنى اليكم  
فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدق ) (٢) .

وقد اختلف فى اول من اسلم من الصحابة فقيل خديجة وقيل ابو بكر  
وقيل على وقيل غير ذلك .

( ١ ) انظر السير والمغازى ص ١٣٦ - ١٣٧ - السيرة النبوية - ابن كثير  
ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٨ - تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٠٧ - ٣١٣ ، السيره  
الخلبية ج ١ ص ٤٢٤ .  
( ٢ ) السير والمغازى ج ٢ ص ١٣٩ . البخارى ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

والجمع بين الاقوال : ان اول من اسلم من الرجال الا حرار أبوبكر  
ومن الصبيان علي ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ،  
ومن العبيد بلال . (١)

قلت ؛ وهو جمع حسن لأن سابقة خديجة ثابتة في الصحيحين وغيرهما  
في حديث بدء الوحي . وقد سبق . وعلي كان في حجر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم . وقد سبق الحديث عن اسلامه وصلاته اليوم الثاني من البعثة  
وابوبكر يشير الى سابقته الحديث السابق ، وغيره .  
وقد دعا الى الله عز وجل - من يثق به من قومه ممن يفتشاه ويجلس اليه  
فأسلم على يديه جماعة - لما له من المكانة لدى قومه - منهم عثمان بن عفان  
والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطاحنة بن  
عبيد الله . . . وهؤلاء هم الدفعة الاولى .

قال ابن اسحق : . . ( فانطلقوا - اى هؤلاء النفر - حتى اتوا رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - ومعهم ابوبكر - رض الله عنهم اجمعين - فعرض  
النبي عليه الصلاة والسلام - عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وانهاهم بحق  
الاسلام وما وعدهم الله من كرامة فآمنوا واصبحوا مقرين بحق الاسلام ) (٢)  
وقد كلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اسلم تبليغ من لم يسلم  
باعتبار الاقرب فالاقرب . وهذه الطريقة تكاثرت الجماعة المسلمة وتغلغل  
الايان في نفوسهم حتى تكونت منهم القاعدة الصلبة اللازمة للبناء .

...

( ١ ) هذا ما ذهب اليه ابو حنيفة وابن الصلاح والنووي كما في السيرة النبوية

ابوشهبه ص ٢٩١ .

( ٢ ) السير والمغازي ص ١٤٠ .

- تحديد الهدف :

سبق أن ذكرت ما عرضه النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر  
وعلي من النضاية التي ارسل من أجلها . وتأكيذا لذلك نسجل ما عرضه  
صلى الله عليه وسلم على عمرو بن عبسة وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهما  
فان عمرو بن عبسة لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام  
قال : بم ارسلك ربك ؟ قال : ( بأن نعبد الله وحده لا شريك له وتكسر  
الاصنام وتوصل الارحام ، فاسلم . فقال للنبي صلى الله عليه وسلم فاتبعك  
يا رسول الله قال ، لا ولكن الحق باهلك فاذا سمعت بى قد ظهرت  
فأتنى . . ) (١)

وقال صلى الله عليه وسلم لخالد بن سعيد بن العاص حينما سأله  
الام تدعو ؟ قال : ( أدعوك الى الله وحده لا شريك له . وان محمدا  
عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع  
ولا يدري من عبده ممن لا يعبده . قال خالد : فاني اشهد ان لا اله الا الله  
وانك رسول الله . وكان قد رأى في النوم انه وقف على شفير النار .  
وكأن اتيا اتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذوا بحقوقه  
لا يقع ففزع من نومه فقال : احلف بالله ان هذه الرؤيا حق ، فكانت  
النتيجة ما ذكره هو اسلامه . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم لقريش اثناء المفاوضة : كلمة واحدة تعطوننيها  
تطغون بها العرب وتدين لكم بها العجم تقولون لا اله الا الله وتخلصون  
ما تعبدون من دونه ، وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله في موضعه . (٣)  
فأما الفطر السليمة اذا اتضح لها السبيل المستقيم تسلكه عن ايمان  
واقتناع لا تعباً لاي مخالف .

- 
- (١) قطعة من حديث طويل لفظها . . . ارسلنى الله بصلة الارحام وكسر  
الاوئان وان يوحد الله لا يشرك به شىء . رواه مسلم ج ٢ ص ٢٠٨ .  
(٢) رواه البيهقي كما في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٢ .  
(٣) انظر السير والمغازي ص ٢٣٦ - ٢٣٧ البداية ج ٣ ص ١٢٣ ،  
السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، الترمذى بتحفة الاحوذى  
ج ٩ ص ٩٩ - ١٠٠ - تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤٦ ، مسند احمد  
ج ١ ص ٣٦٢ .

فلما أسلم سعد بن ابي وقاص - وكان باراً بأمه - قالت له : ( واللهم لا اكلت طعاماً ولا شربت شراباً حتى تكفر بما جاء به محمد .  
 سعد يوم وليلة - وكادت أن تموت جوعاً وعطشاً - قال لها سعد : " تعلمين يا أمه لو كان لك مئة نفس تخرج نفساً نفساً ما تركت دين هذا النبى فكلى ان شئت اولا تاكلىن ، فلما رأت ذلك أكلت .

وفى رواية مسلم : ( مكثت ثلاثاً حتى غشى عليها من الجهد ، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فانزل الله عز وجل ( ووصينا الانسان بوالديه احساناً وان جاهداك على ان تشرك بي ) وفيها ( وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ) (١)  
 وكذلك فعلت لما أسلم ابنها عامر او عمارة فقال لها سعد بما سبق وزاد : ( حتى تتبوءى مقعدك من النار ) (٢)

وأما الفطر المنتكسة فانها تهرب من الحق وتلتوى عنه .

...

( ١ ) المنكبات<sup>التي</sup> وثماها ( وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما والسى ربهمكم فأنتبكم بما كنتم تعملون ) . وفى سورة لقمان ( وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً . . . الآية ١٥ .

( ٢ ) مسلم ج ٧ ص ١٢٥ - ١٢٦ وانظر السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٤٧ - اسباب النزول للواحدى ص ١٩٥ وفيه قال المفسرون نزلت فى سعد بن ابي وقاص لما أسلم . قالت له امه جميلة يا سعد بلغنى انك صبوت فوالله لا يظلمنى سفق من الفح والريح ولا آكل ولا اشرب حتى تكفر بمحمد . . . وانظر لباب المنقول للسيوطى ص ١٧٠ وفيه ( قالت ام سعد اليس قد امر الله بالبر والله لا اطعم طعاماً ولا اشرب شراباً حتى أموت او تكفر بمحمد . " .

أول مدرسة في الاسلام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

سبق ان ذكرت اسلام خديجة رضى الله عنها وعلى وابي بكر وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين وكلهم تلقوا الاسلام في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وها نحن اولاء الان مع صهيب (١) الرومي وعمار (٢) بن ياسر اليماني وقد مر صهيب ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال لعمار اين تريد يا صهيب قال اريد ان ادخل الى بيت محمد عليه الصلاة والسلام فأسمع كلامه وما يدعوا اليه قال عمار : وانا اريد ذلك . فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما ما حفظه من القرآن فتشهدا . ثم مكثا عنده يومه ذلك حتى اذا أمسيا خرجا مستخفين فدخل عمار على ابيه وامه فسألاه اين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن في يومه ذلك فأعجبهما فاسلما على يديه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب . (٣)

(١) هو صهيب بن سنان النمري وهو الرومي كان ابوه عاملا لكسرى على ابيه وكانت منازلهم بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسببت صهيبا وهو غلام فنشأ بالروم فصار الكن فابتاعته منهم كلب ثم قدمته به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام معه بمكة حتى هلك عبد الله ومات النبي (ص) دفع ماله لقريش مقابل ان يتركوه للهجرة فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بالمدينة سنة ثمان وثمانين عن ثلاث وسبعين سنة وقيل غير ذلك . ودفن بالبقيع الاصابة ج ٥ ص ١٤٧ وما بعدها .

(٢) هو مولى لبنى مخوم ومن السابقين الى الاسلام ومن المعذبين في مكة قتل في صفين مع علي ابن ابي طالب وفيه قال صلى الله عليه وسلم ( تقتل عمارا الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ) رواه

سليم . البخاري ج ١ ص ٨٩ - مسلم ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ - وغيرهما  
(٣) انظر الاصابة مع الاستيعاب ج ٥ ص ١٤٧ وما بعدها ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٥ .



أسلوب الحكمة :

وهنا حصين والد عمران لما طلبت منه قريش . وكانت تعظمه وتجله . أن يكلم محمدا صلى الله عليه وسلم . فانه يذكر الهتنا ويسبهم فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخل حصين فلما راه النبي قال اوسعوا للشيخ ، فقال حصين : ما هذا الذى بلضنا عنك ؟ انك تشتم آلهتنا . فقال يا حصين كم تعبد من السماء قال : سبعة فى الارض وواحد فى السماء . فقال : فاذا اصابك الضر فمن تدعو ؟ قال الذى فى السماء . قال فاذا هلك المال من تدعو ؟ قال الذى فى السماء . قال فيستجيب لك وحده وتشارك معه . . يا حصين أسلم تسلم . فأسلم . فقام اليه ولده عمران فقبل راسه ويديه ورجليه . فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بكيت من صنع عمران ، دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم وفى حقه ، فدخلنى من ذلك الرقة . فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيعوه الى منزله ، فلما خرج من سدة الباب . اى عتبته . راته قريش . قالوا : قد صبا وتفرقوا عنه . (١)

هكذا منهج الدعوة ، عرض وأخذ وعطاء واقناع بالبراهين الواضحة المطابقة للواقع ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ) (٢) والحكمة وضع الشئ فى موضعه وذلك هو أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ( قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين ) . (٣)

كم تعبد آلهة يا حصين ؟ من تدعو اذا اصابك الضر ؟ اذا هلك المال ؟ الخ . ولما دعا النبي . صلى الله عليه وسلم . قريشا لما انزل الله عز وجل ( وانذر عشيرتك الاقربين ) (٤) صعد الصفا فجعل يهتف ببطون قريش بطنا بطنا . فلما اجتمعوا قال :

(١) انظر السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٥ والاصابة ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، مع خلاف بسيط .  
 (٢) النحل اية ١٢٤  
 (٣) يوسف : اية ١٠٨  
 (٤) الشعرا\* : ١١٤ وانظر دعوة الرسل لمحمد العدوى ص ٤٠١

( أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ . أَكُنْتُمْ مَصْدُقِي ؟ )  
 قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا .  
 وَفِي رِوَايَةٍ : ( مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ) .  
 فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ شَهَادَةُ الْخُصُومِ الْمُسْتَهْتَمِينَ . قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
 ( فَاثْنَيْ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ) ( ١ ) وَكَانَ ذَلِكَ تَعْرِيفًا بِمَقَامِ النَّبِوَةِ  
 وَمَا يَنْفَرُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ بِالْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَّةِ وَمَوْعِظَةً وَانذَارًا ، فِي حِكْمَةٍ وَبِلَاغَةٍ  
 لَا تَنْظِيرَ لَهَا فِي تَارِيخِ الدِّيَانَاتِ وَالنَّبَوَاتِ . فَلَمْ يَكُنْ اسْلُوبًا وَضَحَ مِنْ هَذَا  
 الاسْلُوبِ . فَسَكَتَ الْقَوْمُ وَلَكِنْ أَبَا لَهَبٍ قَالَ : ( تَبَا لَكَ سَائِرِ الْيَوْمِ أَمَا دَعَوْتُنَا  
 إِلَّا لِهَذَا ) ( ٢ ) .

### - الخطوة الثانية : التكوين السرى في دار الارقم :

لَمَّا أَسْلَمَ النَّفَرُ السَّابِقَ ذَكَرَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٌ لَمْ  
 يَكُنْ لَهُمْ مَقْرِبًا وَبِهِمْ يَتَلَقُونَ فِيهِ تَمَالِيمَ الْإِسْلَامِ وَهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
 إِذَا كَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِصَلَاتِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَعَابِ مَكَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ فِئْسَى  
 شَعْبٍ مِنْ شَعَابِهَا إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يَصِلُونَ فَنَاكِرُوهُمْ  
 وَهَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَجُلًا مِنْهُمْ  
 بِلَحَى بِعَمِيرٍ فَشَجَّهَ فَهَوَّأَ دَمَ هَرِيْقٍ فِي الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَدْرَكَ  
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خِلَالِ تَفْكِيرِهِ فِيمَنْ وَفِيمَا حَوْلَهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لَأَيِّ عَمَلٍ  
 أَنْ يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ إِلَّا بِتَكْوِينِ جَمَاعَةٍ تَتَعَاوَنُ فِي إِيْصَالِهِ . لِذَلِكَ دَخَلَ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ الْارْقَمِ ( ٣ ) هُوَ وَأَصْحَابُهُ مُسْتَخْفِينَ بِهَا مِنْ قُرَيْشٍ

( ١ ) الْبُخَارِيُّ ج ٣ ص ١٧١ - مُسْلِمٌ ج ١ ص ١٣٤ وَسَيَاتُ مَزِيدٍ مِنَ الْبَيَانِ  
 أَنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ هَذَا الْهَدِيثِ فِي مَرَحَلَةِ الْجَهْرِ بِالْدَعْوَةِ وَغَيْرِهَا .

( ٢ ) انْظُرِ السِّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ لِلنَّدَوِيِّ ص ٨٨ دَارُ الشُّرُوقِ - جَدَّةُ / وَالْقِطْعَةُ الْآخِرَةُ  
 مِنَ الْهَدِيثِ فِي الصَّحِيحِينَ كَمَا سَبَقَ .

( ٣ ) الْارْقَمُ كَانَ اسْمَهُ عَبْدُ مَنَافِ بْنِ أَسَدٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ  
 وَامَةٌ تَعَاَضَرَتْ بِنْتُ جَدِّهِ السَّهْمِيَّةُ وَيُقَالُ أُمِّيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخَزَاعِمِيَّةِ  
 كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوْلِيَيْنِ قِيلَ اسْلَمَ بَعْدَ عَشْرَةِ أَشْخَاصٍ وَقِيلَ بَعْدَ سَبْعَةِ  
 شَهَدَ بَدْرًا وَأَهْدَى وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ تَوَفَّى فِي خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ  
 وَقِيلَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ وَصَلَّى عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ تَنْفِيذًا لِوَصِيَّتِهِ . أ هـ  
 مِنَ الْإِصَابَةِ ج ١ ص ٤٠ - ٤١ . وَكَانَتْ دَارُهُ بِمَكَّةَ عَلَى الصَّفَا اسْلَمَ فِيهَا  
 جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ . أ هـ / الْاسْتِعَابُ مَعَ الْإِصَابَةِ ج ١ ص ٢٤٤ /

وكانت عند الصفا يؤمها الحجيج والغرباء ، يدعو الناس فيها الى  
الاسلام . فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم  
ويعبدون الله تعالى فيها الى أن أمره الله باظهار الدعوة<sup>(١)</sup> بعد أن تكاملوا  
أربعين رجلا فخرجوا .

وزاد ابن كثير نقلا عن الأصوي في صغاريه

أن المشجوع عبد الله بن خطل لعنه الله . (٢) والله أعلم .

وهكذا بدأ الاسلام غريبا في مكة كما قال صلى الله عليه وسلم :  
( بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوى للغرباء ) (٣) .

بدأ محمد صلى الله عليه وسلم - بالدعوة الى الله وحده بدين الاسلام  
غريبا بين اهله وذويه ، غريبا بين عشيرته ، غريبا بين عامة قومه . بلغ بهم  
اللؤم ان أتمروا على قتله ( وان يمكركم الذين كفروا ليشتكوك او يقتلوك  
او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) (٤) وذلك في دار الندوة  
كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

بدأ هذا الاسلام غريبا ودا أتباعه غرباء ضعفاء ( كزعم اخراج شطاه  
فأزره فاستفلظ فاستوى على سوقه ) (٥) ( وسيعود غريبا كما بدأ ) فهل  
هذه العودة قد ذهبت ؟ ام هي آتية فيما بعد ؟ ام نعايشها في زماننا  
هذا ؟ .

وقد بحثت عن جواب لهذه التساؤلات حول شرح هذا الحديث  
فوجدت في معنى ( غريبا ) في المدينة وان الاسلام بدأ بها غريبا وسيعود اليها  
هكذا نقله النووي واسنده لطالك وتعقبه القاضي ( بان ظاهر الحديث

( ١ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦٣ - والحلبية ج ١ ص ٤٥٦

والاصابة ج ١ ص ٤٠ والاستيعاب ج ١ ص ٢٤٣ / ٢٤٤ .

( ٢ ) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٣ .

( ٣ ) مسلم ج ١ ص ٩٠ عن ابي هريرة وابن عمر الدارمي ج ٢ ص ٢٢٠ وطوى  
فيها لغتان تقول العرب طوى بالأن وطوى لك ومن معانيها فرح وقرعة عين  
وحسنى وكرامة لهم ود وام الخير والجنة وشجرة في الجنة وكل هذه الاقوال  
محتلمة كذا قال النووي في شرح مسلم ج ٢ ص ١٧٦ .

( ٤ ) الانفال : ٣٠

( ٥ ) الفتح : ٢٩ وشاطا الزرع افراخه . وانظر لمزيد من الايضاح تفسير

القرطبي ج ٧ ص ٦١١٤ .

العموم ، وأن الاسلام بدأ فى آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ، ثم سيلحقه النقص والا خلال حتى لا يبقى الا فى آحاد وقلة ايضا كما بدأ .  
والغرباء هم النزاع من القبائل والمراد بذلك المهاجرون الذين هجروا  
أوطانهم الى الله تعالى . (١)

قلت : وما قرره القاضى هو الذى يدل عليه ظاهر الحديث ، لان  
واقع التاريخ لبداية العهد المكي هو نفي الغربة التى بدأ بها كما سبق  
بيان ذلك وكما سياتى . وليس العهد المدنى هو بداية الغربة فانه بداية  
عزة الاسلام ورفعته يشهد لذلك وقعة بدر وما بعدها .

أما العودة فقد اشار اليها القاضى بقوله : ( ثم سيلحقه النقص  
والا خلال حتى لا يبقى الا فى آحاد وقلة ايضا كما بدأ ) وهذه العودة لا ترتبط  
بزمان ولا مكان معين وانما تعود كلما انتقل زمام الحكم من ايدى المسلمين  
الى غيرهم ان يحصل الفساد فى الارض نتيجة لذلك . وسيكون هناك رجال  
يحاولون ان يصلحوا ما افسد الناس وسيكونون فى وسط الناس غرباء كما كان  
محمد صلى الله عليه وسلم - غريبا بين أهله وعشيرته ( تبارك . المهذا  
جمعتنا ) (١)

وكما كان ذلك حال الضعفاء المعذبين كأسرة ياسر وللال وغيرهم غرباء  
بين مشركى قريش . وقد شاء الله ان يكون فى جيلنا صلحون لما أفسد  
الناس فظلمتهم تلك السحابة السوداء فكانت تلك الغربة للرجال الذين  
قالوا ربنا الله لا قيصر ، وكانت السجون والمشائق للذين قالوا : الحاكمية  
لله لا للبشر ، وكان التقتيل والتشريد لكل من قال لقيصر : لا . . نصم  
قتل وشرذ صفوة شباب ارض الكنانة ، وخير رجالها ، وقتل وسجن وعذب  
صفوة شباب الشام والعراق والسودان ، والافغان وعدن والفلبين والصومال  
، وسائر بلاد المسلمين ، لالشيء ولكن لانهم حاولوا ان يصلحوا ما أفسد  
الناس . (٣) ومارت تلك السحابة السوداء نظرها على المسلمين حتى ايامنا هذه .

( ١ ) انظر شرح مسلم ج ٢ ص ١٧٧ .

( ٢ ) هذه الكلمة القبيحة التى قالها ابولهب - عم رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم ، كما فى البخارى ج ٣ ص ١٧١ وسياتى الحديث بتامه  
ان شاء الله .

( ٣ ) انظر من مراحل الدعوة الاسلامية لحسين جابر ص ٣ مخطوط .

( بدأ الاسلام غريبا ) حيث قال صلى الله عليه وسلم - لعمر بن عبيسة حينما أسلم : ( انك لا تستطيع ذلك يومك هذا ) . وقد كان قال : فمن معك على هذا ؟ قال : حر وعبد . وفيه ( الا ترى حالى وحال الناس ) (١) ولما أسلم ابو نذر الغفارى قال له النبى - صلى الله عليه وسلم - ( اكنم هـذا الامر وارجع الى بلدك فاذا بلغك ظهرونا فأقبل ) (٢) . وكذلك قصة عمر بن الخطاب لما جهل اسلام اخته وزوجها بدعوة خباب بن الارت (٣) ، وقال عمار : ( رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما معه الا خمسة أ عبد وامرأتان وأبو بكر ) (٤) وقال سعد بن ابى وقاص - رضى الله عنه - : ( لقد رايتنى وانا ثلث الاسلام ) وفي رواية اخرى : ( ولقد مكثت سبعة أيام وانى لثلاث الاسلام ) (٥)

وفي هذا دليل واضح على ان المرحلة الاولى للدعوة فى مكة كانت فى غاية من السرية .

ولنرجع الى دار الارقم لنعيش شيئا من الوقت مع اولئك الفرهاء المستضعفين وما زالت تلك الدار مفتدى يجتمع فيه المسلمون لعبادة الله وتلقى اصول تعاليم الاسلام عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون منهم رجال تستذل الصعاب وتستعذب الموت فى سبيل دينهم وعقيدتهم ، وقد شاع بينهم أنه مسن أرن

- 
- ( ١ ) من حديث طويل رواه مسلم ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩  
( ٢ ) من حديث طويل رواه البخارى ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ وفيه انه لقيه على فقال له : ما اقدمك هذه البلدة . فقال له ان كتمت على اخبرتك قال افعل . قال بلغنا انه خرج هاهنا رجل يزعم انه نبى . فقال له انك قد رشدت فاتبعنى فان رايت احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كأنسى اصلح نعلى وامضى انت فمضى حتى دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم . . الحديث كما رواه فى موضع اخر ج ٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .  
كما رواه مسلم ايضا فى موضع اخر مطولا ج ٧ ص ١٥٢ - ١٥٦ . واروده ابن كثير فى البداية ج ٣ ص ٣٤ - ٣٥ .  
( ٣ ) انظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٣٤٧ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٣١ .  
( ٤ ) البخارى ج ٢ ص ٢٨٩ .  
( ٥ ) المصدر نفسه ص ٣٠٣ .

الاسلام فليذهب الى تلك الدار مستخفيا خشية ان يناله اذى قريش . ونسب  
خلال تلك الفترة المباركة وذر النواة الاولى كان كفار قريش غير منكريين  
لما يقول صلى الله عليه وسلم بل كانوا يسخرون منه اذا مر عليهم في مجالسهم  
مشيرين اليه . هذا غلام بنى عبدالمطلب يكلم من السماء ، حتى عتاب  
الجهنم التي يعبدونها من دون الله ، وذكر آباءهم الذين ماتوا على  
الكفر فغضبوا وعادوه .

ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسلم الفاروق عمر ، فكانت  
حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب اربعين رجلا وامرأة معظمهم من  
الفقراء والازقة . ومن لا شأن لهم بين قريش . ولكن بعد اسلام حمزة وعمر  
رضي الله عنهما شعر المسلمون بعزة في نفوسهم فاستعلنوا بعبادتهم ، وقد  
أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ، الارقم دارا بالمدينة ، قال ابوشهبه :  
( ولعل هذا مكافأة له على ما أدته داره بمكة من خدمة جليلة للاسلام فسو  
اول عهد ، فله هذه الدار التي فاقت اعظم مدارس العالم وجامعات  
الدنيا ، وخرجت اعظم رجال عرفهم التاريخ . ولا تزال هذه الدار مفخرة  
خالدة للارقم الى يوم القيامة . (١) .

قال الفزالي : ( وترامت هذه الانباء الى قريش فلم تعرها اهتماما  
ولعلها حسبت محمدا عليه الصلاة والسلام كأحد المتدينين ، امية بن ابي الصلت  
وقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نغيل وغيرهم . الا انها خافت ذبيح  
خبره وامتداد اثره واخذت ترقب على الايام مصيره ودعوته ) . (٢)

واختلف في مدة الاستخفاء ف قيل ثلاث سنين وقيل اربع وقيل شهرا ،  
والشهور الاول .

وقال ابن اسحق : ( فلما أسلم هؤلاء نفر ونشا امرهم بمكة ، اعظمت  
ذلك قريش وغضبته له وظهر فيهم لرسول الله البغى والحسد ، ثم ان الله  
تعالى أمر رسوله ان يصدع بما جاء به وان ينادي الناس بامرهم ، وان يدعووا

( ١ ) انظر السيرة النبوية / ابن هشام ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٦٣ - الاصابة ج ١ ،  
ص ٤١ مع الاستيما ج ١ ص ٢٤٤ . فقه السيرة للبيوطي ص ٢٩ -  
السيرة النبوية ابوشهبه ج ١ ص ٢٩٦ .  
( ٢ ) فقه السيرة ص ١٠٠ .

الى الله تعالى ( ١ ) .

ويبدو أن عدم اهتمام قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم والسخرية منه كانت قبل ان يعيب الهتهم وآباءهم الذين ماتوا على الكفر وبعد ذلك غضبوا وعادوه .

### - ما الحكمة في السر بالدعوة ؟

هل كان خوفا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أم هو التنظيم الدقيق ؟

لم يكن خوفا على شخصه صلى الله عليه وسلم - انما كان حرصا على الدعوة وعلى القلة المؤمنة التي آمنت به .  
وقد ألهمه الله - سبحانه - وهو نوع من الوحي - أن يبدأ بتنظيم الدعوة سرا ليقتدى به الدعاة من بعده في أخذ الحيطة والحذر اذا كان الجهر او القتال يئد الدعوة في مهدها .

أما اذا كان جانب الجهر هو الراجح فلا مهادنة في نشر الحق واعلانه مهما وقع للدعاة من أذى في سبيل ذلك .  
وقد جاء الامر حاسما من الله - سبحانه - و تعالى - ( فاصدع بما تؤمر ) ( ٢ )

### - الحكمة في سبق الضعفاء الى الاسلام :

ثم ما الحكمة في أن السابقين الى الاسلام كان معظمهم ممن لا يستطيع الدفاع عن نفسه ؟ الجواب : هكذا طبيعة دعوات الانبياء السابقة . فقوم نوح قالوا : ( وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ) ( ٣ ) و ( قالوا أتؤمن لك واتبعك الارذلون ) ( ٤ ) .

( ١ ) السير والمغازي ص ١٤٤ - ١٤٥ .

( ٢ ) سورة الحجر : ٩٤ .

( ٣ ) سورة هود : ٢٧ . ومعنى ( اراذلنا ) اسافلنا كالحاكة . . ( بادي

الرأي ) اي ابتداء من غير تفكير فيك . انتهى جلالين ص ١٨٤ .

( ٤ ) سورة الشعراء : ١١١ .

وقال المستكبرون من قوم صالح للمستضعفين المؤمنين ما حكى الله عنهم بقوله ؛ ( قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ، قالوا انا بما ارسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ) (١) .

ولما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان بن حرب ( . . فاشراف الناس يتبعونه ام ضعفاءهم فقال ابو سفيان بل ضعفاؤهم (٢) . . ) .

قال البيهقي ؛ ( وهى حقيقة تخدش اول ما تخدش الوهية المتألهين وهاكمية المتحكمين وسطوة المتزعمين . وتناسب اول ما تناسب حالة المستضعفين والمستذلين والمستعبدين فيكون رد الفعل امام الدعوة الى الاسلام لله وحده هو المكابرة والفساد من اولئك المتألهين والمتحكمين ، والاذعان والاستجابة من هؤلاء المستضعفين ) (٣)

قلت وهذا هو ما تقرره الايام والاحداث سنة الله فى خلقه حتى فى عصرنا الحاضر ، على مستوى الشعوب والقبائل ، فان ترى اذا خرجت الى اى ريف او قرية ، ووجدت داعية يدعو الناس الى التصك بجمادى الاسلام ، تجد حوله الضمفاء والفقراء وفى نفس الوقت تجد شيوخ القبائل يتالمون من ذلك خوفا من تأثير الداعية على اتباعه فتختل مناصبهم ومسالحتهم ، فيكون رد الفعل امام الداعية بان توجه اليهم التهم القدرة والدعاوى الكاذبة بل مجابهته وهتك عرضه واهانة كرامته ، ولكن لا ضمير على الداعية المسلم ، وليتذكروا قيسل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجنون ، ساحر كذاب . . وما فعل به وهو يصلح حول الكعبة ، وفى خروجه للدعوة الى الطائف ، وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله . (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكسون الا بانفسهم وما يشعرون ) (٤) .

( ١ ) سورة الاعراف : ٧٥ - ٧٦ .

( ٢ ) من حديث طويل - رواه البخارى ج ١ ص ٨

( ٣ ) فقه السيرة للبيهقي ص ٩٦ .

( ٤ ) سورة الانعام ١٢٣ .



قال ابن كثير : ( والمراد بالمكرها هنا دعاؤهم الى الضلالة بزخرف  
 في المقال والفعال ، كما قال تعالى اخبارا عن قوم نوح ( ومكروا مكرا  
 كبيرا ) (١) .

وقال تعالى : ( ولو ترى ان الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم  
 الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكننا  
 مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صدناكم عن الهدى  
 بعد ان جاءكم بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا  
 بل مكر الليل والنهار ان تأمرنا ان نكفر بالله ونجعل له أندادا ) (٢) الآية .

...

---

( ١ ) سورة نوح : ٢٢ .  
 ( ٢ ) سورة سبأ : ٣١ - ٣٣ .

- مرحلة الجهر بالدعوة :

استمرت الدعوة في مهد الطفولة والاستخفاف ثلاث سنين على المشهور كما سبق  
ثم نزل قوله تعالى : ( وأنذر عشيرتك الاقربين ) (١) .

وقد أكثر المفسرون الكلام حول هذه الآية الكريمة بما لا يتسع له المقام  
هنا . كذلك المحدثون رووا واوردوا عدة أحاديث عن عدد من الصحابة  
رضي الله عنهم أجمعين تذكر نبذة من ذلك :

- ١ - ففي الصحيحين عن ابو هريرة رضي الله عنه قال : لما أنزلت هذه  
الآية ( وأنذر عشيرتك الاقربين ) ( دعا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم - قريشا ، فاجتمعوا فعم وخض فقال : يا بنى كعب بن لؤى ،  
أنقذوا انفسكم من النار . يا بنى مرة بن كعب ، أنقذوا انفسكم من النار  
يا بنى عبد شمس أنقذوا انفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف أنقذوا  
انفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا انفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب  
أنقذوا انفسكم من النار . يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فاني لا املك  
لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبليها ببلالها ) (٢) . وفي لفظ  
عنه أيضا ( يا عباس ابن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئا ، يا صفية . .  
ويا فاطمة بنت محمد سليلي من مالي ما شئت لا أعني عنك من الله  
شيئا . ) (٣) .

- ( ١ ) سورة الشعراء : ١١٤ .  
( ٢ ) متفق عليه واللفظ لمسلم ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ وقوله ( ببلالها ) ضبطه  
النووي بفتح الباء الثانية وكسرهما . وقال : هما وجهان مشهوران  
والمعنى سائلها ، شبيهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باللفظ  
الحرارة ببرودة . ومنه بلوا ارحاكم اي صلوها . اهـ . نووي ،  
شرح مسلم ج ٣ ص ٨٠ .  
( ٣ ) بخارى ج ٢ ص ١٢٨ - وفي لفظ اخر ذكر بنى عبد مناف وبنى عبد المطلب  
وعمة رسول الله وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . اهـ . من حديث  
أبي هريرة اهـ . بخارى ج ٢ ص ٢٦٩ .

وفى حديث عائشة لما نزلت هذه الآية قالت ( قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بنى عبد المطلب لا املك لكم من الله شيئا سلونى ممن مالى ما شئتم ) (١) .

٢ - وفى لفظ للبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( لما نزلت ( وأنذر عشيرتكم الاقربين ) صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاؤا ابولهب وقريش فقال : أرايتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم صدق . قالوا نعم . ما جربنا عليك الا صدقا . ( وفى مسلم ما جربنا عليك كذبا قال : فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال ابولهب : تبالك سائر اليوم . الهذا جمعتنا ؟ فنزلت ( ثبت يد ) أبو لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب ) (٢) .

٣ - وفى لفظ <sup>بمسلم</sup> ( فجعل يهتف يا صاحاه ) (٣) وفيه عن ابن عباس ، وأنذر عشيرتكم الاقربين ، وهبطك منهم المخلصين (٤) قال النووى : ( ظاهر هذه العبارة كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته ولم تقع هذه الزيادة فى روايات البخارى ) (٥) قلت : وقد وجدتها فى البخارى كما ترى . وقال القرطبى : ( وظاهر هذا انه كان قرآنا يتلى وانه نسخ ان لم يثبت نقله فى المصحف ، ولا تواتر ويلزم على ثبوته اشكال : وهو انه كان

- 
- ( ١ ) تفرد به مسلم ج ١ ص ١٣٣ .  
 ( ٢ ) البخارى ج ٣ ص ١٧١ .  
 ( ٣ ) مسلم ج ١ ص ١٣٤ .  
 ( ٤ ) انظر هذه الزيادة فى البخارى ج ٣ ص ٢٢٢ - تفسير ثبت يدى ابى لهب ومسلم ج ١ ص ١٣٤ .  
 ( ٥ ) شرح مسلم ج ٣ ص ٨٢ - ٨٣ .

لا يلزم عليه الانذار الا من آمن من عشيرته ، فان المؤمنين هم الذين يوصفون بالاخلاص في دين الاسلام ، وفق حب النبي لا المشركون لأنهم ليسوا على شيء من ذلك ، والنبي صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته كلهم مؤمنهم وكافرهم وانذر جميعهم ومن معهم ومن ياتى من بعدهم فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى ( ١ ) .

قلت : أما النقل فثابت كما ترى ، اللهم الا أن تكون هذه الزيادة من المتكلم فيها على الصحيحين . والله أعلم .

٤ - ورواه ابن اسحق عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم - عند نزول هذه الآية قال : يا علي ان الله قد أمرني أن انذر عشيرتتي الاقربين . فصرفت أنى ان بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت عليها فجاءني جبريل فقال يا محمد ، ان لم تفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك . فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، عليا بذلك . ثم أمره أن يصنع لهم رجل شاة على صاع من طعام ، وقعب لبن ، وأمره أن يجمع بنى عبد المطلب فاجتمعوا وهم يومئذ اربعون رجلا أم ينقصون فيهم أعماه ابوطالب وحمزة والعباس وابولهب الكافر الخبيث . فأكسل الجميع منها وشربوا ، وفضلت فضلة ،

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان يكلمهم بداره أبولهب سب الى الكلام ، فأعيدت العطية ذاتها في الفد ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - يا بنى عبد المطلب والله ما اعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جهتكم به ، قد جهتكم بأمر الدنيا والاخرة ،

وفي رواية ابو هريرة رضي الله عنه ( . . . لا يأتون الناس بالاعمال - أي يوم القيامة - وتأتون بالدنيا تحملونها على اعناقكم - فأصد وجهي عنكم ، فتقولون يا محمد ، فأقول هكذا ، فصرف وجهي

( ١ ) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٨٥٩ ، وانظر تفسير الطبري ج ١٩ ص ١١٨ - ١٢٢ . واجاب الحافظ انه لا يمتنع عطف الخاص على العام في قوله وردتلك منهم المخلصين ، اه . فتح الباري ج ٨ ص ٥٠٢ .  
ومنهج الدعوة لا يتناسب وقصرها على المخلصين ، وما الفائدة من ذلك ؟ ولعل الأقرب الى الصواب ما قرره القرطبي من عدم التخصيص واسما علم

فتقولون يا محمد فأقول هكذا فصرف وجهه الى الشق الآخر (١) .

٥ - وقد رواه الامام احمد والترمذى والنسائى وقال الترمذى حديث حسن صحيح . (٢)

وعند الواقدي انه قصر الدعوة على بنى هاشم والمطلب ، وهم يومئذ خمسة وأربعون رجلا .

٦ - وفي رواية ابن الاثير لما أنزل الله تعالى هذه الآية اشتد عليه الامر وجلس في بيته كالمريض فأشارت عليه عماته بدعوة أعمامه - ماعدا أبالهب - وبنيتهم وكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فدعاهم فبادره ابولهب ، وفى الثانية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد حمد الله والثناء عليه : ( ان الرائد لا يكذب أهله ، والله الذى لا اله الا هو انسى رسول الله اليكم خاصة ، والى الناس عامة والله لتموتن كما تتامسون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وانها للجنة أبدا او النار أبدا ) فقال ابوطالب : ما احب الينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك واشد تصديقنا لحديثك وهو لا بناوبيك مجتمعون ، وانما انا احد هم غير انى أسرعهم الى ما تحب ، فامض لما امرت به ، فوالله لا أزال احوطك وامنعك ، غير ان نفسى لا تطاوعنى على فراق دينى عبد المطلب .

فقال ابولهب : هذه والله السوأة . . . خذوا على يديه قبل ان ياخذكم غيركم فقال ابوطالب : والله لنمنعنه ما بقينا .  
واذا كان هذا موقف ابى لهب عم رسول الله فكيف بالاباعد من قريش وغيرهم ؟ .

- ( ١ ) السير والمغازى باختصار ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ . وانظر تفسير ابن جرير ج ١٩ ص ١٢١ - ١٢٢ . وفى سنده عبدالغفار بن القاسم ابن ابى مریم متروك كذاب شيعى اتهمه على بن المدين وغيره بوضع الحديث وضعفه الائمة كذا قال الحافظ بن كثير فى تفسيره ج ٦ ص ١٨٠ وقال الذهبى رافض ليس بثقة وقال ابن المدينى كان يضع الحديث ومن رؤس الشيعة وقال البخارى ليس بالقوى وقال ابوداود اشهد بانه كذاب . وقال أحمد كان يحدث ببلايا عن عثمان ا هـ . ميزان ج ٢ ص ٦٤٠ .
- ( ٢ ) مسند احمد ج ١ ص ٣٠٧ - ج ٦ ص ١٨٧ وسنن الترمذى بتحفة الاهودى ج ٩ ص ٢٩٦ .

ولكن ما أبولهب ، وما قريش ، وما العرب ، وما الدنيا كلها بازا  
رجل يحمل رسالة الله الذي له ملك السموات والارض يريد ان يعيد  
بها الرشد لعالم فقد رشده . (١)

٧ - وقد روى هذا الحديث الطبراني عن ابي امامة قال : ( لما نزلت  
" وأندر عشيرتك الاقربين " ) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسب  
هاشم ، ونساءه ، وأهله فقال : يا بنى هاشم اشتروا أنفسكم من النار  
واسموا في فكاك رقابكم يا عائشة بنت أبي بكر يا حفصة بنت عمر  
يا أم سلمة . . . . . (٢)

وقد عقب الحافظ على هذه القصة المروية في الصحيحين وغيرهما :  
بأنه من مراسيل الصحابة لان ابا هريرة انما أسلم في المدينة ، وهذه  
القصة وقعت في مكة لتصريحه بأن صعد الصفا ، ولم تكن عائشة  
وحفصة وام سلمة عنده الا بالمدينة وابن عباس كان حينئذ اما النزول  
واما طفلا فيحتمل ان تكون هذه القصة وقعت مرثين وعليه فتكون  
رواية الطبراني متأخرة عن الاولى فيمكن ان يحضرها أبوهريرة  
وابن عباس ايضا ، ويحمل قوله : ( لما نزلت جمع ، اي بعد ذلك  
لان الجمع وقع على الفور لان الاصل عدم تكرار النزول (٣) هذا ، اذا  
ثبتترواية الطبراني .

وقال الالوسي : ( وانما صح الكل فطريق الجمع ان يقال بتعدد  
الانذار ) (٤) .

(١) انظر فقه السيرة ص ١٠٢ - ١٠٣ وانظر الحلبية ج ١ ص ٤٥٧ - ٤٦١ ،  
وزاد قوله صلى الله عليه وسلم لعلى انت اخي ووزيرى وخليفتى ممن  
بعدى وتعقب هذه الزيادة ابن تيمية بأنها كذب وحدث موضوع  
كذا في المرجع نفسه وزاد الالوسي في تفسيره نقلا عن بعض الروايات  
لما نزلت هذه الآية جمع بنى هاشم فاجلسهم على الباب وجمع نساءه  
واهله فاجلسهم في البيت ثم اطلع عليهم فانذرهم . انظر روح المعاني  
ج ١٩ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٥٠٢ .

(٣) لمزيد من الايضاح انظر المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها .

(٤) انظر روح المعاني ج ١٩ ص ١٣٥ وقد اطال الحافظ ابن كثير فسق

ايراد الاحاديث المتعلقة بهذه القصة منها خمسة احاديث عزاها الى  
احمد وسائرهما في الصحيحين وغيرهما وقد وجدتها كما ذكرها عن  
ابن عباس وابي هريرة وعائشة وعلي وغيرهم اما الاحاديث الثلاثة الا اول فهمي  
في الصحيحين كما سبق واما حديث علي فهو في المسند ودلائل النبوة  
وغيرهما وقد سبق الكلام عليه .

قلت : ويؤيد مقاله الحافظ مافى الاصابة والاستيعاب من أن ابن عباس  
رضى الله عنهما ولد فى الشعب ونو هاشم محاصرون فيه قبل الهجرة  
بثلاث وقيل بخمس سنين والا ول أثبت .

وتوفى الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره عشرين وقيل ثلاث عشرة سنة .  
كذلك أبوهريرة لم يسلم الا عام خيبر . (١)

أما ما ذكر فى الحديث من ازواجه صلى الله عليه وسلم فمعلوم انه لم يكن  
الا فى المدينة بلا خلاف . وهذا يتضح كلام الحافظ من ان الحديث مرسل  
ولكن مرسل الصحابي حجة ومعمول به عند المحدثين ، فهذه الاحاديث  
وغيرها تبين كيف تلقى النبى صلى الله عليه وسلم - الامر ، وكيف بلغه لعشيرته  
الاقربين ونفسيده من أمرهم ووكلمهم الى ربهم فى امر الآخرة ، وبين لهم  
ان قربتهم لا تنفعهم شيئا اذا لم ينفصم عنهم وأنه لا يملك لهم من الله  
شيئا ، وهو رسول الله .

وهذا هو الاسلام فى نصابه ووضوحه ، ونفى الوساطة بين الله  
وبعباده ، حتى عن رسوله الكريم (٢) .

قلت : ولقائل ان يقول : ان هذا قبل ثبوت الشفاعة وعلمه بها  
وذلك مستفيض ولكن الشفاعة لا تكون الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء  
ويرضى .

### - الحكمة فى البدء بالأقربين :

فان قيل فما الحكمة فى الامر بانذار الاقربين اولا ، فالجواب  
ان الحجة اذا قامت عليهم تعدت الى غيرهم والا فكانوا علة للابعديين  
فى الامتناع والا يأخذ ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرافقة  
فيما بينهم فى الدعوة والتخويف فلذلك نص له على انذارهم . قال

(١) انظر الاستيعاب مع الاصابة ج ١٢ ص ١٧٣ ، ج ٦ ص ١٣٠-٢٨٥ .

(٢) انظر الظلال : ج ١٩ ص ٢٦٢٠ .

الشوكانى : ( خص الاقربين لان الاهتمام بهم اولى ، وهدايتهم الى الحق  
أقدم ، وان البداية تكون بمن يلى فمن بعده كقوله تعالى ، : ( قاتلوا  
الذين يلونكم من الكفار ) (١)

قال تعالى : ( فاصدعها تؤمر واعرض عن المشركين ) (٢)

قال صاحب الظلال : ( ان الصدع بحقيقة هذه العقيدة والجهربكل مقوماتها  
وكل مقتضياتها ضرورة فى الحركة بهذه الدعوة ، فالصدع القوى الناقد هو الذى  
يهز الفطرة الغافية ، ويوقظ المشاعر المتبلدة ، ويقيم الحجة على الناس  
(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة<sup>(٣)</sup> .)

اما التدسيس الناعم بهذه العقيدة ، وجعلها عضين ، يعرض  
الداعية منها جانبا ويكتم جانبا لان هذا الجانب يثير الطواغيت ، أو يصد  
الجاهير فهذا ليس من طبيعة الحركة الصحيحة لهذه العقيدة القوية .  
والصدع بحقيقة الدعوة لا يعنى الفلظة المنفرة والخشونة ، وقلة الذوق والجلافة ،  
كما أن الدعوة بالحسنى لا تعنى التدسيس الناعم وكتمان جانب من حقائق  
هذه العقيدة وجعل القران عضين ، لاهذه ولا تلك . . .  
انما هو البيان الكامل لكل حقائق هذه العقيدة فى وضوح جلى وفى حكمة  
كذلك فى الخطاب ولطف ومودة ولين وتيسير) . (٣)

فجهر النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة ، واستعلن بها هو  
وأصحابه ، فلم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى غاب آلهتهم وسفاه  
أحلامهم وبين لهم ما هم فيهم الضالان والجهل والخرافات ، فجاهروه  
وصحبه بالعداوة ، وعزموا على مخالفته عصبية وجهلا ،

ولما لم يمكنهم ان يقرعوا الحجة بالحجة ، وأفحموا لجأوا الى السباب  
والشتائم والايذاء والتعديبومن ثم بدأ دور المحنة والبلاء وكان شا قسا (٤)

(١) سورة التوبة : ١٢٣ ، وانظر فتح البارى ج ٨ ص ٥٠٣ ، فتح القدير

ج ٤ ص ١١٩ ، روح المعانى ج ١٩ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٩٤ .

(٣) فى ظلال القرآن : ج ١٤ ص ٢١٥٥ .

(٤) انظر السيرة النبوية ابوشهبه ج ١ ص ٢٩٨ .

(٥) سورة الانفال : ٤٠



( : )

كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى فى موضعه .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - استمر يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً لا يصرفه عن ذلك صارف يدعو من لقيه من حر وهبـد وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ، يتبع الناس فى أنديةهم ، ومجامعهم ومحافلهم ، وفى المواسم ، ومواقف الحج ، جميع الخلق عنده فى ذلك سواء .

ان الدعوة التى بدأ بها محمد صلى الله عليه وسلم فى بطن مكة لم تكن لبناء وطن صغير ، بل كانت انشاءً جديداً لأجيال وأمم تظـل تتوارث الحق وتندفع به فى رحاب الارض الى ان تنتهى من فوق ظهرها قصة الحياة والاحياء . فماذا تصنع خصومة فردا او قبيلة لرسالة هذا شأنها فى حاضرها ومستقبلها . (١)

—•—

( ١ ) انظر فقه السيرة غزالي ص ١٠٤ .

( : ) فى الباب الثالث ( جهاد الدعوة ) من هذه الرسالة .

- تقسيم مراحل الدعوة :

اختلفت آراء العلماء في تقسيم مراحل الدعوة قديماً وهديثاً ، أنكر منها ما أمكن الاطلاع عليه :

- أولاً : ترتيب ابن قيم الجوزية وقد رتبها كالآتي :

المرتبة الاولى : النبوة

المرتبة الثانية : اذار عشيرته الاقربين .

المرتبة الثالثة : اذار قومه .

المرتبة الرابعة : اذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله ، وهم الصرب قاطبة .

المرتبة الخامسة : اذار من بلغته دعوته من الجن والانس الى آخر الدهر . (١)

والظاهر من هذا التقسيم أن النبوة مرحلة من مراحل الدعوة ، وعندى أنه ليس كذلك لانه صلى الله عليه وسلم نزل عليه مطلع سورة العلق - وكانت أول ما نزل من القرآن على الراجح في غار حراء وكل ما في تلك الايات لا يدل على الامر بالتبليغ ، وانما فيها الامر بالقراءة وامتحان الله على الانسان ان خلقه ممن علق ، وعلمه ما لم يعلم وعليه فيكون التمييز الصحيح هو القائل بانه صلى الله عليه وسلم ( نبي باقراً وأرسل بالمدثر ) ، وعلى هذا يمكن القول بالفرق بين النبي والرسول ، ولكن الله سماه نبياً رسولا بلا فرق في آية واحدة ( يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ) (٢)

وحيث أن يكون اعتراض رءوف سلبى على هذا التقسيم سلبياً على المرتبة

الاولى .

أما اعتراضه على المرتبة الثانية والثالثة بحجة تداخلهما وهما واحد لافرق بينهما وان الرسول صلى الله عليه وسلم حدد الاقربين في ندائهم لقريش (٣) فذلك غير مسلم من وجوه :

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٣٤ .

(٢) الاحزاب : ٤٥ .

(٣) انظر الدعوة الاسلامية ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

١ - ان عشيرة الرجل في اللغة العربية مختلف فيها قال صاحب القاموس :  
 ( وعشيرة الرجل بنو أبيه الا دنون او قبيلته ) وقال القرطبي :  
 ( وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد مناف ) وقال الشوكاني :  
 قيل هم قريش وقيل بنو عبد مناف وقيل بنو هاشم .

٢ - انه ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما  
 نزلت ( وانذر عشيرتكم الاقربين ) قام رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم على الصفا فقال : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب  
 يا بنو عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئا سلونى من ما لى  
 ماشئتم ( ١ ) اهـ . بلفظه حرفيا .

وفي ذلك دلالة على أن العشيرة الاقربين هم بنو عبد المطلب فمن  
 تحتهم .

وهذا يؤيد رواية ابن اسحق وابن الاثير والطبرى السابق ذكرهما  
 من حديث على رضي الله عنه فهي وان كان في سندها مقال فذلك  
 فيما زاد على ما في الصحيحين ، وانت ترى ان قريشا لم تذكر  
 في هذا الحديث الصحيح وفي رواية البخارى ذكر فيها بنو عبد مناف  
 وبنو عبد المطلب وصفية وفاطمة ولم يذكر قريشا . ( ٢ )

٣ - أما قوله : لافرق بينهما اى بين العشيرة والقوم فالفرق واضح من  
 القرآن الكريم ، قال الله تعالى ( انا أرسلنا نوحا الى قومه ( ٣ ) )  
 وقال ( لقد أرسلنا نوحا الى قومه ( ٤ ) ولم يقل الى عشيرته وقال :  
 ( وانذر أبا عاد ان انذر قومه بالاحقاف ( ٥ ) وقال : ( . . قوم

( ١ ) مسلم ج ١ ص ١٣٣ - وانظر تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٨٥٩ - فتح

القدير ج ٤ ص ١٢٠ ، قاموس ج ٢ ص ٩٠ . وانظر سنن الترمذى

بتحفة الاحوذى ج ٩ ص ٤٠ عن عائشة وانظر نور اليقين ص ٣٦ .

( ٢ ) بخارى ج ٢ ص ٢٦٩ ، من حديث ابي هريرة .

( ٣ ) نوح : ١٠

( ٤ ) الاعراف : ٥٩ . هود : ٢٥ ولقد . . .

( ٥ ) الاحقاف : ٢١ .

نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ( ١ ) ومعلوم  
 أن هؤلاء الانبياء وغيرهم ارسلوا الى شعوب وقبائل ولم يرسلوا  
 الى عشائرتهم فقط انما يكون البدء بهم اولى .  
 وهذا يتبين أن القوم غير العشيرة ، ولا يحتاج الامر الى اكثر من  
 هذا والله أعلم .

وقسمها احمد شلبي الى ثلاث مراحل وهى كالاتى :

- ١ - المرحلة الفردية ، وهى السرية ب ( يا أيها المدثر قم فأندِر ) ( ٦ )
- ٢ - دعوة بنى عبد المطلب ب ( أندِر عشيرتك الاقربين ) ( ٣ )
- ٣ - الدعوى العامة ب ( فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ) ( ٤ ) .

كما قسمها أبوزهرة الى ثلاث مراحل أيضا :

- ١ - بيت النبوة ثم سرت الى من يتصل بهم كخديجة واصدقائه وخلان كابوبكر  
 وعلى وزيد ثم سرت الى العشيرة .
- ٢ - العشيرة صفة وأهله واعمامه .
- ٣ - الدعوة العامة فى قريش ومجاوبتهم .

ثم قال : ( وهى فى كل مرتبة لاتقف عند الحدود التى ابتدأت بها  
 بل تسرى الى غيرها سريان النور فى الظلام ) ( ٥ ) .

فأنت ترى أن تقسيم الشيخين متقاربان فى المرحلة الاولى ، متفقان فى  
 المرحلتين الثانية والثالثة ، كما انهما متفقان على مخالفة رءوف شلبي فى قوله  
 ( ان العشيرة الاقربين هم قريش ) فظاهر تقسيمها انهم بنو عبد المطلب .  
 وقال الخضرى : ( ومكث عليه السلام يدعو سرا حتى نزل عليه قوله تعالى  
 ( فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ) ( ٦ ) فبديل الدعوة سرا بالدعوة جهرا

- 
- ( ١ ) سورة هود : ٨٩ .
  - ( ٢ ) سورة المدثر : ١-٢ .
  - ( ٣ ) الشعراء : ٢١٤ .
  - ( ٤ ) الحجر : ٩٤ وانظر التاريخ الاسلامى ج ١ ص ١١٤-١١٦ ، والصدع  
 الفرق بين الحق والباطل .
  - ( ٥ ) انظر خاتم النبیین ص ٤٤١ ، محمد ابوزهرة .
  - ( ٦ ) سورة الحجر : ٩٤ .

فصعد على الصفا ، فجعل ينادى يا بنى فهر ، يا بنى عدى لبطون قريش . .  
الى أن قال : ثم نزل عليه ( وانذر عشيرتك الاقربين ) وهم بنو هاشم  
وبنو المطلب ومنوعيد شمس أولاد عبد مناف ( واخفض جناحك لمن اتبعك  
من المؤمنين ، فان عصوك ) اى العشيرة والاقربون ( فقل انى برىء مما  
تعلمون ) (١) . فجمعهم عليه السلام وقال لهم : ( ان الرائد لا يكذب  
أهله ولو كذبت الناس ما كذبتكم . . والله الذى لا اله الا هو انى لرسول  
الله اليكم خاصة ، والى الناس كافة . . . ) (٢) .

ويظهر من كلامه هذا تقسيم الدعوة الى مرحلتين هما السريسة  
والجمهورية ولكنها شعبتان :  
أ - الصدع .  
ب - انذار العشيرة .

وان الصدع سابق الانذار وان العشيرة بنوعيد مناف كما يبدو وأن خفض  
الجناح للاتباع مرحلة اخرى .  
يؤيد هذا رواية ابن اسحق عن على رضى الله عنه - السابقة الذكر -  
من أن بنى المطلب مرحلة مستقلة وهى الاولى وبعد نزول اية ( وانذر عشيرتك  
الاقربين ) .

وكذلك رواية صاحب الحلبية السابقة ايضا وروايته ابن الاثير وذهب  
اليه ابن كثير حيث قال : ثم كان بعد هذا ( اى بعد دعوة بنى عبد المطلب  
دعاؤه الناس جهرة على الصفا وانذاره لبطون قريش . . . ) (٣)

وقال ابن اسحق : ( ثم دخل الناس فى الاسلام ارسالا من الرجال  
والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به .  
ثم ان الله عز وجل امر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ان يصدع بما جاءه  
منه وان ينادى الناس بأمره وان يدعو اليه . وكان بين ما أخفى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم - أمره واستتر به الى ان أمره بالله باظهار دينه ثلاث سنين -

( ١ ) الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦ .

( ٢ ) انظر نوراليعين ص ٣٥ - ٣٦ .

( ٣ ) انظر السير والمغازى ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ - وتفسير ابن كثير ج ٦ ص

١٨١ - الحلبية ج ١ ص ٤٥٧ - ٤٦١ .

- فيما بلغنى - من مبعثه ثم قال الله تعالى له : ( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ) (١) . وقال تعالى : ( وانذر عشيرتک الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . وقل انى انا النذير المبين ) (٢) ثم ذكر الخروج الى شعاب مكة . (٣)

وظاهر كلامه ان الصدع قبل الانذار بدليل ذكره اداة الترتيب ( ثم ) وفيه احتمال انهما مرحلتان لقوله : وقال تعالى : ( وانذر . . . . او مرحلة واحدة لان الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا بل مطلق الجمع ) (٤) ، ونذكر ابوشهبه للدعوة طورين السرى والجهرى .

الاول بقوله تعالى : ( يا أيها المدثر قم فأنذر ) والثانى بقوله تعالى : ( فاصدع بما تؤمر ) (٥) وقوله : ( وانذر عشيرتک الاقربين ) (٦) .

وهذا التقسيم من حيث الزمن لا غبار عليه . وانما الخلاف فى مراحل الجهر بالدعوة وهل الصدع والانذار مرحلة او مرحلتان وايهما الاولى اذا كانت مرحلتان ؟ .

- تقسيم رءوف شلبى لمراحل الدعوة :

- ١ - ( قم فأنذر وربك فكبر ) (٧) وهو دور العمل السرى .
- ٢ - ( وانذر عشيرتک الاقربين ) (٨) وهو يدور بالعمل الجهرى بمسند

---

(١) الحجر : ٩٤ .  
 (٢) الشعراء : ١١٤ - ١١٦ .  
 (٣) السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .  
 (٤) شرح ابن عقيل ج ٣ ص ٢٢٦ .  
 (٥) الحجر : ٩٤ .  
 (٦) الشعراء : ٢١٤ - وانظر السيرة النبوية ابوشهبه ص ٢٨٩ - ٢٩٨ .  
 (٧) المدثر : ٢ - ٣ .  
 (٨) الشعراء : ٢١٤ .

- أن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجهرب بالدعوة اى بالصدع .
- ٣ - ( لتتذرا م القرى ومن حولها ) (١) وهو على ما قاله الطبرى : مكسة  
ومن حولها شرقا وغربا وهو دوردعوة العرب .
- ٤ - ( لتخرج الناس من الظلمات الى النور ) (٢) وهو دورد العمل على  
المستوى الانسانى كله .

ثم عقب ذلك بقوله : وقد اخترت هذه الايات كضابط لمرا حسل  
تبليغ الدعوة . . . . . الى ان قال : ولمله ما يقوى هذا الضابط  
الحديث الذى أورده صاحب الشفاء عن السراج المشير على الجامع الصفيير  
( بعثت الى الناس كافة

فان لم يستجيبوا لى فالى العرب

فان لم يستجيبوا لى فالى قريش . . .

فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم

فان لم يستجيبوا لى فالى وحدى

وقال : ذكره السيوطى فى جامع الصفيير ثم قال : وعلى هذا فاطوار الدعوة  
فى مكة زمنا اثنتان :

- ١ - الدعوة وهى فى ظل العمل السرى ومدتها ثلاثة أعوام
- ٢ - الدعوة وهى فى ظل العمل الجهرى ومدتها عشرة اعوام . ومرا حسل  
تبليغها ثلاث وهى السابقة الذكر ) . (٣)

...

(١) الشورى : ٧

(٢) ابراهيم : ١

(٣) الدعوة الاسلامية ص ٢٩٣ - ٢٩٨ هذا ولم اجد الحديث المذكور  
فى المرجع الذى ذكره الشفا بل وجدته فى الجامع الصفيير  
ج ٢ ص ١٤٣ - اورده السيوطى نقلا عن الطبقات الكبرى لابن سعد  
موسلا ج ١ ص ١٧٦ .

- مناقشة :

أولا : اذا ما قارنت بين مراحل الدعوة الجهرية الثلاث التي رتبها صاحب الدعوة الاسلامية وهي : اذار العشيرة الاقربين - ثم اذار أم القرى الذي هو دور دعوة العرب ، ثم اخراج الناس من الظلمات الى النور ، وهو دور العمل على المستوى الانساني . . اذا قارنت ذلك بالحديث الذي اورد ه صاحب الشفاء مرسلا : ( بحث الى الناس كافة . فان لم يستجيبوا لي فالى العرب . . . ) تجد المعارضة واضحة تمكس واقع الايات المذكورة كما يعكس ايضا واقع الدعوة التنظيمي المحلى للمراحل . وظاهر الايات الكريمة يدل على التدرج والبدء بالاقرب ثم بمن يليه . .

ثانيا : أ - ان الحديث يتنافى - حسب فهمي - مع الايات والاحاد يثبت الدالة على عموم الرسالة كما سيأتي بيانه ان شاء الله .  
 ب - انه ضعيف (١) - وعلى فرض صحته - فهو مرسل وعدم الاحتجاج به هو قول الجمهور من المحدثين والفقهاء والاصوليين . (٢)

(١) لان في سنده محمد بن عمرو بن واقد الاسلامي ، هو أحد الاعلام وقاضي العراق كان عالما بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس ، قال البخاري : متروك وقال احمد : هو كذاب . وقال ابن معين : ضعيف وقال مرة لا يكتب حديثه . وقال ابو حاتم - : متروك ويضع الحديث ، وقال النسائي : متروك يضع الحديث . وقال الدارقطني فيه ضعف وقال ابن عدي : احاديثه غير محفوظة واليلايا منه . وقال ابراهيم الحري : الواقدي امين الناس على اهل الاسلام وقال الخطيب وثقه مصعب الزبيري والمسيب وغيرهما وقال الذهبي : كان الى حفظه المنتهى في الاخبار والمغازي والحوادث وايام الناس والفقهاء وغير ذلك انظر الميزان ج ٣ ص ٦٦٢ والضعفاء الصغير مع الضعفاء والمتروكين ص ٩٣ . كما ان في سنده اسماعيل بن عياش قال النسائي ضعيف وقال ابو حاتم : لين ما اعلم احدا كف عنه الا ابا اسحق الفزاري وقال ابن حبان كثير الخطأ في حديثه فخرج عن حد الاحتجاج به . وقال البخاري اذا حدث عن اهل بلده فصحيح . وانا حدث عن غيرهم ففيه نظر . انظر الميزان ج ١ ص ٢٤١ - والضعفاء والمتروكين ص ١٦ .

(٢) انظر تدريب الراوي ج ١ ص ١٩٨ . علوم الحديث ص ٤٩ . لابن الصلاح

الباعث الحديث لابن كثير ص ٨٨ ح

رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى قال : اخبرنا محمد بن عمرو بن واقد الاسلامي قال : حدثني اسما بن عياش عن جبير بن صبيد عن خالد بن معدان ان الكلابي عن الجهمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو ما هو في كتابنا هذا - ذلك سبعون من الصحابة ، ثقة عابد يركب كل كرا ، كوني سنة ثلاثا والواحد اوقاد ومثله . خلاصة تدريس الحديث الكمال للجزم . ص ٨٤ . تقريب التهذيب لابن حجر . ص ٤٨ .



ثالثا : لم يتضح لى ان الاية التى استنبط منها المرحلة الاخيرة من مراحل الدعوة وهى قوله تعالى : ( لتخرج الناس من الظلمات الى النور ) استنبط منها دور العمل على المستوى الانسانى كله . . . اذ الایسة لا تتفق واستنباطه لانها واضحة فى التعليل لا فى العالمية ، كأن سائلا يقول : ما الحكمة فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فالآية هى الجواب .

وهى حكمة عامة فى ارسال جميع الرسل ( ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ) (١) مع حكم اخرى فى ارسال الرسل كقوله تعالى : ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) (٢) ومنه قوله تعالى : ( هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور ) (٣) والحكمة فى خلق الجن والانس وهذا واضح لا يحتاج الى أكثر من هذا . هذا مع انى لم أجد فيما قرأت للمفسرين من يشير الى أن الآية تدل على عالمية الدعوة . بل صرح بعضهم بان اللام فى قوله تعالى : ( لتخرج الناس من الظلمات الى النور ) للغرض والغاية كالشوكا نى . فهو وان كان فى لفظ ( الناس ) ما يشعر بالعموم لكن لعموم الحكمة أما الرسالة المحمدية فقد عمت الانس حتى الجن ،

لذلك كان المناسب وضع الايات الدالة على عموم الرسالة - موضع تلك الاية الدالة او الصالحة للتعليل - كقوله تعالى : ( يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ) (٥) وقوله : ( وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ) (٦) وقوله : ( تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ) (٧) وقوله : ( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ) (٨) .

( ١ ) ابراهيم : ٥

( ٢ ) النساء : ١٦٥

( ٣ ) الحديد : ٩

( ٤ ) فتح القدير ج ٣ ص ٩٣

( ٥ ) الاعراف : ١٥٨

( ٦ ) سبأ : ٢٨

( ٧ ) الفرقان : ١

( ٨ ) الانبياء : ١٠٧

رابعاً : ان المرحلة الثانية من مراحل الجهر بالدعوة وهود وردعوة الحروب  
المستتبطة من قوله تعالى : ( لتندرا أم القرى ومن حولها ) (١) كذلك  
لم أجد فيما قرأت من يوافق هذا الاستنباط من المفسرين . قال  
الالوسى عند تفسير هذه الآية : ( من أهل المدر والور في المشارق  
والمغرب لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم الصادعها القرآن في غير  
آية . واللفظ لا يأتى هذا الحمل ، فلا تمسك بالآية لطائفة من  
اليهود زعموا انه صلى الله عليه وسلم ، مرسل للحرب خاصة على أنه  
يمكن ان يقال : خص أولئك بالذكر لانهم احق بانذاره عليه الصلاة  
والسلام - كقوله تعالى ( وانذر عشيرتک الاقربين ) (٢) .

وقد سبق بيان وجه تخصيص عشيرته - صلى الله عليه وسلم - الاقربين  
مع عموم رسالته في الكلام على هذه الآية . وقال صاحب الفتوحات  
الالهية ( وانما ذكرت ( اى مكة ) بهذا الاسم عن كونها اعظم القرى  
وقبله لاهلها ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتب لانذار اهل  
الارض كافة ) (٤)

وقال الشوكاني : ( . . . ) فالانذار لاهلها ( اى مكة ) مستتب  
لانذار سائر اهل الارض . والمراد بمن حولها جميع اهل الارض ،  
والمراد بانذار ام القرى انذار اهلها وأهل سائر الارض ، فهو  
على تقدير مضاف محذوف كسؤال القرية ) . (٥)

وقال امام المفسرين : عند تفسير قوله تعالى ( لتندرا أم القرى ،  
ومن حولها ) (٦) ( مكة ومن حولها شرقا وغربا من العادلين برهيم  
غيره من الالهة ، والانداد ، والجاهدين برسله وغيرهم من اصناف  
الكفار ) (٧) .

- 
- (١) الشورى : ٧  
(٢) الشعراء : ٢١٤  
(٣) انظر روح المعاني ج ٧ ص ٢٢٢  
(٤) الجمل ج ٢ ص ٦٣ .  
(٥) فتح القدير ج ٢ ص ١٣٩ .  
(٦) الشورى : ٧ وآية في الانعام ( ولتندرا ام القرى ومن حولها ) ٩٢ .  
(٧) تفسير الطبرى ج ٧ ص ٢٧٧ .

وقد أخذ صاحب الدعوة الاسلامية من هذا النص قوله ( مكة ومن حولها شرقا وغربا ) وترك الباقي - كما ترى - لبيستدل به على دور دعوة العرب . فأنت اذا تأملت النص كاملا تجد هذا الاستنباط غير سليم . يوضح ذلك أن الآثار التي أوردها الطبري في تأييد تفسيره تصحح بأن معنى ( ومن حولها ) ؛ الارض كلها . وهل ما في الارض . . . الا العرب ؟

وقال ابن كثير ؛ يعنى مكة ومن حولها من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم ( ١ ) ثم ذكر الايات الدالة على عموم الرسالة كما ذكر الاهدائيت الدالة على ذلك .

وقال القرطبي ؛ ( ومن حولها ) يعنى جميع الافاق ( ٢ ) . وقال سيد قطب ؛ ( وليس المقصود كما يتصيد أعداء الاسلام من المستشرقين ان تقصر الدعوة على اهل مكة ومن حولها ، فهم يقتطعون هذه الآية من القرآن كله ليزعموا ان محمدا - صلى الله عليه وسلم - ما كان يقصد في اول الامر ان يوجه دعوته الا الى اهل مكة ، ومعنى المدن حولها ،

وأنة انما تحول من هذا المجال الضيق الذي ما كان خياله يطمح في اول الامر الى اوسع منه فتوسع في الجزيرة كلها ، ثم هم أن يتخطاها لمصادفات لم يكن في اول الامر على علم بها ، وذلك بعد هجرته الى المدينة وقيام دولته بها . . . . . وكذبوا . . . )

ففي القرآن المكي ، وفي اواخر الدعوة قال الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ( وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ) ( ٣ ) . . . . . ( وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ) ( ٤ ) ولعل الدعوة ، يومذاك كانت محصورة في شعاب مكة يحيط بها الكرب والابتلاء ( ٥ )

( ١ ) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٩٤ .

( ٢ ) الجامع لاحكام القرآن ج ٣ ص ٢٤٧٤ .

ملحوظة ؛ اية ٩٢ من سورة الانعام فيها ولتتذر . واية ٧ من سورة الشورى بدون واو وسورة الانعام قبل سورة الشورى نزولا كما في الاتقان ج ١ ص ١١ - ٢٦ .

( ٣ ) الانبياء : ١٠٧ .

( ٤ ) سبأ : ٢٨ .

( ٥ ) في ظلال القرآن ج ٧ ص ١١٤٨ .

هذا ولا يخفى أن الخلاف قائم في تقسيم مراحل الجهر بالدعوة ،  
 أما من حيث الزمن فالمشهور عند أهل المفازي والسير والتاريخ ، أن  
 السرية ثلاث سنين تقريبا ، والجهرية عشر سنين تقريبا . (١) وقد سبق  
 ذكر الأدلة على المرحلة السرية أما الجهرية فالكتاب والسنة مطوعان بالأدلة  
 على ذلك .

وهناك اعتراض ؛ وهو كيف يمكن القول بأن المرحلة السرية انتهت  
 بعد مضي ثلاث سنين من البعثة وبيعة العقبة الأولى والثانية وقمعا فسي  
 غاية من السرية ؟ كذلك هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في غاية  
 من السرية وذلك خاتمة العهد المكي . ؟

فالجواب ؛ ان لتنظيم ونشر الافكار هو من طبيعة الدعوة والنبوية  
 في المرحلة السرية لكن نشر المبادئ والافكار جهرا كان في المرحلة الجهرية .  
 أما التنظيم العظمى داخل الخلايا والتكوين المستمر المتزايد فكان من طبيعته  
 الكتمان حتى في العهد المدني لاسيما في الحرب فانه خدعة .

وقد اتخذ النبي عليه الصلاة والسلام وزيرا لاسراره وهو الصحابي  
 المشهور حذيفة (٢) بن اليمان رضي الله عنه . وهذا يتم التوفيق بين النصوص  
 ان شاء الله .

( ١ ) هذا باعتبار مدة الرؤيا والفترة ، اما من لم يعتبرهما فمدة الدعوة  
 في مكة عشر سنين ، راجع ص ٩١ من هذا المجلد  
 ( ٢ ) حذيفة بن اليمان يكنى ابا عبد الله العيسى شهد احدا وكان من  
 كبار الصحابة وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلية  
 الخندق ينظر الى قریش فجاء بخبر رحيلهم . وكان عمر بن الخطاب  
 يسأله عن المنافقين وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله  
 وكان عمر ينظر اليه عند موت من مات منهم فان لم يشهد جنازته  
 حذيفة لم يشهد ها عمر وكان حليفا لبني عبد الأشهل من الانصار  
 وشهد نهاوند واخذ الراية لما قتل النعمان بن مقرن وكان فتوح  
 هذان والري والدينور على يده مات سنة ست وثلاثين وقيل خمس  
 وثلاثين في خلافة عثمان . ولم يدرك الجمل . اهـ . الاستيعاب  
 مع الاصابة ج ٢ ص ٢٢٣ - ٣١٨ - ٣٢٠ .

وقد قسمت مراحل الدعوة - حسب فهمي - من خلال دراسة السيرة النبوية وكما استفدت من تقسيم العلماء السابق ذكره وذلك كالآتي :

١ - ( يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر ) (١) الايات . . وهذا هو دور العمل السري الفردي فالجماعي .

٢ - المرحلة الجماهيرية :

أ - دعوة بني عبد المطلب ومنو عبد مناف وهو بدء العمل الجماهيري الجماعي كما في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه ( وانذر عشيرتك الاقربين ) (٢) قام على الصفا وهتف بفاطمة وصفية ومنو عبد المطلب ومنو عبد مناف ولم يذكر قريشا . (٣)

وقد سبق ذكر الخلاف في المشيرة ولكن حديث عائشة وابي هريرة وغيرهما في الصحيحين وغيرهما يقوى القول بانهم بنو عبد المطلب ومنو عبد مناف .

ب - دعوة سائر قريش : لحديث ابي هريرة رضی الله عنه قال : لما نزلت هذه الاية ( وانذر عشيرتك الاقربين ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم - قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال : يا بنو كعب بن لؤى انقذوا انفسكم من النار . . يا بنو يابني . . (٤)

(١) المدثر : ١ - ٣ .

(٢) الشعراء : ٢١٤ .

(٣) انظر البخاري ج ٢ ص ٢٦٩ عن ابي هريرة . وصلم ج ١ ص ١٣٣ عن

عائشة وسنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٩ ص ٤٠ عن عائشة

وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٥٩ ،

فتح القدير ج ٤ ص ١٢٠ ،

نور اليقين ، ص ٣٦ .

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم ج ١ ص ١٣٣ .

وقد سبق يتماه .

فان قيل ان ظاهر القصتين التعارض ، فيقال : لا معارضة لجواز التمدد ولان تعاليم الاسلام تقضى بأن يبدأ بالأقرب فالأقرب ولذلك مدح الله سبحانه اسماعيل عليه السلام بقوله تعالى ( وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ) <sup>(١)</sup> وقال الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ) <sup>(٢)</sup> الآية ومنهجه صلى الله عليه وسلم الواقعى يدل على ذلك فانه بدأ بأقرب الخلق اليه خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ثم على بن ابى طالب وهكذا .

٣ - ( اصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ) <sup>(٣)</sup> لان سورة الشعراء المذكور

فيها ( وانذر عشيرتك الاقربين ) قبل سورة الحجر نزولا ، المذكور فيها ( فاصدع بما تؤمر ) <sup>(٤)</sup> واعرض عن المشركين ) .

فان قيل : ان هذه ليست مرحلة من مراحل الدعوة بل تنفيذ لما قد أمر به من قبل ، فالجواب ان تنفيذه صلى الله عليه وسلم لذلك واستمراره فيه واعراضه عن المشركين وعدم المبالاة بهم لا مانع من ان يكون مرحلة من مراحل التبليغ .

وقد أعرض عن مشركى مكة وخرج الى الطائف وعرض نفسه على القبائل في المواسم وغيرها كما سيأتى بيانه ان شاء الله .

٤ - عموم الرسالة الى الناس بما فيهم الاحمر والاسود من العرب والعجم

لقول الله تعالى ( قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ) <sup>(٥)</sup> ، وغير ذلك من الآيات السابق ذكرها .

ولأن النهى - صلى الله عليه وسلم - بعث رسله الى ملوك الافاق غير العرب منهم هرقل عظيم الروم أرسل اليه النبي عليه الصلاة والسلام دحية الكلبي يدعوه الى الاسلام وكان هناك أبوسفيان ومن ضمن

( ١ ) سورة مريم : ٥٥

( ٢ ) سورة طه : ١٣٢

( ٣ ) الحجر : ٩٤ - والصدع الفرق اى افرق بين الحق والباطل الذى امرت به

من قران وغيره اهـ . باختصار روح المعانى ج ١٤ ص ٨٥ .

( ٤ ) كذا فى الاتقان ج ١ ص ١١ - ٢٦ .

( ٥ ) الاعراف : ١٥٨ .

ما سأله هرقل هل يفدر ؟ فقال : لا ، ونحن معه في مسدة  
لاندرى ما هو فاعل فيها (١)

والمراد بذلك صلح الحديبية . وهذا قبل فتح مكة بلا خلاف بين  
المؤرخين .

ولو كانت دعوة العرب بمرحلة مستقلة من مراحل الدعوة لما تجاوز  
النبي صلى الله عليه وسلم الصرب المشركين المعاندين في مكة  
وغيرها وطقص الدعوة عليهم حتى ينقادوا طائعين او مكرهين .  
وقد ثبت في الصحيح (٢) أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الى مؤتة  
أرض البلقاء من ارض الشام جيشاً (قوامه ثلاثة الاف <sup>١١٠٧</sup> مجاهد) بقيادة  
زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحة وكانت  
مؤتة انذاك تحت السلطة الرومانية .

وقد أورد ابن كثير (٣) احاديث ضمن احداث السنة الثامنة من الهجرة  
قبل فتح مكة وبعضها صرح بانها قبل مؤتة ، تضمنت بعث الرسل  
والكتب من النبي صلى الله عليه وسلم الى طوك العجم منهم كسرى  
ملك الفرس والمقوقس صاحب الاسكندرية والنجاشي .

من ذلك ما رواه مسلم (٤) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم - كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر والنجاشي - وليسس  
بالنجاشي الذي صلى عليه - والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل  
وقد راجعت صحيح مسلم فوجدته كما ذكر الحافظ ابن كثير الا قوله  
( قبل مؤتة ) فلم أجدها فيحتمل ان تكون مدرجة او ساقطة فسوى  
بعض النسخ او من باب التفسير لانه مؤرخ ومحدث بل امام في العلم  
وقد ذكر ابن قيم الجوزية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من  
الحديبية كتب الى طوك الارض وأرسل اليهم رسله ، وصحت ستة تفسر

- 
- (١) انظر البخارى ج ١ ص ٨ - ٩ - ١٠ ج ٢ ص ١٥٩ - مسلم ج ٥ ص ١٦٣ -  
البداية ج ٣ ص ٢٤٥ . مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٦ ، تاريخ الاسلام  
السياسى ج ١ ص ١٨٣ .  
(٢) انظر صحيح البخارى ج ٣ ص ٥٨ .  
(٣) البداية ج ٤ ص ٢٦٢ .  
(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٦ - وانظر البخارى ج ١ ص ٢٣ - ج ٣ ص ٩٠ .

(٥) ذكر العبد ليس في الصحيح ، بل في البداية ج ٤ ص ٤١ < الباحث

فى يوم واحد من المحرم سنة سبع من الهجرة الى النجاشى والى ملك الروم  
والى كسرى ملك الفرس والى المقوقس ، والى الحارث الفسائى ملك البلقا .

فأنت ترى أنه أرسل الى هؤلاء العجم قبل ان يرسل الى أهل عمان  
وقبل أن يرسل الى الحميريين وانما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري  
الى اليمن عند انصرافه من تبوك ، وقيل بل لسنة عشر أرسلهما داعيين  
الى الاسلام فأسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال . ثم عززهما يعلى بن أبى  
طالب ووافاة بمكة فى حجة الوداع بل وقبل ان يرسل الى مسيلمة الكذاب  
وقبل فتح مكة وهوازن .

ويرى بعض المؤرخين ان النبى صلى الله عليه وسلم - كان يبعث  
بالرسول الواحد الى مجموعة من ملوك العرب والعجم (١) .

كل هذه الاطلاعات كانت ما بين الحديبية فى السنة السادسة من  
الهجرة الى فتح مكة فى السنة الثامنة بالنسبة الى دعوة العجم ، أما معظم  
العرب - كما رأيت - فانما أرسل اليهم رسله بعد دعوة العجم حتى فتح  
مكة بعد دعوة العجم ومضى العرب لم يدعهم الى الاسلام الا فى السنة  
التاسعة والعاشر من الهجرة كما رأيت ، فهل يصح القول - بعد هذا  
كله - بأن دعوة العرب مرحلة مستقلة من مراحل الدعوة استنادا الى قوله  
تعالى ( لتندرا أم القرى ومن حولها ) ؟

...

(١) من زاد المعاد باختصار ج ١ ص ٤٥ - ٤٦ . وانظر البداية والنهاية  
ج ٤ ص ٣٦٢ - ٢٧٣ . مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، والبخارى  
ج ١ ص ٨ - ٩ ، ج ٢ ص ١٥٩ . ومسلم ج ٥ ص ١٦٣ - تاريخ الطبرى  
ج ٣ ص ٩٠ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥ .



- مع بعض المستشرقين :

أما الآيات التي لم يحسن الطاعنون فهمها ، وظنوها تتناقض مع  
الاصل او تخالفه فهي قوله تعالى ( لتندر أم القرى ومن حولها ) (١) وقوله  
( وأنذر عشيرتاك الاقربين ) (٢) وقوله : ( لتندر قوما ما أتاهم من نذير  
من قبلك لعلمهم يتذكرون ) (٣)

وقف الطاعنون عند هذه الايات وظنوا أن فيها سندا لما يدعون  
وتحققا لما يطمعون ، زعموا أن هذه الايات تدل على أن الدعوة التي  
جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم - خاصة ببيئة معينة . وان غيرها من  
الايات الدالة على العموم تحمل عليها ، وهذه هي دهوهم .

١ - الرسول عربي ، ودعوته الى الجزيرة العربية فحسب ، وكتابه ( قرآنا  
عربيا ) وحكمه حكما عربيا وميدان نشاطه ما ورد في كتابه ( وكذلك  
أوعينا اليك قرآنا عربيا لتندر أم القرى ومن حولها ) (٤) فهو ان رسول  
لقومه العرب دون سواهم .

٢ - أن الايات القاطعة - التي اوردنا بعضها سابقا - بعموم الرسالة  
تحمل عند هؤلاء على تحديد ميدان نشاطه ، بالعرب دون سواهم .  
ولذا لم يحاول الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يصرف اليهم  
والانصاري عن دينهم . لانه لم يعد نفسه سوى رسول كبقية الرسل  
بعث للاميين فحسب .

وعند هؤلاء ان لم تحمل الآيات الدالة على عالمية الدعوة المحمدية  
على الايات الدالة - في زعمهم - على دعوة الخاصة بالعرب ، وقمع  
التناقض في القرآن الكريم .

أما قصة الكتب التي ارسلها الرسول - عليه الصلاة والسلام - فهي عند  
هؤلاء القوم اسطورة ابتكرها الخلفاء والقادة ليبرروا فتوحهم تبريرا  
دينيا . (٥)

( ١ ) الشورى : ٧

( ٢ ) الشعراء : ١١٤

( ٣ ) القصص : من اية ٤٦ .

( ٤ ) الشورى : ٧ .

( ٥ ) انظر الدعوة الاسلامية دعوة عالمية لمحمد الراوى ص ٣٠ - ٣١ - الاسلام

دعوة عالمية للمعاد ص ١٢٧ .

\* الرد على الزعم (١) الا اول بحصر الرسالة في الجزيرة العربية :

هذا القول ظاهر البطلان ، فانهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصد يقه في كل ما يخبر به ، وقد قال : انه رسول الله الى الناس عامة ، والرسول لا يكذب باتفاق المسلمين واليهود والنصارى ، لاعدا ولا خطأ اذ هو مستحيل في حق الله - سبحانه - أن يرسل رسولا غير صادق لهداية عباده فلزم تصد يقه حتما . (٢)

\* الرد على الزعم الثاني :

وهو أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ( لم يحاول ان يصرف اليهود والنصارى عن دينهم ) فهذا القول يرفضه الواقع والتاريخ . فقد وفد نصارى نجران الى النبي صلى الله عليه وسلم - في المدينة بعد ارساله اليهم يدعوهم الى الاسلام الذي جاء به . فقد م منهم ستون راكبا اربعة عشر من اشرافهم يرأسهم ثلاثة العاقب واسمه عبد المسيح والسيد واسمه الاليهم ، وابو حارثة (٣) ابن علقمة . . .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا يا أبا القاسم قد رأينا الا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا . . فانكم عندنا رضا . فأرسل معهم النبي صلى الله عليه وسلم - أبا عبيدة بن الجراح وفي ذلك أنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها . (٤)

( ١ ) الزعم القول بالظن ويطلق على الكذب . وقال شريح لكل شيء كنية

وكنية الكذب زعموا . اهـ . فتح القدير ج ٥ ص ٢٢٦ .

( ٢ ) انظر الجواب الصحيح ج ١ ص ٣٨ - ٣٩ . شرح الطحاوية ص ٧٨ .

( ٣ ) وكان امامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم لعلمه بدينهم فكانت طوك الروم قد شرفوه ومولوه واحترموه ونوا له الكنائس لما يعلمونه من صلابته في دينهم .

انظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٥٧٣ وما بعدها .

( ٤ ) لمزيد من التفاصيل انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٧٣ - ٥٨٤ .

البخارى ج ٢ ص ٣٠٥ - مسلم ج ٧ ص ١٢٩ .

وقد أرسل - صلى الله عليه وسلم - رسله وكتبه في اقطار الارض الى كسرى  
وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الاطراف ، يدعوهم الى الاسلام . (١)  
وقد أسلم النجاشي وكان على الديانة المسيحية .

ووفد وفد آخر من النصارى واسلموا وفيهم انزل الله تعالى (لتجدن  
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم  
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا  
وأنتهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض  
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتينا مع الشاهدين ) (٢) ،  
وقد كان أن يسلم قيصر عظيم الروم لما قرأ كتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
ان دعاه الى الاسلام ولكن هب السلطان حال بينه وبين الاسلام . (٣)

وأما قولهم المزعوم : ان لم تحمل الايات العامة على الخاصة حصل  
التناقض ، فذلك قول من لا علم له بعلوم القرآن ولا بالأصول ، ان لا مناقضة  
بين الايات البتة ، والبدء بالاقرب فالاقرب هو المنهج الصحيح للدعوة  
سواء قبل الاقارب ذلك ام لم يقبلوا .

وليس من طبيعة الداعية المسلم أن يقف عند اول خطوة يخطوها  
سواء تعثر او استمر في الطريق ، فذاك أبو الانبياء ابراهيم عليه السلام  
- بدأ بدعوة ابيه ( وانكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ، ان قال لاهيه  
يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا ) (٤) الآيات .

(١) انظر التفاصيل في البخاري ج ١ ص ٨ - ٩ - ج ٢ ص ١٥٩ وسلم  
ج ٥ ص ١٦٣ ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٥ ، مروج الذهب  
ج ٢ ص ٢٩٦ ، تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) المائدة ٨٢ - ٨٣ ، وانظر اسباب النزول للنيسابوري ص ١٤ - ليلاب  
النقول ص ٩٢ .

(٣) انظر البخاري وسائر المصادر بعده في الصفحة نفسها .

(٤) سورة مريم : ٤١ - ٤٨ .

وقد مدح الله اسماعيل ان ترسم نهج أبيه فبدأ بدعوة أهله ( وانكر  
 في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر  
 أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ) (١) . . مع العلم بأن ابراهيم  
 عليه السلام أرسل الى شعب كامل ان قال في المرحلة الثانية ما حكاه الله  
 عنه ( ان قال لابيه وقومه ، ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ) (٢) .  
 وستأتى الاشارة الى المجادلة بينه وبين النمرود في ( تقرير الوجدانية )  
 ان شاء الله .

أما قولهم بقصة الكتب التي ابتكرها الخلفاء والقادة ليبرروا موقفهم  
 من الفتوحات . تبريرا دينيا فالجواب ، أما من حيث الصحة  
 فقد سبق بيان صحتها في الصحيحين (٣) وغيرهما . وأما موقف الخلفاء  
 والقادة كما يقولون ، فندع الاجابة للتاريخ . تجد ذلك واضحا فيما دار  
 بين رضى بن عامر أحد جنود سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قائم  
 الجيش الاسلامي في معركة القادسية ، وبين رستم قائد الجيش الفارسي حين  
 قال له رستم ( ما الذى دعاكم الى حربنا ، والولوع بديارنا ؟ فقال :  
 ) جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق  
 الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام . . فأرسل رسوله  
 بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ، ومن أبى  
 قاتلناه حتى نفى الى الجنة أو الظفر ) (٤) . ومعلوم من دين الاسلام  
 ضرورة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة . كما ان مفهوم كلمة  
 ( الناس ) ينطوي تحته الاحمر والاسود والعربي والعجمي ، وقد عمت رسالته  
 الجن والانس . قال تعالى : حكايه عن قول الجن ( يا قومنا اجيبوا داعي الله  
 وآمنوا به ) (٥) الاية . وسورة الجن تدل على انه أرسل اليهم . وقد ألف  
 ابن تيمية رسالة في هذا الموضوع ، سماها ايضاح الدلالة في عموم الرسالة .

( ١ ) سورة مريم : ٥٤ - ٥٥

( ٢ ) سورة الانبياء : ٥٢ .

( ٣ ) البخارى ج ١ ص ٨ - ٩ ، ج ٢ ص ١٥٩ - سلم ج ٥ ص ١٦٣ .

( ٤ ) انظر تفاصيل القصة في اتمام الوفاء ص ٦٥ - وفيه اما الدخول في الاسلام  
 او الجزية او السيف .( ٥ ) الاحقاف : ٣١ - في سياق قوله تعالى : ( وان صرفنا اليك نفرا من  
 الجن يستمعون القرآن ) الآيات . .

(( الباب الثاني ))

أركان الدعوة

وفيه فصلان :

- الفصل الاول : التركيز على العقيدة :

وفيه المباحث الآتية :

- المبحث الاول : تقرير الوجودانية
- المبحث الثاني : اثبات الرسالة
- المبحث الثالث : الايمان بالملائكة
- المبحث الرابع : الايمان بالكتب
- المبحث الخامس : الايمان بالرسول
- المبحث السادس : الايمان باليوم الآخر
- المبحث السابع : الايمان بالقدر

العقيدة هي أساس الدين الاسلامي ، (١)  
 فمن أجلها أرسلت الرسل ، وانزلت الكتب ، ومن أجلها جردت  
 السيوف - لازاحة العقبات - في سبيل الدعوة اليها .  
 ومن أجلها نصبت الموازين ونشرت الدواوين ، ومن أجلها خلقت  
 الجنة والنار والجن والانس ، ومن أجلها افترق الناس الى فريقين ، فريق  
 في الجنة وفريق في السعير .

ومن أجلها نتجت الموالاة والمعاداة بين الناس حتى بين الابناء  
 والابناء ، فذاك ابو عبدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر ، لانه كان ممن  
 المعاندين للمهاجرين لله ولرسوله فأنزل الله عز وجل ( لا تجد قوما  
 يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم  
 أو ابنائهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم  
 بروج منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار . . . ) (٧) الاية .  
 ومن أجلها ومن أجلها . . .

ويعنى بالعقيدة ، العقيدة الصحيحة والا فان الاعتقاد بوجود الله  
 مسألة فطرية لا تحتاج الى رسل واتجاه الفطرة البشرية الى خالقها بلون من  
 الوان العبادة كذلك مسألة فطرية وقد سبق بيان هذا في الحالة الدينية  
 وانما الذي يحتاج الى ذلك هو تصحيح العقيدة .

(١) العقيدة تشمل الالهيات أي علم التوحيد بانواعه الثلاثة ، والنبويات  
 والمغيبات . وتسمى الاحكام الاعتقادية والمعقائد كما تسمى احكاما  
 اصلية واصول الدين لان المطلوب فيها الاعتقاد ( والعلم بهما  
 ) فاعلم انه لا اله الا الله ) فالعلم به والاعتقاد قبل القول والعمل  
 وهي اساس للاحكام العملية ان هي تتوقف عليها ولا تصح الا بها .  
 وقد دون علم المعقائد لتقرير الاحكام الاعتقادية وحفظها بشتى  
 الاساليب العلمية الفلسفية منها والكلامية . ولكن المرجع الوحيد هو  
 الكتاب والسنة الذي ذهب اليه اهل السنة والجماعة . فاذا جاء  
 نهر الله بطل نهر معقل .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

فان الفطرة - اذا تركت وشأنها - كثيرا ما تضل ، فتتصور الله على غير حقيقته ، وتشرك معه آلهة اخرى وتتقدم له - نتيجة لذلك - بعبادة مشوهة ليست هي ما يفرضه الله عز وجل .

فتجىء الرسل ليبروا الفطرة الى سلامتها ويعطوها الدين القيم ، على حقيقته الربانية (١) . ( فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) (٢) .

### - منهج القرآن في تقرير العقيدة :

من أجل ذلك ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثلاثة عشر عاما - يحدثه فيها عن قضية واحدة ولكن بأسلوب يدعو في كل عرض جديدة .

لقد كان يعالج القضية الاساسية الكبرى في هذه الدعوة الخالدة - الا وهي قضية العقيدة ، ومثلة في قاعدتها الاساسية ، الالهية ، والعبودية ، وما بينهما من علاقة . لقد كان يخاطب بذلك الانسان بما أنه انسان يستوى فيه عربى ذلك الزمان وعربى كل زمان كما يستوى العربى وكل انسان في ذلك الزمان وفي كل زمان .

قضية لا تتغير . . لانها قضية وجوده ومصيره ، وعلاقته بهذا الكون وعلاقته بخالقه ، لقد كان القرآن المكي يفسر للانسان سر وجوده (٣) ووجود هذا الكون من حوله . كان يقول له من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟ والى أين يذهب في نهاية المطاف؟ من الذى جاء به من العدم والمجهول ومن الذى يذهب به . وما مصيره هناك؟ .

(١) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ لشيخنا محمد قطب ، دار الشروق الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الروم : ٣٠

(٣) اشارة الى قوله تعالى : ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) آية ٢٦ من سورة الذاريات يوضحها قوله تعالى : ( قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وذلك أمسرت ) الآية ٦٢ - ٦٣ من سورة الانعام .

وكان يقول له : ما هذا الوجود الذى يحسه ويراه - ويحس ان وراءه  
 غيبا يستشرفه (١) ولا يراه . من أنشأ هذا الوجود الطىء بالأسرار ؟  
 من ذا يدبره ويجدد فيه ويغيره ؟

وكان يقول له كيف يتعامل مع خالق هذا الكون . ومع الكون  
 أيضا . كما يبين له كيف يتعامل مع العباد . (٢) ولكن الجاهليات  
 تفسد حياتها حين لا تجد الاجابة الصحيحة عن هذه التساؤلات فتضرب  
 فى التيه كما يقول شاعر جاهلى معاصره :  
 جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت ... ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت  
 وحينئذ تدر كها الحيرة والضياح . (٣)

هذه هى القضية الكبرى التى يقوم عليها وجود الانسان على توالى  
 الازمان .

ولم يتجاوزها القرآن المكي الى شىء من التفريعات المتعلقة بنظام  
 الحياة الا بعد ان علم الله انها استوفت ما تستحقه من البيان واستقرت  
 استقرارا مكينا ثابتا فى قلوب العصبة المختارة من بنى الانسان التى قسدر  
 الله أن يقوم هذا الدين عليها .

قلت : وما ينبغى للدعاة اليوم ان يقفوا طويلا امام هذا المنهج  
 المكي لينهجوا نهجه حتى اذا مارسخت العقيدة وامتدت جذورها وتشابكت  
 اغصانها وآتت ثمارها حلوة طرية تحولت وبرزت الى العالم الواقع .

فلقد شاعت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هى الاولى التى تتصدى  
 لها الدعوة منذ اليوم الاول للرسالة وان يبدأ رسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم - اولى خطواته بدعوة الناس الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان يعض  
 فى دعوته بحرف الناس يربهم ومعبودهم الحق دون سواه .

ولم تكن هذه - فى ظاهر الامر وفى نظرة العقل البشرى المحجوب - هى  
 ايسر السبل الى قلوب العرب فلقد كانوا يعرفون من لفتهم معنى (اله) ومعنى  
 ( لا اله الا الله ) .

(١) استشرفت الشىء رفعت البصر . انظر اليه اهـ . مصباح ج ١ ص ٣٣٢

(٢) استفاد من كتاب معالم فى الطريق ص ٢٠ وما بعدها .

(٣) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٥٥ تجد التفاصيل .



كانوا يعرفون ان توحيد الالهية ، وافراد الله سبحانه بها معناها  
نزع السلطان الذى يزاوله الكهان وشيوخ القبائل والامراء والحكام  
ورده كله الى الله . (١)

والعرب يعرفون لغتهم جيدا ، ويعرفون المدلول الحقيقى لدعوة  
( لا اله الا الله ) وماذا تعنى هذه الدعوة بالنسبة لاضاعهم ومن ثم  
استقبلوها ذلك الاستقبال المنيف وثاروها تلك الحروب التى سنذكر  
بعضها منها ان شاء الله تعالى فى ( جهاد الدعوة ) .

فلم كانت هذه نقطة البدء فى هذه الدعوة ؟ ولم اقتضت حكمة  
الله أن تبدأ بكل هذا المناه ؟

ربما قيل انه كان فى استطاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - ان يثيرها  
حرىا على طبقة الاشراف وان يطلقها دعوة تهدف الى تعديل الاوضاع  
ورد اموال الاغنياء على الفقراء . وربما قيل لودعا - يومها - هذه  
الدعوة لانقسم المجتمع العربى صفين الكثرة الغالبة مع الدعوة الجديدة  
فى وجه طغيان المال والشرف والجاه ، والقللة القليلة مع هذه الموروثات  
بدلا من ان يقف المجتمع كله صفا فى وجه ( لا اله الا الله ) التى لم يرتفع الى  
آفاقها الا الأقدان من الناس ، وربما قيل وربما قيل . . .

ولكن الله - سبحانه - وهو العليم الحكيم لم يوجهه هذا التوجيه  
لانه يعلم ان هذا ليس هو الطريق . يعلم ان العدالة الاجتماعية  
لا بد ان تنبثق فى المجتمع من تصور اعتقادى شامل يرد الامركه للسه  
ويقبل عن رضا وطواعية ما يقضى به الله من عدالة التوزيع ومن تكافل الجميع  
ويستقر معه فى قلب الآخذ والمأخوذ الاطمئنان فلا طمع ولا حقد . فلا تفسد  
القلوب ولا تخفق الارواح كما يقع فى الاوضاع التى تقوم على غير ( لا اله  
الا الله ) فلما تقررت العقيدة - بعد الجهد الشاق - وتقررت السلطة  
التي تركز اليها هذه العقيدة ، وذلك فى العهد المدنى .

لما عرف الناس ربهم وجدده ، لما تحرر الناس من سلطات العبيد  
ومن سلطات الشهوات لما تقررت فى القلوب ( لا اله الا الله ) صنع الله

( ١ ) اى ان توحيد الالهية يستلزم ذلك حتى يكون السلطان لله وحده  
على القلوب والابدان والشعائر وواقعيات الحياة .

بها وأهلها كل شيء\* مما يقترحه المقترحون . .

ذلك شأن القرآن المكي كله في تقرير ( لا اله الا الله ) في القلوب  
والمقول . واختيار هذا الطريق - على مشقته في الظاهر - وعدم اختيار  
السهل الجانبية الاخرى والاصرار على هذا النهج . ( ٤ )

قلت : وكذلك القرآن المدني لم يكف بالتشريعات فحسب ، بل  
انه يتخللها بتذكير المؤمنين بالعقيدة من حين لاخر من ذلك قوله تعالى  
( يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله  
والكتاب الذي انزل من قبل . ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم  
الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ) ( ٥ ) .

اذن فكل تنظيمات هذا الدين وتشريعاته اجمالا وتفصيلا منبثقة  
من قاعدة الالوهية الواحدة لا في الحياة الدنيا وحدها ولكن كذلك في  
عالم الغيب وفي اعماق القلوب . وبين يحد منهجه في بناء نفسه وامتداده  
ويجعل بناء العقيدة وتمكينها وشمولها لشعاب النفس كلها ضرورة من ضرورات  
النشأة الصحيحة ،

ومتى استقرت هذه العقيدة استقر معها في نفس الوقت النظام الذي  
تتمثل فيه ( لا اله الا الله ) وتعين انه النظام الوحيد الذي ترتب عليه  
النفوس التي استقرت فيها العقيدة واستسلمت ابتداءً لهذا النظام حتى قبل  
ان تفرض عليها تفصيلاته وتشريعاته . - لان الاستسلام ابتداءً هو مقتضى  
الايان - ولما كان الامر كذلك تلقت النفوس التنظيمات بالقبول لا تمترض  
على شيء منه فور صدورها اليها ، ولا تتلأأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له . ( ٦ ) ،  
ولكن مع الاسف لقد علمت ظروف كثيرة خاصة في القرنين الاخيرين - ومن أهمها  
المخطط الصليبي الصهيوني لمحاربة الاسلام - على تجهيل المسلمين

( ١ ) انظر معالم في الطريق ص ٣٠ وما بعدها . في ظلال القرآن ج ٧ ،

ص ١٠٠٤ - ١٠٠٨ كلاهما لسيد قطب .

( ٢ ) سورة النساء : ١٣٦ وهي مدنية .

( ٣ ) مقتبس من كتاب معالم في الطريق ص ٣٢ وما بعدها . وانظر في ظلال

القران ج ٧ ص ١٠٠٩ .

بحقيقة ( لا اله الا الله ) وفصلها فصلا كاملا بين العقيدة والشريعة بين الدين والدولة لان المخططين كانوا يمتزمون قتل الاسلام بتتحيته تدريجيا عن حكم الحياة الواقعية للناس ، فبدأوا بتتحية الشريعة ثم شنوا بانتزاع المفاهيم الاسلامية - واحدا اثر واحد - من افكار الناس ومشاعرهم وتقاليدهم وسلوكهم ، مع المحافظة على المظاهر الزائفة للاسلام - كالتصوف - منعا من اثاره الشكوك كما قال اللورد كرومر - في كتابه ( مصر الحديثة ) ( وذلك حتى لا ينتبه المسلمون الى الكيد المدبر لهم ويظلوا في اطمئنان خادع الى أن اسلامهم مازال بخير فلا يهبوا لنجدة العقيدة التي تقطع من الجذور ) .

من أجل ذلك ركزوا - وساعدهم في ذلك رجال دين محترفون - على الاحاديث النبوية التي تقول : ( من قال لا اله الا الله دخل الجنة ) وهي احاديث صحيحة ولا شك ، ولكنهم اهلوا - متعمدين - بيان حقيقة ( لا اله الا الله ) التي تدخل الناس الجنة . وصلتها الوثيقة التي لا تنفك عن الحكم بما انزل الله . وان الرسول صلى الله عليه وسلم اشترط فيها اخلاص القلب بانه عدم الشرك (١) وبين انواع الشرك فعدد من بينها التحاكم الى غير شريعة الله عن رضا ومتابعة ( فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) (٢)

( ١ ) شروط ( لا اله الا الله ) سبعة وقد نظمها الشيخ حافظ الحكمي في سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد فقال :

العلم واليقين والقبول والانقياد فادري ما أقول  
والصدق والاخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه  
وقد شرحها شرحا وافيا في كتابه معارج القبول . فارجع اليه  
ج ١ ص ٣٧٨ - ٣٨٦ .

( ٢ ) سورة النساء : ٦٥ . ومنه قوله تعالى : ( الم تر الى الذين يؤمنون أنهم آمنوا بما أنزل اليك بها أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت . وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ) .  
آية ٦٥ من سورة النساء .

لقد كان الجهد الذى بذله الرسول صلى الله عليه وسلم —  
المشركين فى مكة - يؤيده الوحي - منصبا كله على اقناعهم بانه ( لا اله  
الا الله ) .

ولكنه لم يبذل جهدا على الاطلاق فى اقناعهم - بعد ان امنوا بان  
تحكيم شريعة الله هو مقتضى الايمان بلا اله الا الله ( لان ذلك كان  
بديهية فى حسهم لا يحتاج الى بيان . اما هذه الاجيال القائمة التمس  
تربت فى ظل المخطط الصليبي الصهيوني لمحاربة الاسلام فهو فسق  
حاجة الى جهد ضخم لاستيما ب هذه الحقيقة التى لم يكن المسلمون  
يحتاجون فيها الى كلمة واحدة خلال القرون . (١)

...

---

(١) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٨٢ - ٨٣ .

١ - تقرير الوحدانية :

اعلم بان الايمان بوحدانية الله تعالى في ربوبيته والوهيته واسمائيه وصفاته هو الاصل الاصيل للمقيدة كالقاعدة للبناء فأى بناء لا يقوم على أساس عميق وثابت سرعان ما تزعزعه المواقف فينهار كذلك كل من ليست عنده عقيدة راسخة في اعماق قلبه يخالقه ومعبوده خالق الكون من العدم الى الوجود جلت عظمته واسماؤه وتعالت صفاته عن مشابهة مخلوقاته ( ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ) (١) . ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ) (٢)

كل من كان كذلك فانه معرض للشبه والشكوك والاضطراب في دينه .

٢ - فاما معنى الوحدانية ؟

انها تعنى أن الله واحد في ذاته وصفاته لانظيره ، واحد في ملكه واحد في افعاله لاشريك له واحد في حاكميته ( والله يحكم لامعقب لحكمه ) (٣) واحد في الاهيته وعبادته لاند له .

انها القاعدة الكبرى التي يقوم عليها التصور الايماني الصحيح وهي التي ارسل الله من أجلها الرسل . (٤)

أما وحدانية الربوبية :

فقد كانت الامم تقربها من زمن امة نوح عليه السلام الى زمن مشركى العرب حال البعثة ( وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ) (٥) حيث يقرون بأن الله الخالق الرزاق وهم مشركون به بعبادة الاصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم كما في صحيح مسلم ( لبيك لاشريك لك الا شريكا هولاك تملكه وما ملك ) (٦) .

( ١ ) الشورى : ١١

( ٢ ) طه : ١١٠

( ٣ ) الرعد : ٤٦

( ٤ ) وفي القاموس : الله الاوحد والمتوحد ذو الوحدانية هـ . ج ١ ص ٣٤٤ .

( ٥ ) سورة يوسف : ١٠٦

( ٦ ) مسلم ج ٤ ص ٨ عن ابن عباس .

وقد بحثت في القرآن الكريم لعلى آية تدل على ان الام السابقة  
او شركى العرب كانوا ينكرون وجود الله تعالى فلم أجد - حسب علمى -  
شيئا سوى قول الدهرية القاطنين بعدم الحياة الاخرية وقد سبق الكلام  
على ذلك في ( الحالة الدينية ) .

فقد أخذ الله الميثاق على بنى آدم وهم في عالم الذر ، لما خلق  
آدم فصاح على ظهره واستخرج منه ذريته قائلاً لهم الست بربكم . قالوا  
بلى : شهدنا ( وان أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم  
على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن  
هذا غافلين . ) وتقولوا انما اشرك ابائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم  
افتهلكم بما فعل المبطلون ( ١ )

وللمفسرين عدة اقوال في هاتين الايتين ، اصحها هو ما ذكرناه لمحدث  
انس مرفوعا : ( يقول الله تبارك وتعالى لأهون اهل النار عذابا لو كانت لك  
الدنيا وما فيها كنت مفتديا بها ؟ فيقول نعم ، فيقول قد اردت منك اهون  
من هذا وانت في صلب آدم ألا تشرك ، احسبه قال : ولا ادخلك النار ،  
فأبیت الا الشرك ) هذا لفظ مسلم ، ولفظ البخارى : ( ان الله يقول  
لأهون اهل النار عذابا لو ان لك ما في الارض من شيء أكنت تفتدى به قال  
نعم قال فقد سألتك ما هو اهون من هذا وانت في صلب آدم الا تشرك  
فأبیت الا الشرك )<sup>(٢)</sup> قال صاحب الظلال : ( ولم يقع ان نسيت الفطرة  
حقيقة وجود اله الا في هذه الايام الاخيرة )<sup>(٣)</sup>

قلت : اللهم الا ما ذكره القرآن عن فرعون بادعائه الربوبية ان قال  
( انا ربكم الاعلى )<sup>(٤)</sup> وقال : ( يا أيها الملائكة ما علمت لكم من اله غيرى  
فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى  
وانى لاظنه من الكاذبين ) .<sup>(٥)</sup>

- 
- ( ١ ) الاعراف : ١٧٢ - ١٧٣ وقد بحث صاحب شرح الطحاوية في هاتين الايتين  
الكريميتين بحثا جيدا ص ٢٦٥ وما بعدها .  
( ٢ ) مسلم ج ٨ ص ١٣٤ وانظر سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٤٥٧ -  
٤٥٨ واحمد في مسنده ج ٣ ص ٢٧١ بالفاظ متقاربة وهذا لفظ مسلم ،  
والبخارى ج ٢ ص ٢٢٩ .  
( ٣ ) في ظلال القرآن ج ٢ ص ١٥١ .  
( ٤ ) المناجات : ٢٤ .  
( ٥ ) سورة القصص : ٣٨ .

(١)  
 (حتى أدركه الفرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل)  
 الايات .

وهذه المناسبة ترد على الماديين الملحدين الذين ينكرون وجود  
 الله سبحانه ، بحجة انهم لم يدركوه بحواسهم متصورين ان هذا هو  
 الطريق اليه ، ورموا المؤمنين به بأنهم واهمون وخرافيون ومشوشون وغير  
 علميين الى آخر السلسلة من السب والسخرية .

يقولون انهم لا يؤمنون الا بما أدركته حواسهم ، والجواب ان واقعهم  
 المادى الذى يعيشونه يكذبهم ، فهم مثلا يؤمنون بالجانانية وقوانينها  
 ولم يشاهدوها بل رأوا آثارها ، ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره .  
 ويؤمنون بالمغناطيسية وقد شاهدوا فقط - انجذاب الحديد الى الحديد  
 دون رؤية الجاذب . ومن طرائف اجوبة الفطرة على مثل هذا ما يأتى :  
 ( يقال انها وقعت فى مدرسة ابتدائية ، حيث وقف معلم ابتدائى يقسول  
 لطلاب السنة السادسة مامعناه : اترونى ؟ قالوا نعم . قال : فاذن  
 انا موجود . اترون اللوح ؟ قالوا نعم : قال فاللوح موجود . اترون  
 الطاولة ؟ قالوا نعم . قال اذن فالطاولة موجودة . قال اترون الله ؟  
 قالوا لا . قال فالله اذن غير موجود . فوقف احد الطلاب الانكيا وقال :  
 اترون عقل الاستاذ . قالوا لا . قال فعقل الاستاذ اذن غير موجود . (٢) .

وانا رجعتنا الى القرآن الكريم نجده يعلن ايمان ابليس بربه رب العالمين  
 حين امر الله - سبحانه - الملائكة بالسجود لادم فسجدوا الا ابليس . . . .  
 ( قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون ) ( وقال رب بما أغويتنى لأزینن لهم فى  
 الارض ولا غوينهم اجمعين ) (٣) وفى آية اخرى ( قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون )  
 (٤)

- 
- ( ١ ) سورة يونس : الايات ٩٠ - ٩٢  
 ( ٢ ) الله جل جلاله ص ٩ - ١١ لسعيد حوى ط . بيروت الطبعة الاولى  
 سنة ١٣٨٩ هـ .  
 ( ٣ ) سورة الحجر ٣٦ - ٣٩ .  
 ( ٤ ) سورة ص : ٧٩ .

فان قيل ان الذى حاج ابراهيم فى ربه ينكر وجود الله وهو النمرود بن كنعان المشار اليه بقوله تعالى : ( الم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الطك ان قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال انا احيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ) (١)

فيقال انهم ينكرون وجود الله أصلاً ، وانما كان ينكر الوحداية فى الالهية والربوبية وتصريف الكون وتدبيره لما يجرى فيه وحده ، كما كان بموضع المنحرفين فى الجاهلية يعترفون بوجود الله ولكنهم يجعلون له انداداً ينسبون اليها فاعلية وعملا فى حياتهم ، بدليل ان الضمير فى ( ربه ) عائد على ( الذى ) فى قوله تعالى : ( الم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه ) وعليه فيكون اقراراً منه بالربوبية وان ابراهيم اراد ان الله الذى يخلق الحياة والموت فى الاجساد ، وأراد الكافرين ان يقدر ان يعفون القتل فيكون احياً وان يقتل فيكون اماتة وانما ذلك من قبيل المكابرة والمعاندة .

ورد على هذا بان الضمير فى ( ربه ) عائد على ابراهيم لانه الاقرب رتبة وعليه فيكون منكر الوجود إله غيره . (٢)

قلت : وليس فى الآية تصريح بانكار وجود الله سبحانه او ادعاء الربوبية كما هو تصريح فى كلام فرعون - اللعين - حين قال : ( ما علمت لكم من اله غيرى ) وحين قال ( انا ربكم الاعلى ) .

وعليه فيكون فرعون هو الوحيد فى هذا المجال وهو شذوذ عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وكل مولود يولد على الفطرة . (٣)  
ولاشك أن الاقرار بالربوبية امر فطرى وضده حادث طارىء ( خلقت عبادى حنفاً فلججت اليهم الشياطين ) (٤) .

( ١ ) سورة البقرة : ٢٥٨ .

( ٢ ) انظر تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٣ - ٢٥ - القرطبي ج ٢ ص ١٠٩٣ وما

بعدها تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٣ ، فتح القدير ج ١ ص ٢٧٧ ، روح

المعاني ج ٣ ص ١٥ - ١٧ . لال القران ج ٣ ص ٢٩٧ .

( ٣ ) معنى حديث سبق لفظه رواه مسلم ج ٨ ص ٥٣ .

( ٤ ) طرف من حديث طويل رواه مسلم ايضا ج ٨ ص ١٥٩ .



قال الله تعالى حكاية عن اقرار أول الامم - بالله سبحانه - أمة نسوح عليه السلام : ( ما هذا الا بشر <sup>ملائكة</sup> يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ) (١) وجه الاستدلال اقرارهم بمشيئة الله سبحانه واسنادها فسي انزال الملائكة اليه وعدم جهودهم لوجود الله تعالى .

وقالت عاد ردا على هود عليه السلام : ( قالوا أجهتتنا لنعبد الله - وحده ) (٢) . وقال قوم صالح وقوم هود : لو شاء ربنا لانزل ملائكة ) (٣) حتى اليهود والنصارى - بغض النظر عن التحريف والتبديل - لم ينكروا وجود الله فقالوا عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله .

### دعوة الانبياء تركز على توحيد الألوهية :

انا اذا تدبرنا القرآن الكريم نجد دعوة الرسل تركز على دعوة الامم الى توحيد <sup>هيبة</sup> اللو الذي هو توحيد العبادة لانه هو الذي حصل فيه الخصوصية بين الانبياء والامم ، فأول رسول أنذر قومه عن الشرك ودعاهم الى عبادة الله وحده ذلك هو نوح عليه السلام الذي أنزل الله في شأنه مع قومه سورة كاملة سميت باسمه مع ما ذكر في سائر القرآن .

كذلك كلما جاء رسول بعد رسول يؤكد دعوة من قبله من الرسل لئلا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره بغض النظر عما يواجهه كل رسول من الامور المتفشية في مجتمعه فيتجه نحو مكافحتها بعد الاتجاه الى الاصل الاصيل الذي هو توحيد العبادة والذي هو معنى ( اياك نعبد واياك نستعين ) . لذلك نجد القرآن المكي مستفيضا جدا بهذا النوع من انواع التوحيد، ومقبها ومشنعا على المشركين ومهددا لهم بالخلود في النار من ذلك قوله تعالى : ( وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو الله واحد ) (٤) . وقد شهد الله لنفسه وشهد له ملائكته واطوا العلم بحصر الألوهية في الله تعالى خالق الكون ومنشئه من العدم الى الوجود ، فقال :

( ١ ) سورة المؤمنون : ٢٤ .

( ٢ ) سورة الاعراف : ٧٠ .

( ٣ ) سورة فصلت : ١٤ .

( ٤ ) سورة النحل : ٥١ .

( شهد الله انه لا اله الا هو والطئكة واولوا العلم كما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ) (١) .

وقال : ( نلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ) (٢) . وقال : ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ) (٣) وقال : ( لاتجعل مع الله الها اخر فتقدم مذموما مخذولا ) وقال : ( وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه . . ) (٤) . وقال : ( انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ) (٥) . وقال مهددا لهم بعدم المصفرة مع اصرارهم بان مصيرهم النار فقال : ( ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ) . وفى آية اخرى ( فقد ضل ضلالا مبينا ) (٦) . وقال تعالى : ( قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا ) (٧) . . الايات الثلاث .

وقد نهى الشهيد سيد قطب رحمة الله عليه عند هذه الايات بقوله : ( وينبغى ان نلتفت الى ما قبل هذه الوصايا لنعلم ماذا يراد بالشرك الذى ينهى عنه فى مقدمة الوصايا ، لقد كان السياق كله بصدور قضية معينة قضية التشريع ومزاولة حق الحاكمية . . وقيل آية واحدة كان موقف الاشهاد ) قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم يربهم يعدلون ) (٨) .

يجب ان نذكر هذه الآية . . لنذكر ما يبنى السياق القرآنى هنا بالشرك الذى ينهى عنه ابتداءً . انه الشرك فى الاعتقاد كما انه الشرك فى

( ١ ) سورة ال عمران : ١٨ . ( ٢ ) سورة المائدة : ٧٢ الأنعام : ١٠٤

( ٣ ) سورة النساء : ٣٦

( ٤ ) سورة الاسراء : ٢٢ - ٢٣

( ٥ ) سورة المائدة : ٧٢

( ٦ ) سورة النساء : ٤٨ - ١١٦

( ٧ ) سورة الانعام : ١٥١

( ٨ ) سورة الانعام : ١٥٠

الحاكمية ، فالسياق حاضر والمناسبة حاضرة ، ونحن نحتاج الى هذا التذكير المستمر ، لان جهود الشياطين في زهجة هذا الدين عمن مفهوماته الاساسية قد آتت ثمارها - مع الاسف - فجعلت مسألة الحاكمية تزحزح وتتفصل عن اصلها الاعتقادي ،

ومن ثم نجد حتى الفيورين على الاسلام يتحدثون لتصحيح شعيرة تعبدية او لاستنكار انحلال اخلاق او لمخالفة من المخالفات القانونية ولكنهم لا يتحدثون عن اصل الحاكمية وموقعها من العقيدة الاسلاميية يستنكرون المنكرات الجانبية الفرعية ولا يستنكرون المنكر الاكبر وهو قيام الحياة على غير افراد الله بالحاكمية ( ١ ) .

وقال القرطبي : ( في هذه الاية أمر من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بان يدي وجميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله وهكذا يجب على من بعده من العلماء ان يبلغوا الناس ويبينوا لهم ما حرم عليهم ما حصل قال الله تعالى : ( لتبينه للناس ولا تكتمونه ) ( ٢ ) .

وقال مهديا ايضا المشركين مهما ارتفعت مناصبهم وانما بهم ، وذلك بعد ان ذكر ابراهيم عليه السلام وما وهب له من الذرية بان جعل منهم الانبياء وفضلهم على العالمين ( ومن آياتهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبب عنهم ما كانوا يملكون ) ( ٣ ) .

وهذا تشديد لامر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملاسته . ومن ذلك التهديد ايضا قوله تعالى مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم ( ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ) ( ٤ ) فهل الشرط يقتضى جواز الوقوع ؟ قيل : لا كقوله تعالى : ( قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ) ( ٥ ) وامثال ذلك كثير . ( ٦ )

( ١ ) في ظلال القرآن ج ٨ ص ١٢٣٠ ، راجع نقطة ( الوثنية ) ايات من سورة الانعام

في جهل العرب في هذا الوقت

( ٢ ) سورة ال عمران ١٨٧ وانظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٥٦٧ .

( ٣ ) سورة الانعام ٨٣ - ٨٤ ( ٤ ) سورة الزمر : ٦٥ - ٦٦ .

( ٥ ) سورة الزخرف : ٨١ .

( ٦ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٩٣ - تفسير ابن جرير ج ٧ ص ٢٦٣ - تفسير

القرطبي ج ٣ ص ٢٤٧١ . فتح القدير ج ٢ ص ١٣٧ - الظلال ج ٧ ص ١١٤

قلت : ولعل هذا من باب ( اياك اعنى واسمعى يا جاره ) (١) فهو  
وان كان الخطاب ظاهره للنبي ولانبياء عليهم الصلاة والسلام - فالمسراة  
منه - والله اعلم - تهديد أقوامهم المشركين عن هدى الانبياء .

أما القول بظاهر الخطاب فيتناقض وعصمتهم المجمع عليها .  
وثانياً غير معقول ان يرسلهم الله عز وجل لينذروا اقوامهم عن الشرك  
ثم يخالفوهم ، فذاك شعيب عليه السلام يصرح بانه لم يخالف ما دعا اليه  
قومه عموماً لاسلماً ولا ايجاباً وهل يتفق الاصلاح مع المخالفة ؟ ( وما اريد  
أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ) (٢)

وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ( وليس المراد بالتوحيد  
مجرد توحيد الرسولية ، وهو الاعتراف بان الله وحده خلق العالم ، كما  
يظن ذلك من يظنه من اهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء انهم اذا اثبتوا  
ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد (٣) ، وأنهم اذا شهدوا هذا وفسوا  
فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد (٤) ، فان الرجل لو أقربما يستحقه السرب  
تبارك وتعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه ، وأقربانه وحده خالق  
كل شىء لم يكن موحداً حتى يشهد ان لا اله الا الله وحده فيقر بان الله

( ١ ) مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً اخر غيره اهـ . مجمع الامثال  
ج ١ ص ٤٩ للميداني .

( ٢ ) سورة هود : ٨٨ .

( ٣ ) لعله يشير الى طريقة جمهور المتكلمين من المعتزلة وغيرهم في اثبات  
وجود الله بالمقدمات والنتائج كقولهم : العالم حادث وكل حادث لابد  
له من محدث فتكون النتيجة محدث العالم هو الله سبحانه . اهـ تلبيس  
الجهمية ج ١ ص ١٤١ .

( ٤ ) لعله يشير ايضا الى طريقة الصوفية في اثبات وجود الله تعالى  
وانها ليست بالنظر وانما يزعمون ان المعرفة بالله وغيره شىء يلقى  
في النفس عند تجردها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على  
المطلوب واحتجوا بظواهر من الشرع منها ( واتقوا الله ويعلمكم الله )  
٢٨٢ من سورة البقرة ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا  
وان الله لمع المحسنين ) ، اخراية من سورة العنكبوت ( ان تتقوا  
الله يجعل لكم فرقاناً ) اية ٢٩ من سورة الانفال .  
وقد نقلها ابن تيمية في تلبيس الجهمية ج ١ ص ٢٥٦ وعلق عليها في  
المصدر نفسه ص ٢٦٣ واستحسن بعضها ورد البعض الآخر .

(٥٠)

وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له .

قلت : وما يؤكد هذا حكمة الله في خلق الجن والانس ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) (١) والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويكرهه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة .

وما يفسر هذه الاية قوله تعالى : ( قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وذلك امرت . . (٢) الاية . وحسول هذه الاية قال سيد قطب : ( انه التجرد الكامل لله بكل خالصة في القلب وكل حركة في الحياة بالصلاة والاعتكاف والمحيا والممات والشعائر التصدية والحياة الواقعية ، والممات وما وراءه . . . لله وحده رب العالمين ) (٤) .

### نماذج من الخصومة بين الانبياء والامم في توحيد الالهية :

لما دعا نوح عليه السلام قومه الى عباد الله وحده وترك عبادة الاصنام ان هم اول من عبدها ، قالوا ( ماسمعنا بهذا في ابائنا الاولين ، ان هو الا رجل به جنه فترصبوا به حتى حين ) (٥) . وقد بلغ بهم الحمق والسفسه الى ان قالوا ( وانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا . . ) (٦) . وقالوا ايضا ( انا لنراك في ضلال مبين ) (٧) .

كذلك كانت اجابة قوم هود عليه السلام ، بل هو اشد قسوة من سابقتها ( والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون . قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك ممن الكاذبين ) . (٨)

• من السور التي فيها توحيد الله وحده

(٢) الذاريات : ٥٦

(٣) الانعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) في ظلال القرآن ج ٨ ص ١٢٤٠ .

(٥) المؤمنون : ٢٤ - ٢٥ .

(٦) سورة هود : ٢٧

(٧) سورة الاعراف : ٦٠

(٨) سورة الاعراف : ٥٦ - ٥٧ .

(٤٠) فتح المجدد ص ١٢٥ تحقيق محمد حسان الصقفي ط السنة المحمدية القاهرة ط السابعة

وفى موضع آخر ( قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهد وانى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ) (١) .

كذلك كانت الاجابة من قوم صالح عليه السلام الا أنها <sup>أهوت</sup> سابقاتها ( قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا ، واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ) (٢) الا انها فسو موضع آخر اشد قسوة حيث قالوا : ( بل هو كذاب أشر ) (٣) .

وتأتى ردود قوم شعيب - عليه السلام - بعد حوار طويل يشتمون بالسخرية اولا ، والفتك ثانيا ، ( قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بمعزير . قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ) (٤) .

وقد مدح الله ابا الانبياء عليه السلام ومن نهج نهجه كما دعا سائر الانبياء الى الاقتداء به فقال : ( قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ان قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنسا بكم ودا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابا حتى تؤمنوا بالله وحده ) (٥) .

انها البراءة من الشرك واهله ومقاطعة صريحة ماداموا فى استمرارهم على الشرك حتى يقلعوا عنه ويؤمنوا بالله وحده .

( ١ ) سورة هود : آية ٥٣ - ٥٤ - ٥٥

( ٢ ) سورة هود : ٦٢

( ٣ ) سورة القمر : ٢٥

( ٤ ) سورة هود : ٩١ - ٩٢

( ٥ ) سورة الممتحنة : ٤

وهكذا <sup>حين</sup> جاء دور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما دعا مشركى قريش  
مجددا دعوة الانبياء قبله قالوا : ( هذا ساحر كذاب . اجعل الالهة الها  
واحد ان هذا لشئ عجاب ) (١) ( انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله  
يستكبرون ويقولون اننا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ) (٢) .

فجاءت التسليمة من الله سبحانه وتعالى بقوله : ( وكذلك ما أرسلنا  
من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة واننا  
على آثارهم مقتدون . قال اولو جئناكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا  
انا بما ارسلتم به كافرون ) (٣)

فأنت ترى أن الدعوة المكية قد حرصت حرصا شديدا على تجريد  
عقيدة التوحيد وتخليصها من كل ما علق بها من الاساطير والخرافات والاشان  
والانحرافات التى طرأت على العقائد السابقة لان التوحيد حقيقة اولية كبيرة  
يقوم عليها هذا الوجود كله . ويشهد بها هذا الوجود شهادة واضحة  
ولان هذا التوحيد فى الوقت ذاته قاعدة لاتصلح الحياة البشرية كلها فى  
اصولها وفروعها الا اذا قامت عليها . (٤)

وما ينبغى ان يكون مفهوما عند اصحاب الدعوة الاسلامية المعاصرة  
انهم حينما يدعون الناس لاعادة انشاء هذا الدين : ينبغى ان يدعوهم  
اولا الى اعتناق العقيدة - حتى ولو كانوا يدعون انهم مسلمون ، وتشهد  
لهم شهادات الميلاد - يجب ان يعلموهم ان الاسلام هو اولا : اقرار  
عقيدة ( لا اله الا الله ) بدلولها الحقيقى . .

...

(١) سورة ص : ٤ - ٥ .

(٢) سورة الصافات : ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة الزخرف : ٢٣ - ٢٤ .

(٤) انظر فى ظلال القران : ج ٢٣ ص ٣٠٠٧ - ٣٠١٠ .

## ٢ - اثبات الرسالة :

ان معرفة الرسل يترتب عليها هداية البشر واستحقاقهم ثواب الله ، بينما الجهل والكفر بهم حال وجودهم وتكذيب دعوتهم يترتب عليه بقاء البشرية على ضلالها واستحقاقها عذاب الله سبحانه في الدنيا والآخرة .

لذلك كان مهما جدا أن نعرف كيف نهتدى الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبدون معرفة هذا قد يلتبس علينا الامر ، فنعتبر غير الرسول رسولا فنضل ونجهل الرسول ، لذلك جعل الله للرسل علامات يعرفون بها منها :

## أ - الصفات الشخصية لصاحب الرسالة :

فليس من المعقول أن يكون الرسول كذابا ، ان الكذاب لا يصدق في الامور العادية ، فضلا عن مثل هذه القضية الكبرى .  
وقد اشتهر محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة بالصدق الامين مع عدو ولد واد كانوا يودعون عنده ودايعهم فيؤذيها عند طلبها كما هي فلما علا على الصفا وداها الى الله تعالى قائلا : (أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم صدق ، قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا . . . ) (١)

## ب - شهادة الخصوم :

هذه شهادة الخصوم ولها وزنها الكبير ، ان تدل على الثقة التي كان يتمتع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجميع ، ولكنه الجحود والاستكبار ( فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) (٢) .  
وقد لقي أبوجهل النبي صلى الله عليه وسلم يوما فصافحه ، فقال له رجل الا أراك تصافح هذا الصابي ؟ فقال : واللله لا أعلم انه لنبي ولكن متى كنا لبي عبد مناف تبعا ،

(١) البخارى ج ٣ ص ١٧١ .

(٢) سورة الانعام : ٣٣ .



ومرة أخرى :- قال بعد ان استمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم -  
هو وأبوسفيان ، والأخنس بن شريف ليلا كل لا يشعر بالآخر ، فقال الأخنس  
يعد أن التقوا وتلاوموا ، وتعاهدوا على عدم العودة : ما رأيك يا ابا الحكم  
فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت . تنازعنا نحن وبنو عبد مناف  
الشرف اطمعوا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا ، حتى اذا اجتاثنا  
علو الركب وكنا كقرسى رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى  
ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدق . وفي رواية اخرى ان الاخنس خلا  
بابي جهيل فقال له اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب ؟ فانه ليس هاهنا  
من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا . فقال ابو جهيل : ويحك ان محمدا لصادق  
وما كذب محمد قط . ولكن اذا ذهبت بنوقصي باللواء والسقاية والحجابة  
والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ ( ١ ) .

وفي قصة ابي سفيان عند هرقل ، ومنها سؤاله لابي سفيان نفسه  
قائلا : ( فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟ ) فاجابه ابوسفيان  
لا . وفي آخر القصة قال هرقل : ( فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على  
الناس ، ويكذب على الله تعالى ) . ( ٢ )

### ج - شهادة الاتباع :

كان صلى الله عليه وسلم دائم الخلطة لاصحابه ، ومعظم خالطه  
قبل النبوة ومعها ولم يكونوا اغرارا ولا مغفلين ولا منمزلين عن العالمين .  
وقد اثبت التاريخ انهم ارجح الناس عقولا واكثرهم دهاء وحفكة ومعرفه  
بالرجال والشعوب ، وسياسة الامم بدليل نجاحهم - رغم محدودية وسائلهم -  
وقد بثت بفتح اعظم الدول المتحضرة ، وكانوا كلما ازدادوا خلطة برسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - ازدادوا به ايمانا وتضحية ، وكان احب اليهم من

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ - الرسول لسعيد هوى ج ١  
ص ٢٢ . اما الخصوم المتأخرون فقد شهد كثير منهم بصدق رسالته  
محمد صلى الله عليه وسلم - وقد سرد كثيرا من ذلك محمود عبد الوهاب  
فايد في كتابه ( الرسالة المحمدية ) تحت عنوان شهادة العباقره  
للنبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر المراجع التي نقل منها ذلك . انظر  
ص ١٢٥ من رسالته المذكورة .

( ٢ ) البخاري من حديث طويل عن ابن عباس ج ١ ص ٨ - ٩ .

الأموال والا ولاد ، وهذا دليل على صدقه بلا شك .

### د - معجزة القرآن الكريم :

ان شهادة الواقع اعلى الشهادات . فالانسان يصل بامتحانه الى اليقين الذي لا يخالطه شك . فاذا قام الانسان باجراء اختبار كامل لكل ماورد عن الرسول من قول او فعل ، مما يمكن ان يدخل تحت الاختبار - يجده لا يخرج عن الحق والصدق .

بعد ذلك لم يبق امام الانسان الا الايمان .  
 أعظم برهان على ذلك ووضحه هو القرآن الكريم . فمن تدبره يجده كله حقا وصدقا وانه كلام الله ، وأنه المعجزة الخالدة لاثبات الرسالة ولولم يكن للنبي - صلى الله عليه وسلم - معجزة - بغض النظر عن سائر المعجزات الثابت نقلها من نبوات ومشرات - لولم يكن الا القرآن لكفى به برهانا على صدق رسالته - صلى الله عليه وسلم - لما تضمنه من اخبار الغيب . وقد جاءت صراحة دقيقة ، من ذلك قصة الروم مع فارس حين غلبت الروم فنزل القرآن معلنا ان الروم ستغلب فارس خلال بضعة سنين وبالفعل ظهبت . ونزل القرآن بهذه الغلبة كان في مكة وقيل يوم بدر ، والا اول اظهر لان السورة مكية . وكان انتصار الروم على فارس يوم الحديبية . ( ألم ظهبت الروم في ارضهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضعة سنين ) (١)

وقوله تعالى : ( لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ) (٢) نزلت هذه الآية

( ١ ) البضع ما بين الثلاث الى التسع . وانظر التفاصيل في تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥٠٨٣ وما بعدها ابن كثير ج ٦ ص ٣٠٤ وما بعدها ، فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ١١٤ وما بعدها .

( ٢ ) الفتح : ٢٧ - وهل قوله تعالى : ( ان شاء الله ) في هذه الآية من باب الاستثناء أو التبرك . في الجلالين للتبرك . وفي ابن كثير لتحقق الخبر وتوكيده . وليس هذا من الاستثناء في شيء وفي فتح القدير تعليق للمعدة بالمشبهة لتعليم العباد لما يجب ان يقولوه كما في قوله تعالى ( ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ) وقيل علم الله انه يموت بعض اهل الحديبية فوق الاستثناء لهذا المعنى وقيل معنى ان شاء الله كما شاء الله . وقيل ( ان بمعنى انا ) يعنى اذا شاء الله حيث ارى رسوله ذلك . اهـ . انظر ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٧ - فتح القدير ج ٥ ص ٥٥ - الجلالين ٤٣٤ .

عام الحديبية في السادسة من الهجرة . ودخله الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه سنة سبع تصديقا لرؤيا رسول الله المؤكدة بالاية الكريمة فانه قد أرى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، وكقصص الانبياء السابق ذكرها في ( الاستدلالات التاريخية ) ( تلك من انبياء الغيب نوحيتها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ) (١) الاية .

ومن ذلك ايضا قوله تعالى : ( وعد اللمالذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ) (٢) . وقد تحقق هذا الوعد بخلافة الخلفاء الراشدين الذين فتحوا الممالك فارس والروم وغيرها ونشروا الاسلام حتى تمكن في الارض وصارت له القوة التي تخشاها اكابر الملوك، وقوله تعالى ( وان يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ) (٣) وتم ذلك يوم بدر وانتصر الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه واذل الله المشركين فقتل منهم سبعون وأسسر منهم سبعون تقريبا .

وقوله تعالى : وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٤) ، اي خلق لهم ما يماثل الفلك المشحون ما يركبونه في البر وأنواع المواصلات الحديثة . والله أعلم .  
وفي الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا ( ما من الانبياء نبي الا اعطى من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحي الله الي فارجوان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ) (٥) .

( ١ ) سورة هود : اية ٤٩ .

( ٢ ) سورة النور : اية ٥٥ .

( ٣ ) سورة الانفال : ٧ .

( ٤ ) سورة يس : ٤١ - ٤٢ .

( ٥ ) متفق عليه - البخارى ج ٤ ص ٢٥٦ - مسلم ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ واللفظ

له . وفي لفظ البخارى ( أو من أو آمن عليه البشر فالأولى من الامن

والثانية من الايمان ) .

قال الحافظ : ( ومعنى الحصر في قوله : ( اما كان الذي اوتيته ) (١) )  
 أن القرآن اعظم المعجزات وافيدها وادومها لاشتماله على الدعوة والحجة  
 ودوام الانتفاع به الى آخر الدهر .

فلما كان لاشيء يقاربه فضلا عن أن يساويه . كان ماعداه بالنسبة  
 اليه كان لم يقع . ( ٢ ) ، هذا مع خرق العادة في اسلوبه وبلاغته واخباره  
 بالمفنيات وعجز الانس والجن عن ان يأتوا بسورة من مثله مجتمعين او متفرقين  
 في جميع الاعصار مع اعتنائهم بمعارضته . فلم يقدروا ( ٣ ) ، وهم أفصح  
 العرب ، بل ملوك البيان وامراء الفصاحة وفطاحل البلاغة ، فاذا عجزوا  
 فغيرهم أعجز عن الاتيان بمثله أو بعشر سور او بسورة ، وصدق الله العظيم  
 القائل ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن  
 لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) (٤) مع اشتماله على كل ما يحتاج  
 اليه البشر وكل ما يسعدهم في دينهم ودنياهم من الايمان بالله وملائكته  
 وكتبه ورسوله واليوم الآخر مقرونا بالبراهين العقلية والفطرية التي لا تترك للعقل  
 السليم مجالاً للانكار ، بل تخضعه للتسليم والاقرار . ومن العبادات والاخلاق  
 والمعاملات واصلاح الاسرة وصلاحها والسياسة ، والاجتماع ما لا يدركه  
 البشر ، ولو اجتمع كل المشرعين منهم من اول الخليقة الى نهاية الدنيا  
 لما استطاعوا ان يأتوا بتشريع مثله فضلا عن أن يأتوا باحسن منه . ( ٥ ) ومعلوم  
 ان معجزات الانبياء قد انقرضت بانقراض اعصارهم ، ولم يشاهدها الا من  
 حضرها بحضرتهم ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر الى  
 يوم القيامة ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) ( ٦ ) أما كان هذا من  
 أوضح الادلة على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم .

( ١ ) كذا باثبات العائد وحذفه كما في النسخ التي بين أيدينا .

( ٢ ) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٤٨ .

( ٣ ) شرح مسلم للنووي ج ٢ ص ١٨٨ .

( ٤ ) سورة الاسراء : ٨٨ .

( ٥ ) الاسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب ل احمد بن حجر آل برطاس

ص ٢٨ ط . الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ . الناشر مكتبة الثقافة . قطر .

( ٦ ) سورة الحجر : ٩

- ١ - ومن الشواهد على اثبات رسالته - صلى الله عليه وسلم - الرجوع الى درس نشأته وحياته من جديد منذ مولده الشريف الى ان اختاره الله - عز وجل - رحمة للعالمين .
- ٢ - كذلك حقيقة دعوته التي جاء بها من توحيد وبعث وجزاء و... مع الايمان برسول الله قبله وما بين دعوتهم من الروابط القوية وامتيازها بعالميتها وشمولها للمصالح الدنيوية والاخرية .
- ٣ - مناواة الكفار لدعوته لاسيما الاشراف كما هي طبيعة الدعوات السابقة مع المرسلين وأقوامهم . (١) فذاك نوح عليه السلام حين دعا قومه الى عبادة الله وحده ( قال الملائكة من قومه انا لنراك في ضلال مبين ) وهذه مقالة قوم هود : ( قال الملائكة الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ) . وهذه مقالة قوم صالح : ( قال الملائكة الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ) . وهذه مقالة قوم شعيب عليه السلام : ( قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا ) (٢) الاية . وامثال ذلك كثير . وهكذا ترد نفس الكلمة من الاشراف حتى وصل الدور الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت اشراف قريش : ( هذا ساحر كذاب . أجمـل الآلهة الاها واحدا ان هذا لشيء عجاب ) (٣) . وغير ذلك من الايات الدالة على افتراءهم وتمنتهم .

...

- 
- (١) انظر التفاصيل في الرسالة المحمدية لمحمود فايد فقد عدد فيها شواهد كثيرة .
- (٢) سورة الاعراف : ٦٠ - ٦٦ - ٧٤ - ٧٥ - ٨٨ .
- (٣) سورة ص : ٤ - ٥ .

## هـ - بعض شهادة الكتب السابقة :

جاء في سفر التثنية مانصه : ( جاء الرب من سيناء (١) وأشـرق لهم من ساعير (٢) ، وتللاً من جبال فاران (٣) واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم (٤) .

كذلك جاءت البشارة بنبوذة محمد صلى الله عليه وسلم في انجيل يوحنا مانصه : ( ومتى جاء المعزى الذى سارسله انا اليكم من الأب ، روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء (٥) . وفيه أيضا :

( ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا اطلب من الاب فيعطىكم معزىا آخر ليملك معكم الى الابد روح الحق الذى لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه واما انتم فتعرفونه لانه ماكن معكم . ويكون فيكم ) (٦) .

وفي انجيل متى ، مانصه : . . . لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تاكل اثماره (٧) . كما جاء في سفر التثنية مانصه ( اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمهم فيكلمهم بكلمة ما اوصيه به . ويكون الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمى انا اطالبه . واما النبى الذى يطفى فيتكلم باسمى كلاما لم اوصيه ان يتكلم به او الذى يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبى ) (٨) .

- 
- ( ١ ) سيناء هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام . اهـ . تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٤٥ .
- ( ٢ ) ساعير قرية معروفة فى القدس . كذا فى هداية الجبارى ص ٥٣ وقيل اسم لجبل فى فلسطين .
- ( ٣ ) هى مكة كما فى المرجع نفسه .
- ( ٤ ) سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس ص ٢٧٥ - اصحاح ٣٣ وانظر هداية الجبارى ص ٥٣ .
- ( ٥ ) انجيل يوحنا ص ١٤٦ - اصحاح ١٥ - فقرة ٧٢ .
- ( ٦ ) المصدر نفسه ص ١٤٤ اصحاح ١٤ فقرة ١٥ - ١٧ - ١٨ . هذا وقد اورد هذا النص ابن قيم الجوزية فى هداية الحيارى بمعدة الفاظ متقاربة وفى بعضها الفار قليط بدل المعزى والفار قليط بلختهم لفظ من الفاظ الحمد اما احمد او محمد او محمود او حامد ص ٥٥ .
- ( ٧ ) انجيل متى ص ٣١ - اصحاح ٢١ فقرة ٤٤ - ولمزيد من التفاصيل انظر هداية الحيارى ص ٥١ - ٦٤ .
- ( ٨ ) سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس ص ٢٧٣ - اصحاح ١٨ - ٢٠ .

فاليهود تحمل هذه البشارة على يوشع وتحطها النصارى على المسيح  
والصحيح انها تبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم . (١)

أما في القرآن الكريم فواضح بلا شك ان محمدا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم - الى العالمين ، وخاتم النبيين . ( يا أيها النبي انا ارسلناك  
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ) (٢) . وفي التوراة  
( يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للاميين انت عبدى  
ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق (٣) . . . . )  
( ما كان محمد أبأ احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) (٤) .  
( يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته  
والله يعصمك من الناس ) (٥) . ( محمد رسول الله والذين هم من  
أشداء على الكفار ) (٦) . . الآية .

وقد شهد الله - سبحانه - وملائكته بانزال الوحي الى النبي صلى الله  
عليه وسلم .

( لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى  
بالله شهيدا ) (٧) .

...

- 
- ( ١ ) انظر التفاصيل في هداية البخارى لابن القيم ص ٥١ - ٥٢ - الرسالة  
( ٢ ) سورة الاحزاب : ٤٥ - ٤٦ . المحمديه لمحمود فايد ص ١١٦ - ١١٧ .  
( ٣ ) رواه البخارى عن عمرو بن العاص فى عدة مواضع منها فى ص ١٨٩ - ١٩٠  
( ٤ ) سورة الاحزاب : ٤٠  
( ٥ ) سورة المائدة : ٦٧  
( ٦ ) سورة الفتح : ٢٩ .  
( ٧ ) سورة النساء : ١٦٦ .

## و - انكار رسالة محمد طعن في الرب تبارك وتعالى :

ان من أنكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام - التي هي الرسالة الخاتمة ، فقد طعن في الرب تبارك وتعالى ونسبه الى الظلم والسفاهة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - بل جحد بالكلية وانكار .

وبيان ذلك ؛ أنه اذا كان محمد عندهم ليس بنبي صادق بل ملك ظالم ، فقد تهيأ له ان يفتري على الله ويتقول عليه ، ويستمر حتى يحلل ويحرم ، ويفرض الفرائض ، ويشرع الشرائع وينسخ المثل ، ويضرب الرقاب ويقتل اتباع الرسل وهم اهل الحق ، ويسبى نساءهم ويغنم اموالهم وذراريهم وديارهم ويتم له ذلك حتى يفتح الارض وينسب ذلك كله الى امر الله له بسفه ومحبهته له ، والرب تبارك وتعالى يشا هده وهو يفعل باهل الحق ، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة ، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصـره ويعلى امره ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر .

وأبلغ من ذلك انه يجيب دعواته ويهلك اعداءه ويرفع له ذكروه . هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم فانه لا أظلم ممن كذب على الله وأبطل شرايع انبيائه ومدلها وقتل اولياءه واستمرت نصرته عليهم دائما ، والله تعالى يقره على ذلك ، ولا يأخذ منه باليمين ولا يقطع منه الوتـيـن فيلزمهم ان يقولوا : لاصانع للعالم ولا مدبر ، ولو كان له مدبر قد ير حكمهم لاخذ على يديه ولقالبه اعظم مقابله وجعله نكالا للمالحين ان لا يليق بالملوك غير ذلك فكيف بطك الملوك واحكم الحاكمين ؟

ولا ريب ان الله تعالى قد رفع له ذكروه واظهر دعوته والشهادة لمبالنبوة على رؤس الاشهاد في سائر البلاد .

ونحن لانفكر ان كثيرا من الكذابين قام في الوجود ، وظهرت له شوكة ولكن لم يتم له أمره ولم تطل مدته بل سلط الله عليه رسله واتباعهم وقطعوا دابره واستأصلوه .

هذه سنة الله التي قد خلت من قبل ، حتى ان الكفار يعلمون ذلك ،

قال تعالى :



( أم يقولون شا عر نتريص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم منــــن المترصين ) (١)

افلا تراه يخبران كماله وحكمته وقدرته تابى أن يقر من تقول عليه  
بعض الاقويل ، لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته  
فوالمتقولين عليه . وقال تعالى (ولو نتول علينا بعض الامور الا لاننا نأمن بالبين) ثم لقطعنا منه الوتين<sup>(٢)</sup>  
( ا م يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ) وهنا انتهى  
جواب الشرط . ثم اخبر رخبارا جازما غير معلق : انه يمحوا الباطل ويحقق  
الحق ( ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته ) (٣) .

...

---

(١) سورة الطور : ٣٠ - ٣١ .  
(٢) الشورى : ٢٤ - والحيلة الاخيرة مستانفة لامعطوفة وحذفت الواو  
في رسم المصحف الامام كما في ( سندع الزبانية ) ( ويدع الانسان  
بالشر ) انظر تفسير ابن جرير ج ٢٥ ص ٢٧٠ . وابن كثير ج ٧ ص  
١٩٢ وفتح القدير ج ٤ ص ٥٣٥ - شرح الطحاوية ص ١٦٥ - ١٦٧

(٣) سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٦

( ٣ ) الايان بالملائكة : (١)

الايان بالملائكة ركن من أركان الايمان . والمراد به الاعتقاد الجازم بان لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور . وانهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بها لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وانهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

وهم نوع من مخلوقات الله عز وجل ، لا يصلح ايمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وما ورد في حقهم من صفات واعمال في كتاب الله - سبحانه - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ( ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا )<sup>(\*)</sup> ( آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ) ( ٢ ) .

( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ) ( ٣ ) .

وفى حديث جبريل المشهور حينما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة اعرابي يسأل عن الاسلام والايمان والاحسان . قال صلى الله عليه وسلم عن الايمان ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ) ( ٤ ) .

( ١ ) الملائكة جمع ملك بفتح اللام فقليل مخفف من مالك وقيل مشتق من الالوكه وهي الرسالة . وهذا قول سيبويه والجمهور واصله لاك . وقيل : امله الملك بفتح الميم وسكون اللام وهو الاخذ بقوة واصطل وزنه مفعل فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع . وقال جمهور اهل الكلام من المسلمين : الملائكة اجسام لطيفة أعطيت القدرة للتشكل باشكال مختلفة ومسكنها السموات . اه . فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٦ - وقال ايضا : ( ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا يتناكحون ولا يتوالدون ) حكاه عن سعيد بن المسيب .

( ٢ ) سورة البقرة : ٢٨٥ .

( ٣ ) سورة البقرة : ١٧٧ .

( ٤ ) متفق عليه البخاري ج ١ ص ١٨ - مسلم ج ١ ص ٢٩ .

( \* ) سورة النساء : ١٣٦ .

وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم - في عدة سور من القرآن (١) -

فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر .

(٢)

وقد عقد الامام البخارى في صحيحه بابا مستقلا لذكر الملائكة ، روى فيه نحواً من ثلاثين حديثاً . كما اورد الحافظ في الفتح عدة احاديث زيادة على ما في الصحيح .

والذى يستقصى الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التى تكلمت عن الملائكة واورثها فهم واعمالهم واحوالهم يلاحظ انها تناولت في الغالب ما يبين علاقتهم بالخالق - سبحانه - والكون والانسان . فعرفنا سبحانه فى ذلك بما ينفعنا فى تطهير عقيدتنا وتزكية قلوبنا وتصحيح اعمالنا . ووجود الملائكة ثابت بالدليل القطعى الذى لا يمكن ان يلحقه شك . ومن هنا كان انكار وجودهم كفراً باجماع المسلمين (٦) بل ينص القرآن الكريم ( ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ) (٣) ،

(\*)

قال الحافظ : ( وفى هذا وما ورد من القرآن رد على من أنكر

وجود الملائكة من الملاحدة ) .

وقد كان العرب فى الجاهلية يؤمنون بوجود الملائكة ولكن على انها بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ثم يعبدونها على هذا الاساس فنزل القرآن بتصحيح هذا الاعتقاد الفاسد ( فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون . الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكانبون ) (٤) الايات . وغير ذلك كثير (٥) .

(١) من ذلك سورة البقرة اية ٣٤ وسورة الاعراف : ١١ وسورة الحجر : ٢٩ -

٣٠ سورة ص : ٧٠ - ٧٤ .

(٢) حكى ذلك الاجماع محمد نصيبا سين فى كتابه ( الايمان ) ص ٢٥ .

(٣) سورة النساء : ١٣٦ .

(٤) سورة الصافات : ١٤٩ - ١٥٥ .

(٥) من ذلك قوله تعالى : ( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً اشهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالمهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ) الزخرف ٩ (١٠٠-٢٠٠) وقوله ( وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين ونساء بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون . يدعى السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ) ( ١٠٠ - ١٠١ من سورة الانعام .

(٦) ج ٢ ص ٢١٠

(\*) ج ٢ ص ٢٦٠

فهل يكفي الايمان بالملائكة اجمالاً ؟

الجواب : أما من ورد تعيينه باسمه المخصوص كجبريل وميكائيل واسرافيل ورضوان ومالك ومن ورد تعيين نوعه المخصوص كحملة العرش والحفظة والكتابة ، فيجب الايمان بهم على التفصيل .

وأما سائرهم فيجب الايمان بهم اجمالاً . والله اعلم بعد ذلك لا يحصيهم الا الذي خلقهم وهو الله سبحانه وتعالى ، خالق السموات والارض ( وما يعلم جنود ربك الا هو ) (١) ؛

وأما حقيقتهم وكيف خلقهم وتفضيلات احوالهم فذلك مما استأثر الله سبحانه به والمؤمن الصادق يقر بكل ما اخبر به الخالق مجملًا او مفصلاً ، ولا يزيد على ذلك ولا ينقص منه ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ولا يخوض فيه . (٢)

وأما المادة التي خلقوا منها فقد أخبرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ان الله خلقهم من نور كما في صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ( خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم ) (٣)

### - أثر الايمان بالملائكة في حياة الانسان :

من حكمة الله سبحانه - عدم اطلاعنا على شيء من علم الغيب - الا عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم - وكان من فضله - جل وعلا - علينا أن نعرفنا بهذه المخلوقات الكريمة ، والايمان بها هو من الايمان بالغيب الذي وصف به المتقون ( آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ) (٤) .

(١) سورة المدثر : اية ٣١ .

(٢) انظر فتح الباري : ج ٦ ص ٣٠٦ وما بعدها - الاسئلة والاجوبة الاصولية

لعبد العزيز المحمد السلطان ص ٢١ . انظر الايمان ص ٢٥ - ٢٦ لمحمد تميم ياسين - الاسلام ج ١ ص ٢٩ - ٣٣ لسعد حوى .

(٣) مسلم ج ٨ ص ٢٢٦ - مسند احمد ج ٦ ص ١٥٣ - ١٨٦ .

(٤) سورة البقرة : ١ - ٣ .

ولايان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن منها :  
 الاستقامة على أمر الله عز وجل ، فان من يستشعر بقلبه وجود الملائكة  
 جنود الرحمن ويؤمن برقابتهم لاعماله واقواله ، وشهادتهم على كل ما يصدر  
 عنه ليستحي من الله ومن جنوده فلا يخالفه ولا يعصيه لا في السر ولا في  
 العلانية . ان كيف له ذلك وهو يعلم ان كل شئ محسوب ومكتوب ومشهود  
 ( ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ) ( ١ ) ( وان عليكم لحافظين كراما  
 كاتبين يعلمون ما تفعلون ) ( ٢ ) .

وفي ذلك حافز دائم - يشطره المؤمن - لفعل الخيرات فتكتهم  
 الملائكة . وفي يقظة دائمة من الوقوع في الشر حتى لا يسجل عليه ذلك ( أم  
 يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ) ( ٣ ) .

ومنها الصبر ، ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى ، وعدم اليأس  
 والشموخ بالانس والطمأنينة فهذه المعاني من لوازم الايمان بالملائكة  
 ( ان يوحى اليك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب  
 الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ) ( ٤ ) هذا  
 ما أخبر الله به في افعالها واحوالها فعندما يضل الراكب عن الطريق وتسوده  
 الجاهلية الجهلاء ، ويصبح المؤمن غريبا في وطنه وبين اهله وقومه ويجهد  
 منهم الصدود والاستهزاء والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله عز وجل - والاستقامة  
 على أمره ، في هذه الغربة يجد المؤمن انيسا ورفيقا يصحبه ويرافقه ويواسيه  
 ويصبره ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى فهذه جنود الله  
 معه تعبد الله كما يعبد وتتجه الى خالق السموات والارض كما يتجه . وتبارك  
 خطواته وتشد من ازره ، وتذكره بالخير عند ربه ، فهو اذن ليس وحده  
 في الطريق الى الله ، ولكنه يسير مع الراكب العظيم ومع الاكثرية من  
 مخلوقات الله عز وجل . مع الملائكة الكرام ومع الانبياء عليهم السلام

( ١ ) سورة ق : ١٨ .

( ٢ ) سورة الانفطار : ١٠ - ١٢ .

( ٣ ) سورة الزخرف : ٨٠ .

( ٤ ) سورة الانفال : ١٢ .

ومع السموات والارض ، فهو الاكثر رفيقا ، وهو الاقوى سندا ، فتجعله  
هذه المشاعر الصادقة صابرا مطمئنا لا يزيد صدود الناس الا ثباتا  
وجهادا .

فانظروا يا أخى كم أنعم الله علينا بخلق الملائكة ، وكم أنعم علينا  
بالايان بهم مما له أشد الاثر فى قلوبنا واعمالنا واستقامة حياتنا .  
والايان بهم تصديق للقرآن الكريم وللرسول الصادق الامين عليه  
الصلاة والسلام . (١)

...

---

(١) انظروا الايمان لمحمد نعيم ياسين ص ٣٦-٣٧ ، توحيد الخالق  
ج ٢ من القسم الاول ص ١١-١٢ - الضلال ج ٣ ص ٣٤١ ، دراسات  
قرآنية ص ٨٣-٨٤ .

( ٤ ) الايان بكتب الله عز وجل :

الايان بكتب الله عز وجل ركن من أركان الايمان - كما سبق  
 في حديث جبريل المشهور - وهو التصديق الجازم بأن لله كتبنا أنزلها  
 على رسله وانها كلامه حقيقة وأنها نور وهدى للناس . وأن ما تضمنته حق  
 وصدق - وهذا هو المقتضى الطبيعي الذى ينبثق من الايمان بالله عز  
 وجل - كما انه يجب الايمان بها جملة الاسمى منها وهى :

١ - التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام ( انا انزلنا التوراة فيها  
 هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للدين هادوا والبرانيون  
 والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ) (١)

٢ - والانجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام ( وقفينا على آثارهم  
 بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة واتيناها الانجيل  
 فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة  
 للمتقين ) (٢) .

٣ - والزبور الذى نزل على داود عليه السلام . قال تعالى : ( وآتينا  
 داود زبوراً ) (٣) .

٤ - والصحف التى أنزلها الله على ابراهيم وموسى واخبر عنها بقوله تعالى  
 ( أم لم ينبأ بما صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . الا تزر وازرة  
 أخرى ) الايات . (٤) ويقول تعالى ( قد أفلح من تزكى وذكر اسم  
 ربه فصلى . بل تؤولت الحياة الدنيا . والاخرة خير وأبقى . ان هذا  
 لفي الصحف الاولى . صحف ابراهيم وموسى ) . (٥)

( ١ ) سورة المائدة : ٤٤

( ٢ ) سورة المائدة : ٤٦

( ٣ ) سورة الاسراء : ٥٥

( ٤ ) سورة النجم : ٣٦ - ٤٢ .

( ٥ ) سورة الاعلى : ١٤ - ١٩ .

٥ - والقرآن الكريم الذى أنزله الله على محمد خاتم النبيين . وان الله  
تكلم به حقيقة كما تكلم بالكتب السابقة وانه المخصوص بمزية الحفظ  
من التبديل والتغيير والتحريف كما قال تعالى : ( انانحن نزلنا  
الذكر وانا له لحافظون ) (١)

( لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) (٢)

وأما الكتب الاخرى التى نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله  
تعالى عن اسمائها وانما أخبرنا سبحانه ان لكل نبي أرسله الله رسالة  
بلفظها قومه فقال : ( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين  
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ) (٣).

فيجب علينا ان نؤمن بهذه الكتب التى لم تسم اجمالا ولا يجوز لنا  
ان ننسب كتابا الى الله - عز وجل - سوى مانسبه الى نفسه مما اخبرنا عنه  
فى القرآن الكريم .

كما يجب علينا أن نؤمن بأن القرآن الكريم هو اخر كتاب نزل من  
عند الله تعالى ، وان الله سبحانه وتعالى قد خصه بمزايا تميز بها عن  
جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة منها ما سبق ذكره من تعهد الله بحفظه .

ومنها : انه تضمن خلاصة التعاليم الالهية . وجاء مؤيدا ومصدقاً  
لما جاء فى الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته وجمع كل ما كان  
متفرقا فى تلك الكتب من الحسنات والفضائل وجاء مهيمنا ورقيبا يقر ما فيها  
من حق ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير . قال تعالى : ( وانزلنا  
اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ) (٤) . وأنه  
جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم فى الدارين ، نسوخ

( ١ ) سورة الحجر : ٩ .

( ٢ ) سورة فصلت : ٤٢ .

( ٣ ) سورة البقرة : ٢١٣ .

( ٤ ) سورة المائدة : ٤٤ . والمهيمن الرقيب ، وقيل الغالب المرتفع ، وقيل

الشاهد . وقيل الحافظ وقيل المؤمن ، اهد . فتح القدير ج ٢ ،

ص ٤٧ .



بها جميع الشرائع العلية الخاصة بالاقوام السابقة ، واثبت فيها الاحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان . واما الكتب الاخرى فقد وجهه الكلام في كل واحد منها الى امة خاصة دون سائر الامم ( ولقد بعثنا نبي كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (١) ( وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ) الآية (٢) .

وهي وان اتفقت فواصل الدين الا أن ما نزل فيها من شرائع واحكام كان خاصا بأزمنة معينة واقوام معينين . قال تعالى : ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) (٣) .

لذلك لم يتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ اى منها على مدى الازمان كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم . (٤) وقد أشرت الى ذلك التحريص في نقطة اليهودية والنصرانية بما فيه الكفاية من اعادته هنا .

### أهمية الايمان بالكتب :

- ١ - الايمان بها ركن من اركان الايمان - كما سبق - لا يتم الايمان الا به .
- ٢ - الايمان بالكتب السابقة هو الصفة اللائقة بالامة المسلمة وارثة العقائد السماوية وارثة النهوات منذ فجر البشرية والحفيظة والمحافظة - على تراث العقيدة وتراث النبوة ورائدة موكب الايمان على الأرض .
- وثمره هذا الايمان هو الشعور بوحدة البشرية ووحدة دينها ورسولها ومعبودها .

- 
- (١) سورة النحل : ٣٦ .
  - (٢) سورة ابراهيم : ٤ .
  - (٣) سورة المائدة : ٤٨ .
  - (٤) انظر الايمان لمحمد نعيم ياسين ص ٥٢-٥٤ ، الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢١ ، الظلال ج ٣ ص ٣٤٢ ، العقيدة الواسطة لابن تيمية مع شرحها لخليل هراس ص ١٤-١٥ .

٣ - الايمان بالكتب السابقة يؤكد للناس أن دين الله واحد ، وأن  
الاسلام جامع لكل الديانات السماوية والمسلمون اولى الناس جميعا  
بقيادة البشر على نهج الاسلام . ( شرع لكم من الدين ما وصى  
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى  
أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) . (١)

...

---

(١) سورة الشورى : ١٣ ، وانظر توحيد الخالق ج ٢ ص ١٢-١٣ من  
القسم الاول منه .

( ٥ ) الايمان بالرسول :

الايمان بالرسول هو التصديق الجازم بأن لله رسلا أرسلهم  
لارشاد الخلق في معاشهم ومعادهم ، اقتضت حكمة اللطيف الخبير  
أن لا يهمل خلقه بل ارسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فيجب علينا  
الايمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل .

والايمان جملة بان لله رسلا غيرهم وانبياء لا يحصى عددهم الا الله  
ولا يعلم اسماءهم الا هو جل وعلا ( ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل  
ورسلا لم نقصصهم عليك ) (١) ( وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ) (٢)  
كما يجب علينا ان نؤمن بأن جميع الرسل الذين بعثهم الله لتحقيق غرض  
أساسي واحد من لدن آدم اونوح عليهما السلام الى خاتم الانبياء  
والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم يدعون دعوة واحدة فما دعوة خاتم  
المرسلين الا امتداد لتلك السلسلة العريقة في التوحيد .

ان هناك هدفا أساسيا واحدا هو عبادة الله وحده في ربهيته  
والهيمته وأسمائه وصفاته ( ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله  
واجتنبوا المناغوت ) (٣) ( وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه  
لا اله الا انا فاعبدون ) (٤) ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والسنذى  
اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا  
فيه ) (٥) .

- الواجب نحو الرسل :

ويجب علينا تصديق رسل الله جميعا ، ورسالاتهم وان لا نفرق بينهم  
فمن فرق بينهم فأمن ببعضهم وكفر بالبعث الاخر كان من الكافرين ( ان الذين  
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض وكفر  
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا ) (٦)

- 
- ( ١ ) سورة النساء : ١٦٤ .  
( ٢ ) سورة الانعام : ٤٨ .  
( ٣ ) سورة النحل : ٣٦ .  
( ٤ ) سورة الانبياء : ٢٥ .  
( ٥ ) سورة الشورى : ١٣ .  
( ٦ ) سورة النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

( آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه  
ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليـك  
المصير ) (١) .

( قولوا آمنا بالله وما أنزل اليـنا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحق  
ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهـم لا نفرق  
بين أحد منهم ونحن له مسلمون ) (٢) .

وانهم بلغوا جميع ما ارسلوا به على النحو الذي أمروا به وينوه بياننا  
واضحا شافيا كافيا لا يسع أحدا ممن ارسلوا اليه جهله ولا يحل خلافه .

ويجب الايمان بأنهم معصومون عن الكذب والخيانة والكتمان والكبائر  
والصفائر وقد تقع منهم زلات وخطيئات - اى عشرات بسيطة - بالنسبة الى ما هم  
عليه من علو المقام ، كما وقع لآدم عليه السلام من اكله من الشجرة على وجسه  
الغسيان ، ولكمهم لا يقرون عليها بل ينيهون ويوفقون للتوبة .

( ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ) (٣) وقد يكون مسن  
قبيل الخطأ فى الاجتهاد ( عفى الله عنك لم أذنت لهم ) (٤) ( ما كان لنبي  
أن يكفون له اسرى حتى يشخن فى الارض ) (٥) الآيات .

ويجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعا كانوا رجالا من البشر  
لم يكونوا من الملائكة ولم يبعث الله أنثى ( وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحسنى  
اليهم ) (٦) .

ويجوز فى حقهم شرعا وعقلا النوم والنكاح والاكل والشرب والجلوس  
والمشى فى الأسواق وسائر الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم  
العلية فهم بشر يعترتهم ما يعترى سائر الافراد فيما لا علاقة له بتبليغ الاحكام .

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٣) سورة طه : ١١٥ .

(٤) سورة التوبة : ٤٣ .

(٥) سورة الانفال : ٦٧ - ٦٩ .

(٦) سورة الانبياء : ٧ .

وتعد اليهم ايدى الظلمة وينالهم الاضطهاد ، وانهم يموتون ، وقد يقتلون  
بغير حق ، والادلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى : ( وما ارسلنا  
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ) (١) ولقد  
أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ) (٢) ( ما المسيح ابن مريم  
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا ياكلان الطعام ) (٣) وقال  
صلى الله عليه وسلم : ( ولكنى اصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء ) (٤)  
قال هذا فى معرض الرد على المتشددىن فى العبادة وترك الطيبات التى  
احلها الله - سبحانه - لعلمه وحكمته بطباع البشر .

وكان صلى الله عليه وسلم يمرض ويتألم ويصيه الحر والبرد والجوع  
والعطش والغضب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه . (٥)  
كما يجب الايمان بانهم واسطة بين الله وبين عباده فى تبليغ دينه  
وشرعه وانهم صادقون ومؤيدون بالمعجزات .

### - الحاجة الى الرسل :

ان الانسان مهما أوتي من ذكاء فانه لا سبيل له الى معرفة خالقه  
ومالكة والمتفضل بالنعمة عليه ومعرفة دينه والحكمة من وجوده فى هذه الارض  
حتى جوارحه وحواسه الا بتعليم من الخالق المنعم المالك المحاسب المقصود ،  
لذلك فالبشرية فى أمس الحاجة الى هؤلاء المرسلين الذين يطلعهم الله  
على الملوم والحكم لتعليمها وابلاغها للناس ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه  
احدا الا من ارتضى من رسول ) (٦)

- 
- ( ١ ) سورة الفرقان : ٢٠  
( ٢ ) سورة الرعد : ٢٨  
( ٣ ) سورة المائدة : ٧٥  
( ٤ ) البخارى ج ٣ ص ٢٣٧ .  
( ٥ ) انظر التفاصيل فى الايمان لمحمد نعيم ياسين ص ٣٨ - ٤٢ الاسئلة  
والاجوبة الاصولية ص ٢٣ - ٢٤ ، شرح الطحاوية ص ٤١٦ .  
( ٦ ) سورة الجن : ٢٦ - ٢٧ .

فهل عرفت لماذا جئت الى الدنيا وهل عرفت المصير ؟

مقتضى الكمال الالهي :

قال الزنداني تحت هذا العنوان : ( واذا كنا نقرر عجز وتقصير  
اي شركة صناعية لاترسل البيانات الموضحة لفائدة عمل مصنوعاتنا عند ارسال  
هذه المصنوعات للناس ، فان خالق الانسان المفكر هو الكامل الذي  
لا يهجزه ولا ينقصه شيء .

ومن كمال قدرته وحكمته انه لا يخلق انسانا مفكرا متسائلا عن خالقه  
وصفاته والحكمة من خلقه ومصيره وغيرها ، ثم يتركه لهيرته دون هدى أو بيان  
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، قال تعالى : رسلا مبشرين ومنذرين لئلا  
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ( ١ )

...

---

( ١ ) سورة النساء : ١٦٥ وانظر توحيد الخالق ج ١ ص ٧١ من القسم  
الثاني .

( ٦ ) الايان باليوم الآخر :

هذه من القضايا التي نتحدث عنها على سبيل الاجمال ، أما التفاصيل فكل جزئية منها تحتاج الى رسالة مستقلة ، فمعناه اجمالا :

الايان بكل ما اخبر به الله عز وجل في كتابه واخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه او نعميه ، والبعث والحشر ، والصف والحساب . والميزان والحوض والصراف والشقاعة ، والجنة والنار وما اعد الله تعالى لاهلها .

وهو ثابت باتفاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعا .

وهو أحد اركان الايمان كما جاء في حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه ما الايمان ؟ ( قال صلى الله عليه وسلم ) قال صلى الله عليه وسلم : ( وتؤمن بالبعث )  
 واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ) وفي معنى الفاظه : ( وتؤمن بالبعث )  
 وقد سبقت الاشارة الى أن الاقرار بربوبية الله خالق السموات والارض امر فطري (وتؤمن بالبعث الاخر) فان مفكره  
 في بنى آدم الا من عاند كفرعون ، بخلاف الايمان باليوم الآخر ، فان مفكره  
 كثيرين .

ولما كان - صلى الله عليه وسلم - خاتم الانبياء فقد بين تفصيل الاخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الانبياء لذلك ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم انه لم يفصح بمعاد الابدان الامحمد - صلى الله عليه وسلم - وقد بين القرآن الكريم معاد النفس عند القيامة في غير ما موضع .

( ١ ) البخارى ج ١ ص ١٨ ومسلم ج ١ ص ٢٩ وسمى البعث الاخر لان البعث

وقع مرتين :

الاولى : الاخراج من العدم الى الوجود او من بطون الامهات بمعد النطفة والعلقة الى الحياة الدنيا .

والثانية : البعث من بطون القبور الى محل الاستقرار .

وقيل : هو مبالغة في البيان والايضاح لشدة الاهتمام به .

وقيل من باب التاكيد كقولهم اس الذاهب .

وهذه الاقوال متقاربة والله اعلم . اه فتح البارى ج ١ ص ١١٨ - شرح

مسلم ج ١ ص ١٦٢ .

قلت : والاقرب انه البعث من القبور للحشر لوصفه او قيده بالآخر . والله

أعلم .

بدل اليوم الآخر وسلم  
(وتؤمن بالبعث الاخر)

ولا غرابة في انكار شركى قريش للبعث الاخر ، فقد ورثوه عن آباءهم  
الاولين ( بل قالوا مثل ما قال الاولون ، قالوا أئذ امتنا وكنا ترابا وعظاما  
أئنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير  
الاولين ) (١)

( اى انما يخبر بهذا من تلقاه عن كتب الاولين واختلافهم . ومنه قوله  
تعالى " أئنا لمردودون في الحافة . أئذا كنا عظاما نخرة . قالوا تلك اذا  
كرة غاسة ) (٢)

وكان القرآن يحدث المؤمنين عن اليوم الاخر ويجسمه لهم كأنما يرونه  
المحظة امامهم ويميشون مشاهدة الجنة بوجدانهم بل بلغ من اعجازه فسق  
تصوير مشاهد القيامة ان يحس الانسان كأنما يوم القيامة هو الحاضر الماثل  
وكانما الدنيا ماضى قد انقضى وانطوى من زمان بعيد . وذلك درس مسن  
دروس التربية في ذات الوقت الذى هو من دروس العقيدة . وكان صلى الله عليه  
وسلم يحدث اصحابه عن اليوم الاخر واهواله وما ينتظر الكفار من الوان العذاب  
البشع وما ينتظر المؤمنين من الوان المتاع التى لا تخطر على قلب بشر وان طاعة  
الله ورسوله هو الطريق الى هذا المتاع الخالد الدائم وان الكفر بالله ورسوله  
هو طريق النار .

وذلك يزيد الصورة القرآنية تجسدا في وجدانهم فيعيشونها اللحظة  
كأنما يرونها راي العين وتفعل بها نفوسهم فيعيشون في خشية مسن  
ذلك اليوم الرهيب . (٣)

- من الادلة النقلية على ذلك :-

هذا معروف عند الانبياء عليهم السلام من آدم الى نوح الى خاتم الانبياء  
محمد صلى الله عليه وسلم . وقد اخبر الله بها من حين اهب ط آدم من الجنة

( ١ ) سورة المؤمنون : ٨١ - ٨٢ - ٨٣ .

( ٢ ) سورة النازعات : ١٠ - ١١ - ١٢ .

( ٣ ) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٥٧ .



( قال اهبطوا بمضكم لبعضي عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ) (١)

وابليس لعنة الله هو مقربها حيث قال : ( رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ) (٦) .  
وقال نوح عليه السلام مخاطباً قومه : ( والله انبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً ) (٤) . وقال ابراهيم عليه السلام : ( ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ) (٤) . . وغير ذلك من الايات كما اخبر الله انه ارسل الرسل مبشرين ومنذرين وعن اهل النار انهم اذا قال لهم خزنتها ( الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حققت كلمة العذاب على الكافرين ) (٥) . وهذا اعتراف منهم بان الرسل قد انذرتهم لقاء يومهم هذا .

وقد أمر الله - سبحانه - خاتم الانبياء ان يقسم به على وقوع المماد فقال : ( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى ورسى لتأتينكم عالم الغيب لا يخرّب عنه مثقال ليرة . . ) (٦) الاية .

### - غرابة فكرة البعث :

ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم - كانت فكرة البعث غريبة ثقابهل بأشد الاستنكار مصداق ذلك قوله تعالى ( وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبين لكم اذا مضتم كل مضق انكم لفي خلق جديد . افترى على الله كذبا ام به جنة ) .

( ١ ) سورة الاعراف : ٢٤ - ٢٥ .

( ٢ ) سورة ص : ٨٠ - ٨١ .

( ٣ ) سورة نوح : ١٧ - ١٨ .

( ٤ ) سورة ابراهيم : ٤١ .

( ٥ ) سورة الزمر : ٧١ .

( ٦ ) سورة سبأ : ٣ .

وكانت الاجابة الصارمة عن هذه الاستفهامات تقرير ذلك مع اهانتهم  
( بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ) .

ثم وجهت سياط الاستفهام تلذغ اجسامهم وتسفه عقولهم ( افلم يسروا  
الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الأرض ،  
او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ) (١) .

### شبهة المنكرين للبعث والرد عليها :

شبهتهم ان الانسان اذا مات جفت عظامه وتناثرت وتفرقت في جوانب  
العالم واختلطت بامثالها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها  
بأعيانها ثم عود الحياة الى ذلك المجموع وذلك ما عبر عنه القران بقوله تعالى :  
( وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا ) (٦) . فأجاب  
الله سبحانه - بان اعادة بدن الميتالى حال الحياة أمر ممكن بل هيمن  
على الله (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ) (٣) ومن ابداع شيئاً  
على غير مثال سابق سهل عليه اعادته ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده  
وهو أهون عليه . . (٤) ) .

وفي الصحيح عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : ( قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك  
فاما تكذبه اياي فقله لن يعيدني كما بداني . وليس اول الخلق باهون على  
من اعادته . واما شتمه اياي فقله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم ألد  
ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد ) . وفي لفظ : ( وانا الصمد الذي لم  
ألد ) الخ . (٥)

وهناك ردود كثيرة ذكرها الشوكاني في تفسيره . (٦)

(١) سورة سبأ : ٧ - ٨ - ٩ . وانظر شرح الطحاوية ص ٤٥٦ وما بعدها  
مشاهد القيامة ص ٣٦ - الايمان ص ٥٨ وما بعدها - توحيد الخالص

ج ١٢ ص ١٥٠

(٢) الاسراء : ٤٩ .

(٣) سورة الاسراء : ٥٣

(٤) سورة الروم : ٢٢

(٥) البخاري ج ٣ ص ٢٢٣ . وانظر معارج القبول ج ١ ص ٤٠ - ٤٨ .

(٦) انظر فتح القدير ج ٣ ص ٢٣٤ .

## - الجدل في قضية البعث بين الرسول ومشركي مكة كما يصوره القرآن :

قد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين . وقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل مع بساطتها ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت والبعث والحشر ولكن القوم لم يكونوا يتصورونها بهذا الوضوح والبساطة فكان يصعب عليهم تصور البعث بعد الفناء المسلط على الاجسام ( وقالوا أفذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا )<sup>(١)</sup> ذلك انهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا شيئا ثم كانوا ( اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا<sup>(٢)</sup> ) ( هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا )<sup>(٣)</sup>

فجاء جواب هذا السؤال : ( قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم )<sup>(٤)</sup> أي ان عجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا أنتم حجارة او حديدا ان قدرتم على ذلك . وقيل المعنى : انكم لو كنتم حجارة او حديدا لأعادكم كما بدأكم ولا ماتكم ثم أحياكم . قال النحاس : وهذا قول حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة او حديدا وانما المعنى قد اقرؤا بخالقهم وانكروا البعث ف قيل لهم استشعروا ان تكونوا ماشتم ، فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم اول مرة ) .

وقيل ان كنتم تزعمون انه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو اكبر في صدوركم من ذلك . فان قلتم كنا خلقنا على هذه الصفة التي لا تقبل الفناء فما الذي يحصل بين خالقكم ومنتقمكم حين اعادتم خلقا جديدا ؟ . وللحجة تقدير اخر وهو :

لو كنتم من حجارة او حديد او خلق اكبر منهما فان الله قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال الى حال كما ومن يقدر على التصرف فسي

( ١ ) سورة الاسراء : ٤٩

( ٢ ) سورة مريم : ٦٧

( ٣ ) سورة الدهر : ١

( ٤ ) سورة الاسراء : ٥٠

هذه الاجسام مع شدتها وصلابتها بالافناء والاحالة فما الذى يعجزه  
فيما دونها ؟

ثم أخيرا انهم يسألون آخر بقولهم : ( من يعيدنا ) ؟ ( اذا استحال  
اجسامنا وفنيت فاجابهم بقوله : ( قل الذى فطركم اول مرة ) فلما  
اخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا الى سؤال اخر يتعللون به تحلل المنقطع  
وهو قولهم ( متى هو ) ؟

فأجيبوا بقوله : ( قل عسى ان يكون قريبا ) لان الرسول لا يعلم  
تحديد مواعده .

قلت : وهذا التعبير فى كلام الله واجب الوقوع ( ذلك بان الله هو  
الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها  
وان الله يبعث من فى القبور ) . (١)

ثم يصور مشهدا سريعا لذلك اليوم ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون  
ان لبثتم الا قليلا ) (٢) . مشهد يصور اولئك المنكرين للبعث وقد قاموا  
يلبسون دعوة الداعى والسنتهم تلهج بحمد الله ليس لهم سوى هذه الكلمة  
قول ولا جواب .

وهو جواب عجيب ممن ينكرون ذلك اليوم كله . (٣)

### - جدل آخر :

والآن ندخل فى جدل اخر لكن الشبهة هى . .  
من ذلك قوله تعالى : ( وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام  
وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها اول مرة وهوكل خلق عليم الذى جعل  
لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ) (٤) الى آخر السورة .

- 
- ( ١ ) سورة الحج : ٦-٧ .  
( ٢ ) سورة الاسراء : ٥٢ .  
( ٣ ) انظر تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٩٧ - ٩٨ - فتح القدير ج ٣ ص ٢٣٤ ، شرح  
الطحاوية ص ٤٥٩ - ٤٦٠ - فى ظلال القرآن ج ١٥ ص ٢٢٣٣ .  
( ٤ ) سورة يس : ٧٧ - ٧٩ .

قال صاحب شرح الطحاوية في شرح هذه الايات : ( فلورام أعلم البشر وافصحهم واقدرهم على البيان ان ياتي باحسن من هذه الحججـة او بظلمها بالفاظ تشابه هذه الالفاظ في الایجاز ووضوح الادلة وصحة البرهان لما قدر . فانه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال اورد له ملحد . اقتضى جوابا فكان في قوله : ( ونسئ خلقه ) ماوفى بالجواب واقام الحججـة وأزال الشبهة .

ولما اراد الله - سبحانه - تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال : ( قلل بحبيها الذي أنشأها اول مرة ) فاحتج بالابداء على الاعادة والانشأة الأولى على النشأة الاخرى . ان كل عاقل يعلم ضروريا ان من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الاولى أعجز وأعجز .

ولما كان الخلق يمتلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتهمه ذلك بقوله ( وهو بكل خلق عليم ) فهو عليم بتفاصيل الخلق وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني ( اى الاعادة ) فاذا كان تام العلم كاملا القدرة كيف يتعذر عليه ان يحيى العظام وهو رميم ؟ .

ثم اكد الامر بحجة قاهرة صرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر (١) يقول : العظام اذا جارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد ان تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة ، اكد بما يبدل على امر البحث ففيه الدليل والجواب معا فقال : ( الذى جعل لكم مسن الشجر الاخضرنا را فاذا انتم منه توقدون ) (٢)

فاخبر سبحانه باخراج هذا العنصر الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الاخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة .

(١) ألد الرجل في الدين لحدا والحادا طمن فيه وجادل ومارى وعدل وماال ومنه اللحد في القبر لانه يميل الى ناحية منه . واشرك بالله سبحانه والحد في الحرم استحل حرمة وانتهكها . اه قاموس ج ١ ص ٣٣٥ - مصباح ج ٢ ص ٢١٢ . وقال ابن عباس ( الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه ) وقال قتادة وغيره : ( هو الكفر والعناد ) وقيل غير ذلك . انظر تفسير الطهرى ج ٢٤ ص ٧٨ وابن كثير ج ٧ ص ١٧١ ، فتح القدير ج ٤ ص ٥١٨ .

فالذى يخرج الشئ من ضده وتتناقض له مواد المخلوقات ، وعناصرها ،  
ولا تستمض عليه هو الذى يفعل ما انكره الملحد ودفعه من انكار احيائه  
للعظام وهى رميم .

ثم اكد هذا باخذ الدلالة من الشئ الاجل الاعظم على الايسر  
الاصغر ، فان كل عاقل يعلم ان من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه  
بكثر اقدر واقدر ، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد  
اقتدارا . فقال سبحانه ( اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق  
مثلهم ) (١) . فأخبران الذى ابدع السموات والارض على جلالتهما وعظمت  
شأنهما وكبر اجسامهما وسعتهما وهجيب خلقهما اقدر على ان يحيى عظاما  
صارت رميما فيردها الى حالتها الاولى (٢) ( لخلق السموات والارض أكبر  
من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) (٣)

#### - من أسباب نزول هذه الآيات :

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( جاء  
العاصم بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعظم حائل ففتنه  
فقال : يا محمد ايضاً هذا بعد ما ارم ؟ قال نعم . يبعث الله هذا ثم  
يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ) .

ولابن ابي حاتم من طرق عن مجاهد وهكرمة وهروة بن الزبير والسدى  
نحوه ، وسموا الانسان أبى بن ظف وقيل غير ذلك . (٤)

وكم فى القرآن من مثل هذا الاحتجاج كما فى قوله تعالى :

( يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة  
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء السى  
أجل مسى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد السى

(١) سورة يس : ٨٢ .

(٢) شرح الطحاوية بتصرف بسيط ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣) سورة ظفر : ٥٧ .

(٤) لباب القول فى اسباب النزول ص ١٨٧ .

أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها  
الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج . ذلك بان الله هو الحق وأنه  
يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله  
بمبعض من في القبور . ( ١ )

ففي هذه الايات من الدلالات العقلية ما يحو كل شك - لكل عاقل  
منصف - حول هذه القضية - ويزيل كل استغراب . ويفند شبه المماندين  
لكن الشمس تخفى على العمى . والمهتدي من هداة الله .

وقد نه صاحب الظلال الى معنى لطيف تضمنته هذه الايات بقوله :  
( وان هذه الاطوار التي يمر بها الجنين ثم يمر بها الطفل بعد ان يرى  
النور لتشير الى ان الارادة المدبرة لهذه الاطوار ستدفع بالانسان الى حيث  
يبلغ كماله الممكن في دار الكمال ان الانسان لا يبلغ كماله في حياة الارض ،  
فهو يقف ثم يتراجع ( لكي لا يعلم من بعد علم شيئا ) فلا يد من دار اخرى  
يتم فيها تمام الانسان . )

فدلالة هذه الاطوار على البعث دلالة مزدوجة فهي تدل على البعث  
من ناحية ان القادر على الانشاء قادر على الاعادة . وهي تدل على البعث  
لان الارادة المدبرة تكمل تطوير الانسان .

وهكذا تلتقى نواميس ( ١ ) الخلق والاعادة ونواميس الحياة والبعث  
ونواميس الحساب والجزاء . وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر الذي  
ليس في وجوده جدال . ( ٢ ) .

( افسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم لينا لا ترجمون ) ( ٤ ) ( ابحسب  
الانسان ان يترك سدى ) ( ٥ )

- 
- ( ١ ) سورة الحج : ٥ - ٧ . وفي مكيتها خلاف بل في مدنيتهما والجمهورية  
انها مختلطة منها المكي ومنها المدني وهو الاصح كذا في تفسير القرطبي  
ج ٥ ص ٤٣٩٣ .
- ( ٢ ) النواميس جمع ناموس وهو السر جمعه اسرار وله عدة معان كذا في اللسان  
في مادة نص ج ٦ ص ٢٤٤ . ولعل المراد به هنا اسرار الخلق والحياة  
والبعث او سنن الله في الكون .
- ( ٣ ) في ظلال القرآن ج ١٧ ص ٢٤١١ .
- ( ٤ ) سورة المؤمنون : ١١٥ .
- ( ٥ ) سورة القيامة : ٣٦ .

فهاتان الايتان ومثالهما تقرر ان الايمان بالمعاد والحساب  
والجزاء هو من مقتضيات توحيد الله في صفاته الكاملة واسماؤه الحسنى .  
فهذا الركن من لوازم الركن الاول من اركان الايمان . ومن كفر به لم  
يكن مؤمنا بالله عز وجل . لان ذلك يستلزم كفره بحكمة ربه وعدله في خلقه  
وتعطيل صفاته - سبحانه . ( والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا  
من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم ) (١) . ومن لوازم هذا الكفر احتقار  
الانسان لنفسه باعتقاده انه خلق عبثا وان وجوده في الارض موقوف محسود  
بهذا الحمر القصير الطوى بالنكد والهموم والمصائب والظلم والبنى والاشام  
وانه يترك سدى ، فلا يجزى الظالم بظلمه والمعادل بعدله والمصلح باصلاحه  
والمفسد بافساده والمسى باسامته .

فالايمان بالبعث واليوم الاخر هو الذى يليق بجلال الله وعدلته  
وحكمته ويحكم به العقل وتطمئن اليه الفطرة السليمة . (٢)

وهذا يتبين امكان اعادة الاجسام بعد است حالتها ترابا - الا عجب  
الذنب - ثم ينشئها الله منه نشأة اخرى كما في الصحيحين وغيرهما عن النبي  
صلى الله عليه وسلم - ( ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو  
عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ) (٣) (٤)

وفى لفظ لمسلم : ( كل ابن آد مياكله التراب الا عجب الذنب )

هذا وادلة اليوم الاخر مستقاة في الكتاب والسنة بالجملة والتفصيل  
كل نقطة منه تستحق رسالة مستقلة . وما ذكرته فمن باب الاجمال الا انى سلطمت  
الاضواء شيئا ما على بعث الاجساد لان القرآن الكريم صرح عن المشركيين  
بانكارهم ذلك . واذا ثبت بعث الاجساد وحياتها فسائر التفاصيل من باب اولى .

(١) سورة الهنكوت : ٢٣

(٢) انظر الايمان لمحمد نعيم ياسين ص ٦٦ - ٦٧ - الوحي المحمدى ص ١٧٨

- ١٧٩ - الاسلام يتحدى ص ١١٠ وما بعدها .

(٣) عجب الذنب بفتح المهلة وسكون المعجمة هو العظم الذى في اسفل  
الصلب عند العجز ويسمى العضمصا : هـ - نهاية ابن الاثير ج ٣ ص ١٨٤  
- ٢٤٨ . وقال ايضا : جزء لطيف في اسفل الصلب .

(٤) البخارى ج ٣ ص ١٨٢ - ٢١٢ - مسلم ج ٨ ص ٢١٠ ، النساء ص

ج ٥ ص ٩١ ، وانظر دراسات قرآنية ص ٦٣ - ٦٤ .



أهمية الايمان باليوم الآخر :

لقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الاخر واهتم بتقريره فى عدة مواضع  
ونبه اليه فى عدة مناسبات . واكد وقوعه بشتى الاساليب العربية . فما مسدى  
تلك الاهمية ؟

١ - من مظاهر هذا الاهتمام بهذا اليوم العظيم فى كتاب اللغانه كثيرًا  
ما ربط الايمان به بالايمان بالله عز وجل بقوله : ( ولكن البر من آمن  
بالله واليوم الاخر ) (١) الاية . وقوله تعالى ( ان الذين آمنوا والذين  
هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر هم صالحا ) (٢)  
الاية . وقوله : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ) (٣) ،  
الاية . وقوله تعالى : ( ذلكم يوهن به من كان يؤمن بالله واليوم  
الاخر ) (٤) وغير ذلك من الايات كثير .

٢ - ومن مظاهره ايضا : اكثر القرآن من ذكره حتى انك لا تكاد تمر على  
صحيفة من صحائف القرآن الكريم الا وتجد فيها حديثا عن اليوم الاخر  
وما سيكون فيه من الاحداث والاحوال بأساليب كثيرة ومتنوعة كذلك تجسد  
القرآن يفصل ذلك تفصيلا قلما تجده فى أمور الغيب الأخرى .

٣ - ومن ذلك ايضا : كثرة ما سماه الله من الاسماء التى يدل كل واحد منها  
على ما سيقع فيه من الاحوال كقوله تعالى : ( ونحشرهم يوم القيامة على  
وجوههم عميا وكما وصى ما وأهم جهنم كلما خئت زدناهم سميرا . ذلك  
جزاءهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون  
خلقا جد يداء اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على  
ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا ) (٥) .

( ١ ) سورة البقرة : ٧٧ .

( ٢ ) سورة البقرة : ٦٢ .

( ٣ ) سورة التوبة : ٢٩ .

( ٤ ) سورة الطلاق : ٢ .

( ٥ ) سورة الاسراء : ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ .

( يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ) (١) وأمثال ذلك

كثير .

### ما هي الحكمة من ذلك الاهتمام :

- ١ - ان من لا يؤمن باليوم الاخر يعيش في هذه الدنيا كالحيوان لا يدري ما الحكمة التي من اجلها خلق . لا يدري هل الحكمة من الحياة جمع المال ، لكنه يجمع المال . والمال لا يغني عنه شيئا ولا يبقى معه ولا يدري هل الحكمة من الحياة ان يحوز الشهرة . لكن السلطان والجاه لا يبقيان ولا يمنعان عنه الخروج من الحياة . ( ما أغنى مالي ، هلك عني سلطانيه ) (٢) .
- ٢ - ان الايمان باليوم الاخر له أثر عظيم في حياة الانسان لان الايمان به وما فيه من حساب وجزاء وجنة ونار ( وو . . له أشد الاثر في توجيه الانسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل .
- ٣ - شتان بين اثنين احدهما لا يعتقد ذلك ولا يقيد به غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية واخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الانسان على ما قدم من أعماله واقواله امام احكم الحاكمين يشيب على الخير ويماقب على الشر . فالاول منفلت من اي ضابط سوى هواه وشهوته والغاية عنده انانيته تبررية وسيلة مهما كان الضرر ، لا يخاف الا عقاب المسئولين ، فاذا أمنهم او احكم الخطة لمفالتهم انطلق كالحيوان المفترس . والاخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح . وهذه الامور لهسا وزنها عند الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم ( والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ) (٣) ( انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل يشسوي

(١) سورة طه : ٢٠

(٢) سورة الحاقة : ٢٨ - ٢٩ .

(٣) سورة الاعراف : ٨ - ٩ .

هشوة الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيق اجر من احسن عملا . اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ( ١ ) وامثال ذلك كثير .

٤ - ولما كان الانسان مفظورا على طلب المصلحة لنفسه ودفح المفسدة عنها كان الايمان باليوم الاخر مقويا للوازع النفس عنده ، ذلك الوازع الذى يرغب فى الخير ويصد عن الشر . ولذلك كانت عناية القرآن بكثرة التذكير به والتفنن فى تصويره حتى يتعمق ذلك الوازع فى قلب المؤمن ويشدد تأثيره .

هذا ومن الملاحظ ان الحديث عن اليوم الاخر ، مازال مستمرا فى السور المدنية بعد قيام المجتمع المسلم . والدولة المسلمة ووجود جيل من الناس يؤمن بالله واليوم الاخر ويجاهد فى سبيل الله فيقتل ويقتل نتيجة ايمانه باللسمه واليوم الاخر كما وصفهم القران ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ) ( ٢ ) الآية .

كما يلاحظ ان الذين آمنوا بالفعل ليسوا فى غنى عن التذكير باليوم الاخر . ولوعلم الله ان مجرد الايمان باليوم الاخر يكفى لما عاد لتذكيرهم المرة بعد المرة . ( ٣ )

فلا شك ان هناك يوما يلقي الناس فيه ربهم فيحاسبهم حسابا دقيقا على حياتهم ( الاولى ) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ( ٤ ) .

( ١ ) سورة الكهف : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ .

( ٢ ) سورة التوبة : ١١١ .

( ٣ ) لمزيد من التفاصيل . انظر الايمان ص ٥٦ - ٥٩ . المقاييد الاسلامية ص ١٦١ وما بعدها .

دراسات قرآنية ص ٦٤ - ٦٥ - توحيد الخالق ج ١٢ ص ١٥ - ١٦ .

( ٤ ) سورة الزلزلة : ٧ - ٨ .

فاما نار تحرق الجلود وتاكل الاكباد ، عذاب سرمدى ( كلما نضجت  
جلودهم بدلناهم غيرها ليدوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيمًا ) (١) ( نار  
الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ) (٢) ( فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها  
زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان يسلك  
فعمال لما يريد ) (٣) ( ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكون ) (٤) .  
واما الجنة عرضها السموات والارض فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت  
ولا خطر على قلب بشر . ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء  
بما كانوا يعملون ) (٥) . ( واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها  
مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجدوذ ) (٦) .

فأهل الجنة خلود ولا موت ، واهل النار خلود ولا موت لان ملك الموت  
قد ذبح بين الجنة والنار ، كما فى الصحيحين وغيرهما عن ابى سعيد الخدرى  
وابن عمر رض الله عنهم مرفوعا : ( اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار  
الى النار جى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد ،  
يا أهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت ، فيزداد اهل الجنة فرحاً  
ويزداد اهل النار حزناً الى حزنهم ) ( وفى لفظ كهيئة كبش الملح ) ثم قرأ  
( وانذرهم يوم الحسرة ان قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ) ( لا يذوقون  
فيها الموت الا الموتة الاولى ) .  
وفى لفظ آخر : ( يجاء بالموت يوم القيامة )  
وفى لفظ : ( اذا دخل اهل الجنة الجنة ... ) (٧) .

- 
- ( ١ ) سورة النساء : ٥٦ .  
( ٢ ) المهزلة : ٦ - ٧ .  
( ٣ ) سورة هود : ١٠٦ .  
( ٤ ) سورة الزخرف : ٧٧ .  
( ٥ ) سورة السجدة : ١٧ .  
( ٦ ) سورة هود : ١٠٨ . وقد ذكر الله الخلود فى الجنة فى مواضع كثيرة من  
القران . اما ذكر الخلود الابدى لاهل النار فى ثلاثة مواضع من القران  
فى سورة النساء ١٦٨ - ١٦٩ ، سورة الاحزاب : ٦٤ - ٦٥ ، وسورة  
الجن ٢٢ . ولا رابعة لهن .  
( ٧ ) البخارى ج ٣ ص ١٥٧ ، ج ٤ ص ١٣٦ ، مسلم ج ٨ ص ١٥٣ والاية الاولى  
فى سورة مريم ٢٩ . والثانية فى سورة الدخان ٥٦ .

وللترمذى : " فيضع فيذبح فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لما توافرها وكذلك اهل النار لما تواتوا ترها ) كما رواه احمد وابن ماجه والدارمي . (١)

### أثر الايمان باليوم الاخر في سلوك المؤمن :

ان الايمان باليوم الاخر له اثر عظيم في حياة الانسان والايمان به مرتبط بالايان بالله ومتم له لان من آمن بان هناك بعثا وحسابا وثوابا وعقابا يتجه الى الاعمال التي تقربه من الله اتقاء عذابه وطمعا في ثوابه . وقد مدح الله سبحانه من يتصف بتلك الصفات . فقال بعد ذكر بعض الانبياء ( انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ) (٢) .  
والمؤمن مكلف في الارض بعدة تكاليف منها : انه مكلف باقرار منهج الله في الارض لتكون كلمة الله هي العليا ، ويكون النظام الرباني هو القائم بين الناس ( لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغييب ان الله قوي عزيز ) (٣) .

ولكن الجاهلية اخترت هذا الامر يتم في يسر ، لم تصنع ذلك مسرة واحدة خلال التاريخ ، ولا بد من جهاد لاقرار منهج الله ، جهاد يحرم الانسان حتى من المتاع المباح ، ويعرضه لان يفقد ماله او راحته ، أو أمنه أو اهله بل قد يعرضه للتعذيب والتشريد ، وقد يعرضه للموت بوسيلة من وسائل القتل ، وذلك غير القتال في سبيل الله وما يصاحبه من المشقة والحرمان الذي يصل به الى الموت في ساحة القتال .

فإذا يحوش المؤمن عن ذلك كله ، ويغريه بتحمل العذاب في الحياة الدنيا بشتى صنوفه ، الا ذلك الايمان الجازم بان كل حرمان يتعرض له في الارض - في سبيل مرضاة الله - جزاؤه النعيم الخالد الذي لا ينفد ؟

(١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٦٠٢ - ٦٠٣ والدارمي ج ٢ ،

ص ٢٣٦ .

(٢) سورة الانبياء : ٩٠ .

(٣) سورة الحديد : ٢٥ .

وماذا يضمنه من التعاقب - خوفاً من عذاب الارض - الا الايمان الجازم بأن عذاب الله عن هذا التعاقب هو العذاب الاشد ، والذي يجلب عن الاحتمال ؟ .

( قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترىصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ) (١) . وامثال ذلك من الايات كثير .

قال ابن كثير : ( أمر تعالى رسوله ان يتوعد من آثاره له وقرابته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله ) (٢) .

وفي صحيح البخارى ان عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله لأن كنت أحب الي من كل شيء الا من نفسى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسى بيده حتى أكون احب اليك من نفسك . فقال لعمر : فانه الآن والله لانت احب الي من نفسى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر ( كما رواه الامام احمد فى مسنده . (٣)

وفي حديث اخر مرفوعا : ( والذي نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين ) (٤) .

لذلك كان التذكير الدائم - للمؤمنين - باليوم الاخر لئلا يتقوا على الجهاد ولا تقعد بهم مشقاته وعذاباته وحرمانه على المضى فيه ابتغاء مرضاة الله ولهم على ذلك الجنة والنعيم المقيم ، ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ) (٥) الاية . كذلك ثقله الارض عنيفة فى الحس البشرى شديدة العنف بقدر عنف الدوافع الفطرية وضغطها على الحس ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرب ذلك متاع الحياة الدنيا ) (٦) .

( ١ ) سورة التوبة : ٢٤

( ٢ ) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٦

( ٣ ) البخارى ج ٤ ص ١٤٩ - مسند احمد ج ٤ ص ٣٦٦ .

( ٤ ) البخارى ج ١ ص ١٣ - مسلم ج ١ ص ٤٩ .

( ٥ ) سورة التوبة : ١١١ وانظر التفاصيل فى ( دراسات قرآنية ) ص ٦٧-٦٩ .

( ٦ ) سورة ال عمران : ١٤ .

قال شيخنا : ( ولا شيء يمكن ان يعين الانسان على ضبط هذه الدوافع والوقوف بها عند الحدود المأمونة التي فرضها الله قدر ما يعينه الايمان باليوم الآخر الذي يعوض فيه الانسان عن كل حرمان تعرض له في الارض ، بنعيم دائم لا ينفذ . فضلا عن كونه نعيما اجمل واصفى وأجود . وای بد يسئل يمكن ان تضعه البشرية لضبط الدوافع ، ووقفها عند حدها لا يمكن ان يقوم مقام الايمان باليوم الآخر أو يفصل مفعوله في النفس . وهذه تجارب البشرية كلها قد عجزت عما قامت به التربية الاسلامية في احكام ويسر وهي تركز على هذا الايمان العميق باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب . أحد البدليين هو الدولة والقانون ، والاسلام لم يغفل الدولة والقانون حين قامت الدولة في المدينة ولكنه يعلم ان عين الدولة لا يمكن ان ترى كل حالة ويد القانون لا يمكن ان تاولها ، والبديل الآخر هو طرح الارض جانبها واهمال الجسد ونهذه واحتقاره كما تصنع البوذية (١) والرهبانية لتطهر الروح فيختل توازن الانسان بكبت هذه الدوافع الفطرية واستقذارها ، وتحتل

( ١ ) البوذية نسبة الى بوذا رجل من الهند وس ينسب الى قبيلة ساكيا من طبقة الكشترية كان لها السلطان على الارض الواقعة بين مدينة بنارس وجبال الهماليا شمال نهر الكنج وكان ابوه احد نبلاء هذه القبيلة ومن المترفين والمتمتعين بالجاه العريض وكان متزوجا من نبيلة تدعى ( مايا ) فكان بوذا الثمرة الاولى لهذا الزواج وماتت امه في الاسبوع الاول من ولادته في اوائل القرن السادس قبل الميلاد فاحتضنته خالته فترعرع ونشأ نشأة ابناء الملوك وتزوج ابنة احد الامراء ورزق منها بولد سماه ( لاهولا ) فلما بلغ ( بوذا ) تسعة وعشرين عاما لعبست برأسه افكار شتى تتجاذبه احساس متباينة ( كالشيخوخة والمرضى ) كانت صدى للحياة الهند وسية التي كان يحياها في جانب ولحياة الترف من جانب اخر ، واستقر به الرأي ان يدع حياة الترف ليبدأ في حياة الزهادة والتقشف لعله يصل الى سر الكون وخلق جميع ما كان عليه من الثياب واكتفى برقاع او شجر يستر عورته وصار يلقي جسمه بين الاشواك والحصى حتى اضمحل جسمه فنشر افكاره . . انظر التفاصيل في الاديان والفرق لعبد القادر شية الحمد ص ٥٤ وما بعدها .





( ٧ ) الايان بالقضا والقدر :

الايان بالقدر هو الركن السادس للايمان . وقد سبق ذكر حديسه  
جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيه ( الايمان أن تؤمن  
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ) (١)

والقدر مصدر تقول : قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها  
اقدره بالكسر والفتح قدرا وقدرا اذا أحطت بمقداره

قال النووي : ( ومعناه ان الله تبارك وتعالى قدر الاشياء فليس  
القدم وعلم - سبحانه - انها ستقع فى اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى  
وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على ما قدرها سبحانه وتعالى ) وقريبا من  
هذا قال الحافظ بن حجر ثم قال : هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين  
القطعية وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين الى ان حدثت بدعة  
القدر ( اي انكاره وان الامرانف ) فى او اخر زمن الصحابة .  
وقد روى القصة مسلم فى صحيحه . (٢)

وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة  
واهل الحل والعقد من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه . (٣)

فهل القضا والقدر شئ واحد ام هما شيان ؟  
اختلفت عبارات العلماء فى تعريفهما . فمنهم من جعلهما شيئا  
واحدا ومنهم من عرف القضا تعريفًا مغايرًا للقدر فقال :  
القدر علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل .

- ( ١ ) البخارى ج ١ ص ١٨ - مسلم ج ١ ص ٢٩ .  
( ٢ ) انظر مسلم مع شرحه للنووى ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ . فتح البارى ج ١ ص ١١٨  
( ٣ ) ذكره النووى فى شرح مسلم ج ١ ص ١٥٥ .

ملاحظة : ذكر بعض الباحثين ان بدعة القدر ظهرت فى العراق على يد  
رجل نصرانى اسلم فتصر فاخذ عنه معبد الجهنى فى العراق وغيلا  
الدمشق فى دمشق فدعا اليها معبد زما غير قصير حتى قتل مع ابن  
الاشعث على يد الحجاج . واما غيلان فقد استمر داعيا اليها بالشام  
الى ان امر والى هشام بن عبد الملك بضرب عنقه . اهد انظر تاريخ  
المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٨ لمحمد ابو زهرة .

والقضاء\* ايجاد الله تعالى الاشياء حسب علمه و ارادته . وقال  
النووي نقلا عن الخطابي معنى القضاء\* هنا الخلق كقوله تعالى ( فقضاهن  
سبع سموات في يومين ) اي خلقهن .

وقد عكس بعضهم فجعل تعريف القضاء\* للقدر وتعريف القدر للقضاء\*  
والامر محتتمل ومن عرفهما تعريفا واحدا قال : هو النظام المحكم الذي  
وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي ربط بها الاسباب  
بمسبباتها . (١)

وهذا المعنى هو الذي وردت به آيات القرآن التي ذكرت القدر  
مثل قوله تعالى : ( وكل شيء عنده بمقدار ) (٢) وقوله تعالى : ( وان من  
شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ) (٣) . وقوله تعالى : ( انما  
كل شيء خلقناه بقدر ) (٤) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : ( سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( كتب الله مقادير الخلائق قبل  
ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة . قال : وعرشه على  
الماء ) (٥) قال النووي قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح  
المحفوظ او غيره لا اصل التقدير فان ذلك ازل لا اول له وعرشه على الماء  
قبل خلق السموات والارض . والله اعلم . (٦)

وقال صاحب الاجوبة الاصولية :

( الايمان بالقدر هو التصديق الجازم بان كل خير وشر فهو بقضاء الله  
وقدره وانه الفاعل لما يريد لا يكون شيء الا بارادته ، ولا يخرج شيء عن

(١) انظر الايمان لمحمد نعيم ياسين ص ٩٨ ، العقائد الاسلامية لسيد

سابق ص ٩٥ ، شرح مسلم ج ١ ص ١٥٥ ، الوحي المحمدي

ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٢) سورة الرعد : ٨

(٣) سورة الحجر : ٢١

(٤) سورة القمر : ٤٩

(٥) صحيح مسلم ج ٨ ص ٥١

(٦) انظر شرح مسلم ج ١٦ ص ٢٠٣

مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ،  
ولا محيد لأحد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ  
وإنه خالق أعمال العباد والطاعات والمعاصي ،

ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجملهم مختارين لأفعالهم غير  
مجبورين عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم (١) ، والله خالقهم  
وخالق قدرتهم يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل  
عما يفعل وهم يسألون (١) ، ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم  
إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ) (٢) ،  
وغير ذلك من الآيات والأحاديث كثير .

وقد ذكر ابن تيمية درجات الإيمان بالقدر في العقيدة الواسطية  
وحاصله أنها أربع درجات :

- الاولى : الإيمان بعلم الله الأزلي بأعمال العباد قبل أن يخلقها .
- الثانية : كتابة ذلك في اللوح المحفوظ .
- الثالثة : مشيئته النافذة وقدرته الشاملة .
- الرابعة : إيجاد الله لكل المخلوقات وإنه الخالق وكل ما سواه مخلوق . (٣)

#### - خفاء القدر وكراهة الخوض فيه :

يكفي المؤمن ما أشرنا إليه وإن الله عليم بكل شيء ، وخالق كل  
شيء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإنه عادل لا يظلم أحداً وإنه حكيم منزه  
عن العبث .

(\*) إشارة إلى قوله تعالى : ( وهديناها للنجدين ) في سورة البلد . وقوله

تعالى ( ونفسوما سواها فآلهمها فجورها وتقواها ) من سورة الشمس .

(١) الأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٢٣٠ .

(٢) سورة الحديد : ٢٢ .

(٣) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها محمد خليل هراس ص :

١٣٠ - ١٣٣ - مراجعة عبد الرزاق عفيفي . ط . الثالثة .

وما علم الله حاجتنا اليه بينه لنا ، وما طواه عنا لا يجوز ان نتكسّف  
 البحث عنه فنختلف ونهلك . فان عقولنا محدودة ، خلقها الله لعبادته  
 وللاسهام في عمارة الارض لا لاكتشاف الغيب الذي استأثر بملئنه فليمن  
 أماننا الا التسليم والايان . وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن  
 الخوض والتعمق في القدر . فقد اخرج ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن  
 أبيه عن جده قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه  
 وهم يختصمون في القدر فكانوا يفتأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال :  
 ( بهذا أمرتم اولهنا خلقتم تضربون القرآن بفضه ببعضي ، بهذا هلكست  
 الامم قبلكم ) (١)

وقد أحسن بل ما أحسن ما قاله الامام الطحاوي رحمه الله :

( وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب  
 ولا نهي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان  
 ودرجة الطفمان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فان الله  
 تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرايه كما قال تعالى في كتابه :  
 ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) (٢) .

(١) رواه ابن ماجه في سننه ج ١ ص ٣٣ . وهذا اسناد صحيح رجاله ثقات  
 كما في الزوائد كذا قال محققه محمد فؤاد عبد الباقي في الصفحة نفسها  
 وهذا الموضوع خطير جدا . كم زلت فيه من اقدام نسأل الله العافية . وقد  
 صنفت فيما المصنفات الضخمة كشاف المليل لابن قيم الجوزية . قال النووي  
 ( وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه ومن احسنها وأكثرها فوايد كتاب  
 الحافظ الفقيه ابي بكر البيهقي ) وفي نظري الاقتصار على مجمله خير  
 من التفاصيل .

ولا يبعد ان يكون البحث والتعمق فيه كالتعمق في الروح . وقد قال الله  
 تعالى ( ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم  
 الا قليلا ) الاسراء : ٨٥ .

وقد ذكر النووي كلاما جيدا حول هذا الموضوع في شرح مسلم ج ١٦ ص ١٩٦

(٢) سورة الانبياء : ١٣ .

فمن سأل لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين . (١) . وقال على رضى الله عنه لما سأله رجل عن القدر فقال ( طريق مظلم فلا تسلكه . قال فاخبرنى عن القدر . قال بحر عميق فلا تلجه ، قال أخبرنى عن القدر فقال سر الله خفى عليك فلا تفشه ) (٢)

هل هناك حكمة من قدر الشر ؟

ان الطبيب يقطع بطن المريض ، فاذا رآه الجاهل حسبه عد وللـمريض ولكنه يقطع بطن المريض لحكمة غابت عن ذلك الجاهل .  
ولولا قدر الجوع ما عمل الناس شيئا لنا لو قدر الاكل ، ولولا قدر المرض لما مات أحد ولما شعر أحد بنعمة الصحة .  
ولولا قدر الحياة ما جاء احد الى الارض .  
ولولا قدر الموت لتزاحم الاولون والاخرون على هذه الارض ، ومع هذا فقد منح الله الانسان سمعا وصرا وعقلا ، وأنزل اليه كتابا يهديه الى الخير . وكل هذه المواهب الالهية تعرف الانسان باقدار الخير وتدعوه للانتفاع بها وتبين له اقدار الشر وتحذره منها كما قال تعالى : ( ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين . وهدينا النجدين ) (٣) . فعلى الانسان ان ينتفع باقدار الخير ويتجنب اقدار الشر وان يدفع قدر الشر بقدر الخير كأن يدفع قدر الجوع بقدر الاكل ، وقدر المرض بقدر الدواء . . وهكذا . (٤)

### - أثر الايمان بالقدر :

ان النفس المؤمنة بالقدر لتتعم بنعمة لا تعد لها نعم الدنيا كلها ، انها نعمة الرضا . تعلم النفس المؤمنة ان الله قدر لها الخير والشر ، فلا تبطر ولا تجزع فهي شاكرة صابرة امرها كله خير ، كما قال عليه الصلاة والسلام

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٧٦ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٢٠ مكتبة الرياض الحديثة .

(٣) سورة البلد : ٨ - ١٠ .

(٤) توحيد الخالق : ج ١ ص ٩٣ من القسم الاول .

( عجباً لا امر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن . ان أصابته  
سراً شكر فكان خيراً له . وان أصابته ضراً صبر فكان خيراً له ) (١)

ان الرضا والصبر اللذين يثمرهما الايمان بالقدر هما التسليم لقدر الله  
في المصائب والنوائب والصبر على طاعة الله تعالى والصبر عن معصيته وعلسى  
انواع المعاكه ، وليس المقصود بذلك الرضا بالكفر والمعصيان ولا الصبر على  
الذل فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية والهوان فليكن رضاك تبعاً  
لرضا ربك وصبرك في طاعة الله وفي سبيله . (٢)

### - تشويه لاثرا الايمان بالقدر والرد عليه :-

يقول أعداء الاسلام ، والجهال من المسلمين - سواء كانوا من  
الجهال حقيقة ، ام من الذين ينقلون كلام أعداء الاسلام ثم يصفون أنفسهم  
بأنهم مثقفون - ان الرضا بالقدر أو التسليم له هو القعود عن العمل ،  
والقعود عن تغيير الواقع السيء ، لانه قدر من عند الله ، لا ينبغي  
مقاومته . ؟

فمن أين جاء أولئك الجهال بهذا المعنى الفريب على الاسلام ؟  
وهل هذا المعنى كان غائباً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتلقى  
الوحي من الله ويتعلم الاسلام الصحيح من عند الله ؟  
وفيم اذن كان جهاده المتواصل لتغيير الواقع السيء الذي كانت عليه  
الجزيرة العربية والارض كلها وقتذاك ؟ ألم يكن ذلك الواقع السيء قد را  
من عند الله ؟

فكيف تجوز مقاومته اذن اذا كان معنى التسليم لقدر الله هو هذا  
المعنى المنتكس الذي لم تعرفه الامة الاسلامية الا في عصر انحدارها  
وتدهورها ؟

(١) رواه مسلم ج ٨ ص ٢٢٧ - الدارمي ج ٢ ص ٢٢٦ - مسند احمد ج ٥  
ص ٢٤ عن انس رضي الله عنه .

(٢) انظر الايمان لمحمد نعيم ياسين ص ١١١ .

سيقول قائل منهم : انه - صلى الله عليه وسلم - قاومه وسعى السى  
تغييره بامر من الله . ونقول : نعم . . وهذا الامر من الله قائم من ذلك  
الحين الى أن تقوم الساعة . . لم يطرأ عليه تعديل ولا تبديل ، ولم يقل  
الله - سبحانه - ان هناك امدا معيناً يطالب الناس فيه بالتغيير ، ثم  
يهطل بمد ذلك الامر ويحجى\* بدلا . منه التسليم للواقع السى\* والقصد  
عن تغييره . .

لم يقل الله ذلك وانما قال سبحانه - ( وقل اعلموا فسيري الله  
علمكم ورسوله والمؤمنون ) (١) . وقال : ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم  
الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك  
الايام نداؤها بين الناس وليعلم (٢) الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء\*  
والله لا يحب الظالمين ) (٣)

...

- 
- (١) سورة التوبة : ١٠٥  
(٢) قال ابن عباس : فمثل هذا لرى ، اى : من يصبر على مناجزة الاعداء  
كما فى تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٠٧ .  
وقال الشوكانى : ( وليعلم الله ) معطوف على علة مقدرة كانه قال :  
نداؤها بين الناس ليظهر امركم وليعلم وقيل غير ذلك . انظر التفاصيل  
فى فتح القدير ج ١ ص ٣٨٤ .  
قلت : ومعلوم عند السلف ان الله سبحانه علم الاشياء قبل ايجادها  
وقبل كتابتها فى اللوح المحفوظ ولم يزل عالما بها .  
(٣) سورة آل عمران : ١٣٩ - ١٤٠ . وانظر دراسات قرآنية ص ٩٣ - ٩٤ .

(( الفصل الثاني ))

تقرير الصلاة والزكاة ومكارم الاخلاق

وفيه مباحث ثلاثة :

- ( ١ ) تشريع الصلاة .
- ( ٢ ) تشريع الزكاة .
- ( ٣ ) الدعوة الاخلاقية وفيها ثلاث نقاط :
  - أ - الدعوة الى مكارم الاخلاق .
  - ب - تحريم الكبائر .
  - ج - محو التقاليد الجاهلية .

...



### \* تشريع الصلاة : (٥٥)

اعلم ان الصلاة من أهم أركان الاسلام بل أقواها بعد الشهادتين ، وهى من أقوى الصلة بين العبد وربّه ، يرتاح بها المؤمن ويتقرب بها الى ربّه فتزداد رغبته وتقوى صلته بمعبوده . وقد عنى الاسلام بها وشدّد التكيّف وحذر أعظم التحذير من تركها ،

فهل هى عبادة عريضة أم جديدة ؟

قال الحافظ : ( ذهب جماعة الى انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة الا ما كان وقع الامر به فى صلاة الليل من غير تحديد .

وذكر الحربى الى ان الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالفداة وركعتين بالعشى . وذكر الشافعى : عن بعض أهل العلم أن صلاة الليل كانت مفروضة ، ثم نسخت بقوله تعالى : ( فاقراءوا ما تيسر منه )<sup>(١)</sup> فصار الفرض قيام بعض الليل ثم نسخ ذلك بالطوات الخمس ، واستنكر محمد بن نصر المروزي ذلك وقال : ( الآية تدل على ان قوله تعالى ( فاقراءوا ما تيسر منه ) انما نزل بالمدينة لقوله تعالى ( وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ) والقتال انما وقع بالمدينة لا بمكة والاسراء كان بمكة قبل ذلك ، وما استدل به غير واضح لان قوله تعالى ( علم أن سيكون ) ظاهر فى الاستقبال ، فكانه سبحانه - امن عليهم بتعجيل التخفيف قبل وجود المشقة التى علم انها ستقع لهم . والله أعلم ) (٢) .

واذا رجعنا الى القرآن الكريم نجد أن الصلاة عبادة قديمة لا تخلو شريعة المرسلين منها قال الله تعالى لنبيه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام

( ١ ) سورة المزمل : آية ٢٠

( ٢ ) فتح البارى ج ١ ص ٤٦٥ .

(٥٥) الصلاة اصلها فى اللغة الدعاء ومنه قوله تعالى ( وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ) اى ادع لهم وقد وردت لعدة معان لفة وشروفا وليست هذا مقام التفصيل فيها فرجعه كتب الفقه والمراد هنا الصلاة التى هى علم لهذه العبادات المعروفة ذات الأركان والأذكار المخصوصة .

( وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ) (١) ، وقال تعالى عن اسمعيل عليه السلام ( وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ) (٢) وقال تعالى عن عيسى عليه السلام ( وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ) (٣) . وقال فى حق زكريا عليه السلام ( فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب . . ) (٤) وقال تعالى بعد ذكر عدد من الانبياء بعد قصة ابراهيم ولوط ، وما امتن الله به على ابراهيم من الولد : ( وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وآتوا الزكاة وكانوا لنا عابدين ) وقال تعالى بعد المدح لعدد من الانبياء عليهم السلام ( فخلف من بعدهم خلقي أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ) (٥) .

وقد أمر الله سبحانه كلمه موسى عليه السلام فى ساعات الوحي الاولى ( انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ) (٦) .

ومن وصايا لقمان لابنه كما فى القرآن الكريم ( يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ) (٧) . هذه الايات تثبت ان الصلاة من العبادات التى لم تغل شريعة منها وان لم تعرف بالتحديد وانما عرف التحديد بعد بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحق بعد ان ذكر فترة الوحي ونزول سورة الضحى : ( ثم ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افترضت عليه الصلاة فحزله بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين من ماء زمزم فتوضأ جبريل عليه السلام ومحمد ينظر اليه ، ثم ذكر الوضوء كاملا ثم قام

( ١ ) سورة البقرة : ١٢٥ ، والمراد بالركع السجود المصلين ، اه فتح

القديرج ١ ص ١٤١ .

( ٢ ) سورة مريم : ٥٥ .

( ٣ ) سورة مريم : ٣١ .

( ٤ ) سورة ال عمران : ٣٩ .

( ٥ ) سورة مريم : ٥٩ .

( ٦ ) سورة طه : ١٤ .

( ٧ ) سورة لقمان : ١٧ .

فصلى ركعتين وسجد أربع سجعات على وجهه ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم . . فأخذ بيد خديجة رضی الله عنها حتى اتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل ثم ركع ركعتين وأربع سجعات هو وخديجة . . (١)

ثم اورد ابن هشام حديث الصلاة التي صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم - عند البيتمرتين وبين له فيها اوقات الصلوات الخمس . وقال له فيما بين الوقتين .

وقد استنكر السهيلي ايراد هذا الحديث هنا فليس ذلك محله ، لاتفاق أهل الصحيح ان ذلك كان صبيحة الاسراء بعد البعثة بخمسة اعوام او قبل الهجرة بعام ونصف وقيل بعام وقيل بعام وشهرين وهذا الاخير هو ما ذهب اليه ابن قيم الجوزية .

وقال ابن كثير : ( صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين فبين له اوقات الصلوات الخمس اولها وآخرها ، فان ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء . . ) (٢)

عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها قالت : ( فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر ) (٣) .

(١) السير والمغازي ص ١٣٦ - ١٣٧ - السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٤٤ - البداية ج ٣ ص ٢٤ - السيرة النبوية ابن كثير ج ١ ص ٤٢٧ - السيرة السلطانية ج ١ ص ٤٢٥ - ٤٢٦ - الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٢٢ وزاد كان اول شيء فرضه الله بعد التوحيد الصلاة وأن جبريل علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة وعلمه اقرأ باسم ربك وكان يصلي صلاة الضحى المرجح نفسه ص ٣٩ . قال السهيلي هذا الحديث لا يكون اصلا في الاحكام الشرعية لان مداره على ابن لهيعة وهو ضعيف اهـ . الروض الاف ج ٣ ص ١٣ . وعلى فرض صحته فالوضوء على هذا الحديث مكى بالفرض مدنى بالتلاوة لان آية الوضوء مدنية وفيها ذكر التيمم والوضوء كان مفروضاً اهـ . الروض ج ٣ ص ١٤ .

(٢) انظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٤٥ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٤ زاد المعاد ج ٢ ص ٥٥ .

(٣) متفق عليه البخاري ج ١ ص ٧٤ - مسلم ج ٢ ص ١٤٢ - ابوداود بمسنون المعبود ج ٤ ص ٦٣ - النسائي ج ١ ص ١٨٣ - الموطأ ج ١ ص ٢٤ - المسند لاحمد ج ٦ ص ٢٣٤ .



وفي رواية اخرى عنه : ( بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم - ساجدا وحوله ناس من قريش ان جاءه عقبه ابن ابى معيط بسلا جزور فقدفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك . . . ) (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لوفعله لا أخذته الملائكة ) (٢) وزاد الترمذى ( عيانا ) .

وفي رواية عن ابى هريرة . . . زيادة ولاعفرن وجهه بالتراب فأنزل الله سبحانه ( كلا ان الانسان ليطغى ) الى قوله ( أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ) (٣) .

وقد ذكرت الصلاة فى اوائل ما نزل من القرآن بعد سورة العلق ( واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ) (٤) . ( ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ) (٥) . وقد كان المؤمنون مأمورين بالصلاة فى ابتداء الاسلام وهم بحكة والزكاة أيضا وان لم تكن ذات النصب ( الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة . . . ) الآية (٦) .

وهنا يرد سؤال هل هذه الروايات الدالة على فرضية الصلاة قبل الاسراء والمعراج هل هى قيام الليل المذكور فى اول سورة المزمل عند من يقول بانه كان مفروضا ثم نسخ بقوله تعالى ( فاقرأوا ما تيسر منه ) من آخر السورة فصار الفرض قيام بعض الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس . ؟ وهل كان فرضا على النبي - صلى الله عليه وسلم - وحده كما قرره ابن كثير فى تفسير سورة المزمل ؟

- 
- (١) مسلم ج ٥ ص ١٨٠  
(٢) البخارى ج ٣ ص ٢١٩ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٩ ص ٢٧٧-٢٧٨  
(٣) لهاب النقول فى اسباب النزول للسيوطى ص ٢٣٩ - تحفة الاحوذى ج ٩ ص ٢٧٨ .  
(٤) سورة المزمل : ٢٠ - وذلك على القول بمكية السورة كلها وعلى القول بذلك باستثناء اية ( واصبر على ما يقولون ) والتي تليها . انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٨٢٣ .  
(٥) المدثر : ٤٢ - ٤٤ .  
(٦) سورة النساء : ٧٧ .

أوعليه وعلى من كان قبله من الانبياء ؟  
 او عليه وعلى أمته كما رجحه القرطبي في تفسير السورة نفسها ؟ (١) .  
 الاجابة عن هذه التساؤلات تحتاج الى رسالة مستقلة وليس هذا  
 موضع بحثنا ولكن بعمون الله نريد ان نلمح الى الاثر الروحي للصلاة في نفس  
 المسلم لما لذلك من الهمية .

### الآثر التربوي للصلاة في توثيق الصلة بين العبد وربه :

ان الصلاة الحقيقية التي يريد بها الاسلام ، هي المرتكز الاساسي  
 لصلة الانسان بربه خالق الكون ، واحياء معاني الايمان في قلبه ، فبالصلاة  
 يتذكر الانسان ربه وخالقه من مبدئها الى منتهاها . والصلاة يتذكر الانسان  
 اليوم الآخر ( مالك يوم الدين ) وبالصلاة يتذكر الانسان الايمان بالرسول  
 ( السلام عليك أيها النبي . . ) ( واشهد ان محمدا رسول الله )  
 ( اللهم صل على محمد ) وبالصلاة يتذكر العبد الكتاب والطريق الذي هدى  
 اليه ( اهدنا الصراط المستقيم ) .

وعلى هذا فالصلاة هي المظهر العملي للايمان بالغيب كما عبر عنها  
 القران بالايمان ( وما كان الله ليضيع ايمانكم ) (٦) وعلى قدر ما تكون العقيدة  
 واضحة في نفس الانسان وعلى قدر ما يكون الايمان يقظا في قلبه تكوّن  
 استقامته على أمر الله .

ولما كانت الصلاة هي التي بها تحيا عقيدة الحق في قلب الانسان  
 كانت هي السبب المباشر الذي يجعل الانسان مستقيما ( ان الصلاة تنهس  
 عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ) (٣)  
 ( ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا ) (٤) .

(١) راجع للتقريب صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦٨ - ١٨٩ وكتب التفسير في سورة  
 المزمل .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ - اي وما كان الله ليضيع صلاتكم الى بيت المقدس  
 قبل ذلك لا يضيع ثوابها اهـ . تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٨ .

(٣) سورة المائدة : ٤٥ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ج ٢٠ ص ١٥٥ مرفوعا وموقوفا عن ابن عباس وانظر  
 تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٦٠ .

فهى اتصال بالله يخجل صاحبه ويستحي ان يصطحب معه كبار الذنوب  
وفوا حشما ليلقى الله بها ، وهى تطهر وتجرد لا يتفق معها دنس الفحشا  
والمنكر وثقلتهما . (١)

فالصلاة التى يريد ها الاسلام تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة  
متاعب الحياة ومصائب الدنيا ( واستمعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على  
الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ) (٦) (يا أيها  
الذين امنوا استمعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ) (٣) .  
عن حذيفة بن اليمان قال : (كان النبو صلى الله عليه وسلم اذا حزبه  
أمر فزع الى الصلاة) (٤) .

قال صاحب الظلال رحمة الله عليه : ( وما يزال هذا البنبوع الدافق  
فى متناول كل مؤمن زادا للطريق ، وريا فى الهجير ، ومددا حين  
ينقطع المدد ، ورصيذا حين ينفد الرصيد انه لا بد للانسان الفانى الضعيف  
المحدود ان يتصل بالقوة الكبرى يستمد منها العون ، حين يتجاوز الجهد  
قواه المحدودة حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة ، حينما يثقل عليه  
جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات واغراء المطامع ، وحينما  
تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد وهى عنيفة ، حينما يطول به الطريق  
وتباعد به الشقة فى عمره المحدود ، ثم ينظر فاذا هولم يبلغ شيئا ، وقصد  
اوشك المغيب ، ولم ينل شيئا ، وشمس العمر تميل للغروب ، حينما يجسد  
الشر نافشا والخير ضاويا (٥) ، ولا شعاع فى الافق ولا معلم فى الطريق .

هنا تهدد وقيمة الصلاة انها الصلة المباشرة بين الانسان الفانى والقوة  
الباقية . . انها الروح والندى والظلال فى الهاجرة ، انها اللمة الحانية  
للقلب المتعب المكود .

( ١ ) انظر (الاسلام) لسعيد حوى ج ١ ص ٩٠ مطبعة دار الكتب - بيروت -

الطبعة الثالثة - الظلال ج ٢٠ ص ٢٢٣٨ .

( ٢ ) سورة البقرة : ٤٥ - ٤٦ .

( ٣ ) سورة البقرة : ١٥٣ .

( ٤ ) اورد ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ١٢٤ ورواه ابن جرير فى تفسيره ج ١ ،

ص ١٦٠ واحمد فى مسنده وابوداود فى مسنده قاله ابن كثير .

( ٥ ) ضوى الولد ضوى من باب تعب : اذا صفر جسده وهزل فهو ضاوى .

مصباح ج ٢ ص ١٢٠ .

ان هذا المنهج الاسلامي منهج عبادة . والعبادة فيه ذات اسرار  
ومن أسرارها انها زاد للطريق ومدد للروح وجلاء للقلب ، وحيثما كان  
تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في حلوة ومشاشة  
ويسر . ان الله سبحانه حين انتدب محمدا صلى الله عليه وسلم للدور الكبير  
الشاقي والثقيل قال له : ( يا ايها المزمّل قم الليل الا قليلا ) الايات . (١) .  
قلت : وذلك بعد الدعوة الى التوحيد والانذار عن الشرك بقوله  
تعالى : ( يا ايها المدثر . قم فأندر . وريك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز  
فاهجر ) .

وفي الصلاة يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمأنينة وكان النبي صلى  
الله عليه وسلم يقول : ( أرحنا يا بلال ) (٢) اي بالصلاة وكانت قرّة عين النبي  
صلى الله عليه وسلم ، كما في مسند أحمد (٣) انه يبدأ صلاته بالتكبير فيحس  
بأن الله أكبر من كل ما يروه ومن يروه في هذه الدنيا . ويقرأ فاتحة الكتاب  
فيجد فيها تغذية للشعور بنعمة الله ( الحمد لله رب العالمين . الرحمن  
الرحيم ) وتغذية للشعور بعظمة الله وعدله ( مالك يوم الدين ) وتغذية  
للشعور بالحاجة الى الصلة بالله والى عونه - سبحانه - ( اياك نعبد واياك  
نستعين ) وتغذية للشعور بالحاجة الى هداية الله ( اهدنا الصراط  
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) .  
فلا عجب أن تمد الصلاة المؤمن بحيوية هائلة وقوة نفسية فياضة .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ الاثر النفس للصلاة ، وما يسبقها  
من وضوء وذكر لله تعالى ، وكيف يستقبل المؤمن المصلّي يومه ويبدأ حياته

- 
- ( ١ ) في ظلال القرآن ج ٢ ص ١٤٢ ، وانظر روح الدين الاسلامي ص ٢٤٢ ،  
لعقيف عبد الفتاح طباره - بيروت - الطبعة السابعة عشرة .  
( ٢ ) ا . ب . ج . د . هـ . والهديث اخرجه الدارقطني وابوداود باسناد صحيح  
كذا قال العراقي في المغني عن حمل الاسفار مع الاحياء للخرالسي  
ج ١ ص ١٦٥ ط . بيروت ومسند احمد ج ٥ ص ٣٦٤ .  
( ٣ ) مسند احمد ج ٣ ص ١٢٨ - ١٩٩ - ٢٨٥ - بلفظ ( قم يا بلال  
فارحنا بالصلاة ) ج ٥ ص ٣٧١ .



الجديدة كل صباح فقال : ( يعتقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هونام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبحت خبيث النفس كسلان ) (١)

وعينما يستمد المؤمن المدد - من خلال الصلاة - من القوة العظمى التي تهيمن على الكون ، يجد ما يقويه على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر ومقاومة الجزع عند الشر والضع عند الخير فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى ورعاية حدوده والحرص على المواعيد ، والتغلب على أنواع الكسل والهوى وجوانب الضعف الانساني ( ان الانسان خلقت لهوا اذا مسه الشر جزوا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ) (٢) ، ( وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) (٣) وما نرى من مصلين قد ضعفت اخلاقهم وانحرف سلوكهم فلا يسد أن صلاتهم جثة بلا روح ، وحركات جسم بلا حضور عقل ، ولا خشوع قلب وانما الفلاح للمؤمنين ( الذين هم في صلاتهم خاشعون ) (٤) ، أما المتظاهرون بالصلاة دون ان ترقق قلوبهم او تفتح للخير صدورهم فما احقهم بوعيد الله : ( فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم براءون ويمنعون الماعون ) (٥) .

والحاصل ان الصلاة تذكرنا انه لا معبود الا الله ، اياك نعبد	ولا مستعان به الا الله
اهدنا الصراط المستقيم	ولا هادي الى صراط الحق غيره
سبحان رب العظمى	وأنة المستحق للتعظيم وحده
سبحان رب الاعلى	وأن له السيادة والملكو
ربنا ولك الحمد	وانه المنعم المتفضل

- ( ١ ) البخارى ج ١ ص ١٩٩ - بهذا اللفظ وسلم ج ٢ ص ٨٧ ( بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا ) وليس فيه ( فارقد ) من حديث ابى هريرة .
- ( ٢ ) سورة المعارج : ١٩ - ٢٣ .
- ( ٣ ) سورة العنكبوت : ٤٥ .
- ( ٤ ) سورة المؤمنون : ٢ .
- ( ٥ ) سورة الماعون : ٤ - ٧ وانظر العبادة في الاسلام ص ٢١٩ - ٢٢١ ليويسف القرضاوى مؤسسه الرسالة - بيروت - الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٥ هـ .

( ٢ ) الزكاة :

الزكاة هي النمو والزيادة ، واخراج قدر معلوم من أموال  
الافغنيا ليرد على الفقراء . وهي من العبادات المالية الاجتماعية الهامسة  
القديمة ، عرفت في الرسالات السابقة ، وقد قرنها الله بالصلاة في عشرات  
المواضع من القرآن الكريم . ومنذ فجر الاسلام في مكة والمسلمون افسراد  
معدودون مستخفون بدنيهم ، مضطهدون في ديارهم كان هذا الجانب  
موضع عناية بالغة في القرآن الكريم .

تارة يذكرها بلفظ الزكاة ، وتارة بلفظ الصدقة ، وأخرى بلفظ الانفاق  
فسورة الضحى من أوائل ما نزل من القرآن ( فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل  
فلا تنهر ) . وفي سورة المدثر يسجل القرآن اعتراف المجرمين في النار  
بسبب تركها وترك الصلاة ، ( قالوا ألم نك من المصلين ، ولم نك نطعم  
المسكين ) ( ١ ) .

وفي سورة القلم يقص الله - سبحانه - على المسلمين قصة أصحاب الجنة  
التي اعتزموا ان يصرموها بليل ليحرموا منها المساكين ( فطاف عليها طائف  
من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . ان اغدوا على  
حرقكم ان كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . ان لا يدخلنها اليوم عليكم  
مسكين ) ( ٢ ) . الآيات .

وقال تعالى منكرًا على الذين طلبوا قتال المشركين في أوائل العهد  
المكي ، ثم تقهقروا عنه بعدما فرض في المدينة وديلا عن القتال ، أمرهم  
باقام الصلاة وابتاء الزكاة فقال : ( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم  
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون  
الناس كخشية الله أو أشد خشية ) ( ٣ ) الآية . وسيأتى مزيد من الكلام حول  
هذه الآية الكريمة ان شاء الله تعالى في الكلام على بيعة ( العقبة الكبرى )

( ١ ) سورة المدثر : ٤٣ - ٤٤ .

( ٢ ) سورة القلم : ١٩ - ٣٣ .

( ٣ ) سورة النساء : ٧٧ .

وسبق أن ذكرت الأدلة على قدم مشروعية الصلاة ، وهى فى الوقت نفسه مقرونة بالزكاة ، فارجع اليها وتاكيدا لذلك قد ذكرها الله فى مواثيقه لبنى اسرائيل فى عدة مواضع من القرآن الكريم ، ( وان أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل لاتبعدون الا الله والوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . ) (١) الآية . وقال تعالى ( ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وامنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولا دخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ) (٢) وغير ذلك من الايات كثير . (٣) .

وقد أخبر الله - سبحانه - عن اهل الكتاب انهم امروا بالصلاة والزكاة بعد عبادة الله وحده فقال : ( وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) (٤) .  
هذه الأدلة توضح قدم شرعية الزكاة فى الرسالات السابقة مع شقيقتها الصلاة .

...

- 
- ( ١ ) سورة البقرة : ٨٣ .  
( ٢ ) سورة المائدة : ١٢ .  
( ٣ ) انظر العبادة فى الاسلام للقرضاوى ص ٢٣٥ وما بعدها .  
( ٤ ) سورة البينة : ٥ .

ذكر الخلاف :

فهل فرضية الزكاة بالنسبة للرسالة الخاتمة في مكة كما سبقت الإشارة  
الى ذلك او في المدينة ؟

ففيها للعلماء اقوال : قول بانها في مكة والاية التي في سورة الانعام هي مكة  
ومكية . وقول بانها منسوخة : وقول بالندب . استدلال القائلون بفرضها  
في مكة بالآيات المذكورة سابقا في سورة المدثر والمزمل والقلم وغيرها .  
ومقوله تعالى ( واتوا حقه يوم حصاده ) (١) وان الاية مكية ومحكمة  
قال الفخر الرازي لانسلم ان الزكاة ما كانت واجبة في مكة بل لا نزاع ان الاية  
المدنية وردت بايجابها الا ان ذلك لا يمنع انها كانت واجبة في مكة وقيل  
ان هذه الاية مدنية واستدل القائلون بفرضيتها في المدينة بقوله تعالى  
( يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من  
الارض ) (٢) . وهذه الاية مدنية وان الزكاة نفسها لم تفرغ الا في السنة  
الثانية من الهجرة .

وقال قوم ان الاية ( واتوا حقه يوم حصاده ) محمولة على الندب .  
كما اختلفوا في الحق المذكور في قوله تعالى ( واتوا حقه يوم  
حصاده ) وهل هو منسوخ ام لا .  
فقال جماعة من اهل العلم هذا الحق هو الزكاة المفروضة ومن قال  
به انس وابن عباس وطا ووس ومالك وغيرهم نقله عنهم القرطبي .  
ونقله ابن كثير عن انس وسعيد وغيرهما .  
ونقله ابن جرير عن ابن عباس وانس وغيرهما .  
وقال قوم ليس المراد به الزكاة وانما المراد به ان يعطى من حضر من  
المساكين يوم الحصاد القبضة والصفحت ونحو ذلك وحمله بعضهم على الوجوب  
وبعضهم على الندب .

قال القرطبي : ( وقال علي بن الحسين ومجاهد وعطاء وغيرهم هو  
حق في المال سوى الزكاة ) رواه ابوسعيد الخدري مرفوعا .

( ١ ) سورة الانعام : ١٤١ .

( ٢ ) سورة البقرة : ٢٦٧ .

وقال قوم : هو حق واجب غير الزكاة ، وهو غير محدود بقدر معين  
ومن قال به علماء كما نقله عنه ابن جرير .

وقال قوم : هي منسوخة بالزكاة منهم ابن عباس وابن الحنفية ، وسعيد  
ابن جبير والنخعي وغيرهم . واختاره ابن جرير ، وعزاه الشوكاني في تفسيره  
للجمهور ، وأيده بأن هذه السورة مكية ، وآية الزكاة نزلت بالمدينة فسقطت  
السنة الثانية بعد الهجرة .

واستدل ابن جرير للنسخ بالاجماع على أن زكاة الحرث لا تؤخذ  
الا بعد التذرية والتنقية ، وزكاة التمر والتمر لا تؤخذ الا بعد الجفاف  
والجفاف فدل على عدم الاخذ يوم الحصاد فعلم ان الآية منسوخة .  
وقد أطال الكلام حول هذا في تفسيره .

وقال ابن كثير : ( في النسخ نظر ، لانه قد كان شيئاً واجباً فسقط  
الاصل ، ثم انه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته ، قالوا وكان هذا فسقط  
السنة الثانية من الهجرة ، ثم قال في تفسير سورة المؤمنون ، وقد يحتمل  
أن يكون المراد بالزكاة في قوله تعالى : ( والذين هم للزكاة فاعلون ) (١) زكاة  
النفوس من الشرك والدنس كقوله تعالى : ( قد افلح من زكاهها وقد خاب  
من دساها ) (٢) وقد يحتمل ان يكون كسلاً ، الامرين مراداً والمؤمنين  
الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا ) (٣) .

ويستفاد مما ذكر ان الزكاة المطلقة شرعت في العهد المكي امتداداً  
لشرعيتها في الرسالات السابقة كما ذكرنا . والذي شرع في العهد المدني  
هو التفصيل والتنظيم الدقيقان حيث لم يسبق الى ذلك دين سواي ولا تنظيم  
ارضى مثل تحديد المقادير التي تجب فيها الزكاة وحتى تجب والمقدار الذي  
يجب اخراجه والعشر ونصف العشر وربيع العشر . والله أعلم .

( ١ ) سورة المؤمنون : ٤

( ٢ ) سورة الشمس : ٩ - ١٠

( ٣ ) انظر التفاصيل في جامع البيان للطبري ج ٨ ص ٥٢ - ٥٩ - تفسير  
القرطبي ج ٣ ص ٢٥٣٥ - ٢٥٣٦ . التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٣  
ص ٢١٣ - ٢١٤ - الناشر دار الكتب العلمية طهران ط . ثانية . اضافة  
البيان لمحمد الامين الشنقيطي ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ مطبعة المدني  
محاسن لتاويل لمحمد جمال القاسمي ج ٦ ص ٢٥٢٥ - ٢٥٢٦ مطبعة  
العلمي .

نكتفى بهذا الاجمال ان ليس يهنا اكثر من هذا فمطه كتب الفقه .  
وانما نريد أن نشير الى الاثر التربوي للزكاة في بناء مجتمع اسلامي  
مترابط متكافل يحقق الاخوة الاسلامية . والله المستعان .

...

### الآثر التربوي للزكاة في بناء مجتمع اسلامي متكافل :

ان مرتكز نظام المال في الاسلام الزكاة ، فهي بمثابة العمود الفقري  
فيه . ان نظام المال في الاسلام يقوم على اساس الاعتراف لله بانه المالك  
الاصيل والتالي الاعتراف بانه له وحده حق تنظيم قضية التملك والحقوق  
فيه وماله .

والزكاة هي التعبير الصلي عن هذا كله لانها أهم الحقوق التي  
جعلها الله في الملك والزكاة لما لها من الاهمية تولى الله - سبحانه - توزيعها  
من فوق سبع سموات حيث بين مصادرها الثانية في قوله تعالى : " انما  
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب  
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ( ١ ) .

ومن هنا تعلم أن الزكاة ليست تفضلا واحسانا من انسان الى آخر  
وانما هي حق معلوم كما قال الله تعالى : ( وفي اموالهم حق للسائل  
والمحروم ) ( ٢ ) بحيث لا يشعر الغني بالعظمة على الفقير ولا يشعر الفقير  
بالذل والهوان بل يعتبر ذلك حقا فرضه الله له في مال الغني فهو حقيق  
الفقير بصفته اخا للغني في الدين والانسانية .

فقد جعل الاسلام المجتمع كلاسرة الواحدة يكفل بعضهم بعضا ، بل  
كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .

( ١ ) سورة التوبة : ( ٦٠ ) .

( ٢ ) سورة الذاريات : ١٩ .

لحد يث النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) .

وفى رواية بتقد يم الحمى على السهر .

وفى لفظ : المسلمون يدل المؤمن وفيه ذكر العين والرأس بسند

العضو . (١)

فمن حق الفقير الذى لا يستطيع ان يعمل او يستطيع ولا يجد عملاً او يعمل ولا يجد كفايته من عمله ، او يجد ولكن حل به من الاحداث ما افقره الى المعونة ، من حق هذا ان يعان ويشد أزره ، وليس من الايمان ولا من الانسانية ان يشبع بعض الناس حتى يشكوا التخمة ، والى جوارهم من طسال حرمانه حتى ان من الجوع .

ولا يجوز للمؤمن أن يعيش في دائرة نفسه ، مغفلاً واجبه نحو الاخرين من ضعفاء ومساكين فهذا نقص في ايمانه موجب لسخط الله عز وجل في الدنيا والاخرة . وفى هذا يقص علينا القرآن مشهداً من مشاهد الاخرة بين أهل اليمين في الجنة وأهل الشمال في النار ، فأصحاب اليمين ( فس جنت يتسألون عن المجرمين ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ) (٢) فهنا كان ترك اطعام المسكين من موجبات الدخول في سقر .

وأروع من ذلك وأعجب ان القرآن لا يكتفى بايجاب اطعام المسكين - ومثل اطعامه كسوته ورعاية ضروراته و حاجاته - بل يزيد على ذلك فيجعل في عنق كل مؤمن حقاً للمسكين ان يحض غيره على اطعامه ورعايته ويجعل ترك هذا الحض من لوازم الكفر بالله والتكذيب بيوم الدين ( أرأيت الذى يـكـذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ) (٣) . فقهر اليتيم واهمال الحث على رعاية المسكين جعلاً دليلاً على ان القلب خلومس ان الايمان بالاخرة والتصديق بالجزاء .

(١) مسلم ج ٨ ص ٢٠ - البخارى ج ٤ ص ٥٣ بلفظ ( ترى المؤمنين فسوا

تراحمهم . ) .

(٢) سورة المدثر : ٤٠ - ٤١ .

(٣) سورة الماعون : ١ - ٣ .

ويقول تعالى في شأن اصحاب الشمال : وأما من اوتى كتابه بشماله  
فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية  
ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانية ( ١ )

ثم يصدر الله عليه الحكم الذي يستحقه ( غذوه ففلوه ، ثم الجحيم  
صلوه . ثم في سلسلة ذريعتها سيمون ذراعا فاسلكوه ) . ثم يذكر أسباب  
هذا الحكم الشديد : ( انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام  
المسكين ) ( ٢ ) . ومن ذلك قوله تعالى ( كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون  
على طعام المسكين ) ( ٣ ) .

ولم تر الدنيا كتابا كالقرآن يجعل اهمال الحث على العناية بالمسكين  
من موجبات الجحيم والعذاب الاليم ،

والزكاة - مع أنها حق الفقير - حق الجماعة ايضا ، فالانسان لم يكسب  
المال بجهد واحد بل شاركت فيه جهود وافكار وايد كثيرة بعضها عن قصد  
وبعضها عن غير قصد ، بعضها ساهم من قريب ، وبعضها ساهم من بعيد ،  
وكلها اسباب عاونت في وصول المال إلى ذوى المال . فاذا نظرنا إلى التاجر  
مثلا كيف جمع ماله وحقق كسبه راينا للمجتمع عليه فضلا كبيرا فمن يشتري ولمن  
يبيع ومن يسير اذا لم يكن المجتمع . وهكذا الزارع والمصانع وكل ذى مال .  
فمن حق المجتمع مثلا في الدولة التي تشرف عليه وترعى مصالحه ، وتسد  
خلات افرادها ان يكون لها نصيب من مال ذى المال .

فاذا لم يكن في المجتمع المسلم افراد فقراء او مساكين لوجب على المسلم  
ان يؤدي زكاته ولا بد لتكون رصيده للجماعة تنفق منه عند المقترضات ولتهدل منه  
في سبيل الله وهو مصرف عام مادام في الارض اسلام .

والزكاة فيها معنى الطهارة ومعنى النماء . طهارة لنفس الغنى مسن  
الشح البغيض وفي الجانب الاخر طهارة لنفس الفقير من الحسد والضغن على  
ذلك الغنى الكائن لجمال الله عن عباد الله . الذي جمع مالا وعدده يحسب  
ان ماله اخذه . ( ٤ )

( ١ ) الحاقة : ٢٥ - ٢٩ .

( ٢ ) الحاقة : ٣٠ - ٣٤ .

( ٣ ) المزمز : ٢ - ٣ . والسورة مكية قيل المراد بذلك الاخنس بن شريف ،  
وقيل غيره وقيل هو عامة . انظر تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٥٥١ .

( ٤ ) سورة النجم : ١٧ - ١٨ .



وهي طهارة للمجتمع كله أغنيائه وفقرائه من عوامل الهدم والتفرقة والصراع ولعل هذا ما تهدي اليه الآية الكريمة ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ) (١) طهارة للعال ، فان تعلق حق الفقير بالمسال يجعله ملوثا لا يلهر الا باخراجه منه .

ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ( اذا أدت زكاة مالك فقد ان هبت عنك شوه ) (٢) . واكثر من ذلك ما روى أنه قال : ( حصنوا أموالكم بالزكاة ) (٣) وما أحوج الاغنياء الى هذا التحصن ، وخاصة في عصرنا الذي عرف المبادئ الهدامة والثورات الحمراء .

ثم هي نداء لشخصية الغنى وكيانه المعنوي حتى يسدي الخير ويصنع المعروف ويبذل من ذات نفسه ويده لينهي باخوانه في الدين والانسانية وليقوم بحق الله عليه يشعر بامتداد في نفسه ، وانسراح واتساع في صدره ، ويحسن بما يحسن به من انصرف في معركة ، وهو فعلا قد انصرف على ضعفه وشيطان شحه وهواه ، فهذا هو النمو النفس والزكاة المعنوية .

والزكاة ايضا نداء لشخصية الفقير حيث يحسن انه ليس ضائعا في المجتمع ولا متروكا لضعفه وفقره ينخران فيه حتى يعجلا بهلاكه ، كلا ان مجتمعه ليحمل على اقالة عثرته ويحمل عنه اثقاله ويمد له يد المعونة بكل ما يستطيع وبعد ذلك هو لا يتناول الزكاة من فرد يشعر بالاستعلاء عليه ويشعر هو الهوان امامه ، بل ياخذ حقه من يد الدولة حرصا على كرامته ان تخدش ولو قصدر للافراد ان يكونوا هم المعطين بانفسهم . فالقرآن يحذرهم المن والاذى ( قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم ) (٤) .

( ١ ) سورة التوبة : ١٠٣ .

( ٢ ) رواه الحاكم كما في العبادة في الاسلام ص ٢٥٩ .

( ٣ ) ابوداود في المراسيل كما في المرجع نفسه .

( ٤ ) سورة البقرة : ٢٦٣ .

والزكاة وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعى الذى جاء به الاسلام  
فانه يابوان يوجد فومجتمعه من لا يجد القوت الذى يكفيه والثوب السذى  
يزينه ويواريه والمسكن الذى يؤويه . فهذه ضروريات يجب ان تتوافر لكسل  
من يعيش فوظل الاسلام . والمسلم مطالب بان يحقق هذه الضروريات  
وما فوقها من جهده وكسبه . فان لم يستطع فالمجتمع يكفه ويضمنه ولا يدعه  
فريسة الجوع والفرى والمسكنة . هكذا علم الاسلام المسلمين ان يكونوا  
كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله . (١)

...

---

(١) العبادة فى الاسلام ص ٢٥٣ - ٢٦٠ - الاسلام ج ١ ص ١٠٦ - ١٤٥ .

(٣) الدعوة الاخلاقية :

الاخلاق علم يبحث عن معنى الخير والشر ويبين ما ينبغي أن نكون عليه معاملة الناس مع بعضهم بعضا ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصد واليهما في اعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغي . ولا شك أن الاخلاق من الدعائم الاولى لحفظ كيان الامم .

لذلك كانت رسالة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كثيرا ماتحت على الاخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن مشددا على الاستمسك بها لانها هي التي تحقق الفوز بالتعميم الأخرى (١) :

ان الاخلاق الاسلامية ارتقاء بالانسان الى كماله .

كما أن الفارق بين الانسان والحيوان هو ان الانسان بما اوتي من طاقات كان مكلفا ، وأن الحيوان لنقصان طاقته لم يكلفه الله بشيء وان الانسان الذي يرفض أن يقوم بحب التكليف قد أقام نفسه بمنزلة الحيوان ولذلك فقد سقط عن رتبة الانسانية ، وقد ذكر الله عز وجل في اكثر من اية من القران أن الكافرين ليسوا جد يرين بصفة الانسانية ، وأنهم حيوانات بل شر منها وأضل ، لانهم عطلوا حكمة وجودهم ( ولقد نظرنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون ) (٢) . وقال تعالى : ( ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ) (٣) .

وقد يفضب بعض الناس لهذا الكلام ، ولكن لو تأطت حال الكافرين وجدت عمليا انهم يعتبرون الحيوانية هي المثل الاعلى ويسعون للارتقاء نحوها . فهؤلاء الذين يدخلون نوادي العراة لماذا يفعلون هذا ؟ (٤) ، أليس من أجل تقليد الحيوان ؟ وهؤلاء الذين يرون اباحة الزنى مع أي امرأة أليسوا يقلدون ماتفعله كثير من الحيوانات وما ياباه بعضها ؟

(١) انظر روح الدين الاسلامي ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) سورة الاعراف : ١٧٩ - قال ابن كثير : ( اي هي انما هم وعمل اهلها يعطون ) ج ٣ ص ٥١٤ . قلت وهذا من القدر الازلي كما في مسلم مرفوعا ( ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض ، بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ) ج ٨ ص ٥١ .

(٣) سورة الانفال : ٥٥ .

(٤) كما كان تفعل الجاهلية الاولى في طوافهم حول الكعبة عراة .

وهو لا الذين لا تضبط تصرفاتهم بميزان صحيح دقيق ما الفارق بينهم وبين عالم الحيوانات ؟ ان الحقيقة السافرة ان الكافر علميا طريقه في الحياة هو طريق الحيوانية وهدفه الاعلى هو الانغماس في حمايتها واذن فالحقيقة التي لا شك فيها ان الكافر يعطل جوانب انسانيته والحقيقة ان كل ما كلفنا الله عز وجل هو تأكيد لانسانيتنا ورفع لمستواها والسير في خط التمييز عن الحيوان الى منتهاه .

ولا نقصد بالتمييز الذي يفقد الانسان حياته بالا ياكل والا يتزوج ليتناسل فهذا شيء لا بد منه لاستمرار الحياة البشرية والحيوانية ، وحتى النباتية ولكن نعنى بالتمييز التميز العقلي والروحي والاخلاق والسلوك والاجتماعى الذى يجعل للحياة معنى ولانسانية خصائصها الواضحة . (١)

لذلك تجد القران الكريم كثيرا ما يندد باخلاقيات الجاهلية منذ اللحظة الاولى مع التنديد بفساد تصوراتهم الاعتقادية ، واستمر معه حتى النهاية ، وقد أشرت الى ذلك فى ( الوثنية ) ، وفى ذلك دلالة واضحة معينة لا ينفى ان تغييب عن أذهاننا وهى أهمية العنصر الاخلاقى فى هذا الدين وتعمقه الى الجذور العقيدية ذاتها ، وارتباط التصور الاعتقادى بالسلوك الاخلاقى فى شتى مناحى الحياة .

ان الاخلاق ليست شيئا ثانويا فى هذا الدين وليست كذلك محصورة فى نطاق معين من نطاق السلوك البشرى انما هى ركيزة من ركائزه كما أنها شاملة للسلوك البشرى كله .

يندد (٢) القران باخلاقيات الجاهلية منذ السورة الاولى سورة العلق

(١) انظر ( الاسلام ) ج ٢ ص ٨٦ . سعيد حوى - الطبعة الثالثة ، بيروت .

(٢) ندد به صرح بعيوه واسمعه القبيح . ١ هـ . قاموس ج ١ ص ٣٤١ .

بل يندد بها قبل أن يتحدث عن الفساد العقيدى ذاته (١) ، وكأنه ينهينسا بذلك الرن الفساد العقيدى ليس فسادا فطريا ولا فسادا فى التصور المكتسب فى داخل الضمير فحسب ، بل ان له آثارا سلوكية عملية يعرف بها ويتميز (كلا ان الانسان ليطفى أن رآه استغنى ) . والطفيان خلق جاهلى ينشأ من فساد عقيدى تصورى ( ان رآه استغنى ) فحين يتصور الانسان - بالوهم - أنه قد استغنى بما فى يده من المال والبنين والسلطان المعدود فسوى الارض ، فانه يطفى ويتجبر ، ولكن ما حقيقة الاستغناء هنا ؟ ان الايسة تقول ( استغنى ) وترك مفهوما يفهم من بقية السياق وواضح انه قد استغنى عن الله سبحانه وتعالى .

فانه حين يكون محتاجا يتذكر الله ، ويدعوه ، فاذا اعطاه الله نسي أن هذا الرزق الذى بين يديه هو من عند الله . ثم نسي حقيقة اخرى أن الله الذى اعطى ما اعطى قادر على ان يسترد ما اعطى ويحيد به الى حالته قبل هذا العطاء .

كلا ان الانسان لينسى هذه الحقائق فيطفى .

يتوهم ان ما بين يديه من الرزق هو من صنع نفسه ، ولا يد لله فيه ، ويتوهم أنه بساق بين يديه لا يزول وليس لله عليه سلطان فيجره هذا الوهم وذلك الى تصور خاطئ هوانه قد استغنى عن الله - سبحانه - ولم يعد فسو حاجة اليه ومن ثم يطفى فلا يلتزم حدا من الحدود .

وهذه الاوهام كلها ناشئة عن فساد فى التصور الاعتقادى ، فلو أن هذا

الطاغية عرف الله على حق يقته لقد ر الله حق قدره ولمعلم انه لا يمكن ان يستغنى

( ١ ) يظلم من هذا ان العلق باكلمها قبل المدثر نزولا وفى ذلك خلاف ذكره الواحدى وغيره فقد قال : صدرها انزل على رسول الله يوم حراء ثم انزل الله اخرها بعد ذلك بما شاء الله ثم ذكر الخلاف . وليس فى صدرها تنديد باخلاق الجاهلية وقال الشوكانى عند تفسير قوله تعالى : ( كلا ان الانسان ليطفى ) المراد بالانسان هنا ابوجهمل وهو المراد بهذا وما بعده الى اخر السورة . وانه تاخر نزول هذا وما بعده عن الخمس الايات المذكورة فى اول السورة ) . وقال القرطبى نزلت فى ابى جهل وقيل السورة كلها فى ابى جهل نهى النبى عن الصلاة عليه فليست من اول ما نزل ويجوز ان يكون خصرايات من اولها اول ما نزل ثم نزلت بقية السورة . تفسير القرطبى وفتح القدير للسورة نفسها واسباب النزول للواحدى ص ٦ فتسح البارى ج ٨ ص ٦٧٧ وقد ثبت فى صحيح البخارى عن جابر انه كان يقول اول ما نزل من القران ( يا أيها المدثر ) ج ٣ ص ٢٠٩ . وانظر الاتقان ج ١ ص ٢٤ .

عن الله لحظة واحدة لانه هو وكل ما يملك داخل في ملكوت الله - سبحانه -  
وتعالى - خاضع لسلطانه ووهن لمشيئته ان شاء ابقاه وان شاء ازاله ،  
ولا تستطيع قوة في السماء ولا في الارض ان تمنعه من الله ، لو أنه عرف هذا  
على حقيقته لزال عنه وهم الاستغناء عن الله ، وزال منه بالتالي ذلك الطغيان  
الذي احدثه وهم الاستغناء ولا ستقام سلوكه في الارض نحو الله ونحو الناس .

وهكذا ينبع السلوك من التصور ، ويؤدى التصور الى السلوك ، (١)

وانا انتقلنا الى سورة اخرى نجد القرآن كذلك يندد بموقف الانسان  
الجاهلى من قضية ( عطاء الله ) ان وسع عليه في الرزق او قدر عليه رزقه .  
( فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه . فيقول ربى اكرمى . واما اذا  
ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربى اهانى . كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون  
على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جميا كلاً ) (٢) .  
فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه وسط له في الرزق فانه كما يقول  
عنه القرآن في سورة هود ( فرح فخور ) (٣) لا ينظر الى النعمة على أنها ابتلاء  
من عند الله كما اعسر العبد المؤمن سليمان عليه السلام فقال ( هذا ممن  
فضل ربى ليلونى اء شكر أم أكر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر  
فان ربى غنى كريم ) (٤)

انما يفرح بما بين يديه من الرزق - وتعبير القران بالفرح لا يعنى  
السعادة انما يعنى الخيلاء والاستكبار في الارض بخير الحق - وينسى انسه  
ابتلاء ، ويتوهم ان الله أعطاه لانه راض عنه فيقول ( ربى اكرمى ) واذن فلا عليه  
أن يتصرف في ماله كما يشاء . يعيث في الارض فسادا ، ويرصد له لخدمة  
الشیطان ويظن مادام توهم انه استغنى ( كلا ان الانسان ليطغى ان رآه  
استغنى ) .

وأما اذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فهو كما يصفه القران في سورة هود ايضا

(١) دراسات قرآنية : ص ١٣٠ - ١٣١

(٢) سورة الفجر : ١٥ - ٢٠

(٣) هي قوله تعالى : ( ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب

السيئات عنى انه لفرح فخور ) ١٠ هود .

(٤) سورة النمل : ٤٠

( يثوس كفور ) (١) ( فيقول ربى اهانن ) ولا يصبر للضايقه حتى تمر ، ولا يتوجه الى الله ليرفعها بل يولى ظهره لله قانطاً من رحمته كافر به .

انه فى كلا الحالين اذا يتصرف تصرفاً معيناً مبنياً على تصور خاطئ ، والسياق يبرز الجانب السلوكى المنحرف الذى يترتب على التصور المنحرف وان كان التصور الفاسد هنا لا يتعلق بوحداية الله انما بتدبير الله والحكمة الكامنة وراء التدبير .

ثم يضى السياق فيندد بالسلوك الجاهلى تجاه المال المتسم بالشح على الضعفاء والمساكين والافتئات على أصحاب الحق فى هذا المال : ( كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلاً لما وتحبون المال بما جما ) .

وكلها انحرافات اخلاقية تنبع من قلب لا يخشى الله ، ولا يتقيه ، ولا يحس ان المال مال الله ابتداءً وان الله يمنحه لخلقه - على سعة او ضيق - ليلوهم فيما آتاهم وينظر كيف تكون مشاعرهم وسلوكهم تجاه ما أعطاهم ، انما يجعل المال هدفاً فى ذاته فيتحول الاستحواذ عليه الى شهوة مقلطة تستعبده وتفسد مشاعره وسلوكه .

فالاصل فى هذه التصرفات جميعاً هو انحراف فى التصور الاعتقادى ولكن القرآن يبرزه من خلال الجانب السلوكى الاخلاقى ، ليؤكد أن انحراف التصور يتبعه انحراف حتى فى السلوك . (٢)

(١) ( ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤسركفور ) ٩ هود . قلت : وتارة يكون الانسان بعكس هذا الخلق كما قال تعالى : ( واذا أنصنا على الانسان اعرضى ونأ بجانبه واذا مسه الشر <sup>فدنا</sup> . الآية ) فصلت ٥١ . وكقولسه تعالى ( واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضره ) يونس ٢١ . وكايمان المشركين حينما يحيط بهم الموج فى البحر حتى اذا خرجوا الى شاطئ النجاة اذا هم يشركون وامثال ذلك كثير .

(٢) هذه نماذج اقتطفتها من كتاب ( دراسات قرآنية ) لشيخنا محمد قطب . وقد كتب تحت عنوان ( اخلاقيات لا اله الا الله ) عدة نماذج استخراجها من القرآن <sup>الكريم</sup> كم اطلع على مثلها وابرازها فى مثل هذا الثوب الجديد وما تركته اكثر بكثير مما نقلته فقد تكلم على وائل سورة القلم ووائل سورة المطففين ووائل سورة المؤمن وواوخر سورة الفرقان والشورى والانعام وغير ذلك واضيف الى ذلك ما فى سورة الاسراء من اية ٢٣ - ٣٨ وما فى سورة لقمان فسى وصاياه لابنه وما فى سورة الحجرات وامثال ذلك . وانظر روح الدين الاسلامى لعفيف طياره ط ١٧ بيروت ١٩٧٨ م تحت عنوان الاخلاق فى الاسلام ص ٢٠٣ وما بعدها .

والجملة فان الاخلاق في المفهوم القرآني شيء شامل يشمل كل تصرفات الانسان وكل مشاعره وكل تفكيره ، فهي ليست محدودة بمساحة معينة ولا بحمل معين .

ولا يوجد في الاسلام عمل واحد يمكن ان يخرج عن دائرة الاخلاق فالصلاة لها اخلاق هي الخشوع والكلام له اخلاق هي الاعراض عن اللغو والجنس له اخلاق هي الالتزام بحدود الله وحرماته ، والتعامل مع الاخرين له اخلاق هي الوفاء بالامانة ورعاية العهد ، والاتفاق له اخلاق هي التوسط بين التقدير والاسراف والحياة الجماعية لها اخلاق هي ان يكون الامر شوري بين الناس . . . . . وهكذا لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم ليست له اخلاق تكيفه ولا شيء واحد ليست له دلالة اخلاقية مصاحبة .

هذا أمر ، والامر الاخر - وهو الاله - ان الاخلاق في المفهوم القرآني هي لله وليست للبشر ولا لاحد غير الله ، الصدق لله ، والوفاء بالعهد لله ، واتقاء المحرمات في علاقات الجنس لله ، والزكاة لله والعفو والصفح لله ، والانقصار من الظلم لله ، واتقان العمل لله . . . كلها عبادات لله تقدم له وحده خشية وتقوى وتطلعا الى رضاه . (١) ان الله طيب لا يقبل الا طيبا . والطيب هو العمل المطابق للشرع الخالص لوجه الله تعالى .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمن بما أمر به المرسلين فقال : ( يا أيها الناس كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بمسما تعملون عليم ) (٢) وقال : ( يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ) . (\*) ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام . . فأنى يستجاب له . (٣)

(١) دراسات قرآنية ص ١٣٣ - ١٣٩ .

(٢) سورة المؤمن : ٥١ .

(٣) رواه مسلم ج ٣ ص ٨٥ - ٨٦ - احمد في مسنده ج ٢ ص ٣٢٨ بحذف حرف النداء في ( يا أيها الناس ) فقال : ( أيها الناس ) .

(\*) سورة البقرة : اية ١٧٢ .



### أ - الدعوة الى مكارم الاخلاق :

الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال في سهولة ويسر من حسنة وسيئة وجميلة وقبيحة . . من غير حاجة الى فكر وروية .  
فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا .

وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت تلك الهيئة خلقا سيئا .  
فانما ماريت هذه الهيئة على اثار الفضيلة ، والحق ، وحب المعروف والرغبة في الخير ، وروضة على حب الجميل وكراهية القبيح اصبح ذلك طبعها لها تصدر عنه الافعال الجميلة بسهولة وبدون تكلف ، وتنتجت هذه الافعال بالاخلاق الحسنة ، كالعلم ، والاناة والصبر ، والكرم ، والشجاعة ، والعدل ، والاحسان ، وسائر الفضائل الخلقية . كما أنها اذا اهملت فلم تهتدب التهذيب اللائق بها ، ولم يعن فيها بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها - أوريبت تربية سيئة حتى اصبح القبيح محبوا لها ، والجميل مكروها عندها ، وصارت الرذائل والنقائص من الاقوال والافعال تصدر عنها بدون تكلف ، اذا كان كذلك نعتت بالاخلاق السيئة ، كالخيانة والكذب والجفاء والغلظة والبذاءة ، وسائر الرذائل . ومن هنا نوه (١) الاسلام بالخلق الحسن ودعا الى تربيته وتنميته في المسلمين ، كما ندد (٢) بالخلق السيء وحذر عواقبه . (٣)

وقد سبق ان أشرت الى تنديد القرآن بالسلوك الاخلاقي في العقيدة المنحرفة وعنايته الواضحة بذلك . ثم تجده في الوقت ذاته يقابل تلك العناية بابرار السلوك الاخلاقي الصحيح المصاحب للعقيدة الصحيحة بقوله تعالى ( قد افلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمنهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم

( ١ ) نوه به تنويرها . رفع ذكره وعظمه . مصباح ج ٢ ص ٣٠٤

( ٢ ) ندد به : صرح بميوجه واسمه القبيح . قاموس ج ١ ص ٣٤١ .

( ٣ ) انظر حاشية الترغيب والترهيب . مصطفى عمارة ج ٢ ص ٤١٣ ، مطبعة الحلبي ، منهاج المسلم ص ١٥١ - ابو بكر الجزائري - طبعة الدار البيضاء الطبعة الثالثة .

يحافظون . اولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . ( ١ )

فالسورة تبدأ بتقرير الفلاح للمؤمنين بهذا التوكيد ( قد أفصح المؤمنون ) ، ثم تصف هؤلاء المؤمنين ذلك الوصف المطول الذي يعنى به بابرار الجانب السلوكي لاولئك المؤمنين موحيا ايحاء واضحا عن هذه الاخلاقيات من جهة هي ثمرة الايمان وان الايمان - من جهة اخرى - هو سلوك عطي ملموس يترجم عن العقيدة المكتونة . ( ٢ )

وقس على ذلك ما في سورة الاسراء والفرقان ولقمان وغير ذلك من ابراز هذا الجانب العظيم ( ٣ ) ، وقال ابن عمر : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وانه كان يقول : ( ان خياركم احاسنكم اخلاقا ) ( ٤ ) ، ولما سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت كان خلقه القرآن . فقرأت ( قد افلح المؤمنون . . حتى انتهت الى ( والذين هم على صلواتهم يحافظون ) قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( ٥ )

فينبغي التأسي به صلى الله عليه وسلم والافتداء به في اقواله وافعاله ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ) ( ٦ ) .

( ١ ) سورة المؤمنون : ١ - ١١ .

( ٢ ) دراسات قرآنية ص ١٣٦ .

( ٣ ) اقرأ سورة الاسراء من اية ٢٣ - ٣٩ . وسورة الفرقان من اية ٦٣ الى اخر السورة . وسورة لقمان من اية ١٣ - ١٩ . وغير ذلك من الايات المشيدة بمكارم الاخلاق .

( ٤ ) البخاري ج ٤ ص ٥٦

( ٥ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٥٤ - فتح القدير ج ٥ ص ٢٦٧ وقال قد ثبت هذا في الصحيح .

( ٦ ) سورة الاحزاب : ٢١ .

وقد مدح الله - سبحانه - نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، على خلقه الكريم فقال : ( وانك لعلو خلق عظيم ) (١) . وقد جاء النبي صلى الله عليه عليه وسلم - بالدعوة الى تزكية النفس ، بعد الدعوة الى العقيدة الصحيحة ، وتنقيتها من شوائب الشرك والانحرافات الضالة ، وذلك بالتزام الفضائل والابتعاد عن الرذائل بكل أنواعها ، قال تعالى : ( قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ، والوالدين احسانا ، ولا تقتلوا اولادكم ممن املق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) (٢) .

قال ابن مسعود : ( من أراد ان ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم ، التي عليها خاتمة فليقرأ هذه الثلاث آيات ) (٣) . أراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يدعو الامة من حين بعثه الله تعالى الى أن توفاه صلى الله عليه وسلم - الى ما تضمنته هذه الايات المحكمات أمرا ونهيا كقوليه تعالى : عن خليله عليه السلام ( ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنيس ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ) (٤) .

( وان النبي صلى الله عليه وسلم - اوصى بكتاب الله ) ( وانى تارك فيكم ما ان تسكتكم به لن تضلوا كتاب الله ) وفي رواية ( ثقلين أولهما كتاب الله .. ) (٥)

- 
- (١) القلم : ٥ - وردت في معنى الخلق في الاية الكريمة معان : منها الاسلام والدين والقران . وامثال اوامر الله ونواهيه ، ورفقه بامته واكرامه اياهم والطبع الكريم كذا في فتح القدير ج ٥ ص ٢٦٧ .
- (٢) الانعام : ١٥١ - ١٥٣ .
- (٣) شبه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت اي فلم تتغير ولم تتبدل .
- (٤) سورة البقرة : ١٣٢ .
- (٥) مسلم ج ٧ ص ١٢٣ . وانظر كتاب قرعة عيون الموصدين لعبد الرحمن بسن محمد بن عبد الوهاب ص ٩ - الناشر مكتبة الرياض - تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٦٣ .

وقد أمر الله - سبحانه - نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسلك أسلوب الحكمة واللين والرفق حتى مع ألد أعدائه الذين كذبوه وعاندوه وواجهوه بكل ما يملكون من قوة وشتى الأساليب فقال تعالى ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن (١) . ) الآية . نهج ذلك المنهج حتى مع أهل الكتاب بتوجيه الله سبحانه وتعالى إياه بقوله ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ) (٢) الآية .

وأختم هذا البحث بآية هي أجمع آية في القرآن للخير والشر (٣) هي قوله تعالى : ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ) (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم ( ان من أخيركم أحسنكم خلقا ) (٥) وفي لفظ ( خياركم أحسنكم أخلاقا ) . وقوله عليه الصلاة والسلام : ( اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ) (٦) . وقوله أيضا : ( ان المؤمن ليدرك بخلقه درجة الصائم القائم ) وقوله ( ائتمل شئ في الميزان الخلق الحسن ) وفي لفظ ( ان أحكم إلى الله واقربكم مني أحسنكم أخلاقا ، وان ابغضكم إلى الله وابعدكم مني الشرارون المتفهبون المتشدقون ) (٧) الشرائع : كثير الكلام تكلفا ، والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه تفاصحا وتعظيما ، والمتفهب هو الذي هو الاقلام يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه تكبرا وارتفاعا واطمئنانا للفضيلة على غيره وفي الحديث مرفوعا : المتفهبون : المتكبرون (٨) .

...

- 
- (١) سورة النحل : ١٢٥  
(٢) سورة العنكبوت : ٤٦ .  
(٣) كذا في الجلالين عن ابن مسعود ص ٢٥٩ .  
(٤) سورة النحل : ٩٠ .  
(٥) البخاري ج ٤ ص ٥٥ .  
(٦) صحيح ابن حبان ٤ ج ١ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .  
(٧) المصدر نفسه ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .  
(٨) رياض الصالحين للنووي ص ٢٧٣ - ٢٧٤ - الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

ب - تحريم الكبائر :

الكبائر جمع كبيرة وقد اختلف العلماء في تعريفها . فمن ابن عباس : كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة . وقيل كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ، وقيل ما أوعده الله عليه بنار أو حد في الدنيا . وقد سرد في تعريفها النووي كلاما جيدا وكذلك ابن حجر المكي الهيثمي عدها : الى ثمانية ، وقد عد الكبائر فوق ستين وأربعمائة . (١)

وقد تحدثنا فيما مضى أن الجزيرة العربية ، بل الناس كلهم كانت قد فسدت عقولهم وأخلاقهم ، ونظام تفكيرهم وفسد ذوقهم واختل إحساسهم كل شيء يسوقهم الى الشفاء والدمار ، فالشرك والقتل والخمر والفجور واغتصاب الاموال ، واستلاب حقوق الضعفاء ، كل ذلك أمر شائع وبلغت القسوة حدها الاقصى ، فالصغار يقتلون ويؤدون والطغاة يقودون شعوبهم الى الحروب الطاحنة دون ما غاية ، سوى الحصول على الخنائم والرقيق وتسجيل المآثر الفارغة .

فلما بعث الله سبحانه وتعالى - محمدا - صلى الله عليه وسلم - حرم هذه الاشياء كلها وسماها فواحش وكبائر . قال تعالى : ( قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا والوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق نعمن نوزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٢) ولا تنالوا العزى التي حرم الله الا بالحق ذاءكم وصاكم به لعلكم تتقون ) . وقيل تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها وانا قلتم فاعدلوا ولو كتماننا قريه صعيد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (٣) .

(١) انظر شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥ وما بعدهما - الزواجر ج ١ ص ٥ - ٦ . والكتاب يتكون من جزئين ادخل فيه كثيرا من الصغائر في الكبائر ولعله لم يفرق بين الكبيرة والصغيرة . انظر كلام النووي في الفرق بينهما في المصدر نفسه .

(٢) اى سرها وعلنها : جلالين .

(٣) سورة الانعام : ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد ان يقرأ صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الايات .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : في الانعام ايات محكمات هـ من أم الكتاب . ثم قرأ ( قل تعالوا . . . الايات ) . وعن عبادة بن الصامت مرفوعا : ( ايكم ييايعنى على ثلاث ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( قل تعالوا اتل ما هم ربكم عليكم ) . حتى فرغ من الايات . فمن وفى فأجره على الله ، ومن انتقص منها شيئا فادركه الله به في الدنيا كانت عقوبته ومن أخر الى الآخرة فأمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ) (١) . وفي رواية عنه أيضا : - وكان أحد النقباء ليلة العقبة - ( ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وحوله عصاية من أصحابه ( يايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن اصاب من ذلك شيئا فصوبق فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن اصاب من ذلك شيئا ، ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه . ) فبايعناه على ذلك . (٢)

فأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم - ما أخذ البيعة على أصحابه فى الابتعاد عن هذه المحرمات الا لفشوها فى المجتمع الذى بحث فيه ولما لها من الأهمية فى الاسلام . والابتعاد عنها يرتفع المجتمع من الحضيض السوى مستوى اعلى أو من حمة الرذيلة الى مستوى الفضيلة ان كان المجتمع حينها يرى الفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة كما سبقت الاشارة الى ذلك فى نكاح الجاهلية ، من أجل ذلك اشتدت غيرة الله سبحانه ، فحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . قال صلى الله عليه وسلم ( لا أحد اغير من الله ، من أجل ذلك حسم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ) . وفى لفظ ( ما من

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ . وسياق حديث عبادة فى بيعة

العقبة الاولى ان شاء الله فى الصحيحين وغيرهما .

( ٢ ) البخارى ج ١ ص ١٢ - ج ٤ ص ١٧٢ - ١٧٤ بالفاظ فى بعضها بلفظ

الخبر وفى بعضها بلفظ الامر .

أحدٌ أُغِيرَ من الله . . . (١)

ولمسلم : قال سعد بن عبادة : ( لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربتـه بالسيف غير مصفح عنه ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اتعجبون من غيرة سعد ، فوالله لانا اغير منه ، والله اغير منى ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص اغير من الله ، ولا شخص احب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص احب اليه المدحة من الله ، من أجل ذلك وعد الله الجنة ) وفي لفظ ( ليس احدٌ احب اليه المدح من الله . . . وفي لفظ اخر : ( لا احدٌ اغير - ممن الله . . . ) (٢) \* ولقد حرم الله في الايات السابقة الشرك بانواعه ، ممن العقيدة الى التشريع ، بدات الوصايا كلها به ، لانه القاعدة الاولى التمسى لا يفتنى غناها شىء اخر من عبادة او خلق او عمل ، والنهى عن الشرك امر بضده ، فالنهى عن الشرك أمر بالتوحيد ، توحيد في الاعتقاد وفي الربوبية والالوهية ، فالخالق هو المستحق للحاكمية ( الاله الخلق والامر ) (٣) وقد توعد الله مرتكب الكبيرة - لما جاء الاسلام - بتضعيف العذاب واللعنة والفضب ومعضها بالخلود في النار في عدة مواضع من القرآن الكريم .

...

- 
- (١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٧٨ ، وفي باب الفيرة من كتاب النكاح وفي تفسير سورة الانعام والاعراف ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ .  
 (٢) مسلم ج ٤ ص ٢١١ - ص ١٠٠ - ١٠١ ، راجع شرح مسلم للنسوى ، ج ١٠ ص ١٣٢ - فتح البارى ج ١٣ ص ٣٩٩ . في شرح الحديث  
 (٣) سورة الاعراف : ٥٤ - وانظر الظلال ج ٨ ص ١٢٣٠ .

### ج - محو التقاليد الجاهلية :

التقاليد والتقليدات مفردة تقليد ، يستعمل لعدة معان ، والصبراد هنا ما يلي : هو ما انتقل الى الانسان من آباءه ومعلميه ، ومجتمعه مسن العقائد والعادات والعلوم والاعمال . (١)

وقد ذكر الالوسي كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم السيئة المخزية منها والضحكة كالحرق على القبور واعتقادهم بالهامة والضفر ، والاستمسانة بالجن والتشاؤم بالعطاس ، والطيرة والتنجيم والاستسقاء بالسلع والعشعر وربطه في اذنان البقر والخمر والميسر (٢) والانصاب والازلام (٣) والزنا والقتل والنهب والشرك وهو أشدها وغير ذلك . (٤)

ولكن القرآن الكريم ندد كثيرا بالشرك والزنا والقتل والخمر والميسر والانصاب والازلام ، وقد سبق الحديث على الكبائر اجمالا . ولا يخفى ان هذا المبحث ومبحث الكبائر واخلاق الجاهلية السابق ذكرهما مادتها متداخلة كل دليل منها يصح ان يكون دليلا للاخر كما فسو آيات الانعام والاسراء والفرقان وغير ذلك . وقد سبق ذلك . ونريد ان نضيف الى ذلك كلمة سريعة حول الخمر والميسر والانصاب والازلام ، لما لذلك مسن الاهمية ، - وان كان الجميع مهما - لان المخمور يرتكب سائر الكبائر بلا مهالة ولا شعور . فلقد كانت الخمر والميسر والانصاب والازلام من معالم الحياة الجاهلية ومن التقاليد المتغلغلة في المجتمع الجاهلي .

(١) المنجد ص ٦٤٩ .

(٢) الميسر القمار كان الرجل يقامر بماله واهله فيصبح فقيرا ويراه في يسد غيره حزينا سلبيا فكانت من اسباب العداوة والبغضاء . جلالين مسن تفسير سورة المائدة ص . . ١ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي ص ٥٧ .

(٣) الانصاب : الاصنام ، والازلام : قداح الاستقسام - جلالين .

(٤) انظر بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٣٠١ وما بعدها .



وكانت كلها هزلة واحدة ذات ارتباط عميق في مزاولتها ، وفي كونها من سمات ذلك المجتمع وتقاليد ه كانوا يشربون الخمر فوا سراف ، ويجعلونها من الفاخر التي يتسابقون في مجالستها ويتكاثرون ، ويدبرون عليها فخرهم في الشعر ومدحهم كذلك .

وكان يصاحب مجالس الشراب نحر الذبائح على الاصنام وينضحونها بماءها وغير ذلك من المناسبات الاجتماعية التي تشبهها وكان يجري الميسر عن طريق الزلام التي هو قدام كانوا يستقسمون بها الذبيحة - وغيرها - فيأخذ كل منهم نصيبه منها بحسب قدره ، فالذي قدره (المعلن) يأخذ النصيب الاوفر ، وهكذا حتى يكون من لا نصيب لقدحه . وقد يكون هو صاحب الذبيحة فيخسرهما كلها .

وهكذا يبدو تشابك العادات والتقاليد الاجتماعية ، وجرانها وفق حال الجاهلية ، وتصوراتها الاعتقادية . فلم لا يبدأ المنهج الاسلامي بمعالجتها .

لم يبدأ المنهج الاسلامي في معالجة هذه التقاليد في اول الامر لانها انما تقوم على جذور اعتقادية فاسدة ، فعلاجها من فوق السطح قبل علاج جذورها الفائرة جهد ضائع حاشا للمنهج الاسلامي أن يفعله . انما بدأ الاسلام من عقدة النفس البشرية الاولى ، عقدة العقيدة . بدأ باجتساب التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره ، واقامة التصور الاسلامي الصحيح مقامه .

بين للناس فساد تصوراتهم عن الالهية ، وهداهم الى الاله الحق وحين عرفوه بدأت نفوسهم تستمع الى ما يحبه منهم وما يكرهه وما كانوا قبل ذلك ليسمعوا او يطيعوا امرا ولا نهيا وما كانوا ليقلعوا عن مآلوفاتهم الجاهلية مهما تكرر النهي ونذلت النصيحة . ان عقدة الفطرة البشرية هي عقيدة العقيدة ومالم تنعقد هذه العقيدة اولا ، فلن يثبت فيها شئ من خليق او تهذيب او اصلاح اجتماعي ، ومالم تفتح بفتوحها فستظل ملتوية الدروب . مغلقة السرايب كلما كشف منها زقاق انبهت ازقة ، وكلما ضا جانب منها اظلمت جوانبها ، وكلما هلت منها عقدة تعقدت عقده ، وكلما فتح منها درب سدت دروب ومسالك ، . . . الى لانهاية .

لذلك لم يبدأ المنهج الاسلامي في علاج رذائل الجاهلية وانحرافاتهما  
انما بدأ من العقيدة ، وبعد امتداد جذورها في الأعماق النفسية بسدأت  
عطية تنقية رواسب الجاهلية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والاخلاقية  
والسلوكية في الوقت الذي يأمر الله فيطيع العباد بلا جدال ، لانهم لا يعلمون  
لهم خيرة فيما يأمر الله به او ينهى عنه أيا كان . (١)

وكانت المرحلة الاخيرة الحاسمة من مراحل تحريم الخمر هو قوله تعالى  
( يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل  
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) وعلل ذلك بقوله تعالى ( انما يريد  
الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن  
ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ) (٢) .

### احتجاج الشركين بالتقليد :

ولما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ترك هذه التقاليد السيئة  
وقبل ان ينقادوا للدخول في الاسلام ، كانوا يحتجون بتقليد الاباء والاجداد  
فواستمرارهم على ما هم عليه من الضلال وعدم اتباع دعوة الرسول صلى الله  
عليه وسلم حينما دعاهم الى عبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ( بل قالوا  
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ) (٣) .

وهذه المقالة سبقهم اليها اشباههم من الامم السالفة المكذبة للرسول  
تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم ( كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول  
الا قالوا ساهرا او مجنون . اتواصوا به بل هم قوم طاغون ) (٤) وهكذا قال

(١) انظر في ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٧٣ - ٩٧٤ .

(٢) المائدة : ٩٠ - ٩١ .

(٣) سورة الزخرف : ٢٢ . والمراد بالامة هنا : الدين كقوله تعالى : ( ان  
هذه امتكم امة واحدة ) الانبياء : ٩٣ . انظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص  
٢١١ . القرطبي : ج ٧ ص ٥٨٩٤ والمعنى ليس لهم مستند فيما هم  
فيه من الشرك سوى تقليد الاباء والاجداد بانهم كانوا على امة .

(٤) الذاريات : ٥٢ - ٥٣ .

ها هنا : ( ) وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها  
انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون (١) . ولما شبههم بمن  
قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال : ( قال  
أولو جثتكم باهدى ما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ) (٢) .  
فكان مصير المكذبين والمعاندين ما سبق بيانه في الاستدلالات التاريخية  
والنسبية لمشركي قريش ، والله اعلم ، فقد أذاقهم الله عذاب الدنيا  
يوم بدر بالقتل والاسر وجذب السنين والامراض وسيد يقهم العذاب الاكبر  
في الآخرة ( ولنديقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلمهم  
يرجعون ) (٣) . ولما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك الى وصف  
آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك اضعفانهم وقالوا لا بى طالب  
اما ان تكفه عنا او ننازلك واياه في ذلك حتى يهلك احد الفريقين . (٤)

وقد ذم القرآن الكريم الجامدين على تقليد الآباء والاجداد ذمما  
شديدا بل سفه عقولهم فقال تعالى : ( وانا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله  
قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا اولوكان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ) (٥)  
( وانا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا  
عليه آباءنا اولوكان آباءهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ) (٦) ( وانا قيل  
لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولوكان الشيطان  
يدعوهم الى عذاب السعير . (٧) ) .

(١) الزخرف : ٢٢ - انزلنا نورا من السماء على موسى فأتاهم بالبينات والهدى

(٢) البقرة : ١٧٠ - ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال : ( قال اولو جثتكم باهدى ما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ) (٢) .

(٣) الزخرف : ٢٤ .

(٤) السجدة : ٢١ . قال ابن عباس يعنى بالعذاب الادنى مصائب الدنيا  
واسقامها وافاتها . وقيل عذاب القبر وعن ابن مسعود : انه ما اصاب  
كفار قريش يوم بدر . لانه لم يبق بيتا لا دخله الحزن . انظر تفسير  
ابن كثير ج ٦ ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٥) انظر تفسير الطبرى ج ٥ ص ٦٠ - ٦١ وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٥٨٩٤ ،

ابن كثير ج ٧ ص ٢١١ .

(٥) سورة البقرة : ١٧٠ .

(٦) سورة المائدة : ١٠٤ .

(٧) سورة لقمان : ٢١ .

(( الباب الثالث ))

جهاز الدعوة

وفيه أربعة فصول :

- الفصل الأول : تحمل الأذى .  
الفصل الثاني : مواجهة الخصوم ، وفيه ثلاثة مباحث :  
أ - مفاوضة قريش الفاشلة .  
ب - الهجرة إلى الحبشة .  
ج - العقاطة العامة .  
الفصل الثالث : أعداد الدعاة .  
الفصل الرابع : الاتجاه إلى دعوة العرب الوافدين إلى الموسم .

اعلم أن الجهاد ذروة سنام الاسلام ومنازل أهله اعلى المنازل ففى الجنة ، كما لهم الرفعة فى الدنيا فهم الاعلون فى الدنيا والآخرة .  
 وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى الذروة منه ، فاستولى على انواعه كلها ، فجاهد فى الله حق جهاده بالقلب والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت اوقاته موقوفة على الجهاد . ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا ، واعظمهم عند الله قدرا .

أمره الله بالجهاد من حين بعثه فقال : ( ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهد هم به جهادا كبيرا ) (١) فهذه السورة مكية امر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن .

" الدعوة تقول : لا اله الا الله ، والمشركون يقولون هناك آلهة مع الله وهناك سلطان بشرى يحكم الناس باسم هذه الالهة . والدعوة تقول ان الولاء لله وحده ، والملاء يريد الولاء لنفسه وسلطانه ) (٢) . ومن هنا نشأ الصراع ، انه صراع عقائدى ، فقد يكون اشد من الصراع الدموى ، ان الشرارة الاولى للصراع الدموى هو الصراع العقائدى .

قال الشوكانى فى تفسير هذه الاية : ( جاهد هم بالقرآن ، واتسل عليهم طافيه من القوارع ، والزواجر ، والاوامر والنواهي . وقيل الضمير يرجع الى الاسلام ، وقيل بالسيف والاوتل اولى وهذه السورة مكية ، والا ممر بالقتال انما كان بعد الهجرة . (٣) ) ويظهر من هذا ان الجهاد أعم من القتال .

وقد قسم ابن قيم الجوزية الجهاد الى أربع مراتب :

- ١ - جهاد النفس .
- ٢ - جهاد الشيطان .

(١) سورة الفرقان : ٥٢

(٢) منهج التربية الاسلامية لشيخنا محمد قطب ج ٢ ص ٥٨ .

(٣) فتح القدير ج ٤ ص ٨١ .

٣ - جهاد الكفار .

٤ - جهاد المنافقين .

كما قسم جهاد النفس الى اربع مراتب ، وهذا ما يعطينا ، قال الحسن البصرى ان الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف (١) :

الاولى : ان يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذى لا فلاح لهيها ولا سعادة في معاشها ومعادها الا به ، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين .

الثانية : ان يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل اذا لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : ان يجاهدها على الدعوة اليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيئات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : ان يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله ، واذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله .

فاذا استكمل هذه المراتب الاربع صار من الربانيين ، فان السلف مجمعون على ان العالم لا يستحق ان يسمى رانيا حتى يعرف الحق ويمسك به ويعلمه ، فمن علم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء .

وقد قسم جهاد الشيطان الى مرتبتين :

أولاهما : جهاده على دفع ما يلحق العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الايمان .

الثانية : جهاده على دفع ما يلحق اليه من الارادات والشهوات .  
وجهاد الكفار والمنافقين اربع مراتب ، بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس . وجهاد الكفار اخص باليد ، والمنافقين اخص باللسان .  
وجهاد ارباب الظلم والبدع والمنكرات ، فعلى مراتب الحديث . (٢)

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٧٤ .

(٢) زاد المعاد ج ٢ ص ٤٢ - ٤٥ .

وقد وعد الله المجاهدين في سبيل الدعوة الى الله بالهداية الى  
الصراط المستقيم وان الله معهم في كل تصرفاتهم ( والذين جاهدوا فينا  
لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ) (١) .

قال ابن عثيمين ( هو مكة نزلت قبل فرض الجهاد العرفي ، وانما هو  
جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته ) وقال ابن عباس وابن ادهم ( هو  
في الذين يعملون بما يملون ) وقيل نزلت في العباد .

وقال ابوسليمان الداراني : ( ليس الجهاد في الاية قتال الكفار  
فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين ، وقمع الظالمين . . . والامر  
بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) . . . ) .

...

---

(١) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٧ ص ٥٠٨٠ - ٥٠٨١ - فتح القدير ج ٤ ص

٢١٢ - تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

الفصل الاول- تحمل الاذى -

اعلم بأن الاذى والسخرية والترص و . . . برسلى الله وأتباعهم  
 والناهجين نهجهم من بعدهم هو من طبيعة الدعوة الى الله سبحانه .  
 انك لا تكاد تجد رسولا او داعية سالمة قومه وتقبلوا ما يدعوهم بل يقابل  
 بالعكس ولكن للباطل صولة ثم يضمحل ( كذلك يضرب الله الحق والباطل  
 فأما الزبد فيذهب جفاً ، واما ما ينفخ الناس فيمكث فى الارض ) (١) ( انا لننصر  
 رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) (٢) . وقد  
 سبقت الاشارة الى بعض نماذج مما حدث بين بعض المرسلين واقوامهم  
 لاسيما الملائكة منهم وهذه سنة الله فى خلقه واستمرارها - خير شاهد - الذى  
 عصرنا الحاضر لن نتغير فلن تجد لسنة الله تبديلا ، وهانحن الان نستعرض  
 بعضا مما حصل بخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام رضوان  
 الله عليهم اجمعين ( سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنةنا  
 تحويلا ) (٣) .

وقد استمرت الدعوة فى مهدها ثلاث سنووات سرية كما سبق وذلك بتوجيه  
 من السماء . فلما انزل الله سبحانه - عليه قوله : ( فاصدع بما تؤمر )  
 امتثل امر ربه فجهر بالدعوة هو واصحابه فوقفت قريش منه موقف السخريسة  
 والاستهزاء حتى غاب الكهتهم وسفه أحلامهم وبين لهم ان ما هم عليه جهل  
 وضلال ، فجاهروه وصحبه بالعداوة وضموا على مخالفته عصبية وجهلا ،  
 لعجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة ، لجأوا الى اسلوب المفحم ، وهو  
 السباب والشتم والايذاء ، والتعذيب ، ومن هناك بدأ دور المحنة والبلاء  
 وكان دورا شاقا ، رغم حدب ابي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وقد اذى المؤمنون غاية الايذاء ، لاسيما العبيد والضعفاء . (٤)

( ١ ) سورة الرعد : ١٧ .

( ٢ ) سورة غافر : ٥١ - اى تشهد الملائكة للرسول بالبلاغ وعلى الكفار  
 بالتكذيب . جلالين .

( ٣ ) سورة الاسراء : ٧٧ .

( ٤ ) اقتباس بسيط من فقه السيرة للقرالى ص ١٠٦ - ١٠٧ ، البوطى ص ١٠٧  
 والسيرة لابي شهبه ج ١ ص ٢٩٨ .



وما أنا قادمون على تلك المرحلة الشاقة لنا أن نتساءل ؟  
 فهم هذا العذاب الذي لقيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه  
 وهم على الحق ؟ . ولماذا لم يعصمهم الله - سبحانه - منه وهم جنود  
 يدعون إلى دينه ويجاهدون في سبيله ؟

الجواب قد سبق وهو : هكذا طبيعة الدعوة إلى الله سنة الله في  
 خلقه وتأكيده لذلك : ليعلم الدعاة أن الطريق إلى الدعوة الصحيحة  
 ليست مفروشة بالورود بل مطوئة بالاشواك والمخاطر والتضحيات فعليهم  
 أن يستعدوا ولا يجتاز هذه العقبة الكأداء ، فلو شاء الله أن تكون مفروشة  
 بالورود لكانت كذلك ولكن حكمته خلاف هذا . ( ولو يشاء الله لانتصر منهم  
 ولكن ليلو بعضهم ببعض ) (١) .

والإنسان مكلف في الدنيا ، والدعوة إلى الإسلام والجهاد لأعلاء كلمة  
 الله من أهم مقملقات التكليف ومن لوازم العبودية لله تعالى إذ لا معنى لها  
 بدونه وهو يستلزم تحمل المشاق ، قال البيهقي : ( ومن أجل هذا كان  
 واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين : أولهما التمسك بالإسلام  
 وإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح . ثانيهما : سلوك السبل الشاقة إليه  
 واقتحام المخاطر ومذل المهج والمال من أجل تحقيق ذلك ) (٢) . قلت :  
 ولعله يريد بذلك غير العهد المكي وإذا كان كذلك فالوجهة سليمة  
 لأن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدأ - فور وصوله المدينة - ببناء المسجد  
 والمجتمع الإسلامي وسيرته صلى الله عليه وسلم تشير إلى ذلك بالفتوحات في  
 عهده وتبعه الخلفاء الراشدون وهذا لا يعنيننا الآن ، وإنما يعنيننا العهد  
 المكي الذي ظل المسلمون - في نظر مشركي مكة - عصاة ثائرين ورسولهم  
 ينادى بالجنون ( وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر أنك لجنون . لوما تأتينا  
 بالملائكة إن كنت من الصادقين ) (٣) ويرمى بالسحر والكذب ( وهبوا  
 أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . اجعل الإلهة الهما  
 واحدا إن هذا لشيء عجاب ) (٤)

(١) سورة محمد : ٤

(٢) فقه السيرة للبيهقي : ص ١٠٧

(٣) سورة الحجر : ٦ - ٧

(٤) سورة ص : ٤ - ٥

ويستقبل بنظرات ملتزمة ناقمة ( وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ) (١) ويستقبل المسلمون بالهزؤ والسخرية ( ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا وضحكون . واذا مروا بهم يمشوا مزمون ) (٢)

فانقلب هذا الى تشكيل وتعذيب وسفك دماء المستضعفين بل وصلت ويلاتهم الى بعض الاقوياء كابي بكر وسياتى ذلك ان شاء الله .

### — ميزان الاسلام :

فان قيل ما الحكمة من هذا الابتلاء ؟

فالجواب : ان هذا سنة ربانية - لا تتبدل ولا تختلف - من سنن الدعوة الى الله تعالى ، ان لو ترك الناس لدعوى الاسلام لاستوى الصادق والكاذب وفي عصرنا لكفت شهادة الميلاء ولكن هناك ميزان ، هو الفتنة والابتلاء ، مصداق ذلك قوله تعالى : ( ألم . أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللسنة الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) (٣) .

قال ابن جرير : ( ولقد اخترنا الذين من قبلهم من الامم ممن أرسلنا اليهم رسلنا فقالوا مثل ما قالته أمك<sup>(٤)</sup> يا محمد باعدائهم وتحكمتا اياهم من اذاهم كموسى ان أرسلناه الى بنى اسرائيل فابتليناهم بفرعون وملئهم وكهيسا ان أرسلناه الى بنى اسرائيل فابتلينا من اتبعه بمن تولوا عنه فكذلك ابتلينا اتباعك بمخالفك من اعدائك . (٥)

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآيات : ( ألم أحسب الناس استفهام انكار وقيل توبيخ وتقريع . ومعناه ان الله - سبحانه وتعالى - لا يسد

( ١ ) القلم : ٥١ - ٥٢ وهى من اوائل ما نزل .

( ٢ ) المطففين : ٢٩ - ٣٠ وهى مكية .

( ٣ ) العنكبوت : ١ - ٣ وهذه السورة مكية على خلاف فى بعض اياتها المذكور فيها الجهاد والنفاق ولكن الراجح مكيتها .

( ٤ ) يطلق القول احيانا ويراد به الفعل كحديث ( انما يكفك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بهما الارض . متفق عليه كما فى سبل السلام ج ١ ص ٩٥ .

( ٥ ) جامع البيان ج ٢٠ ص ١٢٨ .

أن يتلو عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحدِيث الصحيح : ( اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يتلو الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ) (١)

وهذه الايات كقوله تعالى : ( أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم اللّٰه الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) (٢) ومنه قوله تعالى : ( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ) (٣) . وكقوله تعالى ( أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهمم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللّٰه الا ان نصر الله قريب ) (٤)

ذكر الله ذلك تسلية للمؤمنين ليصبروا كما صبر من قبلهم من الامم فلا بد من الامتحان بأنواع التكليف مما يفعله اهل الكفر مع اهل الايمان وكما يفعله اهل المعاصي مع اهل الطاعات من ايقاع الاذى عليهم لاجل الايمان بالله والعمل بما أمر به (٥) .

(١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٧ ص ٧٨ - ٧٩ . وقال الترمذى

حديث حسن صحيح . مسند احمد ج ١ ص ١٧٢

(٢) سورة آل عمران - ١٤٢ . ذاك لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبطلوا

وير اللّٰه منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقارنة الاعضاء

تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٧٧ ، ج ٢ ص ١٨٠ بتصرف .

(٣) سورة محمد : ٣١ .

(٤) سورة البقرة : ٢١٤ .

(٥) انظر المصدر نفسه وفتح القدير ج ٤ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

( ملاحظة )

مثل اية ( ام حسبتم ) ذكر في عدة سور من القران في البقرة والتوبة

اية : ١٦ وفي سورة محمد . وقد اخذت عن تفسير ابن كثير من هنا

وهناك ليعلم ذلك .

وهكذا سنة الله في ابتلاء المؤمنين وتعميرهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين منذ الرسالات السابقة الى أن تقوم الساعة كما جاء في الحديث : عن خباب بن الارت رضي الله عنه - قال : ( شكونا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له : الا تستنصر لنا الا تدعوا الله لنا قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالميشار<sup>(١)</sup> فيوضع على راسه فيشقق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه . والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله او الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) ( ٢ )

مصدق ذلك اوائل سورة العنكبوت :

وقد رويت عدة احاديث في اسباب نزول صدر هذه السورة اورد هـ السيوطي في لباب الثقول والواحدى في اسباب النزول وابن جرير وغيرهم . ولكن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر .

قال ابن عطية : ( وهذه الآية وان كانت نزلت في سبب خاص فهي باقية في أمة محمد موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنة من الله باقية في شعور المسلمين بالاسر ونكايه العدو وغير ذلك واستحسنه القرطبي وقسره الشوكاني وغيره . وفيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له ان نوحنا لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليلا فأنت اولى بالصبر لقله لبثك وكثرة امتك . ( ٣ )

( ١ ) الميشار بالياء التحتية المهوزة ودونها والنون كما في فتح الباري ج ٧ ص ١٧٦ .

( ٢ ) البخاري ج ٢ ص ٢٨١ - ٣٢١ بالفاظ متقاربة .

( ٣ ) اسباب النزول ص ١٩٥ - لباب النقول ص ١٧٠ - تفسير ابن جرير ج ٢٠ ص ١٢٩ - تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥٠٤ واما بالنسبة للخلاف في صدر سورة العنكبوت فقد سبقت الاشارة الى ان الراجح مكيتها كما قال ابن جرير وابن كثير وسيد قطب وقال في الظلال : ج ٢٠ ص ٢٧١٨ .  
 ان الآية الثامنة نزلت في اسلام سعد بن ابي وقاص وما كان بينه وبين أمه سبب اسلامه كما في صحيح مسلم وغيره ( وقد سبق ذلك ) واسلامه كان في مكة قطعاً وعليه فيحمل ذكر الجهاد فيها جهاد النفس وكذلك ذكر النفاق فقد جاء بصدور تصوير حالة نموذج من الناس ومن قال هي ان سبب ما نزل في سعد واهله الآية الثامنة من العنكبوت هم المفسرون السابق ذكرهم والسيوطي والواحدى في المراجع السابقة نفسها .

وقال سيد قطب رحمة الله عليه :

( ان الايمان ليست كلمة تقال انما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أهلية . وجهاد يحتاج الى صبر فلا يكفي ان يقول الناس آمنا . وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيشتوا عليهم ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به

ان الايمان أمانة الله في ارضه لا يحطها الا من هم لها أهل ومهم على حطها قدرة وفي قلوبهم تجرد لها واخلاص ، والا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة وعلى الامن والسلامة والمتاع والاغراء . (١)

### - تنوع الفتن :

أنواع الفتن وأساليبها قد ذكر منها سيد قطب اشياء هامة في الظلال وهي مما ينبغي للدعاة اليوم معرفتها وسنذكر بعضا منها حيث قال :

١ - ومن الفتنة ان يتعرض الداعية للاذى من الباطل واهله ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه ولا المنعة لنفسه ولا القوة التي يواجه بها الطفيان . وهذه هي الصورة البارزة المعهودة في الدهن ولكن هناك صوراً شتى اعنف وقد تكون أدهى وأمر .

٢ - هناك فتنة الاهل والاحباء الذين يخشى عليهم ان يصيبهم الأذى بسببه . وهو لا يملك عنهم دفعا .

وقد يهتفون به ليسالم وليستسلم وينادونه باسم الحب والقرابة ، واتقوا الله في الرحم التي يعرضها للاذى والهلاك كما في قصة اسلام سعد بن ابي وقاص وما جرى بينه وبين امه . ( وقد سبق بيان ذلك ) . (٢)

٣ - وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاء بالمقيدة ( بدأ الاسلام غربيا وسيهود غربيا كما بدأ فطوح للغرباء ) (٣)

(١) في ظلال القرآن ج ٢٠ ص ٢٧٢٠ .

(٢) مسلم ج ١ ص ٩٠ - الدار ص ج ٢ ص ٢٢٠ عن ابي هريرة وابن عمر رضوا الله عنهما مرفوعا .

(٣) راجع ص ١٤١ من هذا البحث

- ٤ - وهناك الفتنة الكبرى : هي فتنة النفس ، والشهوة ، وجاذبية الارض والارضية والرغبة في المتاع والسلطان مع المعوقات والمشبطات في اعماق النفس وفي تصورات اهل الزمان .
- ٥ - فاذا طال الزمن وأبطأ نصر الله كانت الفتنة أشد وأقسى . وكان الابتلاء أشد واعنف ولم يثبت الا من عصم الله .
- وهؤلاء هم الذين يحققون في انفسهم حقيقة الايمان ، ويؤمنون على تلك الأمانة الكبرى أمانة السماء في الارض ، وأمانة الله في ضمير الانسان .
- وحاشا لله أن يمدب المؤمنين بالابتلاء وان يؤذيهم بالفتنة ولكنسه الاعداد الحقيقي لتحمل الامانة ، فهي في حاجة الى اعداد خاص لا يتسم الا بالمعاناة العطية للشساق ، والا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات أو بالصبر الحقيقي على الآلام ، أو بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه على الرغم من طول الفتنة ، وشدة الابتلاء . (١)

فعلى دعاة الاسلام أن يجعلوا نصب أعينهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( الا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة ) (٢) .

...

(١) انظر الظلال لسيد قطب ج ٢٠ ص ٢٧٢٠ - ٢٧٢١ .

(٢) انظر جامع الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٧ ص ١٤٦ - ١٤٧ ( حدِيث حسن غريب ) .

- نناج من تحطه صلى الله عليه وسلم أنى المشركين :

أ - من ذلك حديث عمرو بن العاص لما سأله عروة بن الزبير عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بغناء الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابوبكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال : أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . (١)

ب - والمرة الثانية قصة سلاء الجرور :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينا النبى - صلى الله عليه وسلم - ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة ابى ابى معيط بسلاء جرور فقتله على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم - فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - اللهم عليك الملائم من قريش أبا جهل وهشام وعتبة بن ربيعة وشيبة وأمىة بن خلف ( شعبة الشاذل ) فرايتهم قتلوا يوم بدر فاقوا فى بئر غير أمية أو أبى . (٢)

وفى رواية لمسلم : ( ثم دعا عليهم ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته وكانوا سبعة نفر منهم عقبة ابن ابى معيط ) . . . وفى رواية اخرى له : ( وفيهم أمية بن خلف ) (٣) ولم يشك الراوى قلت وهو الصواب لانه قتل يوم بدر وابى قتل يوم أحد (٤) ضربه النبى صلى الله عليه وسلم - ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل غيره .

(١) البخارى ج ٣ ص ١٨٣ وانظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٢١ - اى البخارى .

(٣) مسلم ج ٥ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) كما فى البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٤ - ونور اليقين ص ١٣٩ .

وما زال عقبة في مواصلة اعماله الجنونية فبصق في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - تلبية لرغبة صديقه ابي ابن خلف حينما بلغه أن عقبة جلس الى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسمع منه فقال وجهي ممن وجهك حرام ان أنت جلست اليه او سمعت منه ؛ اولم تات فتفضل في وجهه ففعل ذلك عدو الله فأنزل الله تعالى ؛ ( ويوم يحسف الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتني ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ) . (١)

وفي رواية ( ان عقبة دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى وليمة بطاسبية قدومه من سفر فأبى النبي أن يأكل الا ان يشهد عقبة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فشهد بذلك . . . (٢) ) الحديث .

قال ابن كثير ؛ ( وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن ابي معيط او غيره من الاشقياء فانها عامة في كل ظالم كما قال تعالى ؛ ( يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ) (٣) ، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ويعصى على يديه قاعلا ؛ ( يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ) ( يا ويلتني ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ) . (٤) وسواء في ذلك أمية بن خلف أو اخوه أبي أو غيرهما ) (٥) .

جاء وكان أبو جهل من اشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق ؛

( كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلو فلما سجد جاءه ابو جهل فوطى عنقه فأنزل الله تعالى ؛ ( رأيته الذي ينهى عبدا اذا صلى ) (٦) الى آخر السورة . .

(١) الفرقان ج ٢٧ - ٢٨ .

(٢) انظر السيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦١ - لباب التقول . ولم يذكر البصق ، ص ١٢٦ - روح المعاني ج ١٩ ص ١١ - السيرة النبوية ابو شهيبه ج ١ ص ٣٥١ .

(٣) الاحزاب ؛ ٦٦

(٤) الفرقان ؛ ٢٧ - ٢٨ يعني من صرفه عن الهدى الى طريق الضلالة .

(٥) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ١١٦ .

(٦) سورة الطلق ؛ ٩ .



وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والله لئن عاد لتأخذننه  
الزبانية فانتهى فلم يقدر (١) .  
وقد ذكر الوطأ على المنق الشريف : رءوف شلبي نقلا عن الحلبيّة  
وفتح الباري وزاد :  
( حتى كادت عيناه تبرزان ) وأسند ذلك الفعل الى عقبه ابن أبي  
معيط (٢) ولم أجد ذلك في الفتح .  
قلت : وهذا يتعارض مع رواية البخاري والترمذي وغيرهما من أن ابا جهل  
لم يقدر على تنفيذ خطته الاجرامية لما رأى من الهول .  
( قال ابن عباس : قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلو عند الكعبة  
لا طأن عنقه فبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : لو فعله  
لا أخذته الملائكة ) (٣) .  
وقد وقع عند البلاذري : ( نزل اثنا عشر ملكا من الزبانية رؤسهم فسو  
السما وأرجلهم في الارض ) .  
وأخرج النسائي عن ابي هريرة نحو حديث ابن عباس وزاد في اخره  
( فلم يفجأهم منه الا وهو اى ابو جهل ينكص على عقبه ويتقى بيده فقيسل  
له . فقال : ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقسا  
النبي صلى الله عليه وسلم - لو دنا لا ختطفته الملائكة عضوا عضوا . (٤)  
كما رواه مسلم عن ابي هريرة مطولا واحمد في مسنده من طريق المختصر  
عن ابيه وفيه ( لو دنا مني ) الحديث . (٥٠٠)  
ومع هذا فلا تقوى رواية ابن اسحق وما نقله رءوف شلبي عن السيبرة  
الحلبيّة من أن ابا جهل أو غيره وطأ عنق الرسول صلى الله عليه وسلم

( ١ ) السير والمغازي لابن اسحق ص ٢٣٠ .

( ٢ ) الدعوة الاسلامية لرءوف شلبي ص ٣٧٤ .

( ٣ ) البخاري ج ٣ ص ٢١٩ - الترمذي بتحفة الاحوذى وقال حسن صحيح  
ج ٩ ص ٢٧٩ .

( ٤ ) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٧٢٤ .

( ٥٠٠ ) مسلم ج ٨ ص ١٣٠ - المسند ج ٢ ص ٣٧٠ .

ناهيك أن النفي ثابت في كتب الحديث الصحيحة لاسيما البخاري بخلاف كتب السيرة فانها تحتاج الى تمحيص ودراية والقول ما قالت جذام (١).

فان قيل أن الشتم مقدم على النفي فيقال اذا تساوى في القوة ولا مساواة هنا والنفي بالبرهان مقدم على الاثبات بدونه . وان قيل : لم شديد الامر في حق ابي جهل ولم يقع مثله في حق عقبة ابن ابي معيط حيث طرح سلاء الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يعلس ؟ فالجواب : لانهما وان اشتركا في مطلق الازية حال صلاته لكن زاد ابو جهل بالتهديد ، ومدعوى اهل طاعته واراة وطأ العنق الشريف . وفي ذلك من الجالفة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك ولان سلاء الجزور لم تتحقق نجاسته وقد عوقب عقبة ومن شاركه في فعله فقتلوا يوم بدر . (٢)

حدِيث عائشة أم المؤمنين رضِيَ اللهُ عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ( هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم أحد ؟ قال : لقيت لقيت من قومك مالقيت وكان اشد مالقيت منهم يوم العقبة ان عرضت نفسي على ابن عبد البيل<sup>(٣)</sup> بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما أردت فاندلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب (٣) فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلمتني فنارت فاذا فيها جبريل فناد اني فقال بان الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناد اني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد فقال : ذلك فيما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ) .

(١) اي القول السديد المعتمد به وهو مثل يضرب في التصديق . مجمع

الا مثال ج ٢ ص ١٠٦

(٢) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٧٢٤ .

(٣) قرن الثعالب ميقات اهل نجد المعروف بقرن المنازل . حاشية صحيح

مسلم ج ٥ ص ١٨١ .

(٤) قوله ( ذلك ) مبتدأ خبره محذوف تقديره كما علمت او كما قال جبريل . وقوله

( ماشئت ) استفهام وجزاؤه مقدر أي ان شئت فعلت هكذا قال الحافظ في الفتح ج ٦ ص ٣١٦ وفي الهامش ما لفظه قال : مصحح طبعه بولاق لعسل فيه سقطا والاصل والله اعلم ( وقوله ماشئت استفهام وقوله ان شئت شرط ، وجزاؤه مقدر ) .

(٥) قال في مظنني الفقه ج ٢ ص ٢١٥ : هو من اهل الطائف من تصف

وفى مسلم : ( وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بأمرك فما شئت ؟ ان شئت  
أن أطبق عليهم الاخشبين . . ) (١)

ولم يكن سكوت النبي صلى الله عليه وسلم وتحمله أذى المشركين  
فى هذه المرحلة للدعوة عن خنوع او ذل ولكن سكوت خاضع لتخطيط  
دقيق وضعه قائد المسيرة محمد صلى الله عليه وسلم على ضوء الوحى  
الربانى الذى يشير اليه قوله تعالى : ( ألم تر الى الذين قيموا  
كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذافريق  
منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبست  
علينا القتال ) (٦) الاية .

وسياتى الكلام حول هذه الاية ان شاء الله فى بيعة العقبة الكبرى .  
انه سيقى متحتملا للاذى لا ييدى اية مقاومة حتى يصلب عوده ويستكمل  
قوته ويقيم دولته . وعندئذ يبدأ الصدام بقوة تمكنه من انتزاع النصر  
بفضل الله عز وجل .

وقد تم تنفيذ هذا المخطط بكثير من الحرص ولو ان اية مقاومة  
بدت من الرسول صلى الله عليه وسلم فى فجر الدعوة لكانت الشرارة  
الاولى التى تقع فى برميل البارود فتفجر الموقف تفجرا عنيقا ولن يكون  
ذلك فى صالح الداعية والدعوة نظرا لقله اصحابه وكثرة عسده  
وقوته . (٢)

هـ - وكان من أشد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم - عمنه  
أبولهب ، بل أشد عليه من الاباعد ان كان يرمى القدر على بابسه  
لانه كان جارا له وكانت تشاركه فى قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب  
بن امية ( حمالة الحطب ) ان كانت تحمل الشوك فتأرحه على طريق  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر . فأنزل الله - سبحانه -  
فيها (تبت يدا ابي لهب وتب ) الى آخر السورة . وحين سمعت  
مانزل فيها وفى زوجها من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) متفق عليه البخارى ج ٢ ص ٢١٤-٢١٥ ، مسلم ج ٥ ص ١٨١ .  
سورة النساء : ٧٧ .

(٢) التفسير السياسى للمسيرة محمد رواش قلعه ص ٥٢ .

وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه ابوبكر ، وفي يدهما  
 فهر (١) من حجارة ، فلما وقفت عليهما اخذ الله ببصرها عن رسول  
 الله فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر أين صاحبك فقد بلغنى أنه  
 يهجونى ، والله لو وجدتته لضربت بهذا الفهر فاه . أما والله انسى  
 لشاعرة ثم قالت : مذما عصينا ، وأمره ابينا ، ودينه قلينا . ثم  
 انصرفت . فقال ابوبكر يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال ما رأتنى  
 لقد أخذ الله ببصرها عنى . (٢)

و - وهينما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - يدعو الناس بأن يقولوا  
 لا اله الا الله ، كان يتبعه عمه ابولهب حيث ذهب يقول : أيها الناس  
 لا يخرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم انما يريد ان تتركوا عبادة السلات  
 والعزى وكان يسفون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - التراب . وفى  
 رواية فى سوق ندى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم الى الله . (٣)  
 وفى رواية ابن اسحق عن طارق قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم مرتين : رأيت بسوق ندى المجاز . . وعليه حلة حمراء فسميته  
 يقول : أيها الناس قولوا : لا اله الا الله فتلحوا ، ورجل يتبعه يرميه  
 بالحجارة وقد ادس كعبه وهو يقول : أيها الناس لا تطيعوا هذا  
 فانه كذاب . فقلت : من هذا ؟ فقبل هذا غلام من بنى عبدالمطلب  
 فقلت من هذا الذى يرميه بالحجارة ؟ فقبل : عمه ابولهب . . (٤)

ز - وفى يوم من الايام عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم - سفينة من  
 سفنها قريش فألقى عليه ترابا فرجع الى بيته فأنت احدى بناته تسمع  
 من وجهه التراب وتبكي فجعل يقول : أى بنية لا تبكىنى فان الله مانع  
 أباك . فلزم بيته واقل الخروج لان قريشاً نالت منه بعد وفاة عمه ابى  
 طالب وزوجه خديجة - رضى الله عنهما - ما لم تكن تتال ولا تطمع فيسه ،

- 
- ( ١ ) الفهر حجر على مقدار الكف . هاشم بن هشام ج ١ ص ٣٥٦ .  
 ( ٢ ) انظر السيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٦ - تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٥٣٦ - فتح  
 الباري ج ٨ ص ٧٣٨ .  
 ( ٣ ) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٤١ .  
 ( ٤ ) السير والمغازى ص ٢٣٢ لابن اسحق .

وسمى ذلك العام عام الحزن .

وكان من النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحكيم بن ابي العاص ، وهدي بن الحمراء ، والعاصي بن وايل والاخضري بن شريف والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وغيرهم . وابن الاصداء الهذلي وكانوا جيرانه عليه الصلاة والسلام . وثس الجوار .

وكما كانوا يطرحون عليه رحمة الشاة وهو يصلى كانوا يطرحونها في برمته اذا نصبت له فكان اذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقسف على بابه ثم يقول ؛ يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فسوى الطريق .

قال ابن كثير : ( وهدي ان غالب ماروى فى طرحهم السلام بين كنفية وهو يصلى وخنقهم له عليه الصلاة والسلام حين حال دونه أبوكسر وكذلك عزم ابي جهل - لعنه الله - على ان يطأ على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك كان بعد وفاة ابي طالب . والله أعلم . (١)

#### ح - الى الطائف : (٧)

بضع سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم - قضاها بين أهله وشيرته وبين سائر قريش يدعوهم الى عباد الله وحده وترك عبادة ما سواه فما كان منهم الا السخرية والعناد والجحود رغم شهرته صلى الله عليه وسلم بالصدق والامانة حتى لقبوه بالصادق الامين .

ولم يكتفوا بالتكذيب بل لجأوا الى اسلوب المنقطع عن الحجة وهو السب والشتم والاذى كما سبق ان ذكرنا بمعنى النماذج من ذلك .  
ومعد وفاة عمه ابي طالب الذى كان يدافع عنه ويحميه بتسخير الله ايماء ومعظم حكمته سبحانه وتعالى حيث كان دواعى حسنة له ولدعوته - عليه الصلاة والسلام - من الاعداء . ومعد وفاة زوجه خديجة ام المؤمنين

- 
- (١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٥ . السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٦٢ - ٤١٦ . نور اليقين للخضري ص ٤١ - ٤٤ .  
(٢) كان ذلك بعد الخروج من الشعب ومعد وفاة ابي طالب وخديجة ام المؤمنين رضى الله عنها وذلك فى اواخر السنة العاشرة من البعثة وسمى ذلك العام عام الحزن . انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ - فتوح البارى ج ٧ ص ١٩٤ . الحلبيه ج ٢ ص ٤٠ - ووضعت هنا لتسلسل النماذج .

رضى الله عنها التي واسته بنفسها ومالها وكانت توازره وتؤانسسه  
وتهون عليه أمر الناس .

لما كان ذلك اشتد عليه الحزن لفراقهما ولما نالت منه قريش ولم يستجب  
له الا القليل معظمهم من الضعفاء والعبيد ، وهم لا يستطيعون حمايته  
بل ولا حماية انفسهم والمسلمون انذاك ، وان كان فيهم من له القدرة  
على الدفاع عن نفسه او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن مانسيبة  
الشامة البيضاء في الثور الاسود ؟ بل ظروف الموقف لا تساعد على ذلك .  
لهذا خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف - قبيلة ثقيف  
ماشيا على قدميه ذهابا وايابا وحده . وقيل معه زيد بن حارثة يلتمس  
الفصرة والمنعة بهم من قومه حتى يبلغ رسالة ربه ، ولكن يخفف عن  
نفسه بعض الاحزان التي كان يحطها . فلما دعاهم الى الله تعالى ردوه  
- مع الاسف - ردا منكرا ، وأغلظوا له الجواب ومكث بضعة أيام يتسرد  
على منازلهم دون جدوى .

فلما يئس أو أيس (١) الرسول عليه الصلاة والسلام منهم قال : اذن فاكتموا  
عني كراهية ان يبلغ قريشا فتزداد عداوتهم وشمايتهم فلم يفعلوا . وأغروا  
عليه سفهاهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به يقفون في وجهه في الطريق  
يرمونهم بالحجارة حتى اذ موا عقبه - وزيد بن حارثة يحاول - عبثا الدفاع  
عنه حتى شج رأسه - بأبى هو وأمى - واضطروه الى ان يلجأ الى بستان  
لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وكانا فيه فصرا الا وياش عنه . (٢)

وهنا استوحش الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام - لذلك الحاضر  
المعير - وثابت (٣) الى نفسه ذكريات الايام التي عاناها مع مشركي قريش  
انه يجروا سلسلة ثقيلة من الماس ، توفي عمه الذي كان يحميه ،

(١) اليأس القنوط ضد الرجاء . ومنه قوله تعالى : ( ولا تياسوا من روح الله )

يوسف - ٨٧ .

ومعهم يقول : ايس مقلوب من يئس . اهـ . قاموس ج ٢ ص ٢٦٠ - مصباح

ج ١ ص ٣٨ .

(٢) اخلاط ووزال الناس . اهـ . اساس البلاغة ص ١٠٠٣

(٣) رجعت . اهـ . قاموس ج ١ ص ٤٢ .

وزوجه التي كانت تؤنسه وتشد أزره فهتف قائلاً :

( اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلمت الى بعيد يتجهمنى (١) ، ام الى عدو ملكته امرى . ان لم يكن بسك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هي اوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة ، ممن أن تنزل بى غضبك ، او يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ) .

فأرسل الله تعالى اليه ملك الجبال يستأمره ان يطبق الاخشبيين (٢) على أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أرجوان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً ) (٣) . وقد حصل على النبي صلى الله عليه وسلم اذى كثير لاستباح حصره قالوا ساحر كذاب . . مجنون شا عر كاهن . .

( ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واذوا حتى آتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبأ المرسلين ) (٤) . ان موكب الدعوة الى الله موغل فى القدم ضارب فى شعاب الزمن مساض فى الطريق اللاهب (٥) ماض فى الخط الواصب (٦) مستقيم الخطى ثابت الاقدام يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل ويقاومه التابعون ممن الضالين والمتبعون ، ويصيب الاذى من يصيب من الدعاة ، وتيسل الدماء وتتمزق الاشلاء والموكب فى طريقه لا ينحسنى ، ولا يئنسنى

(١) تجهمه استقبله بوجه كربه . قاموس ج ٤ ص ٩٢ - هامش السيرة ابن هشام

(٢) هما جبال مكة اللذان هي بينهما .

(٣) انظر السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠ - البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٥

- ١٣٦ - البخارى ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥ - مسلم ج ٥ ص ١٨١ ، فقه السيرة

للغزالي ص ١٣ - نور اليقين ص ٦٦ - ٦٧ - مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب

(٤) سورة الانعام : ٣٤ . ط . بيروت ٧٥ .

(٥) اللاهب : الواضح ا هـ . قاموس ج ١ ص ١٧٢ .

(٦) مفازة واصبة اي بعيدة المدى . ا هـ . الموجع نفسه .

(٥) ذكره ابن اسحق برون سند وادركه ابن كثير برون سند ايضا فى المرجعين السابقين ، و اشار الى مثل ذلك الحافظ فى الفتح ج ٦ ص ٧١ ، وكذلك رواه ابن جرير ٨٠١ - ٨١٠ من طريق ابن اسحق ، والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر ، قال الهيثمى (٢٥١٦) وفيه ابن اسحق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات . وهو كرم عليه الابواب الضعفاء نظر يخرج اعادته فقه السيرة للغزالي ص ١٣٤ ، ولكنى ارى ان السيرة تصح من خلال كلماته واسم اعلم .

ولا ينكص (١) ولا يحيد ، والمعاقبة هي المعاقبة مهما طال الزمن ، ومهما طال الطريق . ان نصر الله دائما في نهاية الطريق ( ولقد كذبت رسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوزوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبياء المرسلين ) . (٢)

كلمات يقولها الله سبحانه - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - للذكوري وللتسرية وللمواساة والتأسية . وهي ترسم للدعاة الى الله من بعض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طريقهم واضحا ودورهم محدد ، كما ترسم لهم متاع الطريق وعقباته ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله فسي نهاية الطريق ، انها تعلمهم ان سنة الله في الدورات واحدة ، كما انها كذلك وحدة لا تتجزأ دعوة تتلقاها الكثرة بالتكذيب وتتلقى أصحابها بالاذى وصبر من الدعاة على التكذيب ، وصبر كذلك على الاذى ، وسنة تجرى بالنصر في النهاية ، ولكنها تجيء في موعدها . لا يجعلها عن هذا الموعد أن الدعاة الابرياء الطيبين المخلصين يطلقون الأذى ، والتكذيب ولا ان المجرمين الضالين والمضلين يقدرون على اذى المخلصين ، ولا يجعلها كذلك عن موعدها ان صاحب الدعوة المخلص المتجرد من ذاته وشبهواته انما يرغب في هداية قومه حبا في هدايتهم ويأسى على ما هم فيه من ضلال وشقوة ، وعلى ما ينتظرهم من مسار وعذاب في الدنيا والاخرة .

لا يجعلها عن موعدها شيء من ذلك كله ، فان الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه ولا مبدل لكلماته سوا ما تعلقت هذه الكلمات بالنصر المحتوم ام تعلقت بالاجل المرسوم . (٣)

( فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يسوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ) (٤) .

(١) من باب قعد : والنكوص الاحكام عن الشيء . مصباح ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٢) سورة الانعام : ٣٤ .

(٣) في ظلال القرآن ج ٧ ص ١٠٧٧ - ١٠٧٨ .

(٤) سورة الاحقاف : ٣٥ .



توجيه يقال لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي احتمل ما لا يحتمل وعانى من قومه ما عانى وهو الذي نشأ يتيماً ، . وهو الذي لقي من اقاربه من المشركين اشد ما لاقى من الاعداء . وهو الذي خرج مسرراً يستنصر القبائل والافراد وحده وهو الذي يقابل بالسخرية والرجس بالحجارة حتى تدس قدماه الطاهران فما يزيد ان يتوجه الى ربه بذلك الابتهاال الخاشع النبيل .

وعد ذلك كله يحتاج الى توجيه ربه : ( فاصبر كما صبر اولو الصزم من الرسل ولا تستعجل لهم ) الا انه لطريق شاق طريق هذه الدعوة ومير . حتى لتحتاج نفس كنفس محمد صلى الله عليه وسلم في تجرد ها وانقطاعها للدعوة وفي ثباتها وصلابتها وفي صفاتها وشفافيتها . (١)

تحتاج الى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنطين وما هي الا حياة خاطفة ثم يلاقون المصير المحتوم ثم يلبثون في العذاب الدائم . (٢)

فعلى دعاة الاسلام ان يصبروا ويثبتوا ويتسلوا بما لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم من الازى والمتاعب ، ولا ييهولنهم قوى الطغيان فالعاقبة للمتقين وهو احدى الحسنين ، والله لا يخلف الميعاد ، فقد وعد المؤمنين بالاستخلاف في الارض ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليهدنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئاً ) (٣) .

فما حقيقة ذلك الايمان ؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف ؟

ان حقيقة الايمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستفسر في النشاط الانساني كله ، وتوجه النشاط الانساني كله ، فما تكاد تستقر في القلب

( ١ ) يقال توب شفيف اي رقيق وهو الذي يستشف ما وراءه . مصباح ج ١ ص ٣٤٠

( ٢ ) المصدر نفسه / الظلال / ج ٢٦ ص ٣٢٧٥ - ٣٢٧٦ .

( ٣ ) سورة النور : ٥٥ .

حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط. وناحية موجهة كله الى الله سبحانه - لا يبتغى به صاحبه الا وجه الله ، وهي طاعة لله ، واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة ، لا يبقى معها هوى في النفس ، ولا شهوة في القلب ، ولا ميل في الفطرة الا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله ، يتمثل هذا كله في قول الله تعالى : ( يعبدونني لا يشركون بي شيئا ) . - والشرك مداخل والوان ، والتوجه الى غير الله بمسائل وأشهر هولون من الوان الشرك بالله - ذلك الايمان منهج حياة كامل يتضمن كل ما أمر الله به ونهى عنه .

فما حقيقة الاستخلاف في الارض ؟

انها ليست مجرد الطك والقهر والغلبة والحكم . انما هي هذا كله على شرط استخدامه في الاصلاح والبناء ، وتحقيق الهدف الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه وتصل عن طريقه الى مستوى الكمال المقدر لها في الارض ، واللائق بخليفة أكرمها الله .

أما الذين يملكون فيفسدون في الارض وينشرون فيها البغى والجور ، وينحدرون بها الى مدارج الحيوان فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الارض انما هم مبتلون بما هم فيه او مبتلون بهم غيرهم ، ممن يسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله ، وهل هذا من الدين الذي يرضيه الله لهم ويتم تمكينه في قلوبهم في شيء ؟

وقد أنجز الله هذا الوعد ومكن النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون من بعده في الارض ، ودلهم بعد الخوف أمنا ، فقد كانوا يمسون ويصبحون في السلاح فلما أظهر الله النبي صلى الله عليه وسلم على جزيرة العرب وسائر الفتوحات أمنوا ووضعوا السلاح . وهكذا امن المسلمون في عهد الخليفة الثالث ووقفوا في وقوفهم فيه ، فأدخل الله عليهم الخوف ، فاتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغيرهم . (١)

(١) من الظلال بتصرف ج ١٨ ص ٢٥٢٨ - ٢٥٢٩ .

نماذج من فتنة الجيل الاول :

سبق أن ذكرت في مالمع هذا الفصل أن التبرص بالدعوة الاسلامية واصحابها هي سنة قديمة وقد مر بنا بعض ما تحمله النبي صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين في سبيل الدعوة الى الله سبحانه .  
والان نستعرض اوانلمح الى شيء ما حصل ببعض افراد الجيل الاول ، الذين بذلوا ارواحهم رخيصة في سبيل الدعوة الى الله سبحانه وتعالى .

فلقد كانت الفتنة عامة ، لم تقتصر على الرسول الداعية - صلى الله عليه عليه وسلم - وحده بل انتشرت الى الاتباع لان الفرع الرئيسي بل الوحيد في مخطط القوى المجابهة للدعوة هو القضاء عليها وعلى اصحابها فسعى مهدها قبل أن تمتد جذورها وتنمو أغصانها وتؤتى ثمارها ( وبأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ) (١) . فشلت قريش في مخطتها الاجراسي ضد الرسول صلى الله عليه وسلم - بشتى الوسائل ، ان منعه الله بعصمه أبى طالب ولم ينالوا منه - كما ذكرنا سابقا - حتى توفى عنه .

لما كان ذلك صممت قريش على فتنة الاتباع كما قال ابن اسحق : ( ثم انهم غدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم - من أصحابه فوثقت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والمطش ، ورمضاء مكة ، اذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم . فمنهم من يفتن من شدة الهلاك الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم ) وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ، ما يحذرون به فسوى في ترك دينهم ، فقال : نعم ، والله ان كانوا ليضربون احدهم ويجمعونه حتى ما يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضر الذي به ، حتى انه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا اللات والعزى الهك من دون الله ، فيقول : نعم ، كذلك الجمل (٢) . . . . .

(١) التوبة : ٣٢ .

(٢) السير والمغازي ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩٣ - السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ،

ص ٣١٧ - البداية ج ٣ ص ٤٩ .

أما من كانت له عشيرة تحميه فقد امتنع بعشيرته شيئا ما ، فهو وان حصل به شيء بالنسبة لمن لا عشيرة له ، فهو قليل كابي بكر الصديق رضي الله عنه ،

### ١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

هو أول السابقين الى الاسلام من الرجال ، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ، وفي سبيل الدعوة الى الله - عز وجل - والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرب اكثر من مرة ، ففى يوم من ايام الاسلام الاولى قام يدعو الناس الى الله والى رسوله بل قام خطيبا فكان أول خطيب في الاسلام ، فثار المشركون عليه ، فوطئ<sup>١</sup> وضرب ضربا شديدا وجعل عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين يحرفهما في وجهه حتى ما يصرف وجهه من أنفه وحملت بنو تميم ابا بكر وهم لا يشكون في موته وتكلم اخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسوا منه بالسنتهم وظلوه ، ودنت منه ام جميل<sup>(١)</sup> - وهى ممن اسلم - فسألها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالت هـذـه أمك تسمع قال : فلا شيء عليك منها ، فقالت : سالم صالح ، قال : فان لله على الا ان وقى طعاما واشرب شرابا او أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامهلنا حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكى<sup>(٢)</sup> عليهما حتى أن غلتاه على رسول الله عليه الصلاة والسلام - فرق له رقعة شديدة فدعا لامه ودعاها الى الاسلام فأسلمت . (٣)

وقد اخرج ابويعلی والبزار باسناد صحيح عن انس قال : ( لقد ضربوا رسول الله مرة حتى غشى عليه فقام ابوبكر فجعل ينادى ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ فتركوه واقبلوا على ابي بكر ) وهذا من مراسيل الصعابة وقد أخرجه ابويعلی باسناد حسن مطولا من حديث اسماء بنت ابي بكر ، وفيه

( ١ ) اختلف في اسمها فقيل فاطمة وقيل جويرة بنت المجلل من السابقات الى الاسلام ومن جمعت بين المهاجرتين الى الحبشة والمدينة وهذا احتراز من ام جميل امرأة ابي لهب . وانظر الاستيعاب مع الاصابة ج ١٣ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

( ٢ ) اى حتى أتى اوالى انما أتى ومنه قول الشاعر :

لا تسهلن الصعب او ادرك المنى . . . فما انقادت الا مال الالصابر

( ٣ ) انظر سيرة ابن كثير ج ١ ص ٤٣٩ - ٤٤١ . وقد رواه مطولا . قال عبد الله بن محمد فحدثني ابي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها ، وقد بحث هذا السند فوجدت ان محمد بن عمران =

( فأتى الصريح الى أبي بكر فخرج له عذائر اربع وهو يقول : ويلكم  
أثقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، فلهوا عنه واقبلوا الى أبي بكر ، فرجسج  
وهو لا يمس شيئا من عذائره الا رجع معه ولقصة أبي بكر هذه شاهد من حديث  
علي اخرج البزار ايضا . (١)

واورد ابن عبد البر هذه القصة في الاستيعاب من حديث اسماء ايضا بنحوه (٢) .  
وفي رواية ابن اسحق فرجع أبو بكر وقد صدعوا فرق رأسه . (٣)

## ٢ - عمار بن ياسر (٤) أبو البطان

هو من السابقين الاولين الى الاسلام هو وأبواه وكان المشركون  
يخرجونهم الى الابطح اذا حميت الرضا فيعذبونهم بحرهما ، فيمرهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم يعذبون فيقول : ( صبرا آل ياسر  
فان موعدكم الجنة ) (٥) .

( = صدوق كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ج ٢ ص ١٩٧ - والقاسم بن  
محمد بن أبي بكر الصديق احد الفقهاء السبعة واحد الاعلام . قال  
ابن سعد كان ثقة عالما فقيها اما ما كثير الحديث وقال أبو الزناد ما رايت  
اعلم بالسنة من القاسم بن محمد في فقهاء الامة . اهـ . خلاصة تذهيب  
تهذيب الكمال ج ٢ ص ٣٤٦ - الاستيعاب مع الاصابة ج ٦ ص ٣٧٧ -  
٣٧٩ ولم اعثر على شيء في عبد الله بن محمد .

(١) انظر فتح الباري ج ٧ ص ١٦٩ . وقد ذكر تعدد القصة بالفاظ منها  
ما ذكرناه .

(٢) الاستيعاب مع الاصابة ج ٦ ص ٣٧٧ - ٣٧٩ في ترجمة أبي بكر الصديق رضي  
الله عنه .

(٣) السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٩٠ ومجموع هذه الروايات يشجع القول  
بثبوت هذه القصة لاسيما وقد صرح الحافظ في الفتح بان اسناد روايتي

أبي يعلى والبزار صحيحان عن انس كما صرح ايضا بانه حسن في رواية  
أبي يعلى المطولة من حديث اسماء والله اعلم . ولعل ذلك كان من قوله في جوار ابن الرخنة او غيره .

(٤) كان همار مولى لبني مخزوم قتل في صفين مع علي بن أبي طالب .

(٥) حديث حسن صحيح رواه ابن اسحق في السيرة ص ١٩٢ . وابن كثير في

السيرة ج ١ ص ٤٩٤ . ووصله الحاكم والطبراني في الاوسط وقال الحاكم  
صحيح علي شرط مسلم ووافقه الذهبي . اهـ . باختصار حاشية فقه السيرة

للغزالي تخريج الالباني ص ١٠٧ .

فقد روي عليه  
بإسناده في جوار ابن الرخنة  
١٧٤ - ١٧٢ - ١٧٤  
البارك في ص ١٧١

فمات ياسر في العذاب .

واغلظت امرأته ( سمية ) القول لابي جهل فطعنها بحرية في موضع عفافها  
فماتت وهي أول شهيدة في الاسلام .

وشدد العذاب على عمار بالحر تارة ووضع الصخر على صدره تارة أخرى وكسان  
المشركون يقولون له : لانتركك حتى تسب محمدا او تقول في اللات والعزى  
خييرا . ففعل ، فتركوه . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بيكي ، فقَالَ  
ماوراءك ؟ قال : شر يارسول الله كان الامر كذا وكذا . . قال فكيف تجد  
قلبك ؟ قال : أجد مطمئنا بالايان . فقال : يا عمار ان عادوا فعد فأنزل  
الله تعالى ( الا من اكره وقلبه مطمئن بالايان ) ( ١ ) .

قال ابن كثير : ( فهو استثناء من كفر بلسانه ووافق المشركين بلغظه مكرها  
لما ناله من ضرب واذى وقلبه يابى ما يقول . وهو مطمئن بالايان بالله ورسوله .  
ولهذا اتفق العلماء على انه يجوز ان يوالى المكره على الكفر ابقا لمهجتهم  
وجوز له ان يستقتل ) ( ٢ )

وقال ابوشهبه : ( ولهج بمغزالناس بأن عمارا كافر ، ولكن رسول الله  
لا ينطق عن الهوى فقال : كلا ) ان عمارا ملئ ايمانا من مفرق رأسه الس  
اخض قد مبهه واخطط الايمان بلحمه ودمه ) ثم ذكر الآية . وكان فيهم  
اعذارا للمعذبين في الله بأن لا هرج عليهم ان جا روا الكفار بطرف اللسان  
مادام القلب عامرا بالايان رخصة لمن خاف على نفسه الهلاك ) ( ٣ ) .

وهو الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( ٤ )  
وفي سنن النسائي : ( ملئ عمارا ايمانا الى مشاشه ) ( ٥ )

( ١ ) النحل : ١٠٦ . قال الالباني في ثبوت هذا السياق ونظيره وعلته  
الارسال كذا في حاشية فقه السيرة ص ١٠٨ .

( ٢ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٥ وقال في السيرة : فهؤلاء كانوا  
معذورين لما حصل لهم من الاهانة والعذاب البليغ اجارنا الله مسن  
ذلك بحوله وقوته . ج ١ ص ٤٩٥ - اورد الاحاديث عن الطبري والبيهقي  
وسكت عن الحكم عليها .

( ٣ ) السيرة النبوية ابوشهبه ج ١ ص ٣٥٦ .

( ٤ ) البخاري من حديث الدرر ج ١ ص ٣٠٥ .

( ٥ ) سنن النسائي من حديث علي مرفوعا ج ١ ص ٥٢ - باب ( ١ ) والحاكم  
وقال الالباني وهذا اسناد صحيح رجاله ثقات . وانظر التفاصيل في  
سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني ج ٢ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ - المكتسب  
الاسلام .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى  
الجنة ويدعونهم إلى النار ) . من حديث ابن سميد عند البخاري .  
ولفظ مسلم : عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال لعمار تقتلك الفئة الباغية ) وفي لفظ : ( تقتل عمار الفئة  
الباغية ) . وفي سنن الترمذي بلفظ : ( أبشريا عمار تقتلك الفئة  
الباغية ) ( ١ ) .

### ٣ - بلال بن رباح : ( ٦ )

كان بلال صادق الاسلام ، ومن السابقين طاهر القلب . وكان  
أمية بن خلف يخرجها إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء  
مكة ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : ( لا والله )  
لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعيد اللات والعزى ، فيقول وهو  
في ذلك العذاب أحد أحد .

وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم ( سمعتني نعليك بيمين  
يدي في الجنة ) كما في الصحيحين . ( ٣ )  
فما من المستضعفين أحد الا وقد واتاهم على ما أرادوا الا بلالا ، فانه  
هانت عليه نفسه في الله فأخذه فأعطوه الودان يطوفون به في شعاب مكة  
وهو يقول : أحد أحد . ( ٤ )

- 
- ( ١ ) البخاري ج ١ ص ٨٩ ، مسلم ج ٨ ص ١٦٥ - ١٨٦ ، سنن الترمذي  
بتحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٣٠١ .  
( ٢ ) كان سيده أمية بن خلف ، واسم أمه حمامة ، فداه ابو بكر الصديق  
بغلام له فأعتقه .  
( ٣ ) البخاري ج ٢ ص ٣٠٦ ، مسلم ج ٧ ص ١٤٦ - بلفظ ( خشف  
نعليك ) .  
( ٤ ) السيرة النبوية - ابن كثير ج ١ ص ٤٩٢ - ٤٩٤ .

٤ - خباب بن الارت : (١)

هو من السابقين الى الاسلام ، المصدقين برسول الله صلى الله عليه  
 عليه وسلم ، عذب في الموجة العارمة التي شدتها قريش على المستضعفين .  
 وقد شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم - ما يلاقيه المسلمون من التعذيب  
 وطلب الدعاء بالنصرة كما في البخارى ( . . . . ) الا تستصر لنا ، الا تدعوا  
 الله لنا قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء  
 بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط  
 بأشاد الحديد ما دون لحمه من عظم او عصب وما يصده ذلك عن دينه  
 والله ليتعن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف  
 الا الله او الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ( ٢ ) .

آه قوم تحملوا كل هذا ليقى لهم ايمانهم في صدورهم وليواصلوا  
 هذا الايمان الحار الى أم الارض ولما وصل الايمان الى مسلم اليوم  
 مرويا بدماء الابرار ، باعوه للشيطان بأبخس الاثمان ، باعوه بالمفصص  
 الزائل ، والكلمة الجوفاء ، والمال الحقيق . . . . . بها لها من صفقة . . ( ٣ )

...

- 
- ( ١ ) كنيته أبوعبد الله أصابه سبي فبيع بمكة اشترته أم انمار اسلم قبيل  
 ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ، وقيل كان  
 سدس الاسلام اهد . صفوة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٤٧٧ ، تحقيق  
 محمود فاخوري خرج احاديثه محمد رواس قلعة الطبعة الاولى . حلب .  
 ( ٢ ) البخارى ج ٢ ص ٢٨١ - ٣٢١ - بالفاظ متقاربة ومواضع متعددة .  
 ( ٣ ) انظر التفسير السياسي للسيرة ص ٦٥ .



\* في ظلال النماذج :

هكذا سنة الله في عباده ، فلن تجد لسنة الله تبديلا حتى مع  
أنبيائه واصفيائه ، وأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما أذى الرسل  
من قبله .

ومن أجل ذلك أذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى  
مات منهم من مات ، تحت العذاب رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله  
- عز وجل - .

ومعلوم أن الحق لا يقوم بنفسه ، بل لابد من قائمين به ، ولا بد ممن  
تضحيات في سبيل اقامته ( والعصران الانسان لفوق خسر الا الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) . قال الشافعي :  
( لو ما أنزل الله حجة على خلقه الا هذه السورة لكفتمهم ) (١) وفي رواية  
( لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم ) . وقال صاحب الظلال :  
( والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي هذه : انه  
على امتداد الزمان في جميع الاعصار وامتداد الانسان في جميع الازهار  
ليس هنالك الا منهج واحد رابح وطريق واحد ناج . هو ذلك المنهج  
الذي ترسم السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه  
وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار . . . ) (٢) الى أن قال : والاستقامة على  
المنهج الذي يريده الله . فلا يكون الخير فلتة عارضة ولا نزوة طارئة  
ولا حادثة منقطعة . انما ينبعث عن دافع ويتجه الى هدف ويتعاون عليه  
الافراد المرتبطون في الله ، فتقوم الجماعة المسلمة ذات الهدف الواحد الواضح  
والراية الواحدة المتميزة ، كما تتضامن الاجيال المتعاقبة الموصولة بهذا  
الجيل المتين . . .

والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للايمان ، والحركة الذاتية التي  
تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الايمان في القلب .

(١) اصول الدين الاسلامي ص ٣ لمحمد بن سليمان التميمي بدون ذكر

للطبعة تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤٦٩ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٣٩٦٤ .

فالايمان حقيقة ايجابية متحركة ، ما ان تستقر في الضمير حتى تسمى بذاتها الى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح . هذا هو الايمان الذي لا يمكن ان يظل خامدا ، كما لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن فان لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف او ميت ، شأنه شأن الزهرة لا تسك اريجها ، فهو ينبعث منها انبعاثا طبيعيا والا فهو غير موجود .

فقيمة الايمان حركة وعمل و بناء ، وتعمير يتجه الى الله ، ليس انكماشاً وسلبية وانزواءً في مكونات الضمير ، وليس مجرد النوايا الطيبة التي لا تتمثل في حركة تجعل منه قوة بناء كبرى في صميم الحياة . أما التواصل بالحق والتواصل بالصبر ، فتبرز من خلالها صورة الامة المسلمة - او الجماعة المسلمة - ذات الكيان الخاص ، والرابطة المميزة ، والوجهة الموعودة ، الجماعة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها والتي تعرف حقيقة ماهي مقدمة عليه من الايمان والعمل الصالح الذي يشمل فيما يشمل قيادة البشرية في طريق الايمان والعمل الصالح ، فتتواصل فيما بينها بما يعينها على النهوض بالامانة الكبرى . (١)

فانما ما أدركت طبيعة العذاب الذي يلقاه الداعية المسلم في طريقه الى الدعوة الى الله والى اقامة المجتمع الاسلامي ، علمت أنه ليس في حقيقته عقبات أو سدوداً تصد السالك أو المجاهد عن بلوغ الغاية - كما يتوهم البعض - بل هو سلوك في الطريق الطبيعي الذي خطه الله - تعالى - بين المسلم والغفلة التي أمره بالمسير اليها . فبمقدار ما يجد الداعية مسن المشقة يجد الغاية ، وهي احدى الحسنين .

ان فلان ينفي للداعية أن يتوهم اليأس اذا ما عانى شيئاً من ذلك ، بل العكس هو الأمر المنسجم مع طبيعة الدعوة ( أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ) (٢)

(١) انظر في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٣٩٦٤ - ٣٩٦٧ - وفيه كلام قيم لا يستغنى عنه الداعية المسلم ولم اقتبس منه الا اليسير والله المستعان ، وفيه ان الرجلين من الصحابة كانا اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الاخر سورة ( والعصر ) ثم يسلم احدهما على الاخر ومثله في تفسير

ابن كثير ج ٨ ص ٤٦٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٤ .

فان كنت لاتزال تتعجب من العذاب والاذى ، وتستغرب أن ترى ذلك في سبيل الله - عز وجل - فنحن لانزال نؤكد لك ان هذا هو السبيل وتلك هي سنة الله في عباده الذين آمنوا به مشط الكثير منهم بأشراط الحديد ، واحرقوا الكثير منهم بالنار في الاغادي . (١)

وان كنت أيضا ماتزال ترى في العذاب دلائل اليأس والقنوط ممن النصر فلا تزال نؤكد لك انك واهم ، بل الحق هو ان تجد في العذاب والالم سيرا في الطريق ودنوا من النصر ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) (٢) ، انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) (٣) ولا يحصل نصر الله - عز وجل - للمؤمنين الا بشرط نصرهم دينه ، واعلاء كلمته ( يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) (٤)

وقد سبق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لخباب بن الارت فسو أهرج الظروف ( وسينصرن الله هذا الدين حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) (٥) . وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم ، أصحابه بأن الله سيفتح لهم فارس والروم ، فلنهم تفتح الا بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - ؟ ومن مقتضى فضيل رسول الله عند ربه ومدى محبة الله - عز وجل - له أن تفتح في حياته بدلا من ان يسجل التاريخ فتحها بقيادة أحد أتباعه ؟

الجواب : أن النصر مرتبط بالسنن الالهية الكونية الازلية منها والشرعية الامرية ولا بد قبل النصر من دفع الثمن كاملا ، ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم موجودا ، فليست المسألة ربط الفتوحات باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا بد أن يبرهن المسلمون على صدقهم فسو الجايعة يوم أن وقعوا بالقبول في قوله تعالى : ( ان الله اشترى ممن المؤمنین أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ) (٦) الآية .

( ١ ) مستفاد من فقه السيرة للبطي ص ٩٠ - ١٠١ ، مع الله للخزالي ٤٠٤ - ١٠٥٠

( ٢ ) سورة الروم : ٤٧ .

( ٣ ) سورة غافر : ٥١ .

( ٤ ) سورة محمد : ٧ .

( ٥ ) البخاري ج ٢ ص ٢٨١ .

( ٦ ) سورة التوبة : ١١١ .

فالمثابرة على الدعوة ، والاستمانة على وعناء الطريق بطول الصبر ،  
وحسن التأسي برسول الله وصدق الاعتماد على الله ، وتفاني الداعية  
نفسه في حقيقة رسالته هو طريق النجاح . ومحاولة الافلات من هذه السنة  
العامة لا يفتح لأحد .

واسمع الى يوسف وهو يقول لاخوته ، بعد ان كابد المشاق واجتازها  
بنجاح ( انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ) (١) .

فكأن الآية تشير الى أن الفرد المتصف بالصبر والتقوى يستحق وصف  
الاحسان ومع هذا فلا بد ان يدركه التوفيق ، وتلخصه عناية الله ، وينجح  
في حياته ( ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) (٢) .

وكما تصدق هذه السنة في حياة الافراد تصدق في حياة الجماعات  
فان لا ملام لا ترزق التمكين في الارض الا اذا مرت بادوار من العمل المضمنى  
والجهاد الشاق وصبرت على تكاليف الرسالات التي تحطها والتقدم الذي  
تشده .

وقد أوضح القرآن السرف في تسويد الاقدمين من بنى اسرائيل  
( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) (٣) .  
وهذه السنة عريقة ومستمرة بوعده الله للمؤمنين العاطلين المخلصين - السى  
أن يرث الله الارض ومن عليها ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعطوا الصالحات  
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم د ينهم  
الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون  
بى شيئاً ) (٤) .

فالصبر الطويل واليقين الراسخ هما عدة الامامة في الارض والصدارة  
بين الناس ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين )  
(٥)

( ١ ) سورة يوسف : - ٩٠ .

( ٢ ) سورة النحل : ١٢٨ .

( ٣ ) سورة السجدة : ٢٤ .

( ٤ ) سورة النور : ٥٥ .

( ٥ ) سورة العنكبوت : ٦٩ .

هؤلاء لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع ايمانهم ولن ينسى  
جهادهم . انه سينظر اليهم بل الى جهادهم من عليائه فيهدى بهم  
وسينظر الى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم وسينظر الى صبرهم  
واحسانهم فيجازيهم خير الجزاء . (١)

فعلى دعاة الاسلام دعاة عصرنا الحاضر أن يعتبروا ، فالمسئولية  
ليست هينة ، ولكنها يسيرة على من يسر الله عليه بل مستعذبة عند  
المخلصين ، ويتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في القول والعمل  
ويتشملوا بما حصل عليه وأصحابه من المشاق في سبيل تبليغ الدعوة التي  
الله . ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله  
واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . ) (٢) .

...

---

( ١ ) انظر فتح القدير ج ٣ ص ٧٥ - في ظلال القرآن ج ٢١ ص ٢٧٥٢ -  
مع الله للقرآني ص ٨٤ - ٨٦ - فقه السيرة للبطوني ص ١١٠ - ١١١ ،  
مع تصرف بسيط .  
( ٢ ) سورة الاحزاب : ٢١ .

(( الفصل الثاني ))

مواجهة الخصوم

وفيه ثلاثة محاضرات :

- ( ١ ) مفاوضة قريش الفاشلة .
- ( ٢ ) الهجرة الى الحبشة .
- ( ٣ ) المقاطعة العامة .

اهلم أن مواجهة الناس بالحق ، والقيام على أمره من أهم الخصال التي يحيا بها الدعوة الى الله - سبحانه - وفي مقدمتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتعتبر سنة لازمة لسلوكلهم ، بل جزءاً خطيراً من كيانهم فهم - على بعض الشقة بينهم وبين الضائقين بهم وطول الخلاف - يظلون ثابتين على دعواتهم يشرحون اصولها بدقة ويبينون حدودها بأمانة ولا يتلون الحق في رسالاتهم لرغبة أو رهبة انهم اوفرا احلاما واقوى اركاننا من ان يستخفهم مستهزى يحاول النيل منهم .

ولقد استمع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - نداء المشركين الساخر حين قالوا ( يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون . لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ) (١) فما تحرك من جانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - شعور قلق ( واذا راوك ان يتخذونك الالهزوا هذا الذي بعث الله رسولا . ان كان ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها ) (٢) الائمة . وهذا اعتراف من مشركى مكة بأنه - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى التوحيد واطهار المعجزات ، واقامة الحجج ، والبيانات ما شارفوا به ان يتركوا دينهم لولا فرط لجابهم وغاية عنادهم فهل يتنافى هذا مع استحقاقهم واستهزائهم السابق ؟

يحتمل انه لا مضافة كما يحتمل ان كلامهم قد تنافى لاضطرابهم وتحيرهم فان الاستفهام دال على الاستحقاق . والاية الثانية تدل على كمال حجته وعقله عليه الصلاة والسلام . ففيما قصه الله - سبحانه - عنهم تحقيق لهم وتجهيل لاستهزائهم بما استعظموه . (٣)

قلت : ولقائل ان يقول : ان هذا من باب التيجح (٤) بالتمادى ففى الباطل وذلك رذيلة كما ان الرجوع الى الحق فضيلة . والله أعلم .

(١) سورة الحجر : ٦ - ٧ .

(٢) سورة الفرقان : ٤١ - ٤٢ .

(٣) انظر روح المعاني للالوسى ج ١٩ ص ٢٢ - مع الله - للغزالي ص ٨٠ .

(٤) البجح الفرع . اهـ . قاموس ج ١ ص ٢١٤ .

شرف الداعية المسلم ونزاهته :

ان الداعية يعيش في الحق الذي شرفه الله به ، مثلما يعيش الناس في انوار الضهوة الكبرى فهو باشعتها يهتدي ، وعلى ضوءها يسير ، ومن ثم فمن المستحيل ان يخشى عرفا سائدا او تقاليد مقررة اذا كان هذا وذاك ضد ما يصرف من حق .

ومن المستحيل ان يتلق الجاهير او يطلب رضاها ، كيف وهو يري العامة مرضى ، وفي يده شفاؤهم . ومن المستحيل ان يتهدب في ذات الله بطش ذي سلطان ، فهو يعامل ربه قبل ان يعامل عباده ايا كانوا ( والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله أو اموت دونه ما تركته ) (١)

وهو يوقن بأن الحياة والموت والرزق والاجل والخفض والرفع والا من والقلق ترجع حتما الى مالك الملك جل شأنه ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بي يدك الخير انك على كل شيء قدير ) (٢) .

وكان من الممكن ان تعرض الدعوة على الناقمين والكارهين باسلوب كلييل الحد يهادن الشهوات ويسالم الشرك والخرافات الى حين . . . ولكن

انطاع

(١) السيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦ : وس طريقا ابن جرير عن يعقوب بن عتبة ويعقوب لم يدرك احدا من الصحابة فهو من التابعين فهذا اسناد مفضل . قال الالباني : ضعيف كذا في تخريج احاديث فقه السيرة للغزالي ص ١١٤ ، قلت : لا يضر الحكم عليه بالضعف فان اصول الكتاب والسنة تؤيد هـ اي في صدور الحق واتباعه امام الباطل واحزابه من ذلك قوله تعالى ( فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ) ٩٤ من سورة الحجر . وقوله تعالى ( يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فمما بلفت رسالته ) المائدة ٦٧ . واعظما ارسل به صلى الله عليه وسلم الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك . وهذه الكلمة الحاسمة قالها صلى الله عليه وسلم في معرض المساومة بالكف عن سب الالهة فكانت الجواب الحاسم والكلمة الخالدة ابد الدهر ( فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم ) اية ١٥ من سورة الشورى . وقد سكت عنه ابن كثير والله اعلم .

(٢) سورة آل عمران : ٢٦



الله - سبحانه - لم يرض هذا الأسلوب فقال : ( فلا تطع المكذبين . ود والو  
تدهن فيدهنون ) (١) ليس في العقيدة مساومة ولا حلول نصفية ، فلا يلتقى  
الاسلام والجاهلية في منتصف الطريق ولو جازت المساومة - ولكنها مستحيلة -  
في الرسالة السماوية ، لجازت في اخرج الظروف والمواقف العصبية فسق  
مكة حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه القلائل يتخطفون ، ويعذبون  
ويؤذون في الله أشد الايذاء ، وهم صابرون . ولم يسكت عن كلمة واحدة  
ينبذ أن تقال في وجوه الاقوياء المتجبرين تاليفا لقلوبهم ، بل مضى - صلى  
الله عليه وسلم - مظهرا لأمر الله لا يرد عنه شيء . (٢)

وهذا لا يتنافى مع أسلوب الحكمة - فاللين في موضعه والشدّة في موضعها  
من الحكمة .

### ١ - مفاوضات فاشلة :

وقد ذكرنا فيما مضى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما صدع  
بالدعوة كما أمره الله ، لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه حتى عاب آلهتهم وسفاهة  
احلامهم وضلل آباءهم لما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا على خلافه  
وهداوتهم الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليل .

وحدث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمه أبوطالب ، ومنعه  
وقام دونه ، ومضى صلى الله عليه وسلم مظهرا دعوته لا يرد عنه شيء ، وكان  
مشركو قريش يعلمون أن ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - حق ، ولكن  
العناد والجمود والجمود على تقليد الآباء والاجداد حطهم على التكذيب  
( قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات  
الله يجحدون ) (٣) .

(١) القلم : ٨ - ١٠ ، والادهان هو الملاينة والسامحة والمدارات وهي  
اظهار خلاف ما في الضمير . وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام  
عن ذلك مع المشركين لانهم كانوا يدعون الى دين آباءهم . او هو  
تصريحه عن ان يطيع الكفار . اهـ . فتح القدير ج ٥ ، ص

٢٦٨ .

(٢) انظر الظلال ج ٢٩ ص ٣٦٥٨ - ٣٦٥٩ - مع الله ص ٨٠ - ٨١ بتصرف .

(٣) سورة الانعام : ٣٣ .

فلما رأَت كفار قريش أن أذيتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطشهم بالمستضعفين من أصحابه لاجدوى لها ، بل كان المسلمون يتزايدون ، ويصمدون صمود الجبال الراسية أمام السخرية والتعذيب وغير ذلك بدافع قوى من الاعناق ، ناتج عن رسوخ العقيدة الصحيحة التي تلقوها من الرسول صلى الله عليه وسلم وان ما عليه اعداؤهم هو الباطل لما رأَت كفار قريش ذلك لجأوا الى أسلوب آخر يجمع بين الترغيب والترهيب .

- الجلسة الاولى من المفاوضة مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

لما رأَت كفار قريش أن أسلوب السخرية والتعذيب أسلوب فاشل ، سلكوا منهج المفاوضة باللين تارة والشدّة أخرى ، فأستأذن عتبة بن ربيعة الملاً من مشركى قريش ان يعرض على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمورا لعله يقبل بعضها ، ويكف عنهم ، فأتاه فقال له : ( يا ابن اخى انك مننا حيث قد علمت من السطة (١) فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ود ينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى اعرض عليك امورا تتظنر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قل يا أبا الوليد أسمع . .

قال : يا بن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به فى هذا الامر مسالا ، جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا . وان كنت تريد به شرفا سود نساك علينا ، حتى لا نقطع أمرا د ونك . وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رعيًا (٢) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ومذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فلما فرغ من كلامه تلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم - صدر سورة

فصلت الى السجدة منها (٣) وفي رواية (٤) قوله تعالى: (فان اعروها فقل انذرتمكم ما عاقبه كل ما عاقبه عاد وثمود) فقال عتبة: حسبك، وفي رواية اخرى فاسأل عن فيه وناشده بالرحم... (٤)

- (١) أى الشرف . هامش السيرة ج ١ ص ٢٩٣ .
- (٢) ما يترعى للانسان من الجن . اهـ . المصدر نفسه .
- (٣) السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ . قال الالبانى فى تخریج أحاديث فقه السيرة للبخارى وسنده حسن ان شاء الله ص ١١٣ .
- (٤) ارزده ابن كثير فى تفسيره مطولا عن طريق ج ٧ ص ١٥١ - ١٥٢ .

- المرة الثانية مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفي المرة الثانية اجتمع أشرف المشركين حول الكعبة ، وقرروا ما يلي :

( قالوا نرسل الى محمد لنعرض عليه من الدنيا ما يشاء ونرسل الى عمه السدي يحميه ، نحذره عاقبة هذا التأييد ليكم هو الآخر محمداً أن يسكت ، فلا يجسر المتاعب على نفسه ووليه ، فأرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم فأتاهم ، وهـو يظن أن قد بد الهم فيما كلمهم فيه بدأه (١) ، وكان حريصاً يحب رشدهم ويمز عليه عنتهم فقالوا كالمقالة التي قالها عتبة ، فقال صلى الله عليه وسلم :

( ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتمكم به اطلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الطك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر لا مر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . (٢) ..

الام تهدف هذه الكلمات . . . ؟

اذا تأملت هذه الكلمات الشاملة لمعنى الرسالة ، ( في عهد ها الاول ) تجدها تشير الى أنها لا تهدف الى مال أو جاه ، ولكنها تريد أن تنتشل الناس من حمأة الشرك والرنذيلة ، الى قمة التوحيد والفضيلة ، فهذه الدعوة لا تسلب عن أحد حقه ، ولا تعطيه غير حقه .

فلم يسألهم صلى الله عليه وسلم شيئا من اموالهم ، سنة الانبياء من قبله ، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام ( وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ) . (٣)

وكذلك عن صالح وشعيب وغيرهما . . . وقال تعالى : عن محمد عليه الصلاة والسلام ( قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين ) (٤) وقال تعالى : ( قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد (٥) . . . وغير ذلك من الآيات . . .

( ١ ) اي ظهر لهم امر كان خفيا .

( ٢ ) السير والمغازي ص ١٩٧ - ١٩٨ ، ابن هشام ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

البداية ج ٣ ص ٦٣ . فقه السيرة للفضالي ص ١١٢ - ١١٣ .

( ٣ ) الشعراء : ١٠٩ .

( ٤ ) سورة ص : ٨٦ .

( ٥ ) سورة سبأ : ٤٧ .

ومن فرط جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة فرفض ذلك ، فأنزل الله : ( قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ) الى آخر السورة وفي رواية لابن أبي حاتم : فقالوا يا محمد فلتعبد ما نعبد ، ونعبد ما تعبد ولنشترك نحن واثت في أمرنا كله . فأنزل الله ( قل يا أيها الكافرون ) الى آخر السورة .

ان التوحيد منهج والشرك منهج آخر ، ولا يلتقيان . فالتوحيد منهج يتجه بالانسان الى الله وحده لا شريك له ، ويحدد الجهة التي يطلق منها الانسان عقيدته وشريعته ، وقيمه وموازينه ، وأخلاقه ، وتصوراته كلها عن الحياة ، هذه الجهة هي الله وحده لا شريك له . . . ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس .

وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية والمدعويين ، براءة كاطة ومفاصلة تامة ( لكم دينكم ولي دين ) (١) .

وما أروع الداعين الى الاسلام اليوم الى هذه البراءة وهذه المفاصلة صخير ذلك سيقى الغيش والمداهنة . . . و . . . و . . .

والدعوة الى الاسلام لا تقوم على ذلك انها لا تقوم الا على الحسب والصراحة كالدعوة اليه اول ما كان . (٢)

ولما فشلت سادات الشرك في المفاوضة او المساومة مع النبي صلى الله عليه وسلم في صده عن الدعوة الى الله - سبحانه - لجأوا الى أسلوب المفاوضة مع عمه ابي طالب لانه الذي يحميه .

- وفد قريش الى ابي طالب ؛

أبرمت كفار قريش خطة أخرى فمشوا الى ابي طالب ثلاث مرات

( ١ ) يقال لكم دينكم الكفر ولي ديني الاسلام . اهـ . جلالين البخاري ج ٢ ص ٢٤٤

( ٢ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٥٢٧ - لبان النقول ص ٢٤٤ - في ظلال

القران ج ٣٠ ص ٣٩٩٢ - ٣٩٩٣ .

- المرة الاولى : قالوا : يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهمتنا  
وعاب ديننا وسفه احلامنا . . . وذلل آباءنا ، فاما ان تكفه عنا واما ان تغلبي  
بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفك ، فقال لهم  
أبو طالب قولا رفيقا ، ووردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه .

- المرة الثانية : وقد أخذت الدعوة في النماء بتزايد المسلمين وفسي  
ذلك خطر يهدد مصالح المشركين وسلطانهم فقاموا بمظاهرة حادة قائلين  
لابي طالب : ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن  
أخيك فلم تنبه عنا وانا والله لانصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه احلامنا  
وهيب آلهمتنا حتى تكفه عنا او ننازله وياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

انها لمظاهرة حادة . . . قذفوا ذلك الهتاف المعادي للدعوة الاسلامية

في شدة من الغضب ان لم يسمعوا جوابا من ابي طالب وصار بين أمرين :  
أ - عز عليه فراق قومه وعداوتهم .

ب - لم تطب نفسه بخذلان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا اسلامه لهم .

فأراد ان يهديء الموقف . . . فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال له : يا بن أخي ان قومك قد جاءوني وقالوا لي كذا وكذا . . . فابق على وعلى  
نفسك ولا تهولني من الامر ما لا أطيقه . . . فظن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - انه قد بدا لعمه فيه بداءة (١) . . . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم  
- حدد موقفه الحازم تنفيذا لأمر الله - سبحانه - : ( فاصدع بما تؤمر واعرض  
عن المشركين انا كفيناك المستهزئين ) (٢) ولقوله تعالى : ( فلذلك فادع  
واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ) (٣) .

هذا الموقف الحازم مثلا في قوله صلى الله عليه وسلم : ( ياعم x

( ١ ) اي ظهر له رأى بعد ما خفى . اهـ . هامش السيرة - ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦  
- اي ضعف عن نصرته .

( ٢ ) سورة الحجر : ٩٤ - ٩٥ .

( ٣ ) الشورى : ١٥ - اي استقم على تبليغ الرسالة . والاشارة الى ما وصى به  
الانبياء من التوحيد . اهـ . فتح القدير ج ٤ ص ٥٣١ .

والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري (١) على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته . . ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى ثم قام ، فلما ولوا ناداه ابوطالب فقال : أقبيل يا ابن أخي ، فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ان هب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا (٧) .

انه الجواب الحاسم انطلق من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم بركان تفجر فاذا الجبال الشم تكاد ان تكون كثبانا ، وانا الانسان المتعالي المتعظم يتلاشى في صفحة الوجود ، فالنفس المؤمنة الكبيسة لا تقبل المساومة على المبدأ ، انها به تعيش ومن أجله تموت . . تلك هي نفس محمد صلى الله عليه وسلم . (٣)

- المرة الثالثة : مفاوضة الجنون : لما عرفت سادات الشرك أن أباطالب قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه لهم وجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا اليه بحطارة ابن الوليد ابن المخيرة ، فقالوا له : ( يا أبا طالب ، هذا عمارة ابن الوليد ، أنهيد (٤) فتى في قريش ، واجمله فخذة لك عقله ونصره واتخذه ولدا ، فهو لك واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ونسرق جماعة قومك ، وسفه أهلهم فنقتله ، فانما هو رجل برجل ؟ !! فقال : والله لبئس ما تسومونني (٥) أعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه ؟ ! هذا والله ما لا يكون أبدا ) .

- 
- ( ١ ) خص الشمس باليمين لانها الاية المبصرة والقمر بالشمال لانه الاية المصحوة كذا قال السهيلي كما في هاشية السيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦ . ولعله يشير الى قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ١٢ من سورة الاسراء .
- ( ٢ ) السيرة - ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦ - البداية ج ٣ ص ٤٢ - ٤٨ ، وقد أورده ابن كثير في موضعين فيها وسكت عن الحكم عليه ومن عادته يبين درجة الحديث وقد سبق تضعيف الالباني له والكلام على ذلك .
- ( ٣ ) التفسير السياسي للسيرة ص ٤٧ .
- ( ٤ ) أنهيد : أشد واقوى . واصل هذه الكلمة التقدم يقال نهيد شدي الجارية اذا برز قدما اهد . هامش السيرة ج ١ ص ٢٦٧ .
- ( ٥ ) تسومونني : تكلفونني . المصدر نفسه .

ان هذا لهو ضرب من مفاوضات الجنون ولا غرابة في ذلك لان نار الحسد والعداوة أكلت أكيادهم ، حتى فقدوا صوابهم ، ولنولا ذلك فقد ان لما عرضوا هذا العرض الذي تأباه حتى سخاف العقول ، كيف يحقل ان يسلم ابوطالب ابن أخيه الى المشركين أعداءه ليقتلوه مقابل الاحتفاظ بحياة ابنهم وتفذيته . . ومع هذا مازالوا مصرين أنهم أنصفوا أبا طالب ان قال المطعم بن عدى : ( والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا . فقال أبوطالب : والله ما أنصفوني ولكنك اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم فاصنع ما بدا لك . . اي انصاف هذا ابن يقتل ويدليه يفذي ؟ (١)

في يوم من الأيام كان أشرف قريش مجتمعين في حجر اسماعيل يذكرون ما يدعو اليه النبي صلى الله عليه وسلم من ترك عبادة الأوثان وافراد الله بالعبادة . فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفهأحلامنا وشم آباءنا وهاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وصبرنا منه على أمر عظيم . . فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فمزمزه ببعض القول فعرف ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت في وجهه فمضى ، ثم مر الثالثة فمزمزه بمثلها فوقف قائلاً : ( أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جهتكم بالذبح ) . فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل الا وكأنا على رأسه طائر . وصاروا يلاطفونه بالقول انصرف يا أبا القاسم راشدًا فوالله ما أنت بجهول ) . وفي اليوم الثاني وثبوا له وثبة رجل واحد قائلين له أنت الذي تقول كذا وكذا من عيب آلهتهم ود ينهم فيقول صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك . . . . . (٢) ترى أن للصبر حدوداً ، والحزم والغلظة في القول ونحوهما من الداعية في الظروف المناسبة له قيمته كما عرفت كما أن لاسلوب الرفق واللين قيمته ، والحكمة وضع الشيء في موضعه . والله أعلم .

(١) السيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٧ - البداية ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) انظر السير والمغازي ، ابن اسحق ص ٢٢٩ - السيرة النبوية

نوع آخر من المفاوضات :

ولما اشتكى أبوطالب وبلغ قريشا ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض  
ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد فو قبائل قريش كلها ، فانطلقوا  
بنا الى أبي طالب فليأخذ لنا علي ابن اخيه وليمطه منا ، والله ما نأمن  
أن يبتزونا أمرنا . فمشوا اليه أشرف قومه فقالوا : يا أبا طالب انك منسا  
حيث قد علمت . . وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك . وقد علمت السدى  
بيننا وبين ابن اخيك فادعه ، فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف  
عنه وليدعنا وديننا وتدعه ودينه . . فبعث اليه أبوطالب فجاءه فقال :  
يا ابن أخى ، هؤلاء أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليمطوك وياخذوا منك  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم كلمة واحدة تعطوننيها تملكون  
بها العرب وتدين لكم بها المعجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وشر  
كلمات . قال : تقولون لا اله الا الله ، وتخملون ما تعبدون من دونه  
فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الالهة الهيا واحدا  
ان هذا لشيء عجيب .

ثم قال بعضهم لبعض انه والله ما هذا الرجل يمحطكم شيئا مما  
تريدون . فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه  
ثم تفرقوا فأنزل الله تعالى : ( ص . والقرآن ذى الذكر ) . . الى قوله  
تعالى : ( أجعل الالهة الهيا واحدا ان هذا لشيء عجاب . وانطلق  
الملائمة منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا  
بهذا فى الطة الاخرة (٢) ان هذا الا اختلاف (٣) فقال أبوطالب  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم  
شظا . . (٤)

( ١ ) ابتزّه أمره : سلبه اياه وغلبه عليه . كذا فى هامش السيرة ابن

هشام ج ١ ص ٤١٧ .

( ٢ ) يعنون النصرانية لا اعتقادهم التثليث . جلالين .

( ٣ ) سورة ص : ١ - ٧ .

( ٤ ) السير والمغازى ص ٢٣٦ - البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٣ - السيرة

ابن هشام واللفظ له ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ - لباب النقول ص ١٨٨ ،  
تفسير ابن كثير بالفاظ متقاربة ج ٧ ص ٤٦ ، مسند احمد ج ١ ص ٣٦٢  
الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٩ ص ٩٩ - ١٠٠ عن ابن عباس وقال  
الترمذى هذا حديث حسن صحيح . الشظط : الجور .



والظاهر ان هذه المفاوضات كانت بعد اسلام حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب بعد معركة دامية قام بها عمر حول الكعبة كان النصر فيها حليفه ، وبعد معركة حمزة بن عبدالمطلب مع أبي جهل شج فيها رأسه وباسلامهما عز الاسلام ، ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يدعو بأن يعز الله الاسلام بأحد العمرين . (١)

فأراد الله - كونا وشرعا - اسلام عمر بن الخطاب ، فاعتز الاسلام والمسلمون باسلامه لانه كان ذا شكيمة .

قال ابن مسعود : ( ما كنا نقدر على أن نصلو عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وكان اسلامه فتحا ، وهجرته نصرا ، وامامته رحمة ، وفي صحيح البخارى عنه أيضا : ( مازلنا اعزة منذ أسلم عمر ) (٢)

ويظهر أن سياسة الشرك كانت احيانا تلجأ الى العنف و احيانا تلجأ الى اللين فلنا منهم ان سياسة الملاينة قد تغريه صلى الله عليه وسلم ولكنها سياسة فاشلة وحقا منافية لرسالة السماء . . . والخلاصة ان المواجهة تعرض الداعية للاضطهاد والتعذيب وانقطاع المرزق كما تهدده فسي أمنه وسلامته وقد تكلفه حياته موتا بالتعذيب او بالقتل ، وذلك احدى الحسنين . والله أعلم .

### - المبررة :

في هذا المبحث الذى عرضنا فيه نماذج من مواجهة الخصوم ، وموقف النبي - صلى الله عليه وسلم - الفريد في تاريخ الدنيا ، ضد الايذاء والافراء ، التى لا يستطيع احتمالها الا الانبياء المؤيدون بالوحي ، أو من وفقه الله من غيرهم ، في ذلك المبحث فوائد وعبر كثيرة لها جانب كبير من الاهمية .

(١) عمرو بن هشام أبو جهل ، وعمر بن الخطاب .

(٢) انظر السيرة - ابن هشام ج ١ ص ٢٩٢ - ٣٤٢ - البخارى ج ٢ ،

الاولى : وهى توضح حقيقة الدعوة التى قام بها صلى الله عليه وسلم - وتفصلها عن كل ما يلتبس بها من الأهداف والافراض التى قد يضمورها عادة ارباب الدعوات والمنادين بالثورة والاصلاح .

فما الذى يضمره - النبي صلى الله عليه وسلم - من وراء دعوته ؟ هل يضمير الوصول الى ملك أو زعامة او مال . . او لعل الامر لا يعدو وا خيالات مرضية تحتاج الى معالجة ؟ كل هذه الاحتمالات قد يتذرع بها اعداء هذا الدين ، ولكن يا لاسرار الحياة العظيمة التى هيأها الله - سبحانه - لرسوله صلى الله عليه وسلم . . لقد ملأ الله - عز وجل - حياته بالمواقف والمشاهد التى تدع ارباب الفزوة الفكرى حيارى فى الطريقة التى ينبغى لهم أن يسلكوها بل تقطع كل احتمال .

كان من جليل حكمة الله - عز وجل - أن يقوم مشركو قريش بالمفاوضات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان صوروا فى أنفسهم كل هذه الاحتمالات . . وهم أدرى الناس بطبيعة دعوته ، والغاية البعيدة من رسالته ، وبأنه لن ينزل عند شىء من مغرياتهم ، ولكن هكذا أرادت حكمة الله حتى ينطق التاريخ بتكذيب كل من سيأتى من محترفى التشكيك والفزوة الفكرى مع الزمن . .

لقد فكر بعضهم طويلا ثم لم يجدوا سبيلا لاداء مهمة التشكيك والفزوة الا أن يفضوا أعينهم عن الحقيقة ، ويزعموا ان واقع محمد - عليه الصلاة والسلام - انما كان الرغبة فى السيادة والملك ، لكنهم صدقوا رؤسهم فى هذا التفكير بصخور عاتية تقذفهم وتردهم الى الوراء أشواطا . لقد سخر الله من قبلهم عتبة بن ربيعة وأمثلة لحمل هذه الدوافع والآمال ووضعها بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لينالها قريبة سائفة وليبصر قريشا كلها وقد خضعت له ، وألقت من يدها السلاح ، ووسائل التعذيب فى وجهه وأصحابه .

فلماذا لم يتحول النبي - صلى الله عليه وسلم - الى هذه الغنيمية التى سيقى اليه مادام أنها الدافع له من وراء دعوته ؟

وهل ينصت طالب الطك والزعامة لمن سمى يعرضهما عليه فسوى  
مفاوضة طويلة رجاء وتهديدا ويقول لهم أخيرا : ( ما جئت بما جئتمكم به  
أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله يحثني اليكم  
رسولا وانزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا . فان تقبلوا  
منى ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة . وان تردوه على أصبر لا أمر  
الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ) (١)

فهل يصح - بعد هذا - أن يتوهم الفكر بأنه قد يكون مدفوعا  
برغبة الزعامة او الطمع في الفنى ؟ ..

- الثانية : وهي تبين لنا معنى الحكمة التي كان رسول الله  
صلو الله عليه وسلم يتمسك ويتمسك بها ، فهل الحكمة ان تضع السياسة  
التي تراها في سير الدعوة ، مهما كانت كقيمتها ومهما كان نوعها ؟ وهل  
اعطاك الشارع صلاحية ان تسلك اى سبيل تراها مادام هدفك من وراء ذلك  
الحق ؟ .. الجواب : لا ..

ان الشريعة الاسلامية تعبدتنا بالوسائل كما تعبدتنا بالغايات  
فليس لك ان تسلك الى الغاية التي شرعها الله لك الا الطريق المعينة  
التي جعلها الله - عز وجل - وسيلة اليها وللحكمة والسياسة الشرعية  
معان معتبرة ، ولكن في حدود الوسائل المشروعة فقط . . لما سبق  
فقد كان من المتصور في باب الحكمة والسياسة ان يرضى رسول الله  
صلو الله عليه وسلم بالزعامة أو الملك على ان يجمع في نفسه اتخاذها  
وسيلة الى تحقيق دعوة الاسلام فيما بعد خصوصا وان للسلطان وازعما  
قويا في النفوس . .

وحسبك أن أرباب الدعوات والمذاهب ينتهزون فرصة الاستيلاء  
على الحكم كي يستعينوا بسلطانهم على فرض دعوتهم ومذاهبهم على الناس ،  
ولكن النهي - صلوات الله عليه وسلم - لم يرض سلوك مثل هذه السياسة  
والوسيلة الى دعوته ، لان ذلك يناقض مبادئ الدعوة نفسها . ولو جاز

( ١ ) السير والمغازي ص ١٩٧ - ١٩٨ - تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٥٢ ،  
وفيه فقرأ عليه سورة فصلت الى السجدة . البيهقي كما في البدايه  
ج ٣ ص ٦٣ . قال الالباني في تخريج أحاديث فقه السيرة للخزالي :  
وسنده حسن ان شاء الله . ص ١١٢ - ١١٣ .

أن يكون مثل هذا الاسلوب نوعاً من أنواع الحكمة والسياسة الرشيدة لانحنى الفرق بين الصادق الصريح فى صدقه والكاذب الذى يخادع فى كذبه ، ولتلاقى الجميع على طريق واحدة عريضة اسمها السياسة والحكمة ، ان الحكمة تقوم على عماد الشرف والصدق فى كل من الوسيلة والخاية . ومن هنا يحتاج أرباب الدعوة الاسلامية - فى معظم حالاتهم وظروفهم - الى التضحية والجهاد لان السبيل الذى يسلكونها لا تسمح لهم بالتمرج كثيراً ذات اليمين وذات الشمال .

ومن الخطأ أن تحسب مبدأ الحكمة انما شرع من أجل تسهيل العمل او من أجل تفادى المأسى والاعتاب بل السرفى مشروعية الحكمة فى الدعوة انما هو سلوك اقرب الوسائل الى عقول الناس . ومعنى هذا أنه اذا اختلفت الاحوال وقامت عشرات الصد والعناد دون سبيل الدعوة فان الحكمة حينئذ انما هى اعداد العدة للجهاد والتضحية بالنفس والمال ، ان الحكمة انما هى أن تضع الشئ فى مكانه .

وهذا هو الفرق بين الحكمة والمخادعة وبين الحكمة والمسالمة وأنت خبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما استبشر بما رآه مرة من دلائل اقبال بعض زعماء قريش على فهم الدين ، انصرف اليهم بكليته مبتهجاً يكلمهم ويشرح لهم ما يستفسرون عنه من حقائق الاسلام ، هتس دعاه ذلك الاستبشار والطمع فى هدايتهم الى أن يعرض عن الصحابى الضريب ابن أم مكتوم ، حينما مر بهم فوقف الى جانبهم يستمع ، وأخذ هو الاخر يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعاتبه الله على ذلك فى سورة ( عبس وتولى ) . أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتتفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ) . (١)

قال القرطبى والشوكانى : ( اجمع هل التفسير أن سبب نزول هذه الايات هو ما ذكر (٢) . عاتبه الله - وأنكر عليه ذلك الاجتهاد - علماً

( ١ ) سورة عبس : ١ - ١٠ .

( ٢ ) تفسير القرطبى : ج ٨ ص ٧٠٠٣ - فتح القدير ج ٥ ص ٣٨٢ .

بأن غايته مشروعة ونبيلة - لان الوسيلة قد انطوت على كسر خاطر مسلم ،  
او ما يدل على الاعراض عنه ، وعدم الالتفات اليه ، من أجل اجتذاب  
قلوب المشركين فهي ليست بمشروعة ولا مقبولة .

والخلاصة انه ليس لاحد من الناس أن يغير شيئاً من أحكام الاسلام  
ومبادئه ، أو يتجاوز شيئاً من حدوده ، أو يستهين بها ، لان الحكمة  
لا تعتبر حكمة الا اذا كانت مقيدة ، ومنضبطة ضمن حدود الشريعة  
ومبادئها وأخلاقها . (١)

—•—

---

( ١ ) فقه السيرة للبطي ص ١١٤ - ١١٩ . وقد ذكر أشياء كثيرة اخترت منها  
ما ذكرته .

### المبحث الثاني : الهجرة (١) الى الحبشة

لما أخفقت كفار قريش في مفاوضاتها بالاعراف والارهاب ، فو تمويق الدعوة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدركت ان هدفها بعينها المدى ، عادت سيرتها الاولى تصب غضبها على المؤمنين ، وتبذل كل ما في وسعها لتعذيبهم ، وصد هم عن دينهم .

ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ، ثم من عمه ابي طالب ، وقد أحزنه ذلك ولكنه لا يقدر عن دفعه ، فأذن لمن قل نصيره في مكة ان يهجرها الى الحبشة لان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لهم فرجا .

( ١ ) الهجرة هي مفارقة بلد الى غيره ، وقيل : هي الانتقال من بلد الشراء الى بلد الاسلام ومن بلد البدعة الى بلد السنة ، وهي فريضة باقية على هذه الامة الى أن تطلع الشمس من مغربها لحديث معاوية مرفوعا ( لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ) رواه ابوداود . وقد عورض هذا الحديث بحديث ابن عباس مرفوعا : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استغفرتم فانفروا ( رواه ابوداود ايضا ج ٧ ص ١٥٦ - عيون المعبود . واختلف في الجمع بينهما ، فقال الخطابي في المالسم كانت الهجرة في اول الاسلام فرضا ثم صارت مندوبة وذلك قوله تعالى : ( ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مؤمنا كثيرا وسعة ) ١٠٠ النساء نزل حين اشتد اذى المشركين على المسلمين بمكة ثم وجبت الهجرة على المسلمين عند انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمروا بالانتقال الى حضرته ليكونوا معه فيتمانونا ان حزيم امر . فلما فتحت مكة ارتفع وجوب الهجرة وعاد الامر فيها للندب والاستحباب على أن اسناد حديث ابن عباس متصل وحديث معاوية فيه مقال . ويحتمل الجمع بانه لا هجرة بعد الفتح من مكة الى المدينة وقوله ( لا تنقطع اي من دار الكفر في حق من اسلم الى دار الاسلام . والله اعلم . انظر عيون المعبود ج ٧ ص ١٥٦ - لابن الطيب محمد شمس الحقيق مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - المصباح المنير ج ٢ ص ٣٠٦ - اصول الدين الاسلامي ص ١٤ - ١٥ .

وكان الرحيل اليها تسللا لكلا تستيقظ قريش فتحبط المسيرة ، وذلك في السنة الخامسة من البعثة النبوية . (١)

وكان أول من هاجر عشرة اواثنى عشر رجلا واربع نسوة ، اولهم خروجا عثمان وزوجه رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم الراكب ومنهم المشى ، ووقف الله - سبحانه - للمسلمين ساعة جاءوا الساحل سفينتين للتجار حملوهم فيهما الى أرض الحبشة .

وقد أبطأ الخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان يتلمس أخبارهم فقدمت امرأة من قريش ، فقالت : يا محمد لقد رأيت ختنسك (٢) ، ومعه امرأته ، قال : على أي حال رأيتهما ؟ قالت : رأيتك قد حمل امرأتك على حمار من هذه الدبابة (٣) وهو يسوقها ، فقال : صلى الله عليه وسلم صاحبها الله ، ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط . ولكنهم ما لبثوا ان عادوا الى مكة لما بلغهم اسلام اهلها ، حتى اذا اقتربوا منها تبينت لهم الحقيقة المخزنة ، وعرفوا ان المشركين اشد كفرا وأذى عما تركوهم فرجعوا مهاجرين الى الحبشة مرة ثانية . (٤)

(١) في شهر رجب كذا قال الحافظ في الفتح ج ٧ ص ١٨٨ وابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٨٨ وابن كثير في السيرة ج ٢ ص ٣ كما اورد في البدايتن الواقدي ج ٣ ص ٦٦ . فقه السيرة للغزالي ص ١١٥  
(٢) اي صهرك . كذا في حاشية سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٥٥ .  
(٣) الدبابة الضعيفة التي تدب في المشى كما في المصدر نفسه .  
(٤) ولم يدخل مكة منهم احد الا مستخفيا اوجوار . وكان عدد ذلك المائدين ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن مضمون دخل في جوار الوليد بن المغيرة وابوسلمة دخل في جوار ابي طالب كذا في السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٣٦٩ .

قال الحافظ : فكان ذلك في رمضان في السنة الخامسة للنبوة ( وذلك عندما سجد النبي صلى الله عليه وسلم - بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس كما في البخاري عن ابن عباس ج ٣ ص ١٩٤ - وانظر التفاصيل في فتح الباري ج ٧ ص ١٨٨ - ج ٨ ص ٦١٤ - ٦١٥ ، وعند الواقدي كان اول من هاجر احد عشر رجلا واربع نسوة . انتهوا الى البحر مابين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار . اه . انظر البداية ج ٣ ص ٦٦ .

وقد سرد ابن اسحق اسما<sup>(١)</sup> من هاجر الهجرة الاولى الى الحبشة ثم قال :  
 ( فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيمابلغنى  
 ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ومعه امرأته أسماء بنت عميس ،  
 وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة منهم من خرج باهله معه ومنهم  
 من خرج بنفسه لا أهل له معه .

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين ، سوى ابنائهم الذين خرجوا  
 بهم صفارا وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء ثمانى عشرة امرأة (٦) .

وقال ابن كثير : ( وقد زعم موسى بن عقبة أن خروج جعفر بن أبي طالب  
 انما كان فى الهجرة الثانية اليها ، وذلك بعد عود بعض من خرج أولا (٣) وما  
 ذكره ابن اسحق من خروجه فى الرعيل الاول اظهر ، لكنه كان فى زمرة ثانية  
 من المهاجرين اولاً ، وهو المقدم عليهم ، والمترجم عنهم عند النجاشى  
 وغيره .

كما زعم أن الهجرة الاولى الى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب  
 ومن حاله مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الشعب . وفى هذا نظر  
 والله أعلم . (٤)

وقد ذهب الى هذا القول الخضرى فى ان الهجرة الى الحبشة كانت  
 بعد دخول الرسول وقومه الشعب حيث قال : ( وكان ذلك بعد دخول الرسول  
 وقومه الشعب ان أمر المسلمين جميعا ان يهاجروا للحبشة حتى يساعد بعضهم  
 بعضا على الاغتراب فهاجر معظمهم ) (٥)

( ١ ) اختلف اهل السير فى عدد المهاجرين الاولين الى الحبشة . قال  
 بعضهم : احد عشر رجلا واربع نسوة وقيل وامرأتان وقيل كانوا اثنى

عشر رجلا وقيل عشرة هكذا قاله الحافظ فى الفتح ج ٧ ص ١٨٨ .

( ٢ ) السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٣٢١ - ٣٣٠ . وانظر الروض الانسف

ج ٣ ص ٢٠٣ وما بعدها - طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٨ - السيرة

النبوية ابن كثير ج ٢ ص ٣ - ٥ - الحلبية ج ٢ ص ٣ - ٤ - البداية والنهاية

ج ٣ ص ٦٦ - ٦٩ . فتح البارى ج ٧ ص ١٨٨ - ١٨٩ وفيه التفاصيل .

( ٣ ) وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

( ٤ ) البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧ .

( ٥ ) نور اليقين ص ٦١ .



وقد خالف هذا القول معظم أهل السير ، وهو ما أثبتناه من أن الهجرة إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة من النبوة . وما سيأتى - ان شاء الله - في صحتها المقاطعة بانها كانت في السنة السابعة من النبوة بعد الهجرة إلى الحبشة ، ولقوله الرجح لعدة وجوه :

أ - أن صاحب الحلبية قرر أن دخول الشعب كان في هلال المحرم سنة سبع من النبوة كما قرر أن الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت في رجب من السنة الخامسة من النبوة . (١)

ب - روى ابن سعد في الطبقات الكبرى ان قريشا حصروا بنى هاشم في شعب ابى طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة . (٢)

ج - وجزم به الحافظ في الفتح (٣) في الكلام على حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد حينئذ ( منزلنا غدا - ان شاء الله - بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر ) (٤) .

وقد أورد ما ذكره اصحاب المغازى والسير في هذه القصة . . . الذى أن قال : ( ولما لم يثبت عند البخارى شيء من هذه القصة اكتفى بـابويراد حديث ابى هريرة لان فيه دلالة على اصل القصة لان الذى أورد هـ اهل المغازى من ذلك كالتحقيق لقلوبه فى الحديث (تقاسموا على الكفر) .

د - قال الواقدي : لا خلاف عند ائمتنا ان عبد الله بن عباس ولد فى الشعب حين حصرت قريش بنى هاشم وانه كان له عند موت النبوى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة .

(١) الحلبية ج ٢ ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٩٣ - مطبعة لجنة الثقافة الاسلامية القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

(٣) فتح البارى ج ٧ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٤) رواه البخارى ج ٢ ص ٣٢٦ .

وقال ابن عبد البر ولد في الشعب قبل خروج بنى هاشم منه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين . (١)

هـ - مارواه ابن اسحق عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن امه ليلى قالت :  
كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما تهيأنا للخروج  
الى الحبشة جاءني عمر وانا على بصيري نريد ان نتوجه فقال : أيمن  
يا أم عبد الله ؟ فقلت له : آذ يتمونا في ديننا فنذهب الى ارض الله - عز  
وجل - حيث لانؤذي في عبادة الله فقال صحبكم الله . فذهب ثم  
جاءني زوجي عامر بن ربيعة فاخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال أترجيسن  
ان يسلم ؟ فقلت : نعم . فقال : والله لا يسلم حتى يسلم حمسار  
الخطاب . (٢)

وجه الدلالة من هذا ان الهجرة الى الحبشة قبل المقاطعة لان اسلام  
عمر بن الخطاب كان في السنة السادسة او السابعة من النبوة .

و - ومن قال بهذا من المتأخرين الغزالي والندوي . (٣)

وهذا يترجح ثبوت الهجرة الى الحبشة قبل المقاطعة كما يكون العكس  
هو المرجوح . وفي المبحث كلام اكثر من هذا اكتفيت بما ذكرته .  
والله أعلم . (٤)

وسبق أن ذكرت لك ان ابن اسحق سرد اسماء المهاجرين الهجرة الاولى  
الى الحبشة كما سرد ايضا اصحاب الهجرة الثانية . فراجع السير والمغازي (٥)

( ١ ) الاصابة مع الاستيعاب ج ٦ ص ٢٥٨ - ١٣١ وتوكيدا لذلك طافى الصحيحين  
عن ابن عباس قال : ( اقبلت وانا راكب على همارأتان وانا يومئذ قد ناهزت  
الاحتلام والنهي صلى الله عليه وسلم يصلى بمنى الى غير جدار ) البخارى ج ١  
ص ٩٧ - مسلم ج ٢ ص ٥٧ وفي لفظ اخر له في حجة الوداع .

( ٢ ) السير والمغازي ص ١٨١ .

( ٣ ) انظر فتح المبين شرح الاربعة ص ٤٢ لابن حجر الهيتمي مع حاشية حسن  
المدائني ط . الطبى بدون تاريخ وقد جزم بان اسلام عمر في السادسة .  
وانظر فتح الباري ج ٧ ص ١٧٨ - فقه السيرة للغزالي ص ١١٥ - السيرة  
النبوية - ندوي ص ١٠٤

( ٤ ) ومن اراد المزيد من الاطلاع فليراجع المصادر المثبتة وغيرها في مكانها .

( ٥ ) السير والمغازي ص ٢٢٣ - سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٧ - ٨ - ابن هشام - الروض  
الانف ج ٣ ص ٢٠٣ وما بعدها .

- العبرة :-

أرأيت يا أحن المسلم كيف هجر هؤلاء الأهل والأوطان وتركوا المال والمتاع لتسلم العقيدة انهم علموا أن هناك ما هو أسمى من المال والزوجة والمتاع ، انها العقيدة التي تعمر الصدر باليقين (١) الذي لا أحلى منه ولا أجمل . فروا من مكة دار الكفر التي تفننت في تعذيبهم الى الحبشة دار الكفر ان ذاك ، التي املوا أن يجدوا فيها من الامن والسلام ما يمكنهم من اقامة شعائر دينهم وتبليغ الدعوة ، ومن هنا أجاز الفقهاء ، التجاء المسلم الى الكافر ليحميه من أذى كافر آخر ، ما لم يكن في هذا الالتجاء مساومة على دينه . (٢)

يؤيد ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حينما دخل مكة - بمسند رجوه من الطائف - في جوار المطعم بن عدي ، فدخل صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام واستلم الركن وصلى ركعتين وانصرف الى بيته ، والمطعم وولده صعد قون به بالسلاح حتى دخل بيته ومعه زيد بن حارثة . ولم ينس صلى الله عليه وسلم ذلك الجميل ان قال يوم بدر ( لو كان المطعم بن عدي حيا ثم سألني في هؤلاء النقباء لوهبتهم له ) (٣) أي الأسرى .

- وفد قريش الى النجاشي :-

لما خرج المهاجرون من مكة في طريقهم الى الحبشة ، خرجت قريش في طلبهم الى البحر ، فلم يدركوا منهم أحدا ، فأرأوا انهم قد اصابوا دارا وأما فاجمعوا على ان يبعثوا وفدا الى النجاشي لاخراجهم من بلادهم وليروهم عليهم فبعثوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة . وفي رواية : وعمار بن الوليد ، ومعهما الهدايا ، ولم يتركوا من بطارقة (٤) النجاشي

( ١ ) اليقين هو العلم الحاصل عن نظر واستدلال ، ولهذا لا يسمى علم الله يقينا . ويقن الامر يقنا من باب تعب اذا ثبت ووضح فهو يقين . اهـ .

مصباح ج ٢ ص ٣٥٨ .

( ٢ ) انظر التفسير السياسي للسيرة ص ٦٨ .

( ٣ ) انظر زاد المعاد ج ٢ ص ٥٢ - البداية ج ٣ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

( ٤ ) البطارقة من الروم جمع بطريق كالقائد من العرب اهـ . مصباح ج ١ ص

بطريقا الا هياؤا له هدية دفعوها اليه قبل ان يتكلموا في شان المهاجرين  
بغية أن يستمعينوا بهم على النجاشي في قضاء مهمتهم الاجرامية ، كما كانا  
مزودين بالحجج التي يطرد بها المهاجرون .

فلمه خلا على النجاشي قال له بعد ان سجدا له - ان ناسا من سفهائنا  
فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين مبتدع . . . . .  
فقلت بطارقتي : صدقا أيها الملك فغضب النجاشي ورأى أنه لا بد من تمييز  
القضية وسماع اطرافها ، فأرسل النبي المهاجرين ، فقال جعفر : اننا  
خطبيكم اليوم ، فاتبعوه فدخل فسلم ولم يسجد للملك ، فقيل له لم لا تسجد  
للملك ؟ فقال : انا لا نسجد الا لله - عز وجل - فقال لهم النجاشي :  
ما هذا الدين الذي أنتم عليه ، فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في  
دين أحد من هذه الملل ؟

- تصوير جعفر للجاهلية والتعريف بالاسلام :

فقال جعفر : مصورا ما كانوا عليه في الجاهلية : - أيها الملك : ( كنا قوما  
أهل جاهلية <sup>(١)</sup> نعبد الاصنام وتأكل الميتة ونأثى الفواحش ، ونقطع  
الارحام ، ونسئ الجوار ، وياكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى  
بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى  
أن نعبد الله وحده لا شريك له ونخلص ما كنا نعبدنا من قبلنا  
من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة ، وصلوة  
الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ،  
وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا بالصلاة والزكاة  
والصيام <sup>(٢)</sup> وعدد امور الاسلام .

قال جعفر : فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله  
وحده ، وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قوما فعذبونا

( ١ ) في السير والمغازي لابن اسحق ( كنا قوما على الشرك ) اهـ ص ٢١ .  
( ٢ ) سبق الكلام على الصلاة والزكاة . والصيام هنا لعلمه مطلق صيام ( كتب  
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) البقرة ه ٢٨٢ - كيوم عاشوراء  
ولانه ثابت في الصحيحين وغيرهما . البخاري ج ١ ص ٣٤١ - مسلم ج ٣  
ص ١٤٧ - وفيه ( ان قرشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ثم امر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان . . ) من حديث  
عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها اما صوم رمضان فلم يفرض الا في السنة  
الثانية للهجرة كما في سبل السلام للصنعاني ج ٢ ص ١٥٠ .

وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي : هل معك ما جاء به عن الله من شيء ؟ قال نعم ، فقرأ عليه صدرا من ( كهيعص ) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته (١) ، ثم قال النجاشي : ( ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة (٢) واحدة ، انطلقا ، والله لا أسلمهم اليكما ) . (٣)

#### - محاولة اخرى فاشلة :

فلما خرجا من عند النجاشي قال عمرو بن العاص : والله لا تينسه فدا عنهم بما استأصل به خضراءهم (٤) . فلما كان الغد قال له : أيها الملك ؛ انهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم فسلمهم عما يقولون فيه ، فأرسل اليهم فحضروا ، فقال ؛ ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟

قال جعفر : نقول فيه الذي جاء به نبينا - صلى الله عليه وسلم - يقول ؛ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول . فأخذ النجاشي عودا من الارض وقال : والله ما عدى عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود (٥)

(١) الاساقفة جمع اسقف : مرتبة فوق القسيس ودون المطران ا.هـ. المنجد

ج ١ ص ٣٤٠ .

(٢) المشكاة : الكوة غير النافذة وقيل هو الحديد التي يعلق عليها القنديل . اراد أن القران والانجيل كلام الله وان مصدرهما واحد ، هو الله سبحانه وتعالى . ا.هـ. حاشية ابن هشام ج ١ ص ٣٣٦ .

(٣) انظر السير والمغازي ص ٢١٣ - ٢١٤ - السيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٥ وما بعدها - البداية ج ٣ ص ٦٩ - ٧٠ .

(٤) اي شجرتهم التي تفرغوا منها كذا في هامش ابن هشام ج ١ ص ٣٣٧ .

(٥) بيدوان عقيدة النجاشي في المسيح هي عقيدة التوحيد من انه ليس الها ولا ابن اله بل مصنوع مريب وهذا ما كان يدعو اليه اريوس ، وسببه عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م لان النصارى اختلفوا اختلافا كثيرا في طبيعة المسيح وتعدد المذاهب في عهد قسطنطين ولمزيد من الايضاح راجع محاضرات في النصرانية لابن زهرة ص ١٤٦ - ١٤٧ - ١٥٨ وقد سبق ذلك .

فتناخرت بطارقتة (١) فقال : وان نخرتم والله ، وقال للمسلمين :  
 ( ان هبوا فانتم سيوم (٢) من سبكم غرم ، ما أحب ان لى جهلا من ذهب  
 وانى آذيت رجلا منكم )  
 ورد هدية قريش وقال : ما أخذ الله الرشوة منى حين رد على ملكى حتى  
 أخذها منكم ولا أطاع الناس فى حتى اطيعهم فيه )  
 وفى رواية ابن مسعود . . مرحبا بكم ومن جئتم من عنده ، أشهد انه رسول  
 الله وانه الذى نجد فى الانجيل وانه الرسول الذى بشر به عيسى ، انزلوا  
 حيث شئتم والله لولا ما انا فيه من الطك لأتيته حتى أكون الذى أحمل  
 نعليه ، ورد هدية الاخرين واقام المسلمون عنده خير جوار . (٣)

وهكذا اخفقت هيلة وفد قريش ، وعاد الى مكة يجر أنيال الخبيصة  
 وانتصر المهاجرون بقيادة جعفر بن ابى طالب رضى الله عنهم أجمعين .  
 وعرفت قريش انها لن تشبع ضغينتها على الاسلام وأهله الا فى حدود  
 سلطانتها ، فأكدت عزمها ان تشفى غيظها من يقع تحت أيديها .

### - العبرة :

ان الاستمسك بالدين واقامة دعائه ، أساس ومصدر لكل قوة ، وهو  
 السياج (٤) لحفظ كل حق من مال وأرض ، وحرية وكرامة .  
 ومن أجل هذا كان واجب الدعاة الى الاسلام والمجاهدين فى سبيله  
 أن يجندوا كل امكاناتهم لحماية الدين ومبادئه وان يجعلوا من الوطن

- 
- (١) قواده .  
 (٢) أى آمنون .  
 (٣) انظر المغتازى والسير ابن اسحق ص ٢١٥ - ابن هشام ج ١ ص ٣٣٧ -  
 ٣٣٨ - البداية ج ٣ ص ٦٩ - ٧٣ . قال الحافظ فى الفتح ج ٧ ص  
 ١٨٩ اسناده حسن وقال ابن كثير هذا اسناد جيد قوى وسياق  
 حسن المصدر نفسه . وقال الالبانى : صحيح من حديث ام سلمة  
 كذا فى حاشية فقه السيرة للقمزالي ص ١٢١ . وقد رويت هذه القصة  
 بعدة الفاظ عن ابن مسعود كما فى مسند أحمد وعن جعفر رواها  
 ابن عساكر وقد اوردها ابن كثير فى البداية الجزء والصفحة السابق  
 ذكرها .  
 (٤) السياج : الحائط : يقال سيج حائطه تسبيجا . اهـ . قاموس ج ١ ،  
 ص ١٩٥ .

والمال والحياة وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها ، حتى اذا اقتضى الامر  
بذل ذلك كله فى سبيلها وجب بذله ( قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم  
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن  
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فترىصوا حتى ياتى الله  
بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ) (١)

ومن يصدق الله يصدق الله ، وينصره على عدوه ، ويجعل له من ضيقه  
فرجا ومخرجا ، لا تحريف ولا تغيير ، ولا مداهنة للاهواء السياسية وغيرها .  
مجاهرة بالحقائق الاسلامية ، وليكن ما يكون ( ان تنصروا الله ينصركم  
ويثبت أقدامكم ) (٢) ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) (٣) ( انا لننصر  
رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) (٤) .

ان الدين اذا فقد وطلب عليه ، لم يفن من ورائه الوطن والمال ، بل  
سرعان ما يذهب كل ذلك ، أما اذا قوى شأن الدين ، وقامت فى المجتمع  
دعائمه ورسخت فى الافئدة عقيدته ، فان كل ما كان قد ذهب فى سبيله من  
مال وو . . . يعود ،

وقد جرت سنة الله فى الكون على مر التاريخ أن تكون القوى المعنوية هى  
الحافظة للمكاسب والقوى المادية ، فمهما كانت الامة غنية فى خلقها وعقيدتها  
السليمة ، ومبادئها الاجتماعية الصحيحة فان سلطانها المادى يفسد و  
أكثر تماسكا وارسخ بقاء ، وأضع جانبا ، ومهما كانت فقيرة فى خلقها  
مضطربة فى عقيدتها ، تائهة فى نظمها ومبادئها فان سلطانها المادى ينفذ و  
اقرب الى الاضمحلال ومكتسباتها المادية أقرب الى المزوال ،  
وقد توجد امة تائهة - فى عقيدتها - عن جادة الطريق الصواب ،  
منحطة فى مستواها الخلقى والاجتماعى ، وهى مع ذلك واقفة على قدميها من

( ١ ) سورة التوبة : ٢٤

( ٢ ) سورة محمد : ٧

( ٣ ) سورة الروم : ٤٧

( ٤ ) سورة غافر : ٥١

حيث القوة المادية ، ولكنها في الواقع تمر نحوهاوية سحيقة ، مثال ذلك مجتمع مشركى مكة ، وقد توجد أمة تصرعت عن المادة في سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة وبناء النظام الاجتماعى السليم ، ولكن ما هي الا فترة قصيرة حتى تجدها قد عادت اليها قوتها المادية مضاعفة معززة مثال ذلك المجتمع الذى بناه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ( فى العهد المدنى ) كان فى غاية من الضعف المادى ، وفى النهاية دوح فارس والروم . (١)

### - التحليل السياسى :

هل كانت الهجرة للحبشة ارتجالا او بعد دراسة ؟  
لم تكن ارتجالا ، وانما كانت بعد دراسة عميقة ودقيقة للموقف قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لها عدة حلول ، ووجد أن الحل الا مثل هو ان يوجه اصحابه الى الحبشة لوجهين :  
الاول : لان فى هجرة المسلمين الى الحبشة انقاذاً للدعوة من ان تجهض (٢)  
فى أيامها الاولى .

الثانى : انطلاق صوت الاسلام على ايدى دعاة مؤمنين الى خارج الجزيرة العربية وهذا كسب لا يستهان به ،  
وفى اختياره - صلى الله عليه وسلم - الحبشة بالذات لتكون مهاجراً أصحابه دليل على انه - صلى الله عليه وسلم - قد درس الموقف جيداً ، وعرف احوال دول العالم انذاك ، وتبين له من دراسة الموقف ان انسب مكان للهجرة يومها هي الحبشة ، لان فيها ملكا لا يظلم عنده أحد .  
وذلك يظهر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يفكر على مستوى دولة قبل ان تكون له دولة ويعمل على مستوى دولة بينما يظهر للناس مجرد محدث أفراد . (٣)

وهذا مع الاعتبار بان هذه الافكار تحت رعاية الله - سبحانه وتعالى .

(١) انظره السيرة للبوطى ص ٢٢٢-٢٢٣-١- السيرة النبوية ابوشهبة ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) اجهضت الناقة والمرأة ولدها اجهاضا : اسقطته ناقص الخلق اهـ .

مصباح ج ١ ص ١٢٣ .

(٣) التفسير السياسى للسيرة ص ٦٦-٦٧ .



### المبحث الثالث : المقاطعة العامة

لما رأَت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا آمنوا فيه على أنفسهم وعقيدتهم وان دائرة الاسلام قد اتسعت وعزز جانبها باسلام حمزة بن عبدالمطلب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وان النجاشي قد منع من لجأ اليه وان سفارة قريشاليه قد باءت بالفشل بل عادت تجر وراءها اثواب الخزي والعار ، زاد حقد المشركين فقرروا ابرام معاهدة اجرامية ، اذ ثقطعت بهم الاسباب في الحيلولة بين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبين تبليغ ما امر به بعد ان بذلوا كل طاقتهم في سبيل ذلك من أنواع التعذيب والاذى والقتل للمسلمين والمفاوضات وغيرها ، وكان من بنود هذه المعاهدة :

- ١ - الا ينكحوا بنى عبدالمطلب وبنى هاشم .
- ٢ - الا يبيعوهم شيئا .
- ٣ - الا يبتاعوا منهم شيئا .

تعاهدوا على الوفاء بذلك وكتبوه في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيدا لذلك . وكان في السنة السابعة من النبوة بعد الهجرة الى الحبشة وقيل قبلها ، ورجح ابن كثير الاول لما رواه البيهقي وابن هشام (١) عن ابن اسحق وغيره وهو الذي ظهر لي وترجح وقد سبق بيانه في الهجرة الى الحبشة والله أعلم .

كما نقل عن موسى بن عقبة عن الزهري ان هذه المقاطعة من قريش كانت بعد ان اجتمعت على قتل النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما علم ابوطالب بذلك امر جميع بنى عبدالمطلب وبنى هاشم ان يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - شعبيهم وان يمنموه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله ايمانا وبقينا الا ابا لهيب فانه ظاهر المشركين .

(١) انظر السير والمغازي ج ١ ص ١٥٦ - السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٣٥٠  
 فقه السيرة للغزالي ص ١٢٣ - السيرة النبوية للندوي ص ١٠٣ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٦ - السيرة النبوية ابوشهبه ج ١ ص ٢٧١ .

فلما عرفت قريش ان القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجمعوا امرهم الا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله للقتل تواتقوا على ذلك وكتبوه في صحيفة . . نقل هذا ابن كثير وسكت عنه ، وكان أبوطالب ينقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراش لا خر خوفا عليه ممن الاغتيال (١) ، ومن قال بهذا القول الخضرى وابوزهرة (٢) .

قلت : وقد وهم من قال بهذا القول لان الاتفاقي والمؤامرة على قتل النبي صلى الله عليه وسلم انما كان بعد موت عمه ابي طالب بعد الجلسة التي عقدت في دار الندوة وحضرها رؤساء المشركين ومعهم ابليس اللعين في صورة شيخ نجدى وترك النبي صلى الله عليه وسلم فراشه بعد نزول جبريل عليه السلام يحذره من ذلك ، مات فيه على بن ابي طالب ، وفي صبيحة تلك الليلة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الغار هو وصاحبه في طريقه الى الهجرة . (٣)

هذا وقد دخل النبي - صلى الله عليه وسلم ومن معه من بنى هاشم وغيرهم - في شعب (٤) بنى هاشم مضطرين وقد اشتد الحصار عليهم وانقطع

( ١ ) انظر البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ .

( ٢ ) انار نور اليقين للخضرى ص ٦٠ وخاتم النبيين - ابوزهرة ج ١ ص ٥٢٠ الناشر دار الفكر العربى الطبعة الاولى . سنة ١٩٧٢ م وقد يحمل هذا القول على المفوضة الجنونية في تسليم قريش عمارة بن الوليد لابي طالب على ان يسلم اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وقد سبق ان ذكرت في مبحث (تحمل الانى) ان قريشا لهينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم الا بعد وفاة عمه ابي طالب . رجح هذا ابن كثير كما سبق و ابن سعد ذكر ذلك في الطبقات ج ١ ص ١٩٦ .

( ٣ ) انظر تفسير الطبرى ج ٩ ص ٢٢٦ - ٢٣٠ - لباب النقول ص ١٠٨ - ١٠٩ وانظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٤٨٠ - ٤٨١ - تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٨٥ - فتح القدير ج ٢ ص ٣٠٤ عند تفسير قول الله تعالى : ( وان يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ) ٣٠ ممن سورة الانفال .

( ٤ ) الشعب بالكسر الطريق في الجبل وما انفج بين جبلين اهد . مصباح ج ١ ص ٣٣٦ . وهو مشهور بهذا الاسم الى زماننا هذا يقع شرقي المسجد الحرام ومنه الطريق الصاعد الى جبل ابي قبيس وفيه لوحات ارشاد ديمة .

العون وقل الغذاء ، حتى بلغ بهم الجهد اقصاه ، وسمع بكاء الاطفال من وراء الشعب وعضتهم الازمات العصبية حتى رثى لحالهم الخصوم وقد واجه المحصورون كل ذلك بصبر وضمود راسخ كالجبال .

ولم يكتف المشركون بتلك الحملة الشديدة على الاسلام والمسلمين ، بسبل البوا العرب عليهم من كل فج كما لم يكتفوا بما تعاهدوا عليه في الصحيفة الظالمة فحسب ، فهذا نداء الوليد بن المغيرة في قريش ( ايما رجسنا وجد تموه عند طعام يشتره فزيد وا عليه وحولوا بينهم وبينه كمن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلى النقد ) (١) فيرجع اهدهم الى اطفاله وهم يتضاغون من شدة الجوع وليس في يده شئ يطعمهم ، استمروا على ذلك ثلاث سنين وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا . (٢)

وهانحن اولاء مع سعد ابن ابي وقاص رضى الله عنه احد المحصورين يروي لنا انموذجا من ذلك الحصار ، روى ابن اسحق بسنده عن سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه قال : ( لقد رايتني مع رسول الله بمكة فخرجت من الليل ابول ، فاذا انا اسمع قعقة شئ تحت بولي فنظرت فاذا قطعة جلد بعير فأخذتها ففسلتها ثم احرقتها فرضضتها بين حجرين ثم استفتتها فشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا ) .  
وهنه ايضا قال : ( كنا قوما يصينا صلف العيش - بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وشدته فلما اصابنا البلاء اعترفنا وصبرنا له وكسان مصعب بن عمير انعم غلام بمكة واجوده هلة مع بويه ثم لقد رايت جهد فسى الاسلام جهدا شديدا حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف (٣) جلد الحية حتى ان كنا لنعرضه على قسينا فنحطه ما به من الجهد وما يقصر عن شئ بلغناه ثم اكرمه الله بالشهادة يوم أحد ) (٤) .

- 
- (١) السير والمغازي ج ١ ص ١٥٩ .  
(٢) انظر التفاصيل في فتح الباري ج ٧ ص ١٩٢ - ١٩٣ .  
(٣) بيس وتخلص اهد . قاموس ج ٣ ص ١٢٨ .  
(٤) السير والمغازي لابن اسحق ص ١٩٣ - ١٩٤ وسكت عنه الالباني في تخريج وتصحيح احاديث فقه السيرة .

فانظر كيف بلغ الحصار بالمسلمين وكيف الجأهم ان يطمعوا ما لا  
 مسأغ له . . وكيف صبر المترفون على شظف العيش (١) بل استعذبوه  
 في سبيل دينهم وعقيدتهم ذلك هو رباط الايمان وحده الذي يمسك  
 القلوب ويصبر على اللاء . (٢)

وطبيعى أن يستعجل المسلمون الخروج من هذا المأزق لما وعدوا  
 به من النصر والتمكين . وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوي الرحمة ممن  
 قرئش فكان احد هم يوقر البعير زادا ثم يضره في اتجاه الشعب ويتسرك  
 زمامه ليصل الى المحصورين فيخفف شيئا ما بهم من اعياء او فاقة .

#### - الاضطهاد يزيد الدعوة عمقا :

عرفت فيما مضى أن النبي صلى الله عليه وسلم - واصحابه كانوا يعانسون  
 آلام الحصار بانواعه ، ومع ذلك لم يشغلهم عن تبليغ الدعوة وعرضها ،  
 ان الاضطهاد لا يقتل الدعوات بل تزيد جذورها عمقا واغصانها امتدادا  
 قال ابن هشام بعد ان ذكر ماجرى بين ابي البختري وابو جهل بسبب  
 الطعام الذي كان يمد المسلمين به ابو البختري ( فلقية يوما ابو جهل فنال  
 كل من صاحبه فضرب ابو البختري ابا جهل بلحن بعير فشجه ووطئه وطمأ  
 شديدا ) الى ان قال ( ورسول الله صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو  
 قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مباديا بأمر الله ، لا يتقى فيه احدا ممن  
 الناس ) (٤)

قال الغزالي (٥) : ( ولأحسب شيئا يربو النفوس على التجرد كهذا  
 التفانى في الحق للحق ذاته . ثم ان القرآن كان صارما في قمع المتاجرة

( ١ ) شظف العيش شدته وضيقه .

( ٢ ) الاحتباس والشدة والابطاء وقع فيها اهد . قاموس ج ٤ ص ٣٨٤ .

( ٣ ) في هامش السيرة ما لفظه : ( وفي ساير الاصول مناديا ) .

( ٤ ) السيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٤ .

( ٥ ) انظر فقه السيرة للغزالي ص ١٢٦ .

بالمعقائد والأثراء على حسابها والعلوفى الارض باسمها ) ( من كان يريد  
الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون  
اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها واطل  
ما كانوا يعملون ) (١) .

### - مكاسب الدعوة فى زمن الحصار :

وقد كسبت الدعوة مكاسب عظيمة منها :

ما أفاده الصحابة رضوان الله عليهم من العفة والنقاء والاخلاص  
التي لا يعرف لها فى التاريخ نظير كانوا يلقون غيرهم فى موسم الحج فلم  
تشغلهم آلامهم عن تبليغ الدعوة وعرضها بل كسبت انصارا كثيرا ان بدأ  
المشركون فى الانقسام والتساؤل حول المقاطعة ، وشرع فريق منهم يعمل  
على ابطال لها، ونقض الصحيفة الظالمة ، فعند اشتداد الكرب تبد ومطالع  
الفرج ، وصدق الله القائل : ( فان مع العسر يسرا . ان مع العسر  
يسرا ) (٦) وصدق رسوله - صلى الله عليه وسلم - القائل : ( لن يخلص  
عسر يسرين ) (٣) ، وكما قال صلى الله عليه وسلم ايضا : ( نزل المعونة  
من السماء على قدر العثونة ونزل الصبر على قدر المصيبة ) (٤) وفى رواية  
( . . لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجأ اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه  
فأنزل الله عز وجل ) ( ان مع العسر يسرا . . الاية ) وما يروى عن الشافعى  
رضى الله عنه انه قال :

( ١ ) هود : ١٤ - ١٥ .

( ٢ ) الانشراح : ٤ - ٦ .

( ٣ ) كذا فى تفسير ابن كثير عن الحسن مرسلا . ومعناه ان العسر مصروف  
فى الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد . فالعسر الاول عيبن  
الثانى بخلاف اليسر فانه تعدد اهـ . المرجع نفسه ج ٨ ص ٤٥٤ .

( ٤ ) المصدر نفسه ، من حديث ابو هريرة بلفظ : ( نزل ) فى  
الموضعين راجعت فيه نسختين .

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا      من راقب الله في الامور نجبا  
من صدق الله لم ينله أن ي      ومن رجاه يكون حيث رجا (١)

### - هشام بن عمرو يدبر نقض الصحيفة :

وقد تصدى لابطال المقاطعة جماعة من قريش بزعامه ( هشام بن عمرو بن ربيعة ) فقد ساءت حال المسلمين لما هم فيه من عناء ، وكان واصلا لبني هاشم ، ذا شرف في قومه ، وقد أبلى بلاء حسنا ، ان مشى الى زهير بن ابي امية ( وكان شديد الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان كانت امه عاتكة بنت عبد المطلب ، فناشده حق الرحم قائملا : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؟ .. أحلف بالله لو كانوا أخوال ابي جهل ، ثم دعوتيه الى مثل ما دعاك اليه ما اجابك أبدا . قال : فماذا اصنع انما انا رجل واحد . والله لو كان معي آخر لنقضتها . فقال قد وجدت رجلا . قال : فمن هو ؟ قال انا . قال ابغنا ثالثا . فذهب الى ( المطعم بن عدي ) فوافقه وطلب منه رابعا ، فذهب الى ( ابي البختري ) فوافقه على أن ينضم اليهم خامسا ، فذهب الى ( زمعه ابن الاسود ) فانضم اليهم ، فاتعدوا خطم الحجون<sup>(٢)</sup> ليلا فاجتمعوا هنالك وتعاقدوا على القيام في نقض الصحيفة فقال زهير أنا أبدأ وكم بالكلام .

### - تنفيذ نقض الصحيفة :

فلما أصبحوا غدوا الى اند يتهم وغدا زهير فطاف بالبیت سبعا ، ثم أقبل على الناس قائلا : يا أهل مكة أنأكل الطعام وتلبس الثياب ، ومنسوا هاشم هلكن . والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة ، قال ابو جهل : كذب<sup>بج</sup> والله لا تشق . قال زمعة : انت والله اكذب ما رضينا كتابتها . قال ابو البختري : صدق زمعه ، قال المطعم : صدقتما وكذب من قال غير ذلك وقال هشام : نحوا من ذلك ، فنكس ابو جهل رأسه وقال : ( هذا أمر قضى بليل ) . فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكتبها

( ١ ) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤٥٤ .

( ٢ ) الحجون موضع معروف باعلى مكة وهو الذي نصب النبي صلى الله عليه وسلم الراية عليه عام الفتح وخطمه مقدمه . اهـ . هامش السيرة ابن هشام .

( ٥ ) معلوم ان الانبياء عليهم السلام قد نالهم كثير من الأذى ، وبعضهم قتلوا ، وهم اميرى الناس في تواريخهم واعمالهم .

الا ( باسمك اللهم ) وفي رواية ابن اسحق : ان الذي بقى منها القطيعة والظلم والبهتان . (١)

وقد رويت هذه القصة بعدة روايات اكتفينا منها بما ذكرنا والمقام لا يسع اكثر من هذا . وقد كان مصير كاتب الصحيفة ان شلت يده على اختلاف في اسمه والمشهور انه منصور بن عكرمة .

وهكذا كان مصير الظلم والقطيعة ، جعل الله بأسهم بينهم . فكالحصار ، وأيد الله الدعوة المحمدية برجال من رؤساء قريش المشركين ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ( . . وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ) (٢) وكان مصير الظالمين القاطمين ان قتلهم ذلك المحصورون - الضعفاء - مادة انذاك الاقوياء ، ايماننا حاضرا ومستقبلا - يوم بدر ، ( ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلمهم يرجعون ) (٣) والبقية الباقية استسلموا يوم فتح مكة ( يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ) (٤) زد على ذلك ما نزل بهم من الجوع والامراض والدخان ، على القول بانه قد نزل وقد سبق الكلام على ذلك ( وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذها اليه شديد ) (٥) .

(١) السير والمغازي ص ١٦١ ابن هشام ص ٣٧٤-٣٧٦ البداية ج ٣ ص ٩٥-٩٧

(٢) فقه السيرة غزالي ص ٢٣-٢٤ طويل عن ابي هريرة - البخاري ج ٢ ص ١٨٠-١٨١

- ج ٤ ص ١٤٥ ، مسلم ج ١ ص ٧٣-٧٤ وذلك لان رجلا قتل نفسه

من شدة الم الجراحة وكان اول النهار قاتل قتالا شديدا في صفوف

المسلمين يوم حنين . الدار ص ٢ ج ٢ ص ١٥٨ . مسند احمد ج ٢ ص ٣٠٩

وان ذلك كان يوم خيبر .

وقال النووي نقلا عن القاضي عياشي رحمهما الله تعالى : كذا وقع في

الاصول اي يوم حنين وصوابه يوم خيبر اه . شرح مسلم ج ٢ ص ١٢٢-١ ومن

ذلك شهود صفوان بن امية حنينا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشرك

وتعقب بانه معارض بحديث ( لانستعين بمشرك ) وقيل لا معارضة لانه

اما خاص بذلك الوقت واما ان يكون المراد به الفاجر غير المشرك . اه

فتح الباري ج ٦ ص ١٧٩ - وحديث فلن استعين بمشرك ، رواه مسلم

ج ٥ ص ٢٠١ .

(٣) السجدة : ٢١

(٤) التوبة : ٢٢

(٥) هود : ١٠٢

( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنمون ، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون ) (١)

وأعظم نعمة كفروا بها هي رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ان أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور فقابلوا هذه النعمة بالجحود فاستحقوا ما نزل بهم .

### - نتائج المقاطعة :

عجبا لتلك الاحداث كيف تنقلب ضد رغبة تدبيرها ؟  
ولاعجب . . انه صنع العزيز الحكيم ( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) (٢) . . صحيح أن المقاطعة التي فرضها رؤسا المشركين بتلك الصحيفة الثالثة قد الحققت أذى كثيرا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحقومه . ولكنها جذبت للدعوة خيرا كثيرا فهي منعت ذوى الاغراض الدنيئة من الانتساب اليها ان ليس لهم فيها مطمع دنيوى لطامع فلم يقبل على هذا الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا من عمرت قلبه حرارة الايمان ، فلم يطق صبرا على فراقه مهما بلغت التضحية وكل دعوة يتساح لذوى الاغراض الاندساس بين صفوفها فان مآلها الى البوار لا محالة لانهم لا يلبثون ان ينحرفوا بها عن اغراضها جريا وراء مصالحهم وتحقيقا لاغراضهم ضاربين باهدافها الارض .

(١) النحل: ٢١٢-٢١٣

(٢) الانفال : ٣٠

واصل المكر فى اللغة الاغتيال والتدبير فى خفا . وعليه فلا يسند الى الله الا على سبيل المشاكلة كما سمي جزاء السيئة سيئة ، ومكر الله استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون . والمعنى انهم يخفون ما يعدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المكائد فيجازيهم الله على ذلك ويرد كيدهم فى نحورهم . فتح القدير ج ١ ص ٣٤٤ . ج ٢ ص ٣٠٢ ، المصباح المنير ج ٢ ص ٢٤٣ .  
وفى الآية كلام يتعلق بصفات الله تعالى . فارجع اليه فى مظانه على ضوء عقيدة السلف الصالح .



وهذا العذاب الذي كان ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه المؤمنين كان الضمان الاكيد لتنظافة المنتسبين للإسلام .

وكان كثير من المشركين عند ما رأوا ما أحاط بالرسول عليه الصلاة  
والسلام ، ومن معه من الضيق والشدة في الشعب قد انقلبوا الى صفه  
وأصبحوا من المدافعين عنه ، مما أدى الى تمزيق الصحيفة الظالمة ،  
ومذ لك وجدت الخلخلة في صفوف المشركين فلم تعد كلمتهم واحدة  
وظهر لأول مرة من يرفع صوته معترضا على مضايقة محمد صلى الله عليه  
وسلم ومن معه . (١)

، ، ،

---

( ١ ) انظر التفسير السياسي للسيرة ص ٩٠ - ٩١ .

## - الفصل الثالث -

### - اعداد الدعاة :

اعلم بأن اعداد الدعاة مهمة ليست فرعية بل هي أساسية وغير سهلة تحتاج الى جهود غير قصيرة ، وقد حدد القرآن الكريم هذه المهمة الأساسية للرسول صلى الله عليه وسلم بصراحة فقال : ( هو الذي بعثت في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) (١)

وهذه هي من دعوات ابراهيم عليه السلام ان قال : ( ربنا وابعت فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ) (٢)

وقد استجاب الله - عز وجل - دعوة ابراهيم عليه السلام ، وبعثت في العرب محمدا صلى الله عليه وسلم - مع عموم رسالته - فعلمهم وأحسن تعليمهم وأدبهم فأحسن تاديبهم واعد لهم واحسن اعدادهم وخرج جيلا فريدا من نوعه يحمل شهادة عالية سماوية ( كنتم خيرا امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) (٣) ولكن هذا الجيل لم يحصل على هذه الشهادة الا بعد عناء ودراسة وامتحان شاق في جميع المراحل التي اجتازها بنجاح وذلك بعد الانتشال من حمأة الجاهلية الى قمة الاسلام ، وكما يقال : التخلية قبل التحلية . وقد أشرت السور نماذج من ذلك الامتحان الذي لا يجتازه الا ذوا الايمان الراسخ في القلوب رسوخ الجبال التي لا تززعها الرياح والمواصف .

(١) الجمعة : ٢

(٢) البقرة : ١٢٩

(٣) آل عمران : ١١٠

وقد احصت هذه الاية من مهمات الرسول عليه الصلاة والسلام - التعليم والتربية تعليم الكتاب والحكمة ، وتربية النفس عليهما ، وكان الجانب الاعظم من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستغرقا بهذا الجانب ان انه هو الجانب الذي ينبع عنه كل خير ولا يستقيم اي جانب من جوانب الحياة سياسيا او اجتماعيا او اقتصاديا او اخلاقيا وعسكريا الا به ، ولا يؤتى الانسان ولا تؤتى امة ولا تؤتى الانسانية الا من التفريط في العلم الصحيح والانحراف عنه اما الى الجهل أو الى ما يضر علمه ولا ينفعه . اهـ .  
الرسول : لسعيد حوى ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

ولكن نريد أن نبين - ولو قدرا يسيرا - كيفية ذلك الاعداد . وهل استغرق ذلك وقتا قصيرا أم العكس . وهل اكتفى بالاعداد مرة واحدة ، أم لابد من الاستمرار ؟ وما الى ذلك من التساؤلات .

قال شيخنا : ( ان العجينة البشرية عجينة عصية وانه لا يكفى ، أن نضعها مرة في داخل قالب المضبوط لتستقر وحدها هناك ، انها دائمة التقلب والبروز من هنا ومن هناك بتاثير الدافع القوية ، والجوانب العنيفة التي تجذبها نحو الارض وتحركها فيها ، والدعاة بالذات او الجيل الاول من الدعاة بالذات يحتاج الى صياغة خاصة ليحمل تكاليف الحق وانها لتكاليف مرهقة تحتاج الى تدريب واعداد خاص . .

انها ليست نزهة مسلية ولا عرضا قريبا ولا سفرا قاصدا انها الدعوة انها تشييد بناء متين يستظل فيه الناس بظل الله في الارض ، ويستروحون بنا ، يقام لله ويكون الحكم فيه لله . . ثم انه بناء في حاجة الى حماية ووقاية من الاعداء الذين يكرهون ( لا اله الا الله ) لانها تسلبهم سلطانهم المختص ، وترده الى الله ، اولانها تضبطهم بميزان الله ، وهم يريدون الانفلات بما تولى عليهم الشهوات . فمن اين لهذه العجينة الطريقة العصية أن تخلص من نوازعها وجوانبها وهواتها التي لا تفتأ تخرجها من قالبها المضبوط ، وتبرز بها من هنا وهناك لتستقيم على وضعها المضبوط حتى تقيم العدل الرباني في الارض ، لا تميل به المصلحة ولا الهوى ولا الرغبات ؟ . .

ثم اين لهذه العجينة ان تصلب وتنضبط لتحتمل تكاليف الجهاد ، والجهاد قائم بالضرورة لحماية البناء الرباني من الاعداء ؟ . أفى الرخا تتحول هذه العجينة الى صورتها المنضبطة في قالب المطلوب ؟ يعلم الله ان ذلك لا يكون ، ان العجينة الناضجة على البارد لا تحتمل الضغط ولا تثبت للصدام ، وسرعان ما تتفلق من هنا وهناك .

( انن ) لابد من صناعة خاصة لا ولك الذين يقومون بالدور الاول ، ازاء الجاهلية ويؤسسون للبناء . وكما تحتاج العجينة الى حرارة النار لانضاجها ، فكذلك تحتاج العجينة البشرية الى حر الابتلاء ، في حر الابتلاء تثبت العجينة الطرية العصية وتصلب وتصبح قادرة على الصمود والصدام في حر الابتلاء . تترسخ العقيدة وتمتد جذورها في النفس حتى تتمكن منها ولا تعثر

تقتلع أبدا ، مهما اشتدت بها العواصف بعد .

ان الايمان فى الرخاء سهل ، لأنه لا يكلف صاحبه كثيرا ، ولا يهدده فى أمنه وسلامته ، ولكن حقيقة الايمان لا تتبين - حتى لصاحبها - الا بالابتلاء كما تدق الصمار فى الحائط فتحسبه راسخا لا ول وهلبة مادام ثابتا فى مكانه . ولكنك لا تأمن عليه حتى تختبره ، فتضبط عليه باصبعك او تحاول انتزاعه ، ثم لا تعلق عليه شيئا الا اذا ثبت بعمد الاختبار ( أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) (١) ( أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا ان نصر الله قريب ) (٧) ( أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ) (٣) ( ومن الناس من يقول آمنا بالله - فاذا اؤذى فوالله جعل فتنة الناس كعذاب الله ) (٤) .

كلا . . لا بد من لابتلاء لترسيخ العقيدة ذاتها استعدادا لا قاممة البناء . (٥) ( اولا زالة العناصر المزيفة ) ولكن ليس فى الجيل الاول من هذا شىء . وقد سبق أن ذكرنا ان العقيدة تقول : لا اله الا الله وانه الضار النافع وحده والتدبير بغير شريك . وانه لا يحدث شىء فى الارض الا بما اراده الله . (٦)

(١) آل عمران - ١٤٣ .

(٢) البقرة : ٢١٤ .

(٣) التوبة : ١٦ .

(٤) المنكوت : ١٠ .

(٥) منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٥٩ - ٦١ .

(٦) الارادة نوعان : ارادة كونية قدرية شاملة كتقدير الخير والشر ومنه

قوله تعالى ( انا كل شىء خلقناه بقدر ) القمر ٤٩ .

وارادة امرية شرعية دينية كقوله تعالى : ( يريد الله بكم اليسر

ولا يريد بكم العسر ) البقرة : ١٨٥ . وقوله ( يريد الله لسيبين لكم

ويهدى بكم سنن الذين من قبلكم ) النساء : ٣٦ والفرق بينهما ، أن

الارادة الامرية الشرعية تستلزم المحبة بخلاف الكونية القدرية ، فان

الله سبحانه وان قدر الكفر فانه لا يرضاه ولا يحبه ( ولا يرض لعباده

الكفر وان تشكروا يرضه لكم ) الزمر : ٧ .

يؤمن الناس بذلك ايماناً سهلاً في الرخاء ، ويحسبونه قضية منتهية لا تحتاج الى مراجعة ، ثم يحدث الابتلاء ويصبح اهل الحق في موقف الضعيف والهوان والذلة . واهل الباطل في موقف السيطرة والسطوة والاستعلاء . وفي موقف العدم وان كذلك والايذاء .

فمن ثبت في مكانه واستيقن ان ما يصيبه من الضر على ايدى هؤلاء إنما يصيبه بارادة الله سبحانه ومشيئته لا بارادة هؤلاء ومشيئتهم وانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا . ( ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في من أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ) (١) فمن ثبت على هذا فقد آمن حقا أن الله هو النصار النافع وحده . ومن تزلزل يقينه ونظر الواو لثباتك الطفافة كمن يملك التصرف في شيء من عند انفسهم ، فهو ان غير صالح لاقامة البناء وكان من الحكمة ان ينكشف قبل اقامة البناء بالفعل ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطالعكم على الغيب ) (٢) .

ان الجيل الاول من الدعاة الذي واجه الجاهلية بكل عنفها وضراوتها في محاربة العقيدة والمؤمنين بها حربا تقصد بها الابادة الكاملة . هذا الجيل في حاجة الى اعداد خاص ليتحمل التكاليف وهي تكاليف باهظة عنيفة ومرهقة (٣) .

(١) الحديد : ٢٢

(٢) آل عمران : ١٧٩ - فلا بد ان يعقد شيئا من المحنة يظهر فيه وليه ويفتضح فيه عدوه يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر ( وما كان الله ليطالعكم على الغيب ) لولا ما يعقده من الاسباب الكاشفة لذلك والخطاب قيل للكفار والمنافقين وقيل للمؤمنين والمنافقين وقيل للمشركين وقيل للمؤمنين وكل توجيه ليس هذا محله فهي وان كانت ميزت بين اولئك يوم احد فالعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . اهـ ابن جرير ج ٣ ص ١٨٧ - ابن كثير ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١ - فتح القدير ج ١ ص ٤٠٤ وفيه توسع .

(٣) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٦١ - ٦٢ بتصرف .

وهذا الاعداد لا يمكن ان يتم في الرخاء السهل انما يتم في الشدة المحرقة . فكما يدرب الجيش المحارب في الصحراء على احتمال العطش والرمضاء ودرجات البرد والرياح العاصفة فكذلك تم تدريب الجيل الاول من الدعاة في ذات الجو الذي عانوه ، فيدخلهم ربهم المحنة - كما سبق بيانه - رحمة بهم لا غضبا عليهم ، حتى يعود هم على الجهد ، فلا يجهد هم العمل ولا الاستمرار فيه .

ان انما الرحمة والتربية الربانية فضلا على تمييز الخبيث مسن الطيب من اول الطريق ، انه التدريب الرباني على تحمل المشاق ، والاعداد الروحي والعقلي والبدني للقيام بأخطر مهمة في هذا الكون كله ، مهمة اقامة الخلافة الراشدة في الارض ، وهذا ما كان بعد الهجرة النبوية ، ثم انها فرصة لتدريب من نوع آخر ضروري للدعاة بصفة عامة وللجيل الاول بصفة خاصة .

ان الداعية لا يصلح أن يكون ملتصقا بالارض خاضعا لجوانبها ، فان حمله اثقل ، ومهمته اخطر ، حمله اثقل ، لانه يواجه الجاهلية بضراوتها واصرارها على ابادته ودمه والداعية ومهمته اخطر ، لانه لا يطلب منه أن يكون مجرد مسلم عادي ، بل يكون مثالا لان أنظار الناس متعلقة به ، تأخذ منه القدوة والعكس بالعكس .

فمن أجل أن يكون قادرا على حمل التبعة الثقيلة بشقيها ( هما مواجهة التكاليف الباهظة بنفسه وراضية والارتفاع الى مستوى القدوة ) من أجل ذلك يلزمه تدريب من نوع خاص يتمود فيه على الحرمان من متاع الارض ويتمود فيه على التخفف من جوانب الأرض ، والقدرة على الانفلات منها في لحظة حين يدعو الى ذلك داع . وهذا ما يحتاج الى التدريب الخاص حتى يكون - على المستوى العملي - مستمدا استمدادا تاما بلا توجه ولا تحسر . (١)

( ١ ) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٦٤ - ٦٥ .

ففي هذا التدريب الخاص - داخل الابتلاء - يبعد الانسان عن متاع الأرض على غير اختيار منه ، وقد يكون على غير رضا منه في مبدأ الامر ، ثم تمر الايام وتطول المحنة ، فماذا يحدث من تحولات في النفس ؟ انسه في الحقيقة - يحدث شيء كبير :

- أ - يكتشف الانسان في نفسه طاقة على الصبر لم يكن يظنها موجودة في نفسه اولم يظنها بهذا القدر ، وفي هذا تثبيت له على الابتلاء وتشجيع على احتمال مثله اذا تعرض له في ظرف آخر كأي تجربة جديدة قد يخشى الانسان من خوضها فاذا خاضها بنجاح لم تعد تكرهه من بعد ، حتى وان كانت تكلفه الكثير من الجهد ،
- ب - يكتشف الانسان أن كثيرا من ضرورات الحياة التي ظننها في الرخاء ضرورة حياة او موت ليست في الحقيقة كذلك ،
- فما هوذا قد حرم منها ، ومع ذلك لم يمت .
- وما هوذا قد حرم منها ومع ذلك لم يفقد من حجم الحياة ومعها كثيرا في نفسه بل الاصح هو العكس لقد زادت حياته غنى ومعها واتساعا بالوان من المشاعر الجديدة رفيعة عالية ما كان يحسها في الرخاء ولا يتذوق طعمها ، وما كان يتأمله أن يتذوقها لولا هذا الحرمان الاجباري الذي أوقعه فيه الابتلاء على كره منه .
- مشاعر وتصورات وافكار ذات أعماق وابعاد وذات نور وشفافية (١)
- واشراق ، حتى وان كانت قاعدتها هي الالم ، وغذاؤها هو الدموع .
- ويحدث اخيرا ان يرى الحياة الدنيا على حقيقتها بحجمها الطبيعي .
- ان نفس الانسان كحسه القريب منها تراه أضخم من حقيقته والبعيد عنها تراه أقل من حقيقته ، ضع اصبعك قريبا من عينك تحجب عنك كل ما وراءها من المرئيات رغم حجمها الصغير ، وأبعدها عنك ترها على حقيقتها ، ولا تحجب عنك الا حفا ضئيلا لا يكاد يؤثر في رؤيتك للأشياء .

(١) يقال ثوب شفيف أي رقيق وهو الذي يستشف ما وراءه ، أي يبصره . اهـ ،

والنفس كذلك ، وهى ملتصقة بالارض خاضعة لجوانبها تراها  
 فى حسها ضخمة جدا ، وهائلة جدا ، وحرية بان يعيش لها الانسان  
 كل لحظة من لحظات حياته ، ثم تبعد عنها - او تبعد عنها قسرا -  
 فتراها على حقيقتها وترى ما وراءها مما كانت تحجبه وهى قريبة من الحسن  
 فتخف الثقل ، فلا تعود مقيدة ، وتخف الجذبة فلا تعود قاهرة  
 وتخف المشغلة فلا تعود هم الليل والنهار ، وينطلق الانسان من اسرها  
 بجهد أيسر ، او بغير جهد حين يبلغ من التدريب مداه . تلك دروس  
 التربية فى المحنة ، وهى دروس - كما ترى - لازمة للجيل الذى يقوم  
 على اكتافه البناء ، الجيل الذى يراد له أن يصنع صناعة خاصة ، سوا  
 فى أثناء مواجهة الجاهلية الضارية او بعد ذلك حين التمكين .

وفى كلا الحالىن يكون المطلوب نماذج فائقة من البشر استطاعت  
 أن تتجرد لله ، وأن تحتل المشقة فى سبيل الله .

تلك دروس العقيدة ، وهى دروس التربية كذلك ، فهى تقول لهم :  
 لستم وحدكم على الطريق انما سبقكم امم ابتليت كما ابتليتكم وطفى عليها  
 الطغاة كما طفوا عليكم فصبروا على الاضطهاد والتعذيب والتشريد والتقتيل  
 فكونوا كذلك صابرين مثلهم . . فهذا سبيل الدعاة .

ثم هى تقول لهم : ان الله هو الذى يقدر ذلك كله ، هو الذى يمسك  
 للطغاة ليزدادوا وكفرا على كفرهم وليبتلى المؤمنين ليزدادوا ايمانا ومع  
 ايمانهم ، فرسخوا ايمانكم بالله لتخرجوا ناجحين من الابتلاء مستحقين  
 عند الله حسن الجزاء .

ثم هى تقول لهم ان الله هو الذى ينهى المحنة حين يحل الموعد  
 المقدر فى قدر الله اذن فسبيل المؤمن هو الصبر حتى يأتى الله  
 بالتخيير . وهو التوجه لله والتطلع الدائم اليه أن يكشف الغمة عنهم  
 ويقرب الفرج اليهم ، وذلك يرتبط القلب البشرى بالله مزيدا من الارتباط  
 ويترى على التطلع الدائم اليه والتوجه اليه فى الكبيرة والصغيرة على  
 السوا .



والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يحدثهم بأخبار من كان قبلهم وعن صبرهم في الابتلاء ويطلب اليهم الثبات والصبر والتعلق بالله .

جاء في الحديث عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : ( شكونا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له : الا تستنصر لنا ، الا تدعو الله لنا ، قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالميشار (١) فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمنن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنم الى حضر موت لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) (٢) .

ومع ذلك يعطيهم من نفسه صلى الله عليه وسلم النموذج والقذوة في ذلك كله ، فتمتج دروس العقيدة ودروس التربية والاعداد في مزيج واحد يصنع في نفوس المؤمنين - دون ان يشعروا - تلك التحولات الضخمة التي حدثت فيخرجون من المحنة ، وهم اصلب عودا وامضى ثباتا ، وقد ترسخت العقيدة في نفوسهم فلم تعد تقطع ، وترسخ ذلك المنهج الاسلامي في وجدانهم فاستقاموا عليه وتجردت نفوسهم لله وحده ، فلم تعد تبغى لنفسها شيئا الا الوصول لرضوان الله عز وجل . (٣)

وقد كان القرآن وهو يبين العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية من حولها كما يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها هي واخلاقها وواقعها . ومن هذه الملابس ظهر بناء العقيدة لا في صورة نظرية ولا في صورة لاهوت ولا في صورة جدل كلامي ولكن : في صورة تجمع عضوي حيوي وتكوين تنظيمي مباشر للحياة ، مثل في الجماعة المسلمة ذاتها . وكان

(١) الميشار بالياء التحتية المهموزة ودونها والنون كما في فتح الباري

ج ٧ ص ١٧٦ .

(٢) البخاري ج ٢ ص ٢٨١ - ٣٢١ بالفاظ متقاربة .

(٣) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٦٨ - في ظلال القرآن ج ١٠ ،

ص ١٥٧٧ .

نمو الجماعة المسلمة في تصورها الاعتقادي وفي سلوكها الواقعي وفق هذا التصور وفي دريتها على مواجهة الجاهلية كمنظمة محاربة لها ، كان هذا النموذاته مثلا تماما لنمو البناء العقيدى وترجمة حية له ، وهذا هو منهج الاسلام الذي يمثل طبيعته كذلك . (١) قال شهيد الدعوة رحمه الله - ( لقد خرجت هذه الدعوة جيلا من الناس - جيل الصحابة رضوان الله عليهم - جيلا مميزا في تاريخ الاسلام كله ، وفي تاريخ البشرية جميعه . ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى . نعم وجد افراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ ، ولكن لم يحدث قط ان تجمع مثل ذلك العدد الضخم في مكان واحد كما وقع في الفترة الاولى من حياة هذه الدعوة هذه ظاهرة واضحة واقعة ذات مدلول ينفي الوقوف أمامه طويلا لعلمنا نهتدى الى سره . (٢) .

ان قرآن هذه الدعوة بين أيدينا وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهدية العظمى وسيرته الكريمة كلها بين أيدينا كذلك كما كانت بين أيدي ذلك الجيل الاول ، الذي لم يتكرر في التاريخ ، ولم يغيب الا شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهل هذا هو السر؟ لو كان وجود شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتميا لقيام هذه الدعوة وايتائها ثمراتها ، ما جعلها الله دعوة للناس كافة ، وما جعلها آخر رسالة وما وكل اليها أمر الناس في هذه الارض الى آخر الزمان .

ولكن الله - سبحانه - تكفل بحفظ الذكر وعلم ان هذه الدعوة يمكن أن تقوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويمكن ان تؤتى ثمارها فاختره الله الى جواره ، وأبقى هذا الدين من بعده الى آخر الزمان واذن ففهيبة شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تفسر تلك الظاهرة ولا تعللها فلنبحث انذنا وراء سبب آخر .

( ١ ) انظر معالم في الطريق ص ٣٨ .

( ٢ ) المرجع نفسه ص ١١ .

- أ - لننظر في النبع الذي كان يستقى منه هذا الجيل الاول . فلمصل شيئاً قد تغير فيه ،  
 ب - ولننظر في المنهج الذي تخرجوا عليه فلمعل شيئاً قد تغير فيمنه كذلك .

- النبع هو هو . . لم يتغير ولن يتغير ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) (١) . ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) (٢) .

### - منهج الأخذ من ذلك المنبع الصافي :

ولكن الجيل الاول لم يكونوا يقرءون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع ولا بقصد التذوق والمتاع لم يكن أحد هم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة ولا ليضيف الى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جمعته ، انما كان يتلقى القرآن ليتلقوا امر الله - سبحانه - في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها وشأن الحياة التي يحيها هو وجماعته ، يتلقى ذلك الامر ليعمل به فور سماعه كما يتلقى الجندي في الميدان الامر اليوم ليعمل به فور تلقيه ، ومن ثم لم يكن أحد هم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة ، لانه كان يحس انه انما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها كما جاء ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ( كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن ) وفي رواية من طريق السلمى ( فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً ) (٣)

(١) سورة فصلت : ٤٢

(٢) سورة الحجر : ٩

(٣) مقدمة ابن كثير ص ١٣ .

## - منهج التلقى :

منهج التلقى للتنفيذ والعمل هو الذى صنع الجيل الاول ، ومنهج التلقى للدراسة والمتاع هو الذى خرج الاجيال التى تليه ،

وما من شك أن هذا العامل الثانى كان هاملا اساسيا كذلك فى اختلاف الاجيال كلها عن ذلك ، هناك عامل ثالث جدير بالانتباه والتسجيل :

جـ - لقد كان الرجل حين يدخل فى الاسلام يخلع على عتبه كل ماضيهِ فى الجاهلية كان يشعر فى اللحظة التى يجىء فيها الى الاسلام أنه يبدأ عهدا جديدا منفصلا كل الانفصال عن حياته التمسى عاصمها فى الجاهلية .

وكان يقف من كل ماعهده فى جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف الذى يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للاسلام وهذا الاحساس كان يتلقى هدى الاسلام الجديد ، فاذا غلبته نفسه مرة وانا اجتذبه عاداته مرة وانا ضعف عن تكاليف الاسلام مرة ، شعر فى الحال بالاثم والخطيئة ، وأدرك فى قرارة نفسه انه فى حاجة الى التطهير مما وقع فيه ، يحاول من جديد أن يكون على وفق الهدى القرآنى . (١)

تلك كانت القاعدة الاولى التى انبنى عليها كل ما جاء بعد ذلك ممن دروس حتى استقامت تلك النفوس على القمة ووقفت هناك ووقفتم على المشرفة العالية تنير الطريق لكل البشرية ( كنتم خيرا ما اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) (٢) وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (٣) .

وحسبنا القول بأن هذه الجماعة التى رببت واعدت على هدى القرآن وعلى عين الرسول صلى الله عليه وسلم هى التى كتبت التاريخ .

(١) مستفاد من معالم فى الطريق ص ١١-١٧ .

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) البقرة : ١٤٣ - والوسط هنا الخيار والاجود كما يقال قريش اوسط العرب نسبيا ودارا اى خيرها وكان النبى وسطا فى قومه اى اشرفهم ومنه الصلاة الوسطى التى هى افضل الصلوات . اهـ . ابن كثير ج ١ ص ٢٧٥ .

هذا وانه لمن الضروري لاصحاب الدعوة الاسلامية أن يدركوا طبيعة هذا الدين ومنهج في الحركة على هذا النحو الذي بيناه ، ذلك ليعلموا أن مرحلة بناء العقيدة التي طالت في العهد المكي على هذا النحو لم تكن منعزلة عن مرحلة التكوين العظمى للحركة الاسلامية والبناء الواقعي للجماعة المسلمة ، لم تكن مرحلة تعلق النظرية ودراستها ، ولكنها مرحلة البناء للعقيدة وللجماعة وللحركة معا ،

وهكذا ينبغي أن تكون كما اريد اعادة هذا البناء مرة أخرى . (١)

### - تنبيه لدعاة الاسلام المعاصرين :

قال سيد قطب رحمه الله : ( انه ابتداءً يجب توجيه الحرص كله لاقامة القاعدة الصلبة من المؤمنين المخلصين الذين تصهرهم المحننة ، فيثبتون عليها ، والعناية بتربيتهم تربية ايمانية عميقة ، تزيد هم صلابة وقوة ووعيا ، مع الحذر الشديد من التوسع الافقي قبل الاطمئنان الى قيام هذه القاعدة الصلبة الخالصة ان ذاك خطر ماحق ، يمسك وجود أي حركة لا تسلك طريق الدعوة الاولي من هذا الناحية ، ولا تراعى طبيعة المنهج الحركي النهائي النبوي الذي سارت عليه الجماعة الاولي (٧) .

قلت : ولذلك التنبيه وجهته وأهميته فقد حدث بالفعل الخطر الماحق الذي توقعه (سيد) رحمه الله في بعض القواعد أثناء التوسع الافقي قبل مرحلتى الاعداد والاختبار فانقلبت الحال ظهرا لبطن .

•••

(١) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٧٤ - ٧٦ ، معالم في الطريق

ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) في ظلال القرآن : ج ١٠ ص ١٥٧٨ .

(( الفصل الرابع ))

---

الاتجاه الى دعوة العرب الوافدين الى الموسم

وفيه أربعة مباحث :

- ( ١ ) بيعة العقبة الاولى .
- ( ٢ ) ارسال البعوث الى طيبة .
- ( ٣ ) بيعة العقبة الكبرى .
- ( ٤ ) قيمة العبد المكسي .

...

- تمهيد :

من المعلوم أن طبيعة النور أن يبدد الظلام ، والاسلام نور ، والشرك ظلام ، فالليل وان طالت ظلماته فسيمحوها نور الفجر ، فجر الاسلام ، وانى لأرى أنوار الاسلام وهى تشع قبل طيبة الطيبة ، وهناك اشتداد الكرب تبدد ومطالع الفرج ( فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ) (١)

وانا كان الحصار قد ضيق على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه أسباب المعيشة فانها لم تمنعه من الاستمرار فى الدعوة ، وانا كان فى وحشة من قومه فهو فى أنس من ربه ، وسيهى له من يؤنسه ويحميه ويؤويه حتى يبلغ رسالة ربه .

وقد سبق ان ذكرت فى ( جهاد الدعوة ) نماذج مما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم - من المتاعب هو وأصحابه فى سبيل الدعوة الى الله - سبحانه - وما أشرت اليه فى خروجه الى الطائف لعله يجد ناصرا او معينا ، حتى يبلغ رسالة ربه ، فردوه ردا منكرا حتى انهم أدوا عقبه الى هرتين ، ومسح هذا كله فانه لم يهدأ له بال حتى يبلغ المهمة التى كلفه الله بها وكان شعاره ( اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وانى لا رجوا أن يخرج من اصلاهم من يعبد الله ) (٢)

لقد بقى مستمرا فى تبليغ الدعوة بل متوسعا فى رقعتها ، لانه لم يكتف بدعوة أهل مكة بل كان يعرض نفسه على القبائل القادمين الى مكة فى مواسم الحج ، الامر الذى أزعج سادة الشرك وحيرهم ، لان الله منحهم ملكة فى البيان وذلكاء وقادا ، ووجهها حسنا ، فكيف يحولون بينه وبين من يقصده ويستمع اليه من الوافدين ؟

فاجتمعوا الى الوليد بن المغيرة - وكان ذا سن وشرف فيهم - فى موسم من مواسم الحج فقال لهم : يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقد عليكم وقد سمعوا بأمر صابكم هذا فاجمعوا فيه رأيها

(١) الاشراف : ٥ - ٦ .

(٢) لاجع ص ٢٠١ من هذا البنى

واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، وطال الحوار ودار الحديث وكثراخذ والرد ، والوليد ينقض ذلك كله فرجعوا اليه قائلين : فماتقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : ان اقرب القول فيه ان تقولوا ساحر جاء بسحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قد موالموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره . (١)

الأ ترى هذه الاحداثالمعوقة لسير الدعوة والتي تقف في وجه صاحبها صلوالله عليه وسلم . ولكن هل تراها تعرقل السير ؟ الطرق كثيرة اذا انسدت طريق فالطرق غيرها موجودة ، فهي وان كانت لها صعوبتها فذلك من سنن الدعوة الى الله ، لا بد من المحاولات العديدة ، ولا بد من الصبر ولا بد من التضحيات بشتى أنواعها وستستمر المسيرة وان كانت بطيئة ، وتصل الى الغاية المطلومة .

فأنت ترى أن رسول الله صلوالله عليه وسلم لما وجد صعوبة داخل مكة غير اتجاهه الى خارجها وذلك مالمسه وادركه شركوها ان دبروا مارأيت . خرج من مكة يدعو الناس في المواسم بمكاظ ومجنة وذى المجاز (٢) وفي أى مكان من تجمعاتهم يدعوهم الى ان يمنعه حتى يبلغ رسالات ربه ، ولهم الجنة فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه حتى انه ليسأل عن القبائل - ففى موسم الحج - قبيلة قبيلة ويقول : ( يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فاذا آمنتم كنتم ملوكا ففى الجنة " وابولهب وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابى كذاب ، حتى ان بعضهم ليرد عليه اقبح الرد ويؤذونه ويقولون : اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتعموك وهو يدعوهم الى الله ويقول : ( اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا ) (٣) .

- 
- (١) السير والمغازى باختصار ص ١٥٠ .  
 (٢) من اسواق العرب المشهورة يجتمعون فيها للتجارة وللخبر بالا حساب والطعن في الانساب والتحاكم في الشعر والشعراء .  
 (٣) انار زان المعاد ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦ .



روى ابن اسحق وغيره عن زبيدة بن عباد قال :

( اني لخلام شاب مع ابي بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يا بنى فلان اني رسول الله اليكم يا مكرم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلصوا ما تعبدون من دونه ممن هذه الانداد (١) ، وان تؤمنوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بحثتني به ، وخلفه رجل احول وضى له غد يرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا اليه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ان هذا انما يدعوكم ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم وحلفائكم من الجن من بنى مالك بن اقيش (٢) الى ما جاء به من البدعة ، والضلالة فلا تطيعوا ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه أبولهب . )

وفى رواية ( قولوا لا اله الا الله تفلحوا ) ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد اد من كعبيه ويقول ( ايها الناس لا تطيعوا فانه كذاب ) (٣) .

وهكذا استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في موسم الحج من كل سنة على القبائل الوافدين الى بيت الله الحرام ، يتلو عليهم القرآن ، ويعرض عليهم الاسلام ، كما كان يخرج الى القبائل العربية في الاسواق وغيرها حتى في الطرقات ، لا يسألهم مع ذلك الا أن يؤوه ويمنعوه ، وكان يقول : ( لا أكره احدا منكم على شيء من رضى منكم بالذي ادعوه اليه فذلك ، ومن كرهه لم اكرهه انما اريد ان تحرزوني مما يراد لى من القتل (٤) حتى ابلغ رسالة ربي ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبني بما شاء فلم يقبله أحد ، وما ياتي احدا من القبائل الا قال : قوم الرجل اعلم به ، أتتروا أن رجلا يصلحنا وقد افسد قومه ولفظوه ؟ .

(١) الانداد جمع ند وهو المثل اهد . مصباح ج ٢ ص ٢٦٥ ، ويفسرهما ما قبلها من الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك .

(٢) هم قبيلة من الجن تنسب اليهم الابل الاقيشية تنفر من كل شيء واللات والعزى صنمان من حجارة كان المشركون يعبدونها لتقريبهم الى الله زلفى انظر تفسير الجلالين من سورة النجم وهامش التفسير السياسي للسيرة ص ١١٠ .

(٣) انظر السير والمغازي ص ٢٣٢ - الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٠٠ البداية ج ٣ ص ١٣٨ - ١٤١ - نور اليقين ص ٧٢ .

(٤) الراجح بالصحيح هو حديث (الارواح تجلى الى قومه فان قريسا سمعوا ان ابلح كلام لى) كما في الضميمة الثالثة ١٦٨ وقد سعت الكلام على هذا في ص ٢٤٤ من هذه الرسالة او سجد للمباركة المنوية

ومعهم كان يقول : أجهتتنا لتصدنا عن المهتنا وننايذ العرب ؟  
الحق بقومك فلا حاجة لنا بك (١) ، وفي رواية كان يقول : ( ألا رجل  
يحملني الى قومه فان قريشا منحوني أن أبلغ كلام ربي ) (٢) . ومع هذا  
كله فقد استمر على هذا المنهج منذ أمر بالجهرب بالدعوة الى أن أذن الله  
له بالهجرة وذلك عشر سنين او احدى عشرة سنة حتى امتلأت نفسه  
صلو الله عليه وسلم كمدأ وأسى ، لعدم قبول دعوته ( لعلك باخع نفسك  
الا يكونوا مؤمنين ) (٣) . ( فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم  
يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ) (٤) ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) (٥) .

حينها تتأمل منهج عرضه عليه الصلاة والسلام - الدعوة الى الله  
وفي عرض نفسه على الناس في مواسم العادات والعبادات ، يخرج السي  
خارج بلده ، ويتصدى (٦) لمن دخله يخاطب الجميع سرا وجهه  
حسب ما يقتضيه المقام ، حينما تفكر في ذلك تستطيع ان تستنتج أن  
الداعية اذا لم يستجب لدعوته عشيرته وقومه فعليه ان يخرج الى مناخ  
آخر مناسب ، ولكن - كما يقول بعض الدعاة المسلمون المعاصرون - بعد  
التعرف او الدراسة للمنطقة التي يريد الخروج اليها دراسة محيطه بكل  
اوضاعها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ليصرف المنافذ التي يمكن الدخول  
منها ، كما يمكنك ان تستنتج من منهجه صلوا الله عليه وسلم شتى الاساليب  
والوسائل لنشر الدعوة وكذلك استمراره بعزيمة صادقة كما امره الله  
سبحانه لا يريد ملكا ولا جاها ولا تجارة بالمبادىء كما قال ابو شهبنة

(١) انظر سيرة ابن كثير ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) حديث صحيح اخرجه ابوداود والترمذى وقال حسن صحيح وابن

ماجه باسناد صحيح ، والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

ووافقه الذهبي كذا قال الالبانى في حاشية فقه السيرة

للغزالي ص ١١١ .

(٣) الشعراء : ٣

(٤) مهلك او قاتل نفسك اهـ . ابن كثير ج ٦ ص ٤٤ . والآية في سورة الكهف : ٦

(٥) سورة فاطر : ٨

(٦) يتصدى : يتعرض له لعله يهتدى كذا في تفسير ابن كثير ج ٨ ص

( ولو كان يريد ذلك لفعل كما يفعل السياسيون في جذب الناس بالأحاديث الكاذبة الخادعة ، ويمنيهم الأمانى الفارغة ، حتى إذا تم له ما أراد نسي ما قاله ورجع في وعوده بل قد يتنكر لهم وينكل بهم . وهذا فرق ما بين النبوة وغيرها وطابين الداعى الى الحق وطالب الدنيا ) (١)  
قولوا لا اله الا الله تفلحوا .

### - طلائع المسلمين أو الأنصار :

ولما لم يستجب للدعوة المحمدية احد من القبائل العربية ، بسلم ولم يضموه من قومه حتى يبلغ رسالة ربه خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كعادته في الموسم لدعوة الناس الى الله ، ولعرض نفسه وحمائمه فساقه الله الى نفر من الانصار ، وهم من الخزرج لما اراد الله بهم من الخير - كان قد لقيهم من قبل فعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم ، ثم انصرفوا الى بلادهم ، قد آمنوا وصدقوا وكان عددهم ستة نفر .

فلما اراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج في الموسم الذي لقيه فيه الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة (٢) لقي رهطا من الخزرج وهم ستة نفر اراد الله بهم خيرا . فقال لهم : من انتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال امن موالى اليهود ؟ قالوا نعم . قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل ورضى عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن . قوله تعالى : ( قل تعالوا اتل ما حرم عليكم الا تشركوا به شيئا والوالدين احسانا ) الايات الثلاث . (٣)

( ١ ) السيرة النبوية ابوشهبة ج ١ ص ٤٤٩ .

( ٢ ) يعنى جمة العقبة التى ترمى فى منى وذلك فى السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية .

( ٣ ) من سورة الانعام : ١٥١ - ١٥٣ .

( وقوله تعالى : ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى  
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ) (١) وغير ذلك  
من الايات . فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبي الذى توعدكم  
به يهود فلا يسبقنكم اليه واجابوه فيما دعاهم اليه .  
وطالب منهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يمنعوه فقالوا انا تركنا قومنا  
ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى ان يجمعهم الله بك وسنعرض  
الامر على عشائرتنا ، وموعدك الموسم القادم ، فلما قدموا المدينة دعوا  
أقوامهم الى الاسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الانصار  
الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا لهم ما طلبه النبي  
صلى الله عليه وسلم من المنع . (٢)

### ١ - بيعة العقبة الاولى :

حتى اذا كان الحام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا  
عشرة من الخزرج واثنان من الأوس ، وعلى رأسهم أسعد بن زراره ، فلقوا  
النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فبايعوه على نحو بيعة النساء وذلك  
قبل أن تفترض عليهم الحرب . قال ابن كثير : ( والمقصود ان هؤلاء  
الاثنا عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ (٣) ، وعزموا على الاجتماع  
برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقوه بالعقبة ، فبايعوه عندها

### ( ١ ) سورة النحل : ٩٠

( ٢ ) انظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٢٨٤ باختصار - السيرة  
النبوية - ابن كثير ج ٢ ص ١٧٦ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٣ ،  
تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٣ ، وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه  
وسلم يقرأ هذه الايات عند عرض الاسلام على القبائل اى آيات  
الانعام الثلاث وآية النحل .

( ٣ ) في العام الثانى عشر للبعثة ، انظر تاريخ الاسلام السياسي ، ج ١

بيعة النساء (١) ، وهي العقبة الاولى .

### - نص البيعة :

روى ابن اسحق بسنده عن طريق المنابحي ، عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال : ( كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء وذلك قبل ان تفترض الحرب على ألا تشرك بالله شيئاً ولا تسرق ولا تنزى ولا تقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفيتم فلکم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر ) (٦)

وقد روى هذا الحديث الامام البخارى بعدة ألفاظ من طريق أبي اسحق ادریس الخولاني والصنابحي وغيرهما في عدة مواضع ان عبادة بن الصامت رضى الله عنه - من الذين شهدوا بدرًا ومن اصحاب ليلة العقبة - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وحوله عصاية من أصحابه ( بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئاً . . . . الحديث ) (٣)

( ١ ) يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا ما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة ، وليس عجيباً فان القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن . كذا قال ابن كثير في السيرة ج ٢ ص ١٨٠ والحافظ في الفتح ج ٧ ص ٢٢٢ ، الا انه قال بعد فتح مكة اي نزول هذه الآية وبعض العلماء لا يستسيغ هذه التسمية اي بيعة النساء حتى ان البعض ينكر العقبة الاولى قال ابن كثير وقال ابن اسحق : فكان عبد الله ابن ابى بكر يقول لا ادري ما العقبة الاولى ثم يقول ابن اسحق يلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة . ففي بعض الفاظ حديث عبادة ( بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى على الا تشرك بالله شيئاً ولا تسرق ولا تنزى ١٠٠ الخ . وان كانت هذه البيعة وقعت عن غير صلوات فهو اظهر . والله اعلم . كذا قال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥١ .

( ٢ ) السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

( ٣ ) البخارى ج ٢ ص ٣٢٩ - ج ١ ص ٦٢ - بلفظ الامر والنهي ج ٤ ص ٢٤٧ قال عبادة : فبايعناه على ذلك .

وفيه : ( فعن وفيمنكم فأجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له . . . ) . كما رواه مسلم (١) عن عبادة ايضاً من طريق الزهري . وفي بعض الفاظه ( فتلا علينا اية النساء الا يشركن بالله شيئاً ) .

ومن طريق ابى الاشعث ( أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما أخذ على النساء الا يشركن بالله شيئاً . . . ) وقد عقد البخاري باباً مستقلاً سماه (باب بيعة النساء) رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر تحتها حديث عبادة (٢) وغيره ورواه الامام احمد فسند مسنده . (٣)

أقول : وهذا يتبين ثبوت بيعة العقبة الاولى وثبوت تسميتها ببيعة النساء أى على وفق بيعة النساء قبل نزولها كما سبق . وأن الأنصار التقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ثلاث مرات الاولى ستة ، والثانية اثنا عشر ، والثالثة سبعون كما سيأتى بيانه ان شاء الله .

وقد تكلم الحافظ في الفتح (٤) على حديث عبادة وذكر الخلاف في ذلك واكثر من الادلة بان لفظ هذه البيعة كان بعد فتح مكة وانما كان لبيعة العقبة البيعة من الانصار على ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ولم تكن الحدود الا بعد ذلك ، ووافقته أبو شهبه . (٥) وسيأتى الكلام على هذا في بيعة العقبة الثانية ان شاء الله . وقد استنبط صاحب التفسير السياسي للسيرة من نصها لبيعة ثلاثة أمور :

- أ - الدعوة الى الايمان بالله الواحد وتبذ ما سواه .
- ب - الدعوة الى الاستقامة في السلوك .
- ج - الدعوة الى الاخذ بالحق المتدفق على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم من قرآن وسنة .

(١) ج ٥ ص ١٢٧  
(٢) البخاري ج ٤ ص ٢٤٧ - ج ٣ ص ٢٠١ بلفظ أتبايعونى . . .  
(٣) مسند احمد ج ٥ ص ٣١٦ - ٣٢٦ .  
(٤) فتح الباري ج ١ ص ٦٦ - ٦٨ وفيه ابحاث مفيدة .  
(٥) انظر السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٧ .  
(٦) كان الصمغاني على حديث فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد يشق الرجال حتى جاءه النساء ومنه بلال فقراً (يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية . انظر النجاشي ج ٢ ص ٤٠٤

ومدار الاسلام على هذه الامور الثلاثة . (١)

وقال أبوزهرة : ونرى أن هذه المبايعة كانت لبيان بعض التكاليف الاسلامية التي لا اختلاف فيها وما كانت للايواء والنصرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد قرر الهجرة اليهم ، ولم يكن قد جاءه الامر بذلك او الايحاء به ولأنه لا يأخذ تعهد النصره قبل عهد الايمان . . . . وما كانت هذه التسمية فيما حسب في وقت البيعة انما كانت لمشابهتهم لما في آية مبايعة النساء في الممتحنة ( يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فسي معروف ) (٢)

هذا وقد أطال الحافظ في الكلام على حديث عبادة حسيما اشرفنا بما فيه الكفاية .

والذي يهمنا أن الامور الثلاثة الأخوذة منه هي اهم معالم المجتمع الاسلامي الذي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لانشاءه ، وليست مهمته ان يلقن الناس كلمة الشهادة ، ثم يتركهم يرددونها بافواههم وهم عاكفون على انوار افئدتهم ومغيبهم ومفاسد هم .

صحيح ان الانسان يصدق عليه اسم المسلم اذا صدق بالشهادتين وأحل الحلال وحرم الحرام وصدق بالفرائض لان ذلك هو المفتاح والوسيلة لاقامة المجتمع الاسلامي وتحقيق نظمه ومبادئه وجعل الحاكمية لله تعالى وحده في كل الأمور ،

فحينما وجد الايمان بالله وحده ومرسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لابد أن يتبعه الايمان بحاكمية الله تعالى ، وضرورة اتباع شريعته ودستوره . (٣)

( ١ ) انظر التفسير السياسي للسيرة ص ١١٦ .

( ٢ ) الممتحنة : ١٣ وانظر خاتم النبيين ص ٦٣٠ .

( ٣ ) انظر فقه السيرة للبوطي ص ١٦٤ - محاضرات للشيخ محمد قطب .

ومن أعجب العجيب ما يعتمد اليه بعض الذين تأسروهم النظم والتشريعات  
الوضعية ممن لا يريدون المجاهرة بنبيذ الاسلام وأطراحه ، حيث يحاولون  
أن يسلكوا مع خالق هذا الكون ، ومالكه مسلكا اشبه ما يكون بمسلك الصلح  
والمفاوضات ، وسبيل المفاوضة عندهم ان يقسموا مظاهر المجتمع بينهم  
ومين الاسلام ، فللاسلام من المجتمع مساجده وسائر مظاهر العبادية  
يحكم ضمن ذلك على الناس بكل ما يريد ، ولهم منه نظمه وتشريعاته وأخلاقه  
يخيزون منه ويبدلون كما يريدون ، وهذه هي العلمانية التي فصلت وتفصل  
بين الدين والدولة ، ان مدلولها اقامة الحياة على اساس غير ديني  
وقد تشعر الكلمة في اشتقاقها انها تعنى رفع شعار العلم ومن ثم فلا تضارب  
بينها وبين الاسلام ، وفي ظل العلمانية يستطيع الانسان أن يتدين  
بما يشاء ويكفر كما يشاء . (١)

وفي بيان هذه الحقيقة والتحذير من فهم الاسلام على أنه كلمات  
وعبادات فقط يقول الله عز وجل ( ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما  
أنزل اليك وما أنزلنا من قبلك يريدون ان يتحاكوا الى الطاغوت ، وقد  
أمرنا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ) (٢)

## ٢ - ارسال البعث الى يثرب ، بل طيبة :

لما بايع رجال العقبة لاولى من لاوس والخزرج ، وانصرفوا  
راجعين الى بلادهم ، لم يكف الرسول صلى الله عليه وسلم باسلامهم  
وأخذ البيعة منهم بل بعث داعية أو أكثر ليفقه من أسلم في الدين  
وليدعوا من لم يسلم الى الاسلام ،

فمن هو هذا الداعية أو الدعاة الذين بعثهم الرسول صلوات الله  
وسلامه عليه - الى طيبة الطيبة كي تتوسع رقعة الاسلام ؟

قيل مصعب ابن عمير وقيل ابن أم مكتوم (٣) وقيل ارسلها معا ، ولكل  
فريق دليله وقد كثر الخلاف في كتب السيرة (٤) وغيرها حول هذا .

(١) انظر اساليب الغزو الفكري لعلو جريشة ص ٥٩ - ٦١ - وزميله ومحاضرات  
لاستانا محمد قطب .

(٢) النساء : ٦٠

(٣) قيل اسمه عمرو وقيل عبد الله .

(٤) انظر التفاصيل في السروض الانف ج ٤ ص ٩٨ - سيرة ابن كثير ج ٢ ص ١٨٠

- ١٨١ - الطبقات ج ١ ص ٢٠٤ - السيرة ابن هشام ص ٤٣٤ - السيرة

الطلبية ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ - زاد المعاد ج ٢ ص ٥٦ .



والمشهور أن الداعية البعوث الى طيبة هو مصعب بن عمير لانسه  
أسلم على يده رئيس الخزرج سعد بن عباد و اسيد بن حضير وجميع بنسب  
عبد الأشهل وغيرهم ،

مصعب هو أحد خريجي مدرسة دار الارقم ، المدرسة الجامعة  
الاولى التي كان مديرها ومعلمها صاحب الرسالة الخاتمة محمد صلى الله  
عليه وسلم ، وقد أمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ويفقههم فسي  
الدين ، وكان يعلو بهم لان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض (١) .  
من نتائج دعوة مصعب ، :

نجح مصعب ايضاً نجاح في نشر الاسلام وجمع الناس عليه وساعده على  
ذلك أسعد بن زراره احد رجال العقبة الاولى حيث نزل عنده . وقد  
استطاع ان يتخطى الصعاب التي توجد - دائما - في طريق الدعوة  
بالحكمة والموعظة الحسنة حتى انه كان لياتيه رئيس القبيلة ، وحرثته في يده ،  
يريد قتله ، فيخاطبه باسلوه الهادي الحكيم ( . . . ) أو تقعد فتسمع  
فان رضيت امرا ورضت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ماتكوه ( ٢ ) فيقصد  
فيسمع منه فيرجع الى أصحابه وقد أسلم ، فيدعو قومه الى الاسلام ، وان أبوا  
فكلامهم عليه حرام حتى يؤمنوا بالله ورسوله . وهذا ما فعله سيد الخزرج  
( سعد بن عباد ) .

فانتشر الاسلام في المدينة حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها  
رجال ونساء مسلمون الا القليل . فلاتحسبن ( مصعبا ) كاولئك المرتزقة  
من المبشرين الذين دسهم الاستعمار الغربي بين يدي زحفه على الشرق  
فترى الواحد منهم يقبع (٣) تحت سرير مريض له ليقول له : هذه القارورة ،  
تقد معها لك العذراء ، وهذا الرغيف يهديه اليك المسيح ، وربما فتوح  
مدرسة ظاهرها الثقافة المجردة ، او ملجأ ظاهره البر الخالص ، ثم لوى  
زام الناشئة من حيث لا يدرون ، ومال بهم حيث يريد ،

( ١ ) انظر المصادر السابقة نفسها .

( ٢ ) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٤٣٧ .

( ٣ ) قبع القنفذ كمنع قبوعا ادخل راسه في جلده . والرجل في قمصه ا هـ .

قاموس ج ٣ ص ٦٤ .

هذا ضرب من التلصص الروحي ، يتوارى تحت اسم الدعوة إلى الدين .  
والذين يمثلون هذه المشاعر يجدون الجرأة على عظمهم من الدول التي تبعت  
بهم فإذا رايت اصرارهم ومغامراتهم ، فلا تنس القوى التي تساند ظهورهم  
في البر والبحر والجو ،

أما مصعب فكان من ورائه نبي مضطهد ، ورسالة معتبرة ضد  
القانون السائد ، وما كان يملك من وسائل الاغراء ما يطمع طلاب الدنيا  
ونهازي الفرض ، كل ما لديه ثروة من الكياسة والذكاء قبسها من معلم  
الدعوة الاسلامية وحامل لوائها محمد صلى الله عليه وسلم ، واخلاص لله  
جعلله يضحى بحاله ، وحياته ، وجاهه في سبيل عقيدته والدعوة اليها  
ثم هذا القرآن الذي يتأنيق (٥٥) في تلاوته ويتخير من روائعه ما يفزوه به  
الألباب ، فإذا الافئدة ترق له ، وتتفتح لهذه الدعوة الخالدة . (١)

#### - من النتائج السياسية لدعوة مصعب :

ومن المحتمل أنه كان لمصعب بن عمير مهمة أخرى سياسية ، هي  
الاطلاع على مجتمع ( طيبة الطيبة ) (٦) وأحواله ومعرفة حقيقة شعوره  
تجاه الدعوة والداعي والتبدل الذي يطرأ على هذا الشعور ومعرفة الصديق  
والعدو ومن الموافق ومن المخالف ، والعوامل التي تؤثر في تلك المدينة  
وو . . . لاعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحقائق عن تلك المدينة  
التي توجهت انظاره صلى الله عليه وسلم اليها لتكون قاعدة لاقامة دولته  
الاسلام ، وليهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتقدير موقف صحيح  
لها وليتصرف بسرعة ودقة عند ما يجيء وقت الرحيل ولثلا يتكرر الفشل  
الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف حين خرج اليها

(٥٥) انق الشيء انقا من باب تعب . راع حسنه واعجب وتائق في عطسه

احكمه اهـ . مصباح ج ١ ص ٣١ .

(١) انظر فقه السيرة للقرظي ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) كانوا يسمون المدينة يثرب فسموها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
طيبة وفي لفظ (ان الله سمى المدينة طابه) اهـ . من حديث رواه

الشيخان - البخاري ج ٤ ص ٧١ - مسلم ج ٤ ص ١٢١ .

قبل تقدير الموقف (١) . ( وهذا بغض النظر أن ذلك بتقدير الله تعالى وتوجيه منه سبحانه ) .

قلت : ومن هذا نهج بعض الدعاة المعاصرون هذا المنهج ممن أنه لا بد للداعية - إذا أراد الخروج الى أى بلد - من ان يتعرف عليها معرفة شاملة لعقائدها وتقاليدها وسلوكها وعاداتها واتجاهاتها افراداً او جماعات ، ليكون على بصيرة من أمره وليعرف من اين تؤكل الكف . . . . .  
فإذا درستها دراسة شاملة وعرف الابواب والضاغذ التي يستطيع الدخول منها لدعوة الافراد او الجماعات داخلها وعليه البدء بالاهم فالمهم والاصل قبل الفرع . وكسب فرد او افراد خير من كسب موقف او مواقف .

وقد كتب فى هذا الموضوع كثير من دعاة الاسلام منهم الشهيد حسن البنا فى رسائله المجموعة والشهيد سيد قطب ( فى ظلال القرآن ) وفى ( معالم فى الطريق ) وغيرهما عليهما رحمة الله وعلى سائر الشهداء فى تسجيل الدعوة الى الله عز وجل .

كما كتب فى هذا الموضوع ( عبد البديع صقر ) رسالة سماها ( كيف ندعو الناس ) لا يستغنى عنها من له علاقة بهذا الشأن . وقد قدم لها الشهيد حسن البنا بقوله ( كنت وضعت ملاحظات للاخوة وعزمت على العودة اليها لتكميلها وتنقيحها ونشرها . وقد طالعت هذه الرسالة للاخ ( عبد البديع صقر ) فرأيت فيها ما كفى وأغنى . . . ) (٢)

### - من أسباب تقبل الانصار الاسلام :

أ - وضوح عقيدته والدعوة اليها ، واتفاقها مع الفطرة وغلوها من التمسيد وهذا ما جعلها تحتل القلوب عندما خلت من الاغراض الدنيئة .  
( قولوا كلمة واحدة تدبين لكهها العرب وتملكون بها العجم . . قولوا لا اله الا الله تفلحوا ) .

( ١ ) انظر التفسير السياسى للسيرة ص ١١٧ .  
( ٢ ) الناشر مكتبة وهبة شارع الجمهورية بعابدين القاهرة ورسالة تحسنت الطبع ( بعنوان كيف تسلك فى جماعة واخرى كيف تصبح داعية .

(٢) راجع ص ٢٢٦ - ٢٢٧ من هذا البحث

- ب - أن الاوس والخزرج يعيشون مع اليهود ، وهم أرباب دين - بفض  
النظر عما فيه من التحريف - ورأوا الفرق بينه وبين وثنياتهم .  
ولكن الذي منعهم من الدخول في اليهودية غطرسة اليهود (١) وتعاليمهم  
لاعتبارهم أنفسهم شعب الله المختار ، ومن عداهم كلاب وخنازير  
يجب قتلهم ونهب أموالهم وو . . .  
وان اليهودية دين الخاصة من الناس . .  
ولا بد أن يكون قد صدر كثير من التصريح والتلميح تعبيراً - من الحنفاء -  
على عبادتهم الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر والتي لا تجلب نفعاً  
ولا تدفع شراً .  
لذلك كانت الرغبة موجودة في نفوس وثني المدينة في التخلص من هذا  
الوضع ولكن ما هو البديل ؟  
فلما وصلتهم مبادئ الاسلام وجدوها البديل الذي يفوق الوثنية  
واليهودية معا ، بل لا مقارنة بين ذلك . لذلك لم يتأخروا عن  
الاستجابة للدعوة المحمدية .
- ج - كانوا يسمعون من يهود المدينة أن نبيا من الانبياء هموث في هذا  
الزمان فيخرج فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم . (٢)  
وحيثما دعاهم صلى الله عليه وسلم ، قالوا والله انه للنبي الذي  
توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه . (٣)

(١) السخرسة : الاعجاب بالنفس والتطاول على الاقران والتكبر . اه .  
قاموس ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) ومن الغريب ان اليهود كانوا اول من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم  
يوم ظهر فيهم ، ولذلك ندد القرآن بمسلكهم المتناقض فقال : ( ولما  
جاهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون  
على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين )  
البقرة ٨٩ .

وانظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٤٢٨ .

(٣) انظر السيرة - ابن هشام ج ١ ص ٤٢٩ .

د - كانت طيبة ان ذاك تميش فوجر من الدم ، وكان آخر دفقة منه  
أصاب رشاشها كل بيت من بيوتها هو دفقة حرب بحاك (١) التمس  
أطاحت برؤس اكثر زعماء الاوس والخزرج .

هـ - كان من صنع الله الحكيم وارادته الكونية ان يمهّد بذلك لهجرتهم  
صلو الله عليه وسلم الى يثرب . وان تكون هو المنطلق للمد الاسلامي  
في أرجاء الارض كلها .

و - كان كل من الفريقين يحاول - عبثاً - ان يضع حدا لاراقة الدماء  
ولكن الاوس ترفض ان تتنازل كما ترفض الخزرج لما يرون في ذلك  
من العار ، فلما جاءت دعوة محمد عليه الصلاة والسلام نظر الفريقان  
اليه على انه المخلص لهم من الخلافات التي جعلت بحرا من دمائهم  
خلال مائة وعشرين سنة فأطفاها الله بالاسلام والف بينهم (وانكسروا  
نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته  
اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ) (٢) .

### - الصبرة :

أرأيت كيف بدأ التحول في طبيعة ما كان يلاقيه النبي صلى الله عليه وسلم  
طيلة هذه السنوات التي خلت من عمر الدعوة المكية ؟ !

لقد أبعث الصبر ، وبدأ الجهد يثمر ، واستغلظ زرع الدعوة واخذ  
يستوى على سوقه ليعطي النتيجة والفرال .

(١) بعان من ايام الجاهلية وقع بين الاوس والخزرج هزم فيه الخزرج  
الامر الذي جعلهم اكثر استعدادا لقبول الاسلام . ففي الموسم  
التالي لبعث اقبل منهم ستة نفر من ساداتهم كانوا ينشدون حيفا  
لتوحيد كلمتهم مع الاوس وللتغلب عليهم ان كان كل منهم يريد  
الرياسة فلقبهم الرسول عند العقبة فسمعوا لدعوته واجابوا لانهم  
يمرفون نسبه الشريف ثم ان أمه آمنة بنت وهب من بني النجار أحسد  
بطون الخزرج . ومع ذلك فهو نبي يستطيع ان يؤلف بين قلوبهم .  
انظر تاريخ الاسلام والسياس والثقافي ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) سورة ال عمران : ١٠٣ - وانظر التفسير السياسي ص ١١٤ - ١١٥ ،  
زاد المعاد ج ٢ ص ٥٦ - السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١١ - مختصر  
السيرة ص ٧٧ - التاريخ السياسي ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .

ولكن فلنلتفت مرة اخرى - قبل البحث عن الثمرة والبشائر - الى طبيعة ذلك الصبر النبوى العظيم أمام تلك الشدائد المختلفة الجسام .  
لقد رأينا أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يقصر الدعوة على قريش الذين لم يألوا جهدا فى اذاقته كل أصناف المحن والمصائب ، بل كان يخرج الى القبائل بنفسه ويتصدى للداخلين الى مكة ، كما يحرض نفسه ودعوته على القبائل القاديين من خارج مكة من شتى الجهات بمناسبة مواسم الحج وبيث الدعوة فى خارج مكة . كان يقول : ( هل من رجل يحطنسى الى قومه فان قريشا ممنونى ان ابلغ رسالة ربي ) (١) وفى الزاد : ( فله الجنة فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه حتى ان الرجل ليرحل من مصر او اليمن الى ندى رحمه فيأتيه قومه فيقولون له احذر غلام قريش لا يفتنك ) (٢) . . .

احدى عشرة سنة تقريبا ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - ( بأبى هو وأمى ) يعانى من حياة لا راحة فيها ولا استقرار ، تترس قريش بقتله وتصيب عليه ألوانا من المحن والشدائد ، فلا ينقص ذلك شيئا من عزيمته ، ولا يضعف من قوته وسعيه . . .

احدى عشرة سنة - تقريبا - والرسول صلى الله عليه وسلم يعانى من غربة هائلة مزلزمة بين عشيرته وجيرانه . وكافة الجماعات والقبائل المحيطة به فلا ييأس ولا يفسح ولا يؤثر ذلك على شىء من أنسه بربه عز وجل .

احدى عشرة سنة من الجهاد والصبر المتواصل فى سبيل الله وحده هو الثمن والطريق الى نشأة مد اسلامى زاخر عظيم ينتشر فى شرق العالم وغربه ، تتساقط امامه قوة الروم وتتهاوى بين يديه عظمة فارس (٣) . . . . . وكان من السهل جدا على الله - عز وجل - ان يقيم دعائم المجتمع الاسلامى الذى بنى فى المدينة بدون هذا الجهاد الشاق . . . ولكن تلك هى سنة الله فى عباده . وقد سبقت الاشارة الى هذا فى ( جهاد الدعوة ) .

( ١ ) حديث صحيح . انظر تخريج احاديث فقه السيرة ص ١١١

( ٢ ) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٦ .

( ٣ ) انظر فقه السيرة للبوطى ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٤) بالنظر الى المرحلة الجهادية عشر سنوات ، وبالنظر الى السيرة ثلاث عشرة سنة على المشهور ، وما ذكره المؤرخون على قتله عليه الصلاة والسلام فبعد وفاة عمه ابي طالب على المراحح كما سبق فى ( تحمل الالام ) وفى القاطعة ص ٢٤٤

## ٣ - بيعة العقبة الكبرى x

لما أسلم رجال العقبة الاولى ، ومايموا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نعت بيعة النساء (١) وكانوا اثنا عشر رجلا ، برياسة اسعد بن زراره ، وبعث معهم النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير - كما هو المشهور (٢) - رجع الى مكة في موسم الحج ، وبعد عام واحد من مقدمه المدينة المنورة ، مع من خرج من الانصار المسلمين ، ومع حجاج قومهم من المشركين (٣) .

قال ابن هشام : ( ثمان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدوا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - العقبة من اوسط أيام التشريق ، حين اراد الله بهم ما اراد من كرامته والنصر لنبه ، واعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك واهله ) (٤)

وقد كانوا أتمروا فيما بينهم في المدينة قائلين : ( حتى نقى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطوف ويظهر في جبال مكة ويخاف ) (٥) .

- 
- (١) سبق الكلام على تسمية بيعة العقبة الاولى - بيعة النساء - مع خلاف لبعض العلماء في عدم استساغتها وهذه التسمية هي ظاهر رواية الصحيحين وما عليها اهل السير والمغازي المتقدمين منهم ابن هشام ج ١ ص ٤٣٣ - وابن كثير في سيرته ج ٢ ص ١٨٠ - والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥١ . ومن المتأخرين ابو زهرة والبوطي وحسن ابراهيم وغيرهم وانظر خاتم النبيين ص ٦٣٠ - تاريخ الاسلام السياسي والثقافي ج ١ ص ٩٥ - فقه السيرة موطى ص ١٥٨ . اشتهرت بيعة العقبة الاولى عند هؤلاء وغيرهم ببيعة النساء . وقد سبق كلام الحافظ بن كثير وانها علو فوق ما نزلت عليه بيعة النساء عام الحديبية . وقد نزل القرآن موافقا لعمربن الخطاب في عدة مواطن . وحيث ان الجميع متفقون على صحة الحدِيث صاحب البيت ادري بما فيه . وقد قال الشافعي ممن اراد المغازي والسير فعليه بابن اسحق .
- (٢) انظر سيرة ابن كثير ج ٢ ص ١٨٠ - ١٨١ - السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٤٣١ - ٤٣٤ . الحلبية ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ .
- (٣) وذلك في السنة الثالثة عشر من البعثة كما في تاريخ الاسلام السياسي و . ج ١ ص ٩٦ .
- (٤) انظر السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣٨ .
- (٥) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٦ - البداية ج ٣ ص ١٥٩ .

- اللقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فلما قضا حجهم وكانت الليلة التي واعدوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ناموا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجوا متسللين مستخفين حتى تم عددهم ثلاثة وسبعين (١) رجلا وامرأتان ، اثنتان وستون رجلا من الخزرج ، وأحد عشر رجلا من الأوس ، ومعهم امرأتان .

وقد كان أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم الا ينجبها في ذلك الوقت نائما ولا ينتظروا غائبا . لان هذه الحركات كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسبوا في نقض ما أبرم . كاتمين أمرهم عن معهم من المشركين . فوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك وليس معه الا عمه العباس وهو علي بن ابي طالب ، ولكن اراد ان يحضر امر ابن اخيه ليتوثق له ، فلما اجتمعوا عرفهم العباس بابن اخيه لم يزل في منعة من قومه ، حيث لم يمكنوا منه احدا ممن اظهر له العداوة والبغضاء ، وتحطوا على ذلك أعظم الشدة ، ثم قال لهم ان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه ، ومانعوه ممن خالفوه فأنتم وذاك ، والا فدعوه بين عشيرته فانهم ليتمكن عظيم . فقالوا قد سمعنا ما قلت . فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

- الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ العهد من الانصار :

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله ، ورغب في الاسلام ، ثم قال : ( أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون مني من نساءكم وأبنائكم ) .

وفي رواية للامام احمد والبيهقي عن جابر . . فقلنا يا رسول الله علام نبايعك قال : ( تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والثقة في العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابنائكم ، ولكم الجنة ) قال : فقمنا اليه واخذ بيده اسعد بن زراره وهو من اصغرهم وفي رواية البيهقي

( ١ ) وقد سرد أسماءهم ابن اسحق وابن كثير كما في السيرة - ابن هشام ج ١ ص ٤٥٤ - وما بعدها - البداية ج ٣ ص ١٦٦ وما بعدها .



وهو أصغر السبعين . فقال رويدا يا أهل يثرب . فانا لم نضرب اليه  
أكباد الأبل الا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وان اخراجه مناواة للمسرب  
كافة وقتل خياركم ، وان تعضكم السيوف . (١)

فاما وانتم قوم تصيرون على ذلك فخذوه واجركم على الله ، واما انتم  
قوم تخافون من انفسكم خيفة فذروه ، فبينوا ذلك فهو اعدو لكم عند الله .  
قالوا امطعنا يا أسعد . فوالله لاندع هذه البيعة ولا نسلبها ابدا ، قال :  
فقمنا اليه فبايعناه واخذ علينا وشرط ويمطينا على ذلك الجنة . (٢)  
وقد رواه الامام احمد ايضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن  
المطار ويحيى بن سليم عن ابي ادريس . (٣)

( ١ ) قرر الحافظ في الفتح ان نص بيعة العقبة الثانية هونى بيعة العقبة  
الاولى وان نص بيعة العقبة الاولى الذي رواه عبادة انما كان بعد فتح  
مكة وبعد نزول آية الممتحنة ونزولها بعد الحديبية لان الحدود  
لم تشرع في مكة وايدى ابوشهبه وهذا الكلام له وجهته وتقديره ، ولكن  
أين نص بيعة العقبة الثانية على القول بان نص البيعة الاولى كان بعد  
الفتح ؟ . انظر فتح الباري ج ١ ص ٦٦ - ٦٧ - السيرة ابوشهبه  
ج ١ ص ٤٥٧ .

( ٢ ) انظر السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢ . السيرة ابن كثير ج ٢ ص  
١٩٧ - نور اليقين ٧٦ .

( ٣ ) مسند الامام احمد ج ٣ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .  
كما اورده ابن كثير في السيرة ج ٢ ص ١٩٥ وقال : ( هذا اسناد جيد  
على شرط مسلم ) وكذا في البداية ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ وقال الحاكم  
صحيح الاسناد ووافقه الذهبي . وقال الحافظ في الفتح اسناده حسن  
وقال الالباني ( وفيه عليه وهى عن عنة ابن الزبير عن جابر وليس هو من  
رواية الليث بن سعد عنه ، فاعمل تصحيحه او تحسينه لشواهد .  
والله أعلم ) انظر تخريج احاديث فقه السيرة ص ١٥٧ .

قلت وعلى التسليم بما قاله من العلة التى هى عن عنة ابن الزبير فقد رواه  
احمد والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن المطار وزاد البيهقي  
عن الحاكم - بسنده الى يحيى بن سليم كلاهما عن عبد الله بن عثمان  
بن خيثم عن ابي ادريس وقد قال الحافظ بان اسناده حسن وابن كثير  
بانه جيد والحاكم بانه صحيح . وذلك نزول الملقان شاه الله . والله  
اعلم . انظر المصدر نفسه .

( تنبيه ) سبق ان وعدت في ص ٥٢ / ان اذكر كلمة العباس بن عبد المطلب في ليلة العقبة الثانية ، ولم اذكرها . اكتفاءً  
بكلمة اسعد بن زرارة لانها تامة وموجزة ، وهما متساويتان في المعنى .

وعند ابن اسحق : فأخذ البراء بن مبرور (١) بيده وقال : نعم والسدى بعثك بالحق لننمناكهما نمنع منه أزرا (٢) فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة (٣) ورثناها كإبراهيم عن كابر (٤) فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابوالهيثم بن التيهان (٥) فقال : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال (٦) حبالا وأنا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم (٧) أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم واسالم من سالمتم . وطلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم - ان يخرجوا اليه اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم ، فاخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .  
وقد سرد ابن هشام اسماؤهم جميعا في السيرة . (٨)

- 
- (١) بدل اسعد بن زراره في رواية الامام احمد والبيهقي السابق ذكرهما .  
(٢) أي نساءنا فقد يكنى عن المرأة بالازار كما يكنى عن الازار بالنفوس ويجعل الثوب عبارة عن لابسها ، ومنه قوله تعالى ( وثيابك فطهر ) قال بعض المفسرين : ونفسك فطهر . وقال عنتره : فشككت بالرمح الاصم ثيابه . أي نفسه وذاته كذا في هامش السيرة - ابن هشام ج ١ ص ٤٤٧ - السيرة ابوشهبه ج ١ ص ٤٦٩ .  
(٣) أي السلاح  
(٤) أي كبرا شريفان كبير شريف اهـ . مصباح ج ٢ ص ١٨٣ .  
(٥) يروى بتشديد الياء وتخفيفها .  
(٦) يعني اليهود .  
(٧) أي دمي من دمكم والهدم بالفتح المصدر والتحويل كل ما تهدم ومعناه العرمة أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم . كذا في ابن هشام ج ١ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ وفي سند احمد الهرم وهو الثعب والكبر  
(٨) المرجع نفسه واورده ابن كثير في سيرته ج ٢ ص ٢٠٣ وقال هذا اسناد جيد قوي . واحمد ج ٣ ص ٤٦٠ - ٤٦٢ من حديث طویل عن كعب بن مالك وصححه ابن حبان كما قال الالباني في فقه السيرة ص ١٥٧ .

نص بيعة العقبة الكبرى عند ابن اسحق :

روى ابن اسحق عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : ( بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة فوعسرتنا ويسرتنا ، ومفشطنا ومكرهنا واثرة علينا وان لا ننازع الامراهله وان نقول بالحق اينما كنا لانخاف في الله لومة لائم ) (١)

وأورد هذا ابن كثير في سيرته وسكت عنه . (٢)

وقد قرر ابن اسحق ان هذه البيعة ، بيعة العقبة الثانية ، كانت على حرب الاحمر والاسود حيث قال : ( وكانت بيعة الحرب حين اذن الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في القتال - شروطا سوى شرطه عليهم ففى العقبة الاولى ، كانت الاولى على بيعة النساء ، وذلك ان الله لم يكن اذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب ، فلما اذن الله تعالى - له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في العقبة الاخيرة على حرب الاحمر والاسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة ) (٣)

قلت وهنا اشكال حيث ان الاذن بالحرب لم يكن الا بعد الهجرة الى المدينة على مراحل الثلاث كما هو معروف بل مشهور ولعل هذا وهم من الامام ابن اسحق - رحمه الله - بدليل روايته قول بعض الانصار - عند اتمام بيعة العقبة الكبرى - يا رسول الله والذي بعثك بالحق ان شئت لنمطين على أهل منى غدا باسيافنا . فقال صلى الله عليه وسلم - ( لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رجالكم ) (٤) فرجعوا الى منى فبايعوا عليها حتى أصبحوا . ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم استمر يدعو بمكة حوالي عشرة أعوام<sup>(٥)</sup> بغير قتال ولا جزية بل يؤمر بالكف والصبر والصفح مع تحمله وأصحابه

(١) السيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٥٤ .

(٢) ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٣) السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٤٥٤ .

(٤) القائل هو العباس بن عبادة بن نضله والنص رواه ابن هشام عن ابن اسحق في السيرة النبوية ج ١ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ . رواه الامام احمد في مسنده ج ٣ ص ٤٦٢ - من حديث طويل عن كعب بن مالك وفيه

( لم اوامر بذلك ) بدل ( لم نؤمر ) .

(٥) نظر الى رحلة اليمامة .

من الاذى والتعذيب والمجابهة الحنيفة من أعدائه كفار قريش ، ثم أذن له فوالهجرة وأذن له بالقتال . ثم أمره بقتال من قاتله ثم بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .

### - قريش تكشف أمر البيعة :

وما ان طلع فجر العقبة الكبرى حتى غدت جلة قريش على مفسكر الانصار قائلين : يا معشر الخزرج انه بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرينا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما من حسي من العرب ابغض اليانا ان تتشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

فانبعث من مشركي قومهم يخلفون بالله ما كان من هذا شي \* وما علمناه ، منهم عبد الله بن ابي وقال : ( والله ان هذا لامر جسيم ما كان لقوم ليتفوتوا (١) على مثل هذا وما علمته كان ) - وكان بعضهم يظن ان بعض - فانصرفوا عنه ( هذا لفظ ابن هشام عن ابن اسحق (٢) وقد رواه الامام احمد في مسنده (٤) من حديث كعب بن مالك . ولم يذكر قول ابن سلول .

وهذه البيعة اخذت خيوط نور تظهر في الافق السياسي ، تشير اشارة غير خفية للمخطط السياسي للرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه لا يهدف بالهجرة من مكة الى المدينة التخلص من العذاب والاستهزاء ، ولكنه يهدف الى اقامة مجتمع جديد في بلد آمن تشرف عليه وتنظمه دولة تستمد نظامها من الله تعالى تلك هي دولة الاسلام ، فاقامة دولة الاسلام ان هي الهدف الحقيقي للهجرة الشريفة . (٥)

- 
- ( ١ ) انظر التفاصيل في زاد المعاد ج ٢ ص ٩١ .  
 ( ٢ ) تفوت عليه بكذا : فاتته به . وفي البداية والنهاية ما كان قوم ليتفوتوا على مثل هذا . ج ٣ ص ١٦٤ .  
 ( ٣ ) انظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .  
 ( ٤ ) ج ٣ ص ٤٦٢ .  
 ( ٥ ) التفسير السياسي للسيرة ص ١٢١ .

قلت : وهذا مع الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم موجه من الله في كل تصرفاته ( وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ) (١) وان اجتهد وأخطأ فان الله لا يقره على ذلك كما في قصة أسارى بدر.

### - الحكمة في عدم الاذن بالقتال في مكة :

لماذا لم يأذن الله للمسلمين - في مكة - بالانتصار من الظالم والرد على العدوان ، ودفع الاذى بالقوة ، وكثيرون منهم لم يكن عاجزاً عن رد الصاع صاعين مهما تكن قلة المسلمين في ذلك الوقت ؟ ولماذا الامر بالكف عن القتال والاكتفاء باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والصبر والاحتفال حتى ومعنى المسلمين يتجاوز العذاب طاقته فيفتن عن دينه ومعهم يموت تحت وطأة العذاب ؟

انني أدع الاجمة عن هذه التساؤلات لشهيد الدعوة سيد قطب رحمة الله عليه وعلى سائر الشهداء في سبيل الدعوة الى الله - سبحانه - وذلك في ظلال قوله تعالى : ( الم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقموا الصلاة وآتوا الزكاة ) الآية (٧) ان يقول : ( اما حكمة هذا فلسنا في حل من الجزم بها ، لاننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمة ونفرض على أمره اسباباً وعلا قد لا تكون هي الاسباب والعلل الحقيقية او قد تكون ولكن يكون وراءها اسباب وعلل لم يكشف لنا عنها ، ويعلم - سبحانه - ان فيها الخير والمصلحة وهذا هو شأن المؤمن أمام اي تكليف ، أو أي حكم في شريعة الله - لم يبين الله سبحانه - سببه معدداً جازماً حاسماً - فمهما خطر له من الاسباب والعلل لهذا الحكم او لذلك التكليف او لكيفية تنفيذ هذا الحكم او طريقة ادائه ذلك التكليف ما يدركه عقله ويحسن فيسه فينفذ ان يعتبر هذا كله مجرد احتمال ولا يجزم - مهما بلغت ثقته بعلمه

(١) سورة النجم : ٤ - ٥ .

(٢) سورة النساء : ٧٧ .

(٣) في الحديث ( من يتألى على الله يكذبه ) اي من حكم عليه وحلف كقولك والله ليدخلن الله فلانا النار ولننجحن الله سعي فلان وفيه ( ويل للمتألين من امتي ) يعني الذين يحكمون على الله ويقولون فلان في الجنة وفلان في النار . انظر النهاية في غريب الحديث والاشرج ١ ص ٦٢ .

وعقله وتدبيره لا يحكام الله - بأن مآرأه هو حكمة هو الحكمة التي ارادها الله إنما  
 . . وليس وراءها شيء وليس من دونها شيء فذلك التحرج هو مقتضى الادب  
 الواجب مع الله ، ومقتضى ما بين علم الله ومعرفة الانسان من اختلاف نفس  
 الطبيعة والحقيقة .

وهنا الأدب الواجب نتناول عدم حكمة فرض الجهاد (١) في مكة ،  
 وفرضيته في المدينة ، نذكر ما يترأى لنا من حكمة وسبب على انه مجرد  
 احتمال ، وندع ما وراءه لله لا نفرض على أمره اسبابا وعللا لا يعلمها الا هو  
 ولم يحدد ما هولنا ويطلعنا عليها بنص صريح .

انها أسباب اجتهادية تخطئ وتصيب وتنقص وتزيد ، ولا نبغى بهما  
 الا مجرد تدبير احكام الله وفق ما ظهره لنا الاحداث في مجرى الزمان :

أ - ربما كان ذلك لان الفترة المكية كانت فترة تربية واعداد في بيئة  
 معينة لقوم معينين وسط ظروف معينة ومن اهداف التربية والاعداد  
 في مثل هذه البيئة بالذات تربية نفس الفرد العربي على الصبر على  
 ما لا يصبر عليه عادة من الضيم يقع على شخصه او على من يلونون به  
 ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته ، ولا تعود ذاته ولا من يلونون  
 به محورا لحياة في نظره ودافع الحركة في حياته ، وتربيته كذلك على  
 ضبط أعصابه فلا يندفع لاول مؤثر - كما هي طبيعته - ولا يهتاج  
 لاول مبهج ، ليتم الاعتدال في طبيعته وحركته ، وتربيته على  
 أن يتبع مجتمعا منظما له قيادة يرجع اليها في كل أمر من أمور  
 حياته ولا يتصرف الا وفق ما تأمره - مهما يكن مخالفا لمألوفه وعاداته -  
 وقد كان هذا هو حجر الاساس في اعداد شخصية العربي لانشاء  
 ( المجتمع المسلم ) الخاضع لقيادة موجهة المترقى المتحضر غير  
 المهجى أو القبلى .

ب - وربما كان ذلك أيضا لان الدعوة السلمية اشد اثرا وانفذ في مثل  
 بيئة قريش ذات العتجبية (٢) والشرف والتي قد يدفعها القتال

(١) المراد بذلك القتال . وقد سبق الكلام على أنواع الجهاد في بابيه .

(٢) الجهل والحق والكبر كما في القاموس ج ٤ ص ٢٨٨ .

معها - في مثل هذه الفترة - الى زيادة العناء والى نشأة شارات  
دموية جديدة كثارات العرب المعروفة التي اثار حرب داحس  
والخبراء وحرب البسوس (١) اعواما طويلة - ، تفانت فيها قبائل  
برمتها - وتكون هذه الشارات الجديدة مرتبطة في ان هانهم  
وذكرياتهم بالاسلام فلا تهدأ بعد ذلك أبدا ، ويتحول الاسلام  
من دعوة الى ثارات وذحول (٢) تنسى معها فكرته الاساسية ، وهو  
في هده ، فلا تذكر أبدا .

ج - وربما كان ذلك أيضا اجتنابا لانشاء معركة ومقتله في داخل كل بيت  
فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم  
انما كان ذلك موكولا الى اولياء كل فرد يعذبونه هم ويفتنونهم  
( ويؤدبونهم ) .

ومعنى الاذن بالقتال - في مثل هذه البيئة - أن تقع معركة ومقتلة  
في كل بيت ثم يقال : هذا هو الاسلام . ولقد قيلت حتى والاسلام  
يأمر بالكف عن القتال . فقد كانت دعاية قريش في الموسم في اوساط  
العرب القادمين للحج والتجارة : ان محمدا يفرق بين الوالد وولده  
فوق تفريقه لقومه وعشيرته فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد  
والمولى بقتل المولى في كل بيت وكل محلة ؟

د - وربما كان ذلك أيضا لما يعلمه الله من ان كثيرا من المعاندين الذين  
يفتنون وائل المسلمين عن دينهم ويعذبونهم ويؤذونهم ، هم بانفسهم  
سيكونون من جند الاسلام المخلصين بل من قادته ، الم يكن ابن الخطاب  
من هؤلاء ؟

هـ - وربما كان ذلك أيضا ، لان النخوة العربية في بيئة قبلية من عاداتها  
أن تشور للمظلوم الذي يحتمل الاذى ولا يتراجع وخاصة اذا كان  
الاذى واقعا على كرام الناس فيهم . وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة  
هذه النظرة - في هذه البيئة - فابن الدغنة لم يرض ان يترك أبا بكر -

( ١ ) استمرت اربعين سنة بين عبس وذبيان بسبب لظمة . والبسوس بين بكر  
وتغلب واستمرت كذلك اربعين سنة بسبب ناقة وقد سبق أكثر من هذا .  
( ٢ ) الذجل بفتح الحاء جمعه ان حال وهو الحقد ويسكن فيجمع على ذحول  
مثل فلس وفلوس . اهـ . مصباح ج ١ ص ٢٢١ .

وهو رجل كريم - يهاجر ويخرج من مكة ، وراى فى ذلك عار على العرب . وعرش عليه جواره وحمانيته . . و آخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم فى شعب ابى طالب بمد ما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة . .

و - وربما كان ذلك ايضا لقلّة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم فى مكة حيث لم تبلغ الدعوة الى بقية الجزيرة او بلغت اخبارها متناثرة حيث كانت القبائل تقف على الحياد ، فى معركة داخلية بين قريش ومض أبنائها ، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف ، وفى مثل هذه الحالة قد تنتهى المعركة المحدودة الى قتل المجموعة المسلمة القليلة حتى ولو قتلوا هم اضعاف من سيقتل منهم . ويبقى الشرك وتمسك الجماعة المسلمة ولم يقم فى الارض للاسلام نظام ولا وجد له كيان واقصى ، وهودين جاء ليكون منهج حياة وليكون نظاما واقميا عمليا للحياة .

ز - فى الوقت ذاته لم يكن هناك ضرورة قاهرة ملحة لتجاوز هذه الاعتبارات كلها ، والامر بالقتال ودفع الانزى لان الامر الاساسى فى هذه الدعوة كان قائما - وقتها - ومحققا هذا الامر الاساسى هو ( وجود الدعوة ) وجودها فى شخص الداعية - صلى الله عليه وسلم - وشخصه فى حماية سيوف بنى هاشم ، فلا تمتد اليه يد الا وهى مهددة بالقسط والنظام القبلى السائد يجعل كل قبيلة تخشى ان تقع فى حرب مع بنى هاشم ، اذا هى امتدت يدها الى محمد - صلى الله عليه وسلم - فكان شخص الداعية من ثم محميا حماية كافية .

وكسان الداعية يبلغ دعوته - ان - فى حماية سيوف بنى هاشم ومقتضيات النظام القبلى ، ولا يكتمها ولا يخفيها ، ولا يجروا احد على منعه من ابلاغها وعلانها فى نداءات قريش فى الكعبة ومن فوق جبل الصفا ، وفى اجتماعات عامة ولا يجروا احد على سد فمه ، ولا على خطفه وسجنه وقتله . . ولا يجروا احد على ان يفرض عليه كلاما بعينه يقوله ، يعلن فيه بعض حقيقة دينه ، ويسكت عن بعضها ، وحين طلبوا اليه ان يكف عن سب آلهم وعيها لم يكف ، وحين طلبوا



اليه أن يسكت عن عيب دين آبائهم وأجدادهم وكونهم في جهنم لم يسكت . (١) وحين طلبوا اليه أن يدهن فيدهنونا ، أي ان يجامطهم فيجامطوه بان يتبع بعض تقاليدهم ليتبعوا هم بعض عبادته لم يدهن . وعلو الجملة كان للدعوة ( وجودها ) الكامل في شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محروسا بسيوف بنى هاشم - وفي ابلاغه لدعوة ربه كاملة في كل مكان وفي كل صورة ومن ثم لم تكن هناك الضرورة القاهرة لاستعمال المعركة ، والتفاضي عن كل هذه الاعتبارات البيئية التي هي في مجموعها مساندة للدعوة ومساعدة في مثل هذه البيئة . (٢)

...

---

(١) اشارة الى حديث ( من مات على طمات عليه عبد المطالب فهو في النار ) رواه ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ١٩٥ والى حديث عائشة في مسلم ( ان ابن جدعان لا ينفعه كرمه لانه لم يقل يوما رب اغفر لي ) ج ١ ص ١٣٦ .  
 (٢) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٧١٣ - ٧١٥ .

### المبحث الرابع : قيمة العهد المكي

إذا رجعت إلى المرحلة السرية الفردية تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رعى الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عذاب الله ، الخاشع الأمين ، المؤثر للأخرة على الدنيا ، المستهين بالمادة المتقلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بأن الدنيا خلقت له ، وأنه خلق للأخرة .

فإذا كان تاجرا فهو الصدوق الأمين . وإذا كان فقيرا فهو الشريف الكادح وإذا كان عاملا فهو المجتهد الناصح . وإذا كان غنيا فهو السخي المواسي . وإذا كان قاضيا فهو العدل ، وإذا كان واليا فهو المخلص الأمين ، وإذا كان رئيسا فهو المتواضع الرحيم ، وإذا كان جنديا فهو الشجاع المقدام ، وإذا كان قائدا فهو القائد الحكيم وو . . .

هؤلاء الأفراد هم اللبنة التي تكونت منها الجماعة الأولى بل قوام عليها المجتمع الإسلامي . وقد نجحت تلك الجماعة في كل محنة تظهر مواطن الضعف ، وتبرز كوامن النفس ، وذلك من تأثير الأعداد والتربية النبوية ، ومن رقة العاطفة ، ودقة الشعور بالمسئولية ، ومن المستوى الرفيع للأمانة والزهادة والايثار ، ما لم يتوقعه علماء النفس والأخلاق ومن جربوا الإنسان وكتبوا تاريخه في العصور والازمان المختلفة . (١)

#### - من أثر الأعداد النبوية :

هذه الجماعة التي أنشأتها دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحكمت أعدادها وتربيتها حسب المنهج الذي ذكرناه بتوجيه من عند الله سبحانه وتعالى .

هذه الجماعة هي القاعدة الأولى ، قاعدة حب الله ورسوله والطاعة لله ورسوله والتلقى من عند الله ورسوله ورفض التلقى من كل مصدر سواه .

( ١ ) انظر النبوة والانبياء في ضوء القرآن للندوي ص ١٠٠ - ١٠٤ .

وعلى هذه القاعدة انبئ كل ما جاء بعد ذلك من تربية وقياسه وسلوكه ، حتى استقامت تلك النفوس على القمة ، ووقفت هناك وفتتها المشرفة العالية ، تنير الطريق لكل البشرية ، واذنا تمجلنا النظر الى مجتمع المدينة المنورة - أول مجتمع اسلامي - نجده قام على تلك القاعدة نفسها وانما توسعت آفاقها حسب الزمان والمكان وملاءمة الظروف . ثم نجد معان ذلك قائم على كواهل تلك الجماعة المكية فاندجت بجماعة الانصار في المدينة فاصبحت جيلا واحدا وامة واحدة ، تحمل او يحمل شهادة عالمية خالدة تتلى في الليل والنهار ويتعبد بها ، انها شهادة لخريجه دار الارقم الذين تعلموا مبادئ الاسلام على يد الموجه التربوي الموجه بتعاليم السماء . ذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وهى يوحى . ثم انها شهادة تناولت جيل الصحابة أجمعين . فهل حصلوا على تلك الشهادة عفوا صفوا ، ام بذلوا فى الحصول عليها الغالى والنفيس ؟

اذا رجعت الى ( جهاد الدعوة ) تجد الاجابة الكافية ان شاء الله ان لا يسع المقام تكرارها ، انها شهادة صادرة من ملكوت السموات والارض من فوق سبع سماوات من لدن حكيم عليم خبير . واليك نص هذه الشهادة :

( كنتم خير امة اخرجت للناس ) فما هو السبب فى الحصول على هذه الشهادة ؟ ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) (١) فاذا زالت هذه الصفات زالت الخيرية . وهذا على القول بعمومها فى الامة المحمدية ، وعليه فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاجيال وان كان لم يخل من عشرات وكبوات فى الطريق كيوم احد وحنين - ( خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) (٢)

واذا كانت هذه الشهادة عامة فهناك شهادات خاصة منها قوله تعالى :

( ١ ) سورة ال عمران : ١١٠  
( ٢ ) رواه البخارى فى عدة مواضع منها ج ٢ ص ١٠١ كما رواه الترمذى فى الفتن وابن ماجه فى الاحكام .

( محمد رسول الله والذين معه أشدًا على الكفار رحمة بينهم تراهم ركعوا سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ) (١)

انها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع مؤلفة من عدة لقطات لا يبرز حالات الجماعة المختارة :

١ - فلقطه تصور حالتهم مع الكفار ومع انفسهم ( أشدًا على الكفار رحمة بينهم )

فهذا المقداد بن عمرو يقول للرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر حينما ثكلم في شأن القتال : ( امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى - اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . - ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ) (٢) .

وهذا سعد بن معاذ يقول الكلمة المشهورة يوم بدر أيضا ( . . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ) (٣) .

( ١ ) سورة الفتح : ٢٩ .

( ٢ ) انظر السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ص ٦١٥ وفي صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٠ ان صاحب هذه الكلمة سعد بن عبادة وقد سبق التثنية على موسى هذا في ( الحكمة من اختيار العرب لحمل الدعوة ) وانظر البخاري ايضا ج ٣ ص ٣ واسندها الى المقداد بن الاسود بلفظ ( لانقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ) وبرك الغماد موضع باليمن وقد سبق ذكره .

( ٣ ) ابن هشام ج ١ ص ٦١٥ .

لقد جاهدوا في الله حق جهاده ، كان لسان حالهم يقول : ( قل هل ترمضون بنا الا احدى الحسنيين ) النصر والشهادة ولذلك كانوا أمام الأعداء كالجيال الراسيات لا تنزلها العواصف ، بل كانوا كالصواعق على أعداء الله ورسوله ولكنهم رحماً بينهم كما قال صلى الله عليه وسلم ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحس والسهر )<sup>(١)</sup> .

٢ - ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم ( تراهم ركعا سجدا ) رهبان فسو الليل ليوث بالنهار .

٣ - ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها ( يبتغون فضلا من الله ورضوانا )

٤ - لقطة تصور اثر العبادة والتوجه الى الله في سمتهم ( سيماهم فيسوجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ) هذه صفتهم فيها . ولقطات متتابعة تصورهم كما في الانجيل ( كزرع اخرج شطأه )<sup>(٢)</sup> ( فأزره ) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ) .

وهكذا يثبت الله - سبحانه - في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة ، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتثبت في صلب الوجود كله وتتجاوب بها ارجاؤه وتبقى نموذجا للاجيال لتحقيق معنى الايمان فسو أعلى الدرجات . وهكذا ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا )<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) متفق عليه / مسلم ج ٨ ص ٢٠ والبخارى ج ٤ ص ٥٣ بلفظ ترى المؤمنين في تراحمهم . تداعى له سائر جسده بالسهر والحس .
- ( ٢ ) شطاه افراخه وقيل ورقه وقيل سنبله وقيل اذا صارت له اخيمان وقيل الزرع مادام في البذر فهو الحب فاذا انشق الحب عن الورقة فهو الفرخ فاذا طلع راسه فهو الحقل قيل المعنى ان الشطأ قوى الزرع وقيل ان الزرع قوى الشطأ . فأزره اي قواه واعانه وشده فهو زرع تام قوى يخرج فرخه من قوته وخصوبته ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده قال قتادة : هذا مثل للصحابة في الانجيل سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر . انظر فتح القدير ج ٥ ص ٥٦ تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٣٤٣ هـ . حاشية الظلال ج ٢٦ ص ٣٣٢٢ .
- ( ٣ ) هذا لفظ حديث مرفوع متفق عليه البخارى ج ٢ ص ٦٧ - مسلم ج ٨ ص ٢٠ .

ان هذه القاعدة الصلبة من المهاجرين الاوائل هو التي انضم اليها السابقون من الانصار ( اهل العقبة الكبرى ) وهي التي تكونت منها القاعدة الاساسية في المدينة قبل بدر وعده .

هذه هي القاعدة الصلبة التي اتسعت ابعادها قبيل الفتح ، حتى صارت تتمثل في المجتمع المدني بجملته هي التي حرس الاسلام وصانته من الهزات بعد الفتح ، ثم من الهزة الكبرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة ابي بكر خليفة رسول الله حينما ارتدت الجزيرة العربية عن الاسلام ، وهي التي فتحت الفتوحات الاسلامية في عهد الشيخين ودخت فارس والروم اعظم الامبراطوريات يومها ، ونشرت الاسلام في مشارق الارض ومغاربها ،

وهذه الحقائق تكشف لنا عن طبيعة المنهج الحركي للدعوة الاسلامية المتجددة في اي زمان ومكان ، وكم لها من ابناء كرام بررة في بلاد الشرق والغرب وفي بلاد العرب والمجم وفي قرون متقدمة ومتوسطة ومتأخرة ، وكم لها من مآثر وطولات ومحامد ومكارم في كل ناحية من نواحي الحيااة الانسانية . والفضل في هذا كله يرجع الى توجيهات القيادة الحكيمة النبوية الربانية .

هذه الجماعة والقاعدة الصلبة هي التي وصفها الله بقوله تعالى :  
( والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان  
رضى الله عنهم ورضوا عنه واعدهم جنات تجري .. تحتها الانهار خالدون  
فيها ابدان ذلك الفوز العظيم ) (١)

(١) التوبة : ١٠٠ - فقد اخبر الله تعالى في هذه الاية الكريمة انه رضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان بخلاف النظر عن الخلاف في تعيين السابقين في الاية فقد قيل انهم المهاجرون قبل بدر وقيل هم اهل بيعة الرضوان وقيل هم اصحاب العقبة الكبرى من الانصار وقيل هم الذين صلوا القبلتين ، وقيل هم السابقون الى الاسلام . وانا اميل الى القول بانهم هم الذين هاجروا قبل بدر ، والسابقون من الانصار هم اهل بيعة العقبة الثانية - وفي ذلك يدخل السابقون الى الاسلام - لان فترة الشدة قبل بدر اشد الفترات وظروفها اشد الظروف كما هو معلوم والله اعلم .  
والذين اتبعوهم باحسان هم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم =

هذه الجماعة هي التي وصفها الله سبحانه بقوله : ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ) (١)

إنها صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين الذين أخرجوا أخرجوا من ديارهم وأموالهم . . . أكرههم على الخروج الأذى . . . والاضطهاد من عشيرتهم في مكة ، لا لذنب إلا ان يقولوا ربنا الله وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم ( يبتغون فضلا من الله ورضوانا ) اعتمادهم على الله من فضله ورضوانه لا طمعا لهم سواه ، وهم مع أنهم مطاردون قليلون ( ينصرون الله ورسوله ) بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الظروف ( أولئك هم الصادقون ) الذين قالوا كلمة الايمان بالسنتهم وصدقوها بأعمالهم وكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس .

هذه الجماعة هي التي وصفها الله بقوله ( والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ) (٢) ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ) (٣)

== الى يوم القيامة . وليس المراد بهم التابعين اصطلاحا ، وهم كل من ادرك الصحابة ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم . فياويل من ابغض الصحابة أو سبهم . بعد هذا الرضا والرضوان والنعيم المقيم والغفر العظيم من رب العالمين . انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٤٢ ، فتح القدير ج ٢ ص ٣٩٨ - الظلال ج ١١ ص ١٧٠٢ - ١٧٠٣ .

( ١ ) الحشر : ٨

( ٢ ) اي ولا يجدون في انفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به ممن

المنزلة والشرف والتقدير في الذكر والرتبة اهـ . ابن كثير ج ٨ ص ٩٥ .

( ٣ ) الحشر : ٩ - قال ابن كثير : اي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين

وامنوا قبل كثير منهم . وقال الشوكاني : والتبوء في الاصل انما يكون

للمكان ولكنه جعل الايمان مثله لتمكينهم فيه تنزيلا للحال منزلة المحل

ويجوز ان يكون على حذف مضاف اي تبوءوا الدار وموضع الايمان ويجوز

ان يكون تبوءوا مضمنا لمعنى لزموا والتقدير لزموا الدار والايمان ومعنى

من قبلهم : من قبل هجرة المهاجرين فلا بد من تقدير مضاف ، لان

الانصار انما امنوا بعد ايمان المهاجرين . ابن كثير ج ٨ ص ٩٤ - فتح

القدير ج ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

وهذه كذلك صورة وضيفة صادقة تبرز اهم الملامح المميزة للانصار .

هذه الجماعة من المهاجرين والانصار التي تفردت بصفات وبلغت الى آفاق لولا انها وقعت بالفعل لحسبها الناس أخلاما . يحبون ممن هاجر اليهم . فلم يعرف التاريخ البشرى كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الانصار للمهاجرين بالحب الكريم والبذل السخي والمشاركة الرضية والتسابق الى الايواء . (١)

عرفت تلك الجماعة ربها عن طريق التوجيهات النبوية فأثمرت هذه المعرفة ثمارا يانعة وتركت في نفوسهم روح الشجاعة واعتقار الموت والرضيعة فيماعد الله ومن احب لقاء الله أحب الله لقاءه .

كان هم تلك الجماعة نشر العقيدة الصحيحة ونشر المكارم واث المحاسن والفضائل لدين الاسلام وذلك الجهد المستطاع في دعوة البشر كافة الى الايمان والدخول في دائرته حتى يكون ذلك دين العالم بأسره . جاهدوا في الله حق جهاده ، لم يهدأ لهم مضجع ولم يقر لهم قرار حتى صارت كلمة الله هو العليا وارتفعت راياتها في مشارق الارض ومغاربها ونكس كل باطل يقوم في وجهها .

هذه الجماعة التي كان يقول الفرد منها : أليس بيني وبين الجنة الا ان اقتل هذا الرجل او يقتلني . . ثم يلقي بنفسه في المعركة فيستشهد . .

والذي يأخذ ثمرات في يده ، ثم يأخذ في أكل ثمرة منها (٢) فماذا الجنة تشده اليها ، ورجبة الاستشهاد في سبيل الله تلك عليه نفسه

(١) انظر الظلال ج ٢٨ ص ٣٥٢٦ .

(٢) اشارة الى قصة عمير بن الحصام يوم بدر كما في السيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٢٢ - مسلم ج ٦ ص ٤٤ - وقال انس بن النضر ( اني اجد ريسح الجنة دون احد ) فقاتل حتى قتل فوجد فيه بضع وثمانون بين طعنة وضربة ورمية الله البخاري ج ٣ ص ٢١ - مسلم ج ٦ ص ٤٦ ، سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٩ ص ٦١ .



فيتمجّل الذهاب ولا يصبر حتى يكمل ثمرته فيلقبها عنه وهو يقول : لئن بقيت حتى أنتهى منها انها لحياة طويلة . ويذهب الى الجنة التوتاديه .

نماذج ونماذج ونماذج لا تتسع لها هذه السطور .  
ولكن حسبنا ان نقول ان هذه الجماعة التي ربيت على هدى القرآن وعلى عين الرسول صلى الله عليه وسلم هي التي كتبت التاريخ (١) بأحرف من نور .

...

---

(١) انظر منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٧٦ .

### (( الخاتمة ))

وقد توصلت من خلال البحث الى النتائج الآتية :

١ - ان طريق الدعوة ليست مفروشة بالورود ، بل مطوأة بالاشوك والتضحيات ، ان طبيعة الوصول بهذه الدعوة الى غايتها لمصب بل في غاية من الصعوبة انها البأساء والضراء والزلازل ، انها تعرض للاذى ، انها الغربية في العقيدة ، انها السجن أوالاخراج والقتل بشتى انواعه ، فالفرض الوحيد في مخطط القوى المتجابهة للدعوة هو القضاء عليها وعلى أصحابها في مهدها .

فانما طال الزمن وابطأ النصر ، كانت اشد واقسى ، مع التمسك بفتنة الرغبات والشهوات وفتنة البعد عن الاهل والاحياء ، ولكن الاعداد الحقيقي لتحمل الامانة لا يتم الا بالمعانة العظيمة .

فالحق لا يقوم بنفسه بل لا بد من قائمين به ، ولا بد من توضيحات في سبيل اقامته . ولكن ليس ذلك سداً أمام السالك عن بلوغ الغاية بل سلوك في الطريق الطبيعي للدعوة الى الله - عز وجل - فقد مشط الكثير بأشاط الحديد ، وأحرقوا بالنار في الاخاديد ولكن العقيدة استملت في نفوسهم على العذاب وعلى كل رغائب الحياة .

٢ - ينبغى للداعية ان يلفت العقول والفطر الى الكون وما يحيط بالانسان من كل الجوانب يعرض آيات القدرة القادرة التي لا يعجزها شئ في السموات ولا في الارض ، في الخلق ، في الموت ، في الحياة ، في احداث الأحداث وتدبير الامر . . . تلك هي منافذ الفطرة التي تلجئها الى البحث عن الخالق والتوجه اليه .

فقد اخذ القرآن الكريم الانسان من مواطن اهتمامه في الكون ونعم الله عليه ، ونقله منها الى الخالق المنعم ، فأكسبه بذلك الاقتناع بمنطق العقل والشمور ليخامر ايمانه النفس فكراً وعاطفة وان يعرض نماذج مناسبة عن اخبار قومهم واهلهم في الارض ، وأقوام ضلوا فسأت حالهم وخربت ديارهم ووقع عليهم العذاب والنكال يضرب بهم المثل ويدعو الناس الى العبرة .

٣ - اشارة الوجدان بالثواب والعقاب ، فالانسان مجبول على حسب ماينفعه ويغض ما يكرهه لما فيه من غريزة حب الذات ، فمخاطبة العقول وحدها لا تشيخ وجدانا ، ولا تغذي ارواحا ، فالنفس محتاجة الى الغذاء الروحي كحاجة الجسد الى الغذاء المادي ثم التوازن بينهما .

٤ - الدخول الى النفوس لترسيخ عقيدة التوحيد النقية الواضحة التي جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - كل بحسب المؤثرات ، والداعية المسلم ينبغي ان يعرف من أين يبدأ والى أين ينتهي فالبدء بالاصل قبل الفرع والقاعدة قبل البناء والتخلية قبل التحلية وكما يقال : المرين هو الذي يبدأ بتعليم صغار العلم قبل كبارها .

٥ - استحصال أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، يا حصين كم تعبد من اله ؟ قال : سبعة في الارض وواحد في السماء . قال : فاذا اصابك الضر فمن تدعو ؟ قال : الذي في السماء . فاذا هلك الناس منن تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فيستجيب لك وحده وتشارك معه غيره . يا حصين أسلم تسلم<sup>(١)</sup> . عرض واخذ وعطاء واقناع .

(أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم ، أكنتم صدق ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا<sup>(٢)</sup> . ) قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني<sup>(٣)</sup> ومع هذا فليس في العقيدة مساومة ولا حلول نصفية فلا يلتقي الاسلام والجاهلية في منتصف الطريق . . ولو جازت المساومة لجازت في ارجح الظروف المكية . فالشدة في موضعها لا تتنافى مع اسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، بل هي من الحكمة ( والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أمتد منه ما تركته<sup>(٤)</sup> ) .

(١) الاصابه ج١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ - الحلييه ج١ ص ٤٥٥

(٢) البخاري ج٢ ص ١٧١ - مسلم ج١ ص ١٢٤

(٣) سورة بقره : ١٠٨

(٤) السيره ابن هشام ج١ ص ٢١٢ - البياه ج٢ ص ٤٢٠ - ٤٢٨ .

٦ - تقسيم مراحل الدعوة وتنظيمها من حيث السرية والجهرية ، يبدأ بالاتصال الفردي مع مراعاة الاقرب فالاقرب في السر والجهر على السواء .

ثم التكوين ويبدأ من دار الارقم . وينتهي بالمرحلة المكية وكلها تكوين واعداد . اما التنظيم السري الحركي فما انفك عن الدعوة حتى في المرحلة الجهرية الى بيعة العقبة الكبرى الى المجتمع الاسلامي في المدينة كالثورة في الفزوات والحرب خدعة وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن جحش لم وكان خديفة بن اليمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧ - لا عمل الا بجماعة ، ولا جماعة الا بقيادة ، ولا قيادة الا بتنظيم فالخير لا يكون فلتة عارضة ، انما ينبعث عن دافع ويثبته الى هدف يتعاون عليها الافراد المرتبطون في الله - عز وجل - فتقوم الجماعة المسلمة ذات الهدف الواحد ، بأعباء الدعوة الى الله عز وجل فالنوايا الطيبة لا تكفي ، بل لابد من أن تتمثل في حركة تكون بنائاً ضخماً في صميم الحياة .

٨ - الصبر والاستمرار في الدعوة في حق من لم يستجب وعدم استئجال النتائج وان طال الزمن ، فالمثابرة على الدعوة والاستعانة على وعشاء الطريق بطول الصبر وحسن التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصدق الاعتماد على الله - سبحانه - هو طريق النجاح ، ان الدم الذي يراق هو غذاء الدعوة ومحاولة الافلات من هذه السنة العامة لا يتاح لاحد ( انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ) فلا بد من توفيق الله تعالى .

وكفى باداعية المسلم المخلص ان يكون الله - عز وجل - معه وهادييه ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ) ثم لابد للدعوة من سند يهيئه الله - سبحانه - كدفاع أبي طالب والساعين في نقض الصحيفة ، والنجاشي في الحبشة حتى وان كانوا لا يدعون بالدعوة مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام ( وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ) (١)

(١) مسلم ج ٥ ص ٢٠١

(٢) سورة المنكوث: ٢٩

واستعمال النتائج قبل أوانها لا يتناسب مع طبيعة الدعوة الى الله فكم لبث نوح في قومه ، وكم وكم . . غيره من الانبياء والمصلحين ( والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لا يخاف الا الله او الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) (١) وقد حدث هذا بالفعل ، كما هو معروف في تاريخ الاسلام . ونرجو الله ان يعود هذا عن قريب .

ان على الدعاة أن يسؤدوا واجبههم ، وهو ان يختاروا الله - عز وجل - وان يؤثروا العقيدة على الحياة وان يستعلوا بالايمان على الفتنة وان يصدقوا الله في العمل والنية ، ثم يفعل الله بهم وأعدائهم كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء وينتهى بهم الى النهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ الايمان او الى غيرها مما يعلمه ويراه . انهم أجراء عند الله - سبحانه - اينما وحيثما وكيفما ارادهم ان يعطوا عطوا وقبضوا الاجر المعلوم ، وليس لهم ولا عليهم ان تتجه الدعوة الى أي مصير ، فذلك شأن صاحب الامر ، لاشأن الاجير .

٩ - استخدام الوسائل لنشر الدعوة كالتنظيم الدقيق ، العمل المتواصل الاتصال الفردي والجماعي ، تكليف من اسلم بتبليغ من لم يسلم ، مع استخدام وسائل الاقناع وجمع الناس ودعوتهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد على الصفا والذهاب الى اماكن تجمع الناس ودعوتهم ، والخروج الى البلدان لتبليغ الدعوة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في عكاظ وغيرها . كل هذا حسب ما تنظمه القيادة على ضوء المنهج النبوي .

١٠ - ابعاد الاتباع عن ساحة المواجهة الوعينية ، فسلحها الصبر والصبر وحده ، وقد ضاق البعض فاستنجد بدعوة القيادة ، فكان الجواب الصارم حديث خباب . وفي ليلة العقبة الكبرى طلب الانصار الميل على أهل منى باسيافهم ، فكان الجواب من القيادة الحكيمة ( لم نؤمر بهذا ) فلما حان الاوان فعلت الافاعيل ، وكتب التاريخ بالفتوحات الاسلامية في شتى بقاع المعمورة فكم لها من مآثر وطسولات ومحامد ، ومكارم في كل ناحية من نواحي الحياة الانسانية .

١١ - ان الدعوة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم - انقذت البشرية من بحر الشقاء الى ساحل السعادة ، ومن عبادة الاحجار والعبيد الى عبادة الله وحده ، ومن حمأة الرذيلة الى قمة الفضيلة ، انها دعوة خالدة صالحة لكل زمان ومكان .

١٢ - ان الهدف من الدعوة تأسيس القاعدة الصلبة للجماعة التي ستقوم بأعباء تلك الدعوة الى الناس والتي تقتل في : الله غايتهم والرسول قدوتهم والقرآن دستورهم ، والجهاد فوسيل الله اغلى أمانيهم . ثم المحافظة على هذه القاعدة وتكميلها وتمحيصها . وهناك هدف عام هو اخراج الناس من الظلمات الى النور ، وان يُعبد الله وحده لا يُشرك به شيء . (قولوا لا اله الا الله تفلحوا) (١)

١٣ - ان قوة الباطل وظفیان الموجة الجاهلية لا تفيد معها موعظة تشرق لها القلوب ثم تترك يجرفها التيار الضخم ، ومواجهة الناس بالحق والقيام على امره من اهم الخصال التي تحيا بها الدعاة الى الله - سبحانه - وفي مقدمتهم الانبياء .

اذن فلا بد من احتضان الفرد وتهيئته واعداده اعدادا خاصا وملاحقته حتى يصلب عوده ، والا فهو كالنبته الصغيرة في مهب الاعمير . ومرة اخرى أكد انه لا بد ان يعمل الدعاة ضد التيار ولو قال الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الارض مليئة بالشرك والاعطار ولا نستطيع القيام بشيء لما قامت الدعوة .

١٤ - الداعية اذا لم ينجح في بلده عليه أن يتحول الى بلد آخر كما فصل الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن الافضل له ان يدرس تلك المنطقة التي يريد الخروج اليها ، دراسة عامة ليصرف المنافذ التي يمكنه الدخول منها قبل الدخول في نشر الدعوة وان يكون قدوة يطابق تعاليم الاسلام على نفسه ومن يحيط به ثم يدعو الناس اليها .

١٥ - ان واقع الاسلام المعاصر يعاني من مرارة هودته الى الغربة ، معاناة شديدة ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم ( بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغريباء ) (٢)

(١) السير والمغازي عن ٢٧٢ - البداية ج ٢ ص ١٢٨ - الطيفان لابن سعد ج ١ ص ٧٢  
نور الباقين ص ٧٢  
(٢) مسلم ج ١ ص ٩٠

فقد لحق المسلمين النقص والاخلاق ، اللهم الا أفراداً قلة ، هم المصلحون لما أفسد الناس ، فهذه العودة لا ترتبط بزمان ولا مكان معين ، وانما تعود كلما انتقل زمام الحكم من ايدي المسلمين الى غيرهم ان يحصل الفساد في الارض نتيجة ذلك .

ان واقع المسلمين يقرر بأن غربة النبي عليه الصلاة والسلام ، واسيرة ياسر وملال وغيرهم من خريجي دار الارقم ، قد عادت للذين قالوا ويقولون ربنا الله لا قيصر ، والحاكمة لله لا للبشر .

ان تعذيب اولئك الغرباء الاوائل وتشريدهم قد عاد على المصلحين في كل زمان ومكان عاد عليهم بالسجون والمشائخ والتشريد والتقتيل بشتى أنواعه .

فما هي أداة التحويل التي نحول بها المجتمع الى المنهج الاسلامي وما هو الخلاص ؟

١٦ - انه لا أداة لذلك الا بترتبة جبل جديد على المنهج الذي تربت واعدت عليه الجماعة الاولى في العهد المكي ، والذي ينبغى أن تكون عليه كل أجيال المسلمين على مدى التاريخ .  
والمهم عندنا أمور ثلاثة رئيسية ؛

الاول : أن نعلم من أين نبدأ ، ثم ما هو المطلوب منا بعد نقطة البدء وما هي وسيلتنا لأداء المطلوب منا .

الثاني : أن نعلم ان الجماعة الاولى التي رباها واعدتها الرسول صلوات الله وسلامه عليه - في العهد المكي - على عينه ، وحقق فيها منهج التربية والاعداد بكاملها هي القسوة الدائمة الدائمة لنا بعد شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وان صورتها الواقعية هي المراجع الدائم لنا في منهج التربية والاعداد بعد كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم .

وان هذه الجماعة - ستظل لاجيال المسلمين بل لاجيال البشرية كلها - هي النور الذي يستضيئون به ويحاولون أن ينسجوا على منواله .

فان استطاع المسلمون ان يعيدوا سيرتها في انفسهم في اى جيل من اجيالهم فهو الخير لهم ولكل البشرية وان لم يستطعوا فلن تذهب محاولتهم هباء لانهم سيكونون - في أثناء المحاولة - قد ارتفعوا بأنفسهم الى اقصى طاقاتهم فيكون الخير .

الثالث : أن نعلم انه لا طريق لنا الا ذلك الطريق الذى سلكته الجماعة الاولى في خروجها من جاهليتها حتى استوى بها الى قمة الاسلام الشامخة .

ان وجهة المسلمين - ان ارادوا أن يعودوا الى الحياة مرة أخرى وينفضوا عنهم ذلك الهوان المخزى الذى يعيشون فيه - ينبغى أن تكون هى تلك الجماعة الاولى وعلى رأسها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ان تكون هى موسكو ، اولندن ، او واشنطن أو بكين . . . ولا بأس - بعد أن يتجهوا الى تلك الجماعة لينسجلوا على منوالها ، ويحاولوا الاقتداء بها - ان يستفيدوا مما يجدونه صالحا للاستفادة به في تلك البلدان .

واذا تعجلنا النظر الى مجتمع المدينة المنورة - اول مجتمع اسلامى - نجده قام على تلك القاعدة نفسها ، وانما توسعت آفاقها حسب الزمان والمكان وملاءمة الظروف ، فاندجت جماعة الانصار فى المدينة فأصبحت جيلا واحدا وأمة واحدة تحمل شهادة خالصة تلقى فى الليل والنهار ويتمدد بها على يد الرسول والمهوى صلى الله عليه وسلم - لم ينالوا تلك الشهادة عفوا صفوا ، بل ببذل الغالى والنفيس ، ( كنتم خيرا أمة اخرجت للناس ) . هذه الجماعة التى تربت على هدى القرآن الكريم وعلى يد الرسول - صلى الله عليه وسلم - هى التى كتبت التاريخ بأحرف من نور . (١)

(١) الثلاثة الأمور مقتبسة من منهج التربية الاسلامية ج ٢ ص ٨٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠



١٧ - ان هذا الدين لم يصل الينا عفوا صفوا ، وانما وصل الينا - كما عرفت - بعد التضحيات بالاوطان ، بالاموال ، بالدماء ، بالاشلاء ، بالمهيج التي بذلها الجيل الاول ، رضوان الله عليهم ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذا يجب على المسلمين أن يتمسكوا بهذا الدين ، وأن يعضوا عليه بالنواجذ لانه نزل من عند الله الخالق العليم بمصالح عباد ، ومضارهم ، الحكيم في تدبير أمورهم وفيه سعادتهم في الدارين .

١٨ - ان الاسلام لم ينتشر بالسيف - كما يقول بعض ذوى الاغراض - وانما انتشر عن طريق الدعوة بالبرهان والاقناع والموعظة الحسنة حتى خالطت بشاشته الايمان وحلاوته قلوب اولئك السابقين المعذبين في مكسة ، ثم سرى سريان الماء في العود ، وسريان النور في الظلام ، حتى تجاوز هؤلاء ، واخترق البادية حتى وصل طيبة الطيبة ، وكان الاسلام والمسلمون في غاية الكتمان خوفا من سلطة الشرك والمشركين ، لان زمام السلطة والقوة ليس في أيدي المسلمين حينها .

فهل تجد في التاريخ الاسلامي ان الاسلام سل سيفه على بلال وعمار وخباب وغيرهم ؟ فالواقع يقرر أن سيوف الشرك كانت هي القائمة على رؤوس المسلمين ، ولكنها هانت أمام قوة الايمان ، بل ان بعضهم كان يستعذب العذاب والموت في سبيل نشر الاسلام . وهل تجد في التاريخ ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتصدى للوافدين في مواسم الحج هو وأصحابه بالسيوف ، أم بالدعوة التي الله - سبحانه - واسلوها الجذاب ؟ وهل كان يرميهم بالحجارة أو يرمونه ؟

وهل تجد في التاريخ أن الاوس والخزرج سلت في وجوههم سيوف الاسلام حتى دخلوا فيه مكرهين ، أم حدا بهم الايمان الى أن بايعوا متراحمين ومتنافسين ، على نصره حتى الفوز باحدى الحسينين ؟ ومعلوم ان القتال لم يشرع الا في المدينة على مراحل المعروفة ، وقد كان محرما ، ثم ما نونا به ، ثم ما موروا به لمن بدأ بالقتال ، ثم ما موروا به

لجميع المشركين ، وذلك لازاحة العقبات التي تقف في سبيل الدعوة الى الله - سبحانه - ، اما اذا لم تكن صفة في الطريق فلا داعي لاستعمال السيف .

١٩ - ان الجماعة المسلمة ذات الشمول في المنهج ، والوضوح في الهدف بادئة من اعداد الفرد ، منتهية باقامة الحكم لله وحده ثم الانطلاق في الارض لاعلاء دين الله ، هي الجديرة بالولاء والنصرة .

٢٠ - الدعوة للجماعات الاسلامية العاملة في الميدان للتعاون في الامور المتفق عليها ، وأن يعذر كل منها الاخرى فيما اختلف فيه من الفروع والمناهج والافكار وكف الحملات الكلامية ضد بعضها البعض ، كيلا تبطل افكار العامة ، ان ليس ذلك من صالح الدعوة الى الله - عز وجل - بل في صالح اعداء الاسلام والمسلمين والله الموفق للصواب .

واني وأنا أختم هذا البحث المتواضع لا أستطيع أن أقول اني قد أتيت بجديد أو بلغت مرتبة من الكمال ، فكم من باحث طويل الباع ، يكتب بحثا اليوم ، ثم يراجعه غدا ، فاذا هو يقول : لو انني قدمت هذا لكان أحسن ولو أخرت هذا لكان يستحسن ، ولو أضفت ذلك لكان أكمل ، ولو حذفتمت ذلك لكان أجمل ، فغاية القول اني بذلت كل ما في وسعي - حسب ظروفى - وحسبى اني حاولت اخراج الموضوع على هذه الصورة ، فان أصبت فبتوفيق الله - عز وجل - وله الحمد والمنة ، وان قصرت أو أخطأت فذلك طبيعته البشر وأستغفر الله ، وعزائى أن الكمال لله وحده ، وأن فوق كل ذى علم عليم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلو الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

فهرس الاحاديث والاثار على ترتيب الحروف الهجائية

<u>رقم الصفحة</u>	<u>أ -</u>	<u>اول الحديث والاثر</u>
٢٢٩		الايمان ان تؤمن بالله
٣٠٩		ابشر يا اعمار
١٢٩ - ٣٢٨		ايايكم علي ان تمنعوني مما تمنعون منه
١٧٠		ان النبي رجل فقال:
٢٧٧		اتحجبون من غيرة سعد؟!
٢٧٤		اشقل شيء في الميزان
١٤٠		ادعوك الى الله وحده
٢٥	اشرع ابن عباس	اذا سرك ان تعلم جهل العرب فأقرأ
٢٣٤		اذا صار اهل الجنة الى الجنة
٧٩		اذا التقى المسلمان بسيفهما
١٤٤		ارأيتم لو اغيبرتكم ان خيلا
٣٣		اربع في امتي من امر الجاهلية
١٤٠		ارسلني الله بصلة الارحام وكسر الاوثان
٧٤		ازاري ازاري
٢٨٩		اشد الناس بلا الانبياء ثم
١٤٧		اكنم هذا الامر وارجع
٣٠١		اللهم اليك اشكو ضعف قوتي
١١٣		اللهم اصلح لي ديني الذي هو
١٢٩		اللهم اعني عليهم بسبع كسيع
٣٦٦		اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا
٣٩٥		المؤمن للمؤمن كالبنيان
٣٩٤	المقداد	امني لما امرك الله فنحن معك

- ٢٧٤ ان احبكم الى واقربكم منى
- ٢٧٢ ان خياركم احاسنكم اخلاقا
- ١٣٨ ان الله بعثني اليكم فقلتم
- ١٢٨ ان الله حبس عن مكة الفيل
- ٦٤ ان الله اصطفى كنانه من ولنا سمعيل
- ٩٢ ان روح القدس نفت في روي
- ٢٧٦ ان الله سمى المدينة طابه
- ٢٦٥ ان الله قدر مقادير الخلائق قبل
- ١٣٩ ان ابن جدعان لا يشفعه كرمه لانه
- ٣٣٣ ان عثمان لا اول من هاجر باهله بعد
- ٧٥ ان رسول الله علي الله عليه وسلم بعثنا هاهنا  
ان الرائد لا يكره اهله  
انا سيد ولد آدم
- ٦٤
- ٢٨ ان قريشا كانت تصوم عاشوراء
- ١٢٩ ان قريشا لما ابطأوا عن الاسلام  
اشرع ابن مسعود
- ١٤٧ انك لا تستطيع يومك هذا
- ٣٢ ان النكاح في الجاهليه كان على  
عن عايشه
- ٨١ انما بعثت لأنتم صالح الاخلاق  
ان الناس نزلوا من ركب الله على العلم وهم  
او تقعد معنا فتسمع
- ٣٧٦ مصعب بن عمير
- ٨٤ او مخرجي هم
- ٦٣ الا تعجبون كيف يصرف الله عنى
- ٣٦٨ الارجل يحملنى الى قومه فان قريشا
- ٢٧٦ ايكم بيا يعنى علي ثلاث
- ٣٣٨ ايها الملك كما قوما اهل

- أليس بيني وبين الجنة الا ان اقتل  
 عمير بن الحمام ٣٩٩  
 اني اجد ریح الجنة دون احد  
 انس بن النضر ٣٩٩

## - ب -

- بايعوني على الا تشركوا بالله شئيا  
 ٢٧٦-٣٧١  
 بايعنا رسول الله بيعة الحرب  
 اشرع اباة بن الصامت ٣٨٥  
 بدأ الاسلام فریبا  
 ١٤٥  
 بشرها ببیت في الجنة  
 ١٣٦  
 بعث النبي يوم الاثنين وصلي  
 أشرعن انس ١٣٧  
 بعثت في خير قرون بني آدم  
 ٦٣  
 بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم ساجد  
 ٢٥١  
 بينما رسول الله يصلي بفناء الكعبة  
 ٢٥٠

## - ت -

- تبايعوني على السمع والطاعة  
 ٢٨٢  
 تركتكم على المحجة البيضاء  
 ١  
 تعلمين يامه لو كان لك مائة نفس  
 ١٤١  
 تقتل عمار الفئة الباغية  
 ١٤٢

## - ث -

- ثم ذكر الرجل يطيل السفر  
 ٢٧٠

## - ج -

- جئنا النحر من شاء من عبادة العباد الي  
 ربيع بن عامر ١٧٨

٢٣	اثر عن ابن عباس	حتى اذا هلك اولك وتنسخ العلم
٢٨١	الارضاء	حتى متى نزل رسول الله (ص) يطوفون ويطرفون
٩٢		حتى ان جبينه ليتقصد عرقها
٩٢		حتى ان راحلته لتبترك به الارض
٦٤		حد يث سئل النبي عن صوم يوم الاثير فقال
٦٤		حد يث خيركم قرني
		حد يث ابي موسى في لقاء النبي ببحيرا
٦٧		حد يث شق الصدر
٢٦٣		حصنوا اموالكم بالزكاة
٦٤		خرجت من نكاح غير سفاح
٢٤٢		خرج رسول الله وهم يختسمون في القدر
٦٤		خرجت من لدن آدم
٢١٠		خلقت الملائكة من نور وخلق
١٣٠	ابن مسعود	خمس قد مضين اللزام والروم
٦٤-٣٩٣		خيركم قرني ثم الذين يلونهم
١٢٩		دعا قريشا الى الاسلام
١٤٧	عمار بن ياسر	رأيت رسول الله ومعه الا
٣٨٣	اسعد بن زراره	رويدا يا اهل يثرب
١٦		رأيت عمر بن عاصر يحيي قصه
٣٠٥	اثر عنه	سئل ابن عباس اكان المشركون
٣٠٩		سمعت دق نعليك بين يدي
١٤	زيد بن عمرو بن نفيل	الشاة هلقها الله وانزل لها
٢٩١		شكونا الى رسول الله من
٣٠٧		صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة

٢٤٤		عجبا لا مر المؤمن
٢٣	ابن مسعود	في جنوف الكعبة وحولها ٣٦٠ صنما
١٩٩	عن ابن عباس	فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان
٥٤	سعد بن معاذ	فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك
١٥٠	عن ابن عباس	فاشراف الناس يتبعونه ام
٢٤٩	عن عائشه	فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين
٢٢٤		قال الله كذبني ابن آدم
٢٧٥	عائشه	قالت كان خلقه القرآن
٣٧٧		قولوا كلمة واحدة تدين لكم بها العرب
٣٣		كانت المرأة تطوف بالبيت وهي
٦٣	اثر عن ابن عباس	كيف نسبه فيكم قال هو فينا
٩٣		كان يأتيه الملك في الصورة التي
١٧٣	اثر عن ابن عباس	كتب الي كسرى
١٨٧		كانوا يقولون في ثلبيتهم
٣٠٨		كلا ان عمارا مليء
٣٤٥	سعد بن ابن وقاص	كنا قوما يصيبنا صلف العيش
٣٦١	ابن مسعود	كان الرجل منا اذا تعلم عشر ايات
٣٧١	عباده	كنت فيمن حضر عقبه الا ولي
٣٧٦		كانوا يسمون المدينة يثرب
١١		لا يشكر الله من لم يشكر الناس
٢٨		لما قدم النبي صلي الله عليه وسلم المدينة صامه
٣٣		لا يحج بعد العام مشرك

- ٦٣ لي خمسة اسماء
- ٦٩ لقد رأيتني في غلمان قريش
- ٧٤ لكم يا اهل السفينه هجرتان
- ٨١ لقد شهدت مع عمومتي في دار ابن جدعان
- ١٢٣ لا تدخلوا على هؤلاء القوم الا ان
- ١٢٩ لما رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم قريشا
- ١٣١ لن تقوم حتى ترون قبلها عشرا
- ١٤٧ لقد رأيتني وانا ثلث الاسلام سعد بن ابي وقاص
- ١٥٢ - ١٧١ لما انزلت هذه الاية (وانذر عشيرتكم الاقربين)
- ٢٣٠ ليس من الانسان شيء الا يبلي الا
- ٢٥١ لئن رأيت محمدا يصلي اشرعن ابن عباس
- ٢٧٢ لم يكن رسول الله فاحشا
- ٢٧٦ لا اعدا غيرهن الله
- ٢٩٥ لو فعله لاخذته لاياتود الناس بالاعمال وانزلوا الدنيا
- ٢٩٥ لو فعله لاخططفته
- ٢٩٥ لودنا منى
- ٢٩٦ لقد لقيت من قومك
- ٣٤٥ لقد رأيتني مع رسول الله بحمكة سعد بن ابي وقاص
- ٣٤٧ لن يغلب عسر يسرين
- ٣٤٧ لوطء العسرفد غل هذا الحجر
- ٣٦٧ لا اكره احدا منكم على شيء
- ٣٤٠ ما اغذ الله الرشوة بني عيين النجاشي



٢٢٧	ابن مسعود	مازلنا اعز من اسلام عمر
٧٦		ما يحدث الله نبيا الارعي الفتم
٣٣٥		ما بي ماتقولون ماجئت بما
١٢٨		مادعوة احدنا الي الاسلام الا
٢٤	عائشه	مازلنا نسمع ان اسافا ونائلة كانا
٢٠١ - ٨٩		ما من الانبياء نبي الا قد اعطي من الايات
٧٠		ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه
١١٠		ما احد اصبر على اذى سمعه من الله
١٦		ما من مولود الا يولد على الفطرة
٦٩		ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية
١١		من لا يشكر الناس لا يشكر الله
٣٤٠	النجاشي	مرحبا بكم ومن جئتم من عنده اشهد
٢٦١		مثل المؤمن في توادهم
٢٧٣	اشرع ابن مسعود	من اراد ان ينظر الى وصية محمد
٢٧٤		من اخيركم احسنكم خلقا
٣٠٨		ملى عمار ايماننا
٣٣٥		منزلنا غدا ان شاء الله يخيف بني
٣٦٩		من انتم قالوا نفر من الخزرج
٢٧٦		ما من احدنا غير من الله
٣٩١		من مات على ما مات عليه عبد المطلب
٣٨٧		من نتال على الله يكذب به
٢٩٥		نزل اثنا عشر ملكا
٣٤٧		نزل المعونة من السماء على

- ٣٩٤ وان الله ليؤيد هذا الذي بالرجل
- ٢٣٦ والذي نفسي بيده لا يؤمن
- ٢٩٧ وقد بعثني ربك اليك
- ٣٨٤ اسعد بن زرارة والذي بعثك بالحق لنمنعك
- البراء بن معرور والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر سعدينا معان
- ٣٩٤
- ٣٠٩ ويح عمار
- ٣٠٩ وهو يقول احد احد بلال
- ٣٠٧ ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ابوبكر
- ٢١٩ ولكي اصوم وافطر
- ٢٥٢ ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا
- ١٥ ولقد رأيت في الجحيم يسحب ذيو لا
- ٣٨٧ ويل للمتألمين من امتي
- ٣٨٠ هل في رجل يحملي الى قومه فان
- ٨٤ هلم الى ثوبا
- ٥٤ يارب لولا هذا البحر لمضيت عقبة بن نافع
- ١٠٥ ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا يا علي ان الله تدامرني
- ١٤٣ يا حصيني كم تعيد من اله
- ١٨٨ يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار
- ٢٣٤ يجاب بالموت يوم القيامة
- ٢٥٥ يعقد الشيطان على قافيه احدكم

٣٢٤ - ٣٢٣	يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني
٣٦٦	يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا
٣٦٧	يا بني فلان اني رسول الله اليكم

(ملاحظة)

بعض الاحاديث والاثار لاسيما التي في كتب السيرة - كتبت اكتبها في البحث بالمعنى واكتفى بالاشارة الى المصدر الذي اشير اليه سواء كان في كتب الحديث او غيرها كما هو موجود في الرسالة لذلك لم اذكرها في هذا الفهرس ليعلم ذلك . . . الباحث .

فهرس المصادر والمراجع ، حسب الحروف الهجائية

- أ -

- ١- القرآن الكريم
- ٢- آدم / للبهى الخولى ، مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة
- ٣- الاتقان في علوم القرآن / لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطى  
ت ٩١١ مطبعة حجازى بالقاهرة
- ٤- اتمام الوفا / لمحمد الخضرى مطبعة السنوسى ط / الاولى
- ٥- اخبار مكة / لمحمد بن عبد الله بن احمد الارزقى ، بدون ذكر الطبع  
والتاريخ
- ٦- الاديان والفرق / لعهد القادر شيبه الحمد ، مطابع شركة المدينة  
للطباعة والنشر - جده .
- ٧- اسباب النزول / لعلى بن احمد الواحدى ط الحلبي الثانيه ١٣٨٧
- ٨- الاسئلة والاجوبه الاصوليه / لعهد العزيز المحمد السلیمان ط / السادس  
سنة ١٣٩٧هـ
- ٩- الاستيعاب في اسماء الاصحاب / لابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد  
بن عبد البر ، تحقيق طه الزينى الناشر مكتبة الكليات الاهريه  
ط / الاولى .
- ١٠- اساس البلاغه / لمحمود بن عمر الزمخشري / دار الشعب
- ١١- اساليب الفرو الفكرى د . على جريشه ، وزميله محمد شريف الزبيد  
الناشر دار الاعتصام - ط / الاولى سنة ١٣٩٧هـ
- ١٢- أسد الغابه / لعلى بن محمد الجزرى / الشعب
- ١٣- الاسفار المقدسه / لعلى عبد الواحد ط / دار العالم العربى القاهرة

- ١٤- اقتضا\* الصراط المستقيم ، مخالفة اصحاب الجحيم/ لشيخ الاسلام  
احمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨ مطابع المجد التجاري
- ١٥- الاسلام يتهدى/ لوحيه الدين خان ، المختار الاسلامي للطباعة  
والنشر القايره
- ١٦- الاسلام / لسعيد حوى ، مراجعة وهبي سليمان الفاوحي  
ط/ الاولى سنة ١٣٨٩هـ
- ١٧- الاسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب / ل احمد بن حجر  
آل طامي ، الناشر المكتبه الثقافيه .
- ١٨- الاسلام دعوة عالميه / لمباس محمود الحقاد ط/ بيروت
- ١٩- الله جل جلاله / لسعيد حوى ، بيروت ط/ الاولى سنة ١٣٨٩هـ
- ٢٠- الاصابه في تمييز الصحابه / للحافظ ابن حجر العسقلاني ت سنة ٨٥٢هـ  
تحقيق طه الزيني الناشر مكتبه الكليات الازهرية
- ٢١- اصول الدين الاسلامي / لمحمد بن سليمان التميمي بدون ذكر  
المطبعه والتاريخ
- ٢٢- اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن / لمحمد الامين الشنقيطي  
مطبعة المدني
- ٢٣- انجيل متى
- ٢٤- انجيل يوحنا
- ٢٥- الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه . محمد نعيم ياسين ،  
جمعية عمال المطابع التعاونيه عمان ط/ الاولى سنة ١٣٨٩هـ
- ٢٦- البدايه والنهايه / للحافظ ابي الفداء اسمحيل بن كثير الدمشقي  
ت سنة ٧٧٤هـ بيروت / ط/ الاولى سنة ١٩٦٦ م .
- ٢٧- بلوغ الارب / لابي الفضل محمود الالكوسي ط/ دار الكتاب

- ٢٨- بيان تبليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية / لشيخ الاسلام  
احمد بن تيميه تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمن قاسم ،  
مطبعة الحكومة السعودية مكة المكرمة ط / الاولى سنة ١٣٩٢هـ
- ٢٩- التاريخ الاسلامي العام / ت لعلي ابراهيم حسن ، مطبعة  
السنة المحمدية ط / الثالث
- ٣٠- تاريخ الامم والملوك / للامام محمد بن جرير الطبري ، تحقيق —  
محمد ابو الفضل ابراهيم ، الناشر دار المعارف بمصر ط / الثاني
- ٣١- تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي / د . حسن  
ابراهيم حسن الناشر مكتبة النهضة المصرية مطبعة السنة المحمدية  
القاهرة الطبعة السابعة سنة ١٩٦٤م
- ٣٢- تحفة الاحوذى / للحافظ ابي العلاء محمد بن عبدالرحمن المباركفوري  
ط / المدني الثالث سنة ١٣٨٤هـ
- ٣٣- تدريب الراوى / لجلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي  
ت سنة ٩١١ هـ تحقيق عبدالوهاب عبدالدليف ط / السعادة بمصر  
الثانية سنة ١٤٨٥ هـ - ١٩٦٦م .
- ٣٤- التفسير الكبير / للفخر الرازى الناشر دار الكتب العلمية طهران  
ط / الثاني
- ٣٥- تفسير القرآن العظيم / للحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق  
البناء ، عاشور ، غنيم ط / الشعب بالقاهرة
- ٣٦- تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن / لمحمد بن احمد الانصارى  
القرطبي ط / دار الشعب
- ٣٧- تاريخ المذاهب الاسلامية / لمحمد ابوزهرة ، الناشر دار الفكر  
العربي
- ٣٨- التفسير السياسي للسيرة / د . محمد رواس قلمه جي الناشر  
دار السلام . بيروت

- ٣٩- تفسير الجلالين / لمحمد بن احمد المحلى / عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي الناشر المكتبة الشعبيه
- ٤٠- توحيد الخالق / للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني ط/ الثالثه  
على نفقة رئاسة المحاكم الشرعية بقطر سنة ١٣٩٧هـ
- ٤١- تهذيب التهذيب / للحافظ ابن حجر الحسقلاني . بيروت
- ٤٢- تهسير العزيز الحميد / لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب  
ت سنة ١٢٣٣ هـ ، الناشر مكتبة الرياض الحديثه
- ج -
- ٤٣- جامع البيان في تأويل القرآن / لامام المفسرين محمد بن جرير الطبري ط مصطفى الحلبي الثالثه سنة ١٣٨٨هـ
- ٤٤- تهذيب الأسماء واللغات / لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي  
ادارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الرحمن  
٤٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لشيخ الاسلام احمد ابن تيمية / مطابع المجد التجارية
- ٤٦- جواهر الادب / لاحمد الهاشمي ط/ السعادة بمصر ١٣٨٤/٢١هـ

- ه -

- ٤٧- حاشية الترغيب والترهيب / لمصطفى عماره ط/ مصطفى الحلبي

- خ -

- ٤٨- خاتم النبيين / محمد ابو زهرة ، الناشر دار الفكر العربي  
ط/ الاولى سنة ١٩٧٢م
- ٤٩- الخصائص الكبرى / للحافظ عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي  
تحقيق محمد خليل هراس ، الناشر دار الكتب الحديثه

- د -

- ٥٠- دراسات قرآنية / للشيخ محمد قطب دار الشروق
- ٥١- دراسة في السيرة النبوية / لحمد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة  
دار النفائس سنة ١٣٩٤هـ
- ٥٢- الدعوة الاسلامية / للدكتور رؤوف شلبي من مطبوعات مجمع البحوث  
العلمية القايره سنة ١٣٩٤هـ
- ٥٣- الدعوة الاسلامية دعوة عالميه / د . محمد الراوي ، الدار القومية  
للطباعة والنشر

- ر -

- ٥٤- الرسول / لسعيد حوى ط / الثانية سنة ١٣٩١هـ بدون ذكر  
المطبعة والناشر
- ٥٥- الرسالة المحمدية / د . محمود عبد الوهاب فايد  
دار الطباعه المرميه بالازهر الشريف ط / الاولى ١٩٦٩م
- ٥٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لابي الفضل  
محمود الالوسي ط / بيروت
- ٥٧- الروح / للامام شمس الدين ابي عبد الله بن قيم الجوزيه ت سنة ٧٥١  
ط / بيروت سنة ١٣٩٥هـ
- ٥٨- روح الدين الاسلامي / لعفيف عبد الفتاح طباره ط / بيروت ١٧  
سنة ١٩٧٨م
- ٥٩- الروض الانف / لعبد الرحمن السهيلي تحقيق عبد الرحمن الوكيل  
دار النصر للطباعه ط / الاولى سنة ١٣٨٧هـ
- ٦٠- رياض الصالحين ، للامام ابي زكريا يحيى بن شرف الدين النسوي  
الدمشقي ت سنة ٦٧١هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت



- ٦١- زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ، راجعه  
وقدم له طه عبدالرؤوف ط/ مصطفى الحلبي سنة ١٣٩٠هـ
- ٦٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر/ ل احمد بن محمد بن حجر العسقلاني  
ت سنة ٩٧٤ هـ ط/ مصطفى الحلبي ط/ الثانيه سنة ١٣٩٠هـ
- ٦٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام/ لمحمد بن اسمعيل الامير الصنعاني  
ت سنة ١١٨٢ هـ راجعه وعلق عليه المرحوم الشيخ محمد عبدالعزيز  
الخولي ط/ بيروت الرابعه سنة ١٣٧٩ هـ
- ٦٤- سف التنبيه من الكتاب المقدس ط/ بيروت سنة ١٨٧٠م
- ٦٥- سنن ابي داود مع عون المحيود / لسليمان بن الاشعث بن اسحق ،  
تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الناشر المكتبة السلفيه بالمدينه  
المنوره ط/ الثانيه سنة ١٣٨٨هـ
- ٦٦- سنن الترمذي بتحفة الاحوذى / ل ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذى  
تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ط/ المدني الثانيه سنة ١٣٨٤هـ
- ٦٧- سنن النسائي / للحافظ ابي عبدالرحمن بن شعيب النسائي ت سنة ٣٠٣  
ط/ مصطفى الحلبي / الاولى سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤م
- ٥٨- سنن ابن ماجه / لمحمد بن يزيد القزويني ت سنة ٢٧٥ تحقيق محمد  
فؤاد عبدالباقي ط/ عيسى الحلبي
- ٦٩- سنن الدارمي / لعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، تحقيق  
عبدالله هاشم اليماني دار المحاسن للطباعة القاوه سنة ١٣٨٦
- ٧٠- سلسلة الاحاديث الصحيحه / للشيخ محمد ناصر الدين الالبانسي  
الناشر المكتب الاسلامي سنة ١٣٩٢ هـ
- ٧١- السير والمغازي / لمحمد بن اسحق المالبي ، تحقيق د . سهيل  
زكار ط/ دار الفكر بيروت ط/ الاولى سنة ١٣٩٨هـ

- ٧٢- السيرة النبوية / لمحمد بن عبد الملك بن هشام الحميري ، تحقيق  
السقاء الابيارى ، شلبي مصطفى الحلبي ط/ الثانية ١٣٧٥ هـ  
٠ م١٩٥٥
- ٧٣- السيرة النبوية / للحافظ ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد  
ط/ عيسى الحلبي سنة ١٣٨٤ هـ
- ٧٤- السيرة الحلبيه / لعلي بن برهان الدين ط/ الحلبي
- ٧٥- السيرة النبوية / لابي الحسن علي الندوي ، دار الشروق جده
- ٧٦- السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة / د . محمد ابو شهبه دار  
الطباعة السعيدية بالازهر

- ش -

- ٧٧- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك مع ضحة الجليل بتحقيق  
شرح ابن عقيل / لمحمد محي الدين عبد الحميد الناشر المكتبة  
التجارية الكبرى بمصر ط/ ١٥ سنة ١٣٨٦ هـ
- ٧٨- شرح العقيدة الطحاوية / لابن ابي الحز الحنفي ، تحقيق جماعة  
من العلماء ، خرج احاديثها محمد ناصر الدين الالباني الناشر  
المكتب الاسلامي بيروت ط/ الرابعة سنة ١٣٩١ هـ
- ٧٩- شرح مسلم مع صحيحه لابي زكريا يحيى بن شرف النووي المطبعة  
المصرية ومكتبتها بدون تاريخ
- ٨٠- شرح العقيدة الواسطية / لمحمد خليل هراس ، مراجعة الاستاذ  
الكبير عبد الرزاق عفيفي الناشر المكتبة السلفية بالمدينة ط/ الثالث

- ص -

- ٨١- صحيح البخارى بحاشية السندی / للامام محمد بن اسمعيل البخارى  
ط عيسى الحلبي الثالث
- ٨٢- صحيح مسلم / للامام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري  
الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر

- ٨٣- صحيح ابن حبان / ابو حاتم بن حبان بن احمد الرضوى الناشر  
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط/ الاولى سنة ١٣٩٠ هـ ترتيب  
الامير علاء الدين الفارسي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان
- ٨٤- صفوة الصفوة / لابي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر  
الجوزى ت سنة ٥٩٧ هـ تحقيق محمود فاخورى، خرج احاد يشسه  
محمد رواس قلعه ط/ الاولى حلب
- ض -
- ٨٥- الضعفاء الصغير / لابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى مع؛
- ٨٦- الضعفاء والمتروكين / لاحمد بن شعيب النسائي كلاهما تحقيق  
محمود ابراهيم زايد دار الوعى بحلب ط/ الاولى سنة ١٣٩٦ هـ
- ط -
- ٨٧- الطبقات الكبرى / لمحمد بن سعد مطبعة لجنة الثقافة الاسلامية  
بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ظ -
- ٨٨- ظهور الاسلام وسيادة حادته / لعبد الحميد بخيت مطبعة المعرفة  
- ع -
- ٨٩- العبادة في الاسلام / ليوسف القرضاوى مؤسسة الرسالة بيروت  
ط/ الرابعه سنة ١٣٩٥ هـ
- ٩٠- العقيدة في القرآن / لمحمد المبارك ط/ دار الفكر
- ٩١- العقيدة الواسطيه مع شرحها / لشيخ الاسلام احمد بن تيمية  
مراجعة الاستاذ الكبير عبد الرزاق عفيفي الناشر المكتبة السلفية  
بالمدينة المنوره ط/ الثالثه
- ٩٢- عون المعبود شرح سنن ابي داود / لابي اليب محمد شمس  
الحق العظيم آبادى مع شرح الحافظ بن قيم الجوزيه تحقيق

عبد الرحمن محمد عثمان الناشر الحكمة السلفية بالمدينه  
ط / الثانيه سنة ١٣٨٨ هـ

- ف -

- ٩٣- الفتوحات الالهيه بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيه /  
لسليمان بن عمر المجيلي الشهير بالجمل ت سنة ١٢٠٤ ط /  
عيسي البابي الحلبي
- ٩٤- فتح الباري ، شرح صحيح البخارى / للحافظ احمد بن حنبل  
المسقلاني ت سنة ٨٥٢ تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز  
بن باز ، رقم كتيه وابوابه واحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي  
واشرف على طبعه محب الدين الخليل ، الناشر المطبعه  
السلفيه ومكتبتها .
- ٩٥- فتح القدير الجامع بين فنى الهوايه والدرزيه فى علم التفسير /  
لمحمد بن علي الشوكاني ط مصطفى الحلبي الثانيه ١٢٨٢ هـ
- ٩٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / للشيخ عبد الرحمن بن حسن  
آل الشيخ تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنه المحمديه  
القاهره ط / ٧
- ٩٧- فتح المبين شرح الاربعين مع حاشية العدايفي / ل احمد بن حنبل  
الهييتي ط / عيسي الحلبي
- ٩٨- فقه السيره / للشيخ محمد الفزالي ، خرج احاديثه وصححها  
محمد ناصر الدين الالباني الناشر دار الكتب الحديثه بمصر  
ط / السابعه سنة ١٩٧٦ م
- ٩٩- فجر الاسلام ل احمد امين الناشر مكتبة النهضة المصريه ط / ١١  
سنة ١٩٧٥ م
- ١٠٠- فقه السيره / لمحمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط / الثالثه  
سنة ١٣٩٠ هـ .

١٠١- في ظلال القرآن / للشهيد سيد قطب دار الشروق الطبعة  
الشرفية الرابعة سنة ١٣٩٧هـ

- ق -

١٠٢- قاموس القرآن ، او اصلاح الوجوه والنيائر في القرآن الكريم /  
للحسين بن محمد الدامغاني تحقيق وتكميل عبد الميز سيد  
الاهل ط/ الثانية بيروت سنة ١٩٧٧م

١٠٣- القاموس المحيط / لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت سنة ٨١٧هـ  
الناشر مؤسسة الحلبي القاهرة .

١٠٤- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين /  
لعبد الرحمن محمد بن عبد الوهاب الناشر مكتبة الرياض

١٠٥- قصص القرآن / لجاد المولي / الهجاوي / شحاته الناشر المكتبة  
التجارية بمصر ط/ ١٠ سنة ١٣٨٩هـ

- ك -

١٠٦- الكامل / لمجد الدين ابي السعادات العبارك بن محمد الجزري  
المشهور بابن الاثير ت سنة ٦٠٦هـ تصحيح عبد الوهاب النجار  
الناشر ادارة الطباعة المثيريه سنة ١٣٤٩هـ

١٠٧- كيف تدعو الناس / لمبد البديع صقر الناشر مكتبة وهبة القاهرة

١٠٨- لباب النقول في اسباب النزول / لجلال الدين عبد الرحمن بن  
ابي بكر السيوطي ت سنة ٩١١ مابحة مصطفى الحلبي ط/  
الثانية بدون تاريخ

١٠٩- لسان العرب / لمحمد بن مكرم بن منظور بيروت سنة ١٣٨٨هـ

- م -

١١٠- ما زلت احسر العالم بانحطاط المسلمين / لابي الحسن علي الندوي

الناشر دار الكتاب العربي بيروت ط/ السادسة سنة ١٣٨٥هـ

- ١١١- مجمع الامثال / ل احمد بن محمد النيسابورى الميداني تحقيق  
محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤هـ
- ١١٢- محاضرات في النصرانية / لمحمد ابي زهرة ، الناشر دار الفكر  
العربي ط / الخامسة سنة ١٣٩٧هـ
- ١١٣- محاسن التأويل / لمحمد جمال القاسمي مطبعة عيسى الحلبي  
ط / الاولى
- ١١٤- محاضرات / لشيخنا محمد قطب في جامعة ام القرى بمكة المكرمة
- ١١٥- مختصر السيرة النبوية / لشخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب . بيروت
- ١١٦- مختار الصحاح / لمحمد بن ابي بكر الرازي مطبعة الحلبي سنة ١٣٦٩هـ
- ١١٧- مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية مطبعة السنة المحمدية  
تحقيق محمد حامد الفقي سنة ١٣٧٥هـ
- ١١٨- مروج الذهب / لعلي بن الحسين المسعودي ، تحقيق محمد محيي  
الدين عبدالحميد مطبعة السعادة بمصر ط / الرابعه سنه ١٣٨٤هـ
- ١١٩- مسند احمد / للامام احمد بن حنبل الناشر المكتب الاسلامي بيروت  
وبهامشه منتخب كنز العمال
- ١٢٠- مشاهد القيامة / للشهيد سيد قطب دار الشروق
- ١٢١- المصباح المنير في فريب الشرح الكبير / ل احمد بن محمد الفيومي  
مطبعة مصطفى الحلبي
- ١٢٢- معارج القبول ، شرح سلم الوصول في التوحيد / لشيخنا حافظ  
ابن احمد الحكمي من مطبوعات الرياسة العامة لادارة البحوث  
العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية .
- ١٢٣- معالم في الطريق / للشهيد سيد قطب دار الشروق
- ١٢٤- المعارف / لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الناشر دار المعارف  
بمصر ط / الثانيه
- ١٢٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد علي ط بيروت

- ١٢٦- مع الله/ للشيخ محمد الغزالي مطبعة حسان بالقاهرة ط/ الرابعه ١٣٩٦هـ
- ١٢٧- الملل والنحل / لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت سنة ٥٤٨ تحقيق محمد سيد كيلاني ط/ الثانيه سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م
- ١٢٨- منهج التربية الاسلاميه/ للاستاذ محمد قطب دار الشروق ط/ الاولى ١٤٠٠
- ١٢٩- منهاج المسلم/ للشيخ ابي بكر جابر الجزائري دار البيضا ط/ الثالثه سنة ١٣٩٧هـ
- ١٣٠- من مراحل الدعوة الاسلاميه/ لحسين جابر مخلوط ببحث علمي مقدم للسنة الرابعه في كلية الدعوة واصول الدين بالجامعة الاسلاميه بالمدينه المنوره
- ١٣١- المنجد في اللغة والاعلام بيروت ط ٢٢
- ١٣٢- الموطأ/ للإمام مالك بن انس ت سنة ١٧٩ مع شرحه تنوير الحوالك/ لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي مطبعة مصطفى الحلبي ط/ الاخيرة سنة ١٣٧٧هـ
- ١٣٣- المغنى عن حمل الاسفار مع الاحبار / للحافظ ابي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي ط . بيروت
- ١٣٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال / للحافظ محمد بن احمد الذهبي ط بيروت دار المصرفه ط/ الاولى سنة ١٣٨٢هـ تحقيق محمد علي البجاوي .

- ن -

- ١٣٥- نافذه على الجحيم / صدرت عن الاخوان المسلمين سنة ١٩٥٦م
- ١٣٦- النبوة والانبياء في ضوء القرآن الكريم/ لابي الحسن علي الندوي الناشر المختار الاسلامي القاهرة ط/ الرابعه .
- ١٣٧- نور اليقين لحمد الخفزي الناشر المكتبه التجاربه بمصر مقابل بنسخة اخرى طبعة دار الفكر بيروت الجميع بدون تاريخ
- ١٣٨- النهاية في غريب الحديث/ لابي السعادات المبارك محمد الجزري المعروف بابن الاثير تحقيق محمود محمد الطناحي ط عيسى الحلبي بدون ذكر التاريخ

- ١٣٩- الوحي المحمدي / لمحمد رشيد رضا الناشر المكتب الاسلامي  
ط / الثامن
- ١٤٠- هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى / لمحمد بن قيم الجوزية  
مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ،
- ١٤١- هداية المرشدين / لعلي محفوظ الناشر المكتبة المحمودية التجارية  
بميدان الازهر الشريف / ط / السابعة
- ١٤٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث / للحافظ ابى الفداء اسماعيل  
بن شهاب الدين بن كثير / تاليف احمد محمد شاكر دار الكتب العلمية بيروت
- ١٤٣- علوم الحديث / لابن الصلاح الامام ابى عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري حقه  
وضريح احاديثه وعلق عليه نور الدين عتر مطبعة الأصيل حلب ١٣٨٦ هـ
- ١٤٤- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال / للامام صفى الدين احمد بن عبد الله الخرجي  
تحقيق محمود عبد الوهاب فايد مطبعة النجاة الجديدة القاهرة ١٣٩٤ هـ
- ١٤٥- تقريب التهذيب / للحافظ احمد بن علي بن عجي العقلائي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف  
الاسر محمد سلطان الفتكاني ط / الاولى ١٣٨٠ هـ



<u>رقم الصفحة</u>	<u>فهرس الاعلام المترجم لهم في البحث</u>
١٤٤	الارقم
٢٠٦	ام جميل
٣٧	اسعد الحميرى
٢٣٢	بوزا
٧١	بحيرالراهب
٣٠٦	بلال بن رباح
٨٦	جابر بن سمرة
١٧٠	عذيفه بن اليمان
٣١٠	خياب بن الارت
٨١	عبد الله بن جدهان
١٤٢-٣٠٧	عمار بن ياسر
١٤٢	صهيب الرومي
٦٤	واثله بن الاسقع

فهرس الموضوعات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٢-١	المقدمة
٦١-١٣	التمهيد
١٣	الحاله الدينيه في الجزيرة العربيه
١٤	اصناف ديانة العرب
١٤	العنفاء
١٤	مذكرو البعث والاعاده
١٧	مذكرو الرسل : عباد الاصنام
١٨	انكار الخالق لم يثبت لسناده الى صنف من العرب
٢٠	شبهاتهم مقصورة على انكار البعث والرسل
٢٢	الوثنيه
٢٣	من أول من نصب الاصنام في الكعبة وحولها ؟
٢٥	اندا سرك ان تعلم جهل العرب فاقراً :
٢٨	تصوير جعفر بن ابي طالب للجاهلية
٢٨	تعليق على اثر ابن عباس في معرفة جهل العرب
٣١	لمحة عن بعض اخلاق الجاهلية
٣٤	اليهوديه
٣٦	انتشار اليهوديه في الجزيرة العربيه
٣٨	نبذة من صفاتهم وسياستهم
٣٩	لمحة عن تعريف اليهود للدين المنزل على انبيائهم
٤٢	النصرانيه
٤٣	انتشار النصرانيه في جزيرة العرب



- ٨٧ خلاصة حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
- ٨٩ اثبات الوحي
- ٩٢ انواع الوحي
- ٩٥ ظاهره الوحي
- ٩٦ صورة مصغره للعالم قبل البعثة
- الفصل الثاني
- ٩٨ منهج الدعوة من الناحية العقلية والروحية
- المبحث الاول :
- ٩٩ الاستدلالات الكونية
- ١٠٠ كلام يتضمن : الفطرة تبحث عن الخالق
- ١٠٠ ،، قيم للشيخ محمد قطب حول اواخر سورة آل عمران
- ١٠٣ القرآن ينوه بالعقل ولكن في حدوده الشرعية
- ١٠٥ صور يعرضها القرآن عن الكون بما يحرك الفطرة البشيه
- ١٠٩ نماذج من النظر العقلي
- ١١٠ خلق الانسان ومميزاته
- ١١٣ افضل مميزاته
- المبحث الثاني :
- ١١٤ الاستدلالات التاريخية
- ١١٤ من اهداف القصص القرآني
- ١١٨ نبذة من الايات الاجماليه
- ١٢٠ نماذج من الاحداث التاريخية : قوم نوح عليه السلام
- ١٢٢ عاد : قوم هود عليه السلام

١٢٣	شمود : قوم صالح عليه السلام
١٢٤	قوم لوط " "
١٢٤	قوم شعيب " "
١٢٥	فرعون مع موسى وهارون عليهما السلام
١٢٨	قصة اصحاب الفيل
١٢٩	الدخان
١٣١	هل قد مضى الدخان ام من الايات المنتظرة ؟ المبحث الثالث :
١٣٢	منهج الدعوة من الناحية الروحية واثارة الوجدان بالتريغيب والترهيب
١٣٦	الفصل الثالث : مراحل الدعوة
١٣٦	الخطوة الاولى : الاتصال الفردي
١٣٦	اسلام غديجه ام المؤمنين رضي الله عنها
١٣٧	اسلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه
١٣٨	اسلام ابي بكر الصديق رضي الله عنه
١٤٠	تحديد الهدف
١٤١	سعد بن ابي وقاص مع امه
١٤٢	اول مدرسة في الاسلام
١٤٣	اسلوب الحكمة
١٤٤	الخطوة الثانية : التكوين السري في دار الارقم
١٤٥	بدأ الاسلام غريبا
١٤٧	الادلة العلمية الصحيحة تثبت ان المرحلة الاولى كانت في غاية السرية

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٤٩	ما الحكمة في السرب بالدعوة
١٥٢	مرحلة الجهر بالدعوة
١٥٣	نبذة من الاحاديث المتعلقة بآية ( وانذر عشيرتـك الاقربين )
١٥٧	الحكمة في البدء بالاقربين
١٦٠	تقسيم مراحل الدعوة وآراء العلماء في ذلك
١٦٦	مناقشة الآراء في ذلك مناقشة علمية وترجيح الراجح منها
١٧١	نظري في تقسيم مراحل الدعوة مع ذكر الأدلة الصحيحة علي ذلك
١٧٥	مع بعض المستشرقين والرد عليهم
١٧٩ - ٢٨١	الباب الثاني : اركان الدعوة الفصل الاول :
١٨١	منهج القرآن في تقرير العقيدة
١٨٧	تقرير الوجدانيه
١٨٨	هل يوجد في القرآن الكريم على ان في الام السابقه من يذكر وجود الله سبحانه ؟
١٩٨	دعوة الانبياء تركز على توحيد الالهيه
١٩٥	نماذج من الخصومة بين الانبياء والامم في توحيد الالهيه
١٩٨	اثبات الرسالة
١٩٨	الصفات الشخصية لصاحب الرساله
٢٠٠	معجزة القرآن الكريم
٢٠٣	من الشواهد على اثبات الرسالة

- ٢٠٤ بعض شهادة الكتب السابقه
- ٢٠٦ انكار رسالة محمد ( ص ) طعن في الرب تبارك وتعالى
- ٢٠٨ الايمان بالملائكة
- ٢١١ اثر الايمان بالملائكة في حياة الانسان
- ٢١٣ الايمان بكتب الله عز وجل
- ٢١٥ اهمية الايمان بالكتب
- ٢١٧ الايمان بالرسول
- ٢١٩ الحاجه الي الرسل
- ٢٢٠ مقتضى الكمال الالهي
- ٢٢١ الايمان باليوم الاخر
- ٢٢٣ غرابة فكرة البعث
- ٢٢٤ شبهة المنكرين للبعث والرد عليها
- ٢٢٥ الجدل في قضية البعث بين الرسول ومشركي مكة  
كما يصورها القرآن
- ٢٣١ اهمية الايمان باليوم الاخر
- ٢٣٢ ماهي الحكمة من ذلك الاهتمام
- ٢٣٥ اثر الايمان باليوم الاخر في سلوك المؤمن
- ٢٣٩ الايمان بالقضاء والقدر وتعريف كل منهما مع ذكر الخلاف  
في ذلك .
- ٢٤١ خفاء القدر وكراهة الخوض فيه
- ٢٤٣ أثر الايمان بالقدر
- ٢٤٤ تشويبه لاثر الايمان بالقدر ، والرد عليه
- ٢٤٦ الفصل الثاني : تقرير الصلاة والزكاة ومكارم الاخلاق

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٤٧	تشريع الصلاة ، وهل هي عبادة عريضة ام لا ؟
٢٥٠	القول بمشروعيتها قبل الاسراء والمصراع
٢٥٢	الاثر التربوي للصلاة في توثيق الصلة بين العبد وربه
٢٥٦	الزكاة وذكر الخلاف في زمن مشروعيتها
٢٦٠	الاثر التربوي للزكاة في بناء مجتمع اسلامي متكامل
٢٦٥	الدعوة الاخلاقية
٢٧١	الدعوة الى مكارم الاخلاق
٢٧٥	تحريم الكبائر
٢٧٨	معو التقاليد الجاهلية
٢٨٢ - ٣٩٤	<u>الباثالث</u>
	جهاد الدعوة
	الفصل الاول
٢٨٦	تحمل الاذى
٢٨٨	ميزان الاسلام لمن يدعيه
٢٩١	تنوع الفتن التي يتعرض لها الدعوة الى الله
٢٩٣	نماذج من تحمله عليه الصلاة والسلام اذى المشركين
٣٠٥	نماذج من فتنه الجيل الاول
٣٠٦	ابوبكر الصديق رضي الله عنه
٣٠٧	عمار بن ياسر
٣٠٩	بلال بن رباح
٣١٠	خباب بن الارت
٣١١	في ظلال النماذج
	الفصل الثاني
٣١٦	مواجهة الغصوم



- ٣١٩ شرف الداعية المسلم ونزاهته
- ٣١٩ مفاوضات فاشله
- ٣٢٠ الجلسة الاولى من المفاوضات مع الرسول علي الله عليه وسلم
- ٣٢١ المرة الثانية مع الرسول عليه الصلاة والسلام
- ٣٢٢ وفد قريش الي ابي طالب
- ٣٢٤ مفاوضة المشركين الجنونيه مع ابي طالب
- ٣٢٦ نوع آخر من المفاوضات
- ٣٢٧ العبرة
- ٣٣٢ البحث الثاني الهجرة الي الحبشه
- ٣٣٤ هل الهجرة الي الحبشة قبل الحصار في الشعب او بعده؟
- ٣٣٥ ذكر الادلة المرجحه بان الهجرة الي الحبشة كانت قبل الحصار
- ٣٤٠ العبرة في ذلك
- ٣٤٢ التحليل السياسي للهجرة الي الحبشه
- ٣٤٣ البحث الثالث المقاطعة العامه
- ٣٤٦ الاضطهاد يزيد الدعوة عمقا
- ٣٤٧ مكاسب الدعوة في زمن الحصار
- ٣٤٨ تدبير نقض الصحيفة وتنفيذه
- ٣٥٠ نتائج المقاطعة
- ٣٥٢ الفصل الثالث : اعداد الدعاة
- ٣٥٣ نص قيم لشيخنا محمد قطب في اعداد الدعاة
- ٣٥٦ الداعية لا يصلح ان يكون ملتصقا بالارض
- ٣٥٨ الرسول (ص) يتحدث اصحابه بما حصل لعن قلوبهم في سبيل الدعوة الي الله

- ٣٦٠ ضبح هذه الدعوة بين ايدينا لم يتغير
- ٣٦١ ضبح الاخذون ذلك الضبح
- ٣٦٢ ضبح التلقي
- ٣٦٣ تنبيه لدعاة الاسلام المعاصرين
- الفصل الرابع
- ٣٦٤ الاتجاه الى دعوة العرب الوافدين الى الموسم
- ٣٦٧ الرسول صلي الله عليه وسلم يطلب الضمعة من القبائل  
حتى يبلغ رسالة ربه
- ٣٦٩ طلائع المسلمين او الانصار
- ٣٧٠ بيعة العقبة الاولي
- ٣٧٤ ارسال البعوث الى طييه الطيبة
- ٣٧٥ من نتائج دعوة مصعب الدينيه والسياسيه
- ٣٧٧ من اسباب تقبل الانصار الاسلام
- ٣٧٩ العبيرة
- ٣٨١ بيعة العقبة الكبرى
- ٣٨٥ نص بيعة العقبة الكبرى عند ابن اسحق
- ٣٨٦ قریش تكتشف امر البيعه
- ٣٨٧ الحكمة في عدم الاذن بالقتال في مكة
- ٣٩٢ المبحث الرابع : قيمة العهد المكي
- ٣٩٢ من اثر الاعداد النبوي
- ٣٩٣ نص الشهادة التي حصل عليها الجيل الاول
- ٣٩٤ لقطات لا يبرز حالات الجماعة المختاره

رقم الصفحة

الموضوع

٤٠٠	الخاتمه : وفيها النتائج
٤٠٩	فهرس الاحاديث والاشار
٤١٨	فهرس المصادر
٤٣١	فهرس الاعلام
٤٣٢	فهرس الموضوعات

• • •